

دار الكتب المصرية

أحياء الآداب العربية

ملكنا الأبي

في

ممالك الأمم

لابن فضل الله العمري

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي باشا

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

كلمة صغيرة

عن

موسوعات كبيرة

كلمة صغيرة عن موسوعات كبيرة

هذا كتاب "مسالك الأبصار" لابن فضل الله العمري !
وهو قد لا يحتاج الى التعريف به ولا بمؤلفه . فقد استفاد منه في القرون الوسطى
كل اكابر العلماء في الشرق : من عرب وفُرس وترك .
حتى إذا ما رحل العلم عن بلادنا واستقر بأرض أوروبا ، تنبه المستشرقون اليه
فاستقوا من بحره الطامى ، مثل "كاترمير" الفرنسى ، و "أمارى" الطليانى . فكان
لها القدح المملئ والراية البيضاء فى استخراج كنوز المعارف من هذا المعدن الغنى
السخى الكريم . وأما غيرهم من المستشرقين الذين حذوا حذوهم فهم كثيرون .
مع كل ذلك ، بقى المصريون — الى هذا اليوم — محرومين وحدهم من بضاعة
أجدادهم ، إلى أن وقفنى الله لردّها اليهم بعد أن بذلتُ ما بذلتُ فى هذا السبيل من
التعب والعناء فيما لا يقلّ عن ربع قرن من الزمان .
اهتديت الى مكانته فى دور الكتب بأمهات العواصم فى ديار أوروبا وفى خزائن
المخطوطات بالقسطنطينية العظمى .
لكن الجزء الأول منه بقى فى حكم المفقود . فان نسخته التى بخزانة آيا صوفيا
ليست بذلك .
ولقد تداركتنى العناية ، فعثرت بطريق الصدفة على كتاب مدشوت فى الأضابير
المبعثرة بين الأوراق المنتثرة فى أسافل الخزانات بسراى طوب قيو بالقسطنطينية .
وكان هذا الكتاب بعنوان "مرآة الكائنات" .
تصفحته قليلا ، وإذا به هو الضالة المنشودة !
ومما جعلنى أغتبط كل الاغتباط بهذه اللقمة أن رجلا من أهل العلم قرأ هذا
الجزء على المؤلف ، وأن المؤلف كتب بخطه عليه بعض التصحيحات وأضاف اليه
زيادات كتبها بيده فى ورقات "طيارات" .

نهت رشاد بك أمين تلك الخزنة في سنة ١٩١٠ الى هذه الدرة القيمة ،
وطلبت إليه إعادة العنوان الى أصله ، وإضافة الولد المفقود الى أهله . ففعل .
وحينئذ أسرع فأخذت بالفتوغرافية صورة الكتاب بأكله (مع النسخة الأخرى
من الجزء الأول التي بآيا صوفيا) وأحضرت الكل الى القاهرة . وهو محفوظ بدار
الكتب المصرية . وليس يوجد في أى قطر آخر بالمشارك والمفارب نسخة كاملة
مثل التي أعدتها لمصر . وقد كان عند أجدادنا من هذا الكتاب ما لا يقل عن العشرين
نسخة كاملة ، طوحت بها أيدي الزمان الى هنا وإلى هنا . وبقي وادي النيل محروما
من هذه الثمرة المصرية التي كانت نتاؤها الأيدي وتؤتي أكلها في كل حين .
وقد عُنيت كل العناية ، وبذلت غاية الجهد في تحقيق هذا الجزء الأول ، وسافرت
الى فلسطين في صيف العام الماضي لتطبيق ما أورده المؤلف عن "المسجد الأقصى"
من البيانات الفنية المعمارية والاصطلاحات الهندسية البنائية التي لم يجربها قلم كاتب
قط . لا من العرب ولا من المعجم ، لا قديما ولا حديثا .

أبرزته على هذا المثال الذي أرجو أن ينال قبولا عند العارفين من أهل العلم .
وأمل في الله كبير أن يمدني بالتيسير لإكمال على هذا النحو من الخدمة التي أخذتها
على عاتقي ، للقيام بالعمل الجليل الذي أبتهل اليه تعالى في تكليله بالنجاح ، وهو :

” إحياء الآداب العربية “

وسأتولى في أحد الأجزاء التالية التعريف بهذه الموسوعات الاسلامية المصرية
الكبرى ، بعد أن أتهى من استخبار المؤلف نفسه عن نفسه ، ومن استكمال المواد
التي ما زالت أجمعها من بطون الدفاتر ومختلف المصادر .

وسأضيف اليه رواهيز فتوغرافية يتمثل فيها خط المؤلف ، وخطوط النسخين
لكتابه الذي كان أكبر ينبوع للقلقشندى في ”صبح الأعشى“ .

وأتم ذلك كله بمعجم لغوي للألفاظ الاصطلاحية ونحوها مما أصبح في حيز المجهول
عندنا . وأضحينا في أشد الحاجة لتجديده للتعبير عما لا نجد له مقابلا فيما تدعو اليه
أسباب الحضارة الحاضرة وما ظهر فيها من مبتكرات القرائح والعقول ما

أحمد زكي باشا

الجيزة . في . بيع سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

فهرست

الجزء الأول ، من كتاب مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

فهرست المضامين

صفحة	فائحة المؤلف :
١	خطته — تدقيقه في النقل — فذلكة عامة عن محتويات الكتاب — اقتصاره على ممالك الاسلام — شدة احتراسه في نقل العجائب — سبب ابتدائه بالمشرق — تعبه في خدمة الكتاب — التنويه بسلطان عصره الناصر قلاوون ... ٢ — ٥
٦	منهاج الكتاب والاشارة الى محتوياته بالتفصيل الوافي ...
١٤	ابتهال المؤلف الى الله — ورجاؤه للقراء ...

الباب الأول

في مقدار الأرض وحالها ، وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول — في كيفية الأرض ومقدارها :

١٧	كرينها والبرهان عليه — استقرارها في جوف الماء ...
١٨	العرش والكرسي ، في رأى فلاسفة الاسلام ...
١٨	حركات الأفلاك وتقسيم الأقاليم — الفلك الأطلس وحركته ، وعنده ينتهى الإدراك البشرى
	نظرية في الكواكب الثابتة والمتحركة والبرهنة عليها — تشكك ابن سينا في محل
١٨	وجود الثوابت ...
١٩	تشبيه العالم لتقريبه الى الأفهام — اعتراض المؤلف على هذا التشبيه ...
١٩	نظرية الادريسي في استقرار الأرض في جوف الفلك ...
	تقديره أبعاد الأرض : على رأى المنود — على رأى هرمس — مناقشة المؤلف لمذنب
٢٠	التقديرين ...

صفحة

- تقدير الحكيم إراتستين الذى يسميه المؤلف إردساس (تحريفًا عن
إِرَدُسْتِناس Eratostène) ٢٠
- تقدير بطليموس — تصحيح ابن الشاطر الدمشق لهذا التقدير .. ٢١
- تقدير صاحب الكوائيم ٢١
- ما صنعه المأمون العباسى لتحقيق أبعاد الأرض بطريقة عملية ٢١
- استنتاج المؤلف — استدلال ابن الشاطر ٢٢
- مقدار الدرجة بحساب المأمون وعبره — ترجيح المؤلف لنتيجة المأمون واعتماده عليها ٢٢
- الفرسخ والذراع على حساب المأمون — طول المرسج القديم ، وطول الدبر ... ٢٣
- اختلاف الآراء فى تقدير العمران — تحرير فطاب الدين الشيرازى لمقداره — سد ابن
الشاطر لنظرية الشيرازى ٢٣
- رأى الادريسي فى أسباب العمارة فيما بين القطبين — قد المؤلف لهذا رأى —
الشمال أكثر عمارة من الجنوب — العمارة فى الجنوب قسم المشرق — (جزائر البحر
الهندى وبلاد الصين) — عدم العمارة فى الجنوب من جهة العرب — العمارة وراء الاقليم
السابع — (بلاد الروسية والمغرب) — (بيل السودان المعروف عند العرب ببحر الدمام والآن
عند الفرنج ببحر البحر) — السبب فى عمارة ما وراء حقل الاستواء من القسم الشرقى وعدمها
فى القسم الغربى — سبب العمارة فيما وراء الاقليم السابع — لماذا كان الشمال أكثر عمارة
من الجنوب — رأى الادريسي ثم الكرى الأندلسى — حمله المعمور على رأى بطليموس
والشيرازى وتوفيق المؤلف بينهما — احتراز المؤلف ٢٤-٣٠
- تشبيه الأرض بجسد آدمى — عدم رضا المؤلف عنه ٣٠
- الأرض غير صادقة الاستدارة ٣٠

تخيّل علماء الاسلام لوجود أمريكا قبل اكتشافها بقرن ونصف قرن ٣١

الفصل الثانى الى الخامس — أسماء الأرض وصفاتها من حيث اللغة :

الأرض وصفاتها	٣٢
التراب وصفاته	٣٧
الغبار وصفاته	٣٩
الرمال وصفاتها	٤٠

الفصل السادس — فى أحوال الأرض :

الارتباط بين الكائنات الحيه وبين الأرض — تمام ارتباط الاسان بالأرض — (السدر والنار) — الأرض أم البشر — قلة السارى الحيوان ، ولما اذا كانت العذاب الموعوده — الاسان أرضى ترى وأساب معاشه من الأرض — الاسان معطور على طلب القاء وسنتقى فى تطلب المعاش	٤٥-٤٣
كلمه عن الجبال — نظرية فى اتصالها طاهرا أو ماطا	٤٦
جبل قاف عد جغرافى المسلمين هو أتم الجبال — ما هو الجبل المحيط وكيف سيره	٤٧
جبل القمر — الجبال المكتشفان نهر النيل عد مسعه	٤٩-٤٨
كامل الكلام على تسلسل الجبال	٥١-٤٩
جبال الربع الأول : حل قدم آدم — حل الديلم	٥٣-٥٢
جبال الربع الثانى : الحل السابع	٥٥-٥٤
جبال الربع الثالث : جبال الأندلس	٥٧-٥٦
جبال الربع الرابع : « الهند والصين وشمال آسيا	٥٩-٥٨
[تحقيق على اسم نهر ايتل (العولخا) — فى الحاشية]	٥٩
جبال الشام واتصالاتها	٦٠

صفحة

جبال مكة : عرفات — أنوقيس — الخدمة — الحل الأبيض — الأحاسن	
والحاجب — قعيقان — أجياد — اس عمران — حل البكاء — (سقايات مكة) —	
جلا شامة وطميل — حل ثير — حل يرا — حل ثور — عارحرا ٦١	
جبال المدينة المنورة : حل أحد — جل سلع — جل ثور — حل عير ٦٤-٦١	
أنهار الربع الأول ٦٦	
أنهار الربع الثاني :	
النيل : وصفه — كلمتان للقاضي العاصل عنه ٦٧	
أصوله ومنابعه ٦٨	
اكتشاف المسلمين لمنابعه قبل الافرنج : وصول آخر سلاطين بني عبد المؤمن	
الى مسعه ٦٨	
وصف البحيرة التي يخرج منها النيل — دراعا النيل عند منبهه — مروره في بلاد السودان —	
بحر يوسف بمصر — مشاهدة المؤلف في بحر يوسف — عمود النيل في الصعيد ٦٩-٦٨	
رجع الى اكتشاف العرب لمنبع النيل قبل الافرنج : عالم معرى أقام بالسودان	
٣٥ سنة وأحمر المؤلف عن أصل النيل — توعل هذا العالم في الأسعار لمعرفة مسع النيل ... ٧٠	
اختلاف الأقوال في أصل النيل — روايات عن بحث ملوك مصر الأقدمين عن أصل النيل —	
رأى المؤلف في أن هذه الأقوال مسية على النظريات العلمية لا على المشاهدة ٧٢-٧١	
محاولة الصالح نجم الدين الأيوبي معرفه منابع النيل [في الحاشية] ٧٢	
بقية أنهار الربع الثاني ٧٣	
أنهار الربع الثالث :	
نهر إشبيلية (أى الوادى الكبير المعروف عند الافرنج باسم Guadalquivir عن اسمه	
العربى) وما قيل فيه من طرائف الشعر والوصف لاس وهون وعلام الكرى وان صار	
واس حماحة ٧٦-٧٤	

صفحة

- نهر سرقسطة (Saragosse) وهو المسمى فعد العرب أيضا باسم إبرة عن اسمه
الامرجي (Elbro) وما كان للملك الطوائف به من نزهة آيئة وما ارتحل فيه الوزير
اليهودي ابن حصدى من الشعر العائق أثناء رهة المستعين بن هود ... ٧٦-٧٧
[تحقيق على اسم بحر سطش — في الحاشية] ... ٧٧
- بقية أنهار الأندلس — أنهار في أوروبا وآسيا ... ٧٨-٧٩
- نهر دجلة (Le Tigre) ... ٧٩
- نهر الفرات (L'Euphrate) ... ٨٠
- « الساجور بآسيا الصغرى ... ٨٠
- « قويق (نهر حلب) ... ٨٠
- النهر العاصي (ويسميه العرب أيضا أربطى عن الأعمية Oronte) ... ٨١
- نهر بردى (نهر دمشق) ... ٨١
- « الأردن (Le Jourdain) ، ويسمى أيضا «الثريرة» ... ٨٢
- حمة حدن والاستشفاء بمياهها ... ٨٢
- أنهار الربع الرابع : مها هرل (Le Volga) — نهر الطيب — جيجون —
سيحون — هر السعد (Sogdiano) — هر مكران (Indus) — هر عماس ملاد
الترك — هر حمدان الأعظم بالصين (وهو النهر الأصفر Le Fleuve Jaune) — هر الكر
(Cyrus) — نهر الرس المدكور في القرآن (Araxe) — نهر قره صو — هر أرس ... ٨٣-٨٥
- البحيرات المشهورة : بحيرة كياما — بحيرة أطراعا — بحيرة مريك — بحيرة السوكران —
بحيرة مخارا — بحيرة خوارزم — بحيرة تهامة (بلاد الترك) — بحيرة زره — ... ٨٧
- بحيرات النيل الثلاثة : يخرج النيل من اثنتين منها وأما الثالثة فيسميها المؤلف بحيرة اليوم حلف
بلاد غانة (Guinée) لأنها من نيل السودان (Niger) ... ٨٧-٨٨

صفحة

بحيرة الميوم بمصر — بحيرة راقون — بحيرة تاروت تونس (أحدهما عدة والأخرى ملحقة	
ونجيب شأهما) — بحيرة نان بأقصى المغرب — بحيرات أرو — بحيرة الاسكندرية —	
بحيرة تنس — بحيرة حارش — بحيرة طرية (وحمام طرية ووصفه) — بحيرة رعر	
وهي المنة (Fétule) — بحيرة أفامية (Apanée) — بطائح العراق (اثنان بالنصرة	
وواحدة بالكوفة) — بحيرة حلاط — بحيرة أيودان ٨٨-٨٩	
رمل الهبيرة (ووصفه بالتفصيل) ٩٠	

الاثار البينة في أقطار الأرض

المساحد الثلاثة :	٩١
الكعبة : كعبة جامعة عليها	٩٢-٩٤
سواء إبراهيم لها — عدها وتحديدها أيام عبد الله من الربيع — سواء الخراج لها — واريخ سائرها .	
على يد الملائكة — ثم إبراهيم — ثم قرش — ثم اس الربيع — ثم الخراج — سواء العامة	
ثم حرم لها — ترقيمها	٩٤-٩٧
أعلامها وتاريخها بذهب في الخاضعة ثم في الاسلام	٩٨
تحديد ما بها في أيام الناصر محمد بن قلاوون	٩٩
ترقيمها في أيام الوليد بن سنان ملك الأموي — ترقيم المظفر يوسف بن رسول	
صاحب اليمن	٩٩
كسوة الكعبة في الخاهية الاسلام : كسوة المأمون — كسوتها من مصر ومن اليمن	
في أيام المولود — ما رآه المولود على سطح الكعبة ومباشرته لكسوتها بيده —	
اهداء سلطان مصر كسوة الكعبة القديمة لسلطان المغرب الأقصى — غسل الكعبة	
وتعويل المولود ذلك بيده — التناعة وكسوة الكعبة — كسوة النبي والخلفاء	
الراشدين لها — قول تبع عند كسوة الكعبة	٩٩-١٠٢

من مسالك الأبصار

(ز)

صفحة

- صفة الكعبة ودرعها (مساحتها) — الحجر الاسود — باب الكعبة — الملتزم — موضع
- الخلوق ومقام ابراهيم — الخطيم — المستحار ١٠٤-١٠٢
- المسجد الحرام المحيط بالكعبة : وصفه — عمر بن الخطاب يبرع الملكية لتوسيعه ،
ثم عثمان بن عفان يقتدى به ، ثم ابن الزبير — تعمير عبد الملك بن مروان له — توسيع
الوليد الأموي له — زياده المنصور والمهدي العباسيين له — رواه — سفيان —
أساطينه — شراء النخيل لاسطوانة له بورها ذهباً — حياها — مساحته — ارتفاعه —
شرفاته ١٠٩-١٠٥
- المسجد الحرام يراد به الكعبة كلها — يراد به المسجد المحيط بها فقط — يراد به
مكة أو الحرم بأكمله ١٠٩-١٠٨
- بئر زمزم : أصل التسمية — طيم الحارث بن مصاصها — تحديد عدد المطلب حفرها
١١٢
- الصفى والمروة : وصفهما -- المسمى — موضع المروة ١١٢
- مدأ ظهور قرين بمكة — دار المدوة — دخول الدار في الحرم وهو وضعها منه .. ١١٤-١١٣
- منى : مسجد الحيف — مسجد الكش — جمع (أى أخردلته) — وهو جدها —
المشعر الحرام ١١٦-١١٥
- أنصاب الحرم : أول من أها -- تحديد السرى ثم الصحابة لها — بقاها لرمز
المؤلف — حد الحرم ١١٧
- تعظيم مكة وتحريمها : حدود شجرها — قطع شجرها ودية كل شجرة بشرة .. ١١٩-١١٨
- عرفات — قبة آدم — تسميتها ١٢٠
- مسجد نمرة (المعروف خطأ بمسجد ابراهيم) ١٢٠
- مسجد عائشة أم المؤمنين ١٢١
- مسجد ميمونة أم المؤمنين ١٢١

- المواقيت (أى مواضع الإحرام) : ذوالخليفة (مقات أهل الشام) — آبار هذا الطريق —
 الخفة واسمها القديم (مهيمة) — رابع (مر الكب المصرى فى عهد المؤلف) — تغليط
 المؤلف للجوهري — يلم (ألم) — ذات عرق ١٢٢-١٢١
- المسجد النبوى : الحرم النبوى والروضة الشريفة — قدوم النبي المدينة ومصلاه فيها —
 بناؤه مسجده بها — زيادة عمر وعثمان فيه — مسافة الحرم فى عهد النبي — الزيادات
 المتوالية فيه — زيادات العباسيين — المسافة بين المنبر والمصلى والقبر الشريف ... ١٢٦-١٢٣
- بيوت النبي : اضافتها الى المسجد أيام عبد الملك بن مروان ١٢٦
- مسجد قباء (وهو أول مسجد بنى فى الاسلام) — كيفية تأسيسه ١٢٧
- مسجد الضرار ١٢٩
- مساجد المدينة ١٣١
- بقيع الغرقد : قبة العباس ومن فيها من أهل البيت — قبة عثمان بن عفان — قبة ابراهيم
 (ابن النبي) — قبة فاطمة وأمهاث المؤمنين والصحابه والتابعين — قبة مالك ابن أنس —
 أول مدفون بالبقيع — سبب تسميته بالغرقد — معنى الغرقد ١٣٢-١٣١
- المسجد الأقصى : كلمة عامة على الحرم المقدسى — بناء سليمان له — فضله — فتحه
 فى أيام عمر ثم صلاح الدين — تسليمه للفرننج ثم استنقاذه ١٤٠-١٣٣

(وصف الحرم المقدسى ومزاراته الى سنة ٧٤٣ هـ — تصنيف

خاص به لأحمد بن أمين الملك)

وصف فنيّ عربيّ للبناء على الطراز العربى :

الصخرة الشريفة : الباء المشم المحيط بها وطاقاته وشايبه — وصف السقف —
ارتفاعات القبة — صفة الشباك وأنواعها — أثر قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما يقال — درقة حرة
(وهي مرآة من السحرة معادن) — المحراب — المعارة وباطنها — مقام الخضر —
مقام الخليل — الباب الشرق للصخرة — بابها الشمالى (باب الجنة) — الباب الغربى —
الصحن ومباحته — قبة الميراث — قبة الجوى — المدرسة المعظمية — قبة الملك المعظم —
الامام والطلبة أحاف بهذه المدرسة — القرية الموقوفة عليها (بيت لقياء) — مزولة
المدرسة — قبة للتصديدين بالحرم — حلوتان للمقراء — درج الراق — أعمدة القبة
ووصفها — السلسلة المعلقة بين السماء والأرض — المشاة الموصلة للحرم — قبة المعراج —

الآثار والصهاريج بحصن الحرم وفي سطره ١٤٠-١٥٢

السور القبلى : مساطبه ومحاريبه — حوائط القناديل والخواصم — جامع المعارة

وجامع النساء ١٥٢-١٥٣

السور الشرقى (ومعه مهد عيسى) : مسعد باب الرحمة — باب الرحمة — المقبرة خارج
هذا السور — وادى جهنم وما فيه من عجائب المباني والآثار والقوش والمعابد القديمة —

وصف العصور الأربعة بالحرم المقدسى ١٥٤-١٥٥

السور الشمالى : باب أسباط — المدرسة الكريمة — باب شرف الأنبياء — مدرسة

آل ملك وخاقان الإسمردى — مدرسة الجاولى ١٥٧-١٥٩

السور الغربى : أبوابه — آثار علاء الدين الأعمى ناظر الحرم (أسطر رحمة حياته

في كتاب نكت الحميان) — باب الرباط المنصوري — مساكن ومحاسن وخلوات

ونخاعة الحائط — باب الحديد — الباب الحديد — الخلاوى والطهارات والمساكن —

باب الطهارة — باب السلسلة (وهو باب السحرة) — باب حارة المعارية ١٦٠-١٦٣

- الخلاوى والحواصل تحت الصخرة ١٦٤
- قبة سليمان : صفتها — صخرة سليمان ١٦٥
- المجلس الذى بناه سليمان (ويسمى فى عهد المؤلف اصطبل سليمان) : وصفه — مريبط
الوراق فى إحدى اسطواناته — زيارة المؤلف له ١٦٥-١٦٧
- قبر الخليل وما جاوره من قبور بنيه والأزواج : قبر الخليل ابراهيم، وزوجته
سارة، وابنه إسحق ١٦٨
- زيارة المؤلف للسرداب الذى به قبور الأنبياء ١٦٩
- اكتشاف قبور الأنبياء فى أيام احتلال الصليبيين لبلد الخليل ١٧٠
- قبر آدم ونوح وسام — قبر يوسف وسبب وجوده خارج الحرم ١٧٠
- رحله الحرم الخليل وصيافته ١٧٠
- زيارة المؤلف له سنة ٧٤٥ هـ ١٧٠
- فتح الصياغة وأهراؤه ١٧١
- استمرار السباط فى أيام الصليبيين وزيادتهم فيه — زيادة مارك الاسلام فيه .. ١٧١
- قصائد لنويف فى مدح الخليل — تفصيل المؤلف فى زيارته له ١٧٢
- إقطاع تميم الدارى — استحصار المؤلف للكاتب السوى الشريف وعمله صورته
وصفه له — نقله هذه النسخة عن حمد الخليفة المستنصر (فى الحاشية كلام عن هذا
الكاتب الشريف تخلص الصندى عن أنى ذكر الأمر) ونقله عن الملقب شمدى) — رؤية
المؤلف هذا الكتاب الشريف سنة ٧٣٩ هـ ١٧٢-١٧٦
- قبر يوسف بن متى • وزيارة المؤلف له مرات آخرها سنة ٧٤٥ هـ ١٧٦
- قبر موسى الكايم — رواية فى تحديق موضعه، ومقام عجيب ١٧٧
- مسجد دمشق : وصفه وأزلياته — خطابه — لوح مكتوب بخط عادى وجدوه أيام
الوليد وزعم وهب بن مبه أنه قرأه — صورة ما فى هذا اللوح ١٧٨

- دخول العرب دمشق فاتحين — الكنيسة نصفها للنصارى ونصفها للمسلمين الى أيام
الوليد — حيلة لطيفة للوليد مع امبراطور الروم — المصالحة على اختصاص المسلمين
به في نظير استنثار النصارى بكنيسة مريم كلها — شروع الوليد في تحسيه — رواية
أخرى في امراد المسلمين به — أخذ النصارى أربع كائس في نظير بعضهم فيه ١٧٩-١٨٠
- محاولة القساوسة مع هدم كنيسة لتوسعته ، ومباشرة الوليد الهدم بنفسه — رواية
أخرى — رواية أخرى — وضع الأساس — تخويف النصارى للوليد
ومباشرة الهدم بنفسه ١٨٠-١٨١
- التعويض على النصارى بكنيسة أخرى ١٨٢
- مساومة الوليد النصارى وتخويفهم اياه بالجنون اذا هدمها ومباشرة الهدم بنفسه
لتكديهم — إتمام اليهود هدمها ١٨٢-١٨٣
- طلب الوليد صاعا وعملة من ملك الروم — مكتبة ملك الروم بشأن الهدم ... ١٨٣
- سقوط القبة بعد بنائها — حيلة هندسية في تشييدها ١٨٤
- محاولة الوليد عقد رأس القبة بالذهب وتقريع أحد أصحابه له ١٨٤
- تعشية سطوحه بالرصاص — شرائه رصاصا من امرأة يهودية بوزنه ذهبا ثم تبرعها
بالتن للسجد لما رأت من عدل الخليفة ١٨٤
- سليمان بن عبد الملك يتولى أمر الصاع بنفسه — أداء الأمانة ١٨٥
- ما كان فيه من الرحام والمرمر — مناقشة المؤلف عن الرحام والمرمر والحجارة وتفصيل
أنواع الرحام الملون — رحام بيبرس ومن بعده — عدد المرشحين ١٢٠٠ —
- ترويقه ونعقائه الباهظة واحتجاج الأمة على الوليد ، ورقه المقنع ١٨٥-١٨٦
- قصة كنز — العقدة على المسجد ١٠٠ و ٦٠٠ و ٥٠٠ دينار ١٨٦-١٨٨
- مفانر دمشق أربعة ، وبه صارت خمسة ١٨٨
- ثمان عمودين ١٥٠٠ دينار ١٨٨
- رأس يحيى بن زكريا في كنيسة تحته ١٨٨
- تمثال قديم وحدوه في حفر الأساس ١٨٨

صفحة	
١٨٩	الأقباء المعقودة تحت المسجد
١٨٩	الوراق الذى كان محيطا به وأتقاصه ومادى بها
١٩٠	تمويص عمر بن عبد العزيز على النصارى بكيسة أخرى — عمر بن عبد العزيز أراد إرجاعه للصارى ، وكيف أرساهم القوم وأرصوا عمر
١٩٠	شروع عمر بن عبد العزيز فى ريع زحاره لوضع ثمنها فى بيت المال ، وكيف ردوه عن ذلك
١٩١	وهود الروم وإعجابهم به — رواية فى عزم عمر بن عبد العزيز على تحرير القلعة مما فيها من الذهب
١٩٢	إقرار المهدي العباسى فصل فى أربعة أشياء — إعجاب المأمون ببنائه على غير مثال تقدم
١٩٣	عجائب الدنيا حسن عبد الشافى : منها المسجد الأموى
١٩٣	صناعة السيفساء وأنواعها — السيفساء التى احترقت سنة ٧٤٠ هـ — الفرق بين القديمة والحديثة فى أيام المؤلف
١٩٣	هذا المسجد يشوق الى الجلة
١٩٣	الدرة المسماة (قُلَيْلَة) — الأمين يستزعمها والمأمون يردّها للتشيع عليه — ضياعها وانكسار البرنية الزجاج التى وصفت محلها
١٩٤	أستار المسجد
١٩٤	وصف المؤلف لبائه الوثيق الأنيق
١٩٤	أبوابه القديمة والمستجدّة
١٩٥	حصن المسجد وسيفسائه — رواق الصحن — أروقة القبلة وقبة السّر
١٩٥	المصحف العثمانى الذى كان فيه
١٩٥	محراب الصحابة — محراب الحمية — محراب الحابلة
١٩٦	وصف الأروقة — وصف قبة السّر

صفحة	
١٩٦	مشاهد الخلفاء الراشدين — مجلس الحاكم الشرعي والحكام الأربعة
١٩٦	معجن زين العابدين
١٩٧	العمارات والمدارس التي أُضيفت إليه
١٩٧	فرشه بالمرمر، وزخرفة عمده وعضائده بالرحام المذهب
١٩٧	فساق الماء
١٩٧	عود إلى وصف القبة
١٩٨	طول هلال القبة
١٩٨	وصف ساعة المسجد
١٩٨	طلسمات الجامع قبل حريقه
	حريق الجامع سنة ٤٦٤ هـ وسببه — وصف العباد الكاتب لهذا الحريق — آيات
١٩٨	في ذلك الحريق
١٩٩	القوارات التي به وتواريخ انشائها وسقوط عمدها وما فوقها ..
	عمل الشذوان بعد سنة ٦١٠ هـ — وصف الدهليز لقصبة القوارة الكبرى وما بني
٢٠٠	عوضاً عنها بعد حريق سنة ٦٨١ هـ
	حريق سنة ٧٤٠ هـ وتجديد المئذنة على أحل مثال — مقامة الصفدي في وصف هذا
٢٠٢—٢٠٠	الحريق — وصف ابن عاتم له أيضاً
٢٠٢	وصف المؤلف لهذا هذا المسجد بالناس دائماً
٢٠٣	أوقافه ومرتباته
٢٠٣	مقام إبراهيم ببرزة (بالنحلة)
٢٠٥	مقارة الدم — فضلها خصوصاً في صلاة الاستسقاء
	الريوة : مقام عيسى (عم) بها — معجزتان لعيسى (عم) — اختلاف المفسرين في مواقع
٢٠٨—٢٠٦	الريوة — انتقاد المؤلف هذه الأقوال

صفحة	
٢٠٩	الكهف بقاسيون : بناؤه سنة ٨٣٧٠ ، ورؤيا غريبة في ذلك
٢١١-٢٠٩	مسجد عمرو بن العاص بالقسطاط بمصر : وصفه وفصله — وصف الهلال والشمس موفى الليل في وقت العروب لاس طامر ، ولأبن قلاقس واس المنجم ، وهما في مزارته
٢١٢	مسجد قرطبة : طوله وعرضه — تسميته وصحته — قسبه وسواريه — ثرياته — سماراته وجوائز سقعه
٢١٣-٢١٢	صناعة الفص وصناعة الدوائر — ملاحظه — أعمدته — صناعة الفص بالمعرة
٢١٣	وصف قلعة العجبة وما فيها من صفة القوط — أعمدة المحراب لا تقوم بمال — المر الذي ليس بمعمور الأرض مثله — ستة صناعات قصوا سبع سنين في عمله
٢١٤	آلات الوقيد في ٢٧ رمضان (ليلة القدر)
٢١٤	مصحف يرفعه رحلان ، فيه أربع ورقات من مصحف عثمان
٢١٤	أبوابه ٢٠ ، مصفحة بالحاس وكواكب الحاس
٢١٤	صومعته العربية — درجان متحالفان للصعود الى أعلاها — فيها ثلثمائة عمود — فوقها ثلاث نقاحات من ذهب وفضة
٢١٤	٦٠ رجلا يخدمون الجامع

بقية المزارات الأخرى : (وكلها بالشام) :

قبر مالك بن الأشتر — قبر حصه — دير إلياس (عم) — مشهد ابراهيم ببعليك — قبر أسباط ببعليك — قبر نوح بالكرك — قبر شيث (عم) بقرية شرعيل — قبر حرقيل (ع) بالبقياع — قبر ديامين بقرية طهر حمار — قبر شيان الراعي بالبقياع — قبر أيوب (عم) بقرية دير أيوب — مشهد جماعة من الصحابة بقرية محجة — حجر يرمعون كذا أن الهى (صلم) جلس عليه بقرية محجة — قبر اليسع بقرية بسر — الأحود الذي تحران بالشام (والحقيقة خلاف ذلك وأنه باليمن) — عبد الرحمن بن عوف بقرية الدور — المسيح في ذيل الحماة — سام بن نوح على ندى — محبي الدين النووي بقرية نوى — على الحريري بقرية نوى — برك الباقية ببصرى — مصحف عثمانى عليه أثر

الدم في مبرك الساقة ببصرى — دير الساعق الذى كان به الراهب بجيرا — قدم
الرسول (صلم) بقرية دني — قبر وهب بن مبه بقرية عصب — قدم هرون (عم)
بصرحد — مشهد موسى وهرون (عم) بصرحد — قبر هرون بالسبق ببلاد الشوك —
قبر أنى عبيدة ابن الجراح بقرية عمتا — قبر معاذ بن حبل بالقصر المينى — قبر
أبى هريرة بقرية تلى — الكهف والرقيم (باللقا أو بأفسس أو بطابطة) — قبور
جعفر الطيار، وزيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحه، والحارث بن العمان، وعبدالله
أبن سهل، وسعد بن عامر القيسى، وأبو دحاة الأنصارى (كلها بقرية مؤنة) —
وقبور أم موسى بن عمران، ودان، وأبسا حور، وزبولون، وكاد، أولاد يعقوب
(بأربل طبرية) — قصر يعقوب (عم)، وبيت الأحرار، وحب يوسف (في الطريق
الى مانياس وإلى القدس) — قبور شعيب في حطين، ويهودا بن يعقوب في رومة
طبرية، وصغورا روحة موسى في كهر منده — الحب الذى سقى منه موسى أتمام
شعيب والصخرة التى رفعها عنه في كهر منده — ق. اشير ونشالى، ولدى يعقوب في كهر
منده — وقبر سليمان (عم) بشرقي طبرية أو بيت لحم — قبر إسماعيل وابنه — الطور الذى
رأى موسى النارية بالشام، في قول — قبر راحيل أم يوسف بين القدس والخليل —
قبر لوط تكهر ترينك — مقام لوط بقرية تامين — الحجر الذى صر به موسى (عم)

بها — قبر عبادة بن الصامت بالرملة ٢١٩-٢١٥

مشهد الحسين بن على بن أبى طالب بمسقلان (المؤلف يسكو وجوده بالقاهرة وبقول
ان الأعلاب انه لم يتجاوز دمشق وأن العباسيين حملوا أسلمه فيما بعد ودهسوها بالمدينة

المقورة) ٢٢٠-٢١٩

مشهد رأس الكامل صاحب ميا مارقين بمسقلان (وتمر المهتار الكاتب فيه) ٢٢٠

قبر يحيى بن زكريا بسسطة — سعد بن عباد بالمنيحة بدمشق (ولا يصح) — قبر خالد
بن يزيد الأموى خارج حصص (والعامة تجعله قبر خالد بن الوليد وهو خطأ) — قبر

صرار بن الأزور خارج باب شرقي دمشق — مدفن الصحابة في تلك الجهة ... ٢٢١-٢٢٠

البيوت المعظمة عند الأمم :

عبادة الكواكب وهياكلها ٢٢٢

البيوت المحجوبة ٢٢٢

صفحة

٢٢٢	البيت الحرام بمكة...
٢٢٢	بيت النار Pyrôe بأصفهان
٢٢٢	بيت مندرسان بالهند
٢٢٣	بيت كاوسان فرغانة
٢٢٣	بيت عمّدان باليمن
٢٢٣	بيت الكواكب بأعلى الصين...
٢٢٣	بيت النوبهارى بلخ
٢٢٤	هياكل اليونان : (بيت املاكية — هرم الجيزة — بيت المقدس — صنم لبنان)
٢٢٥	هياكل الصقالبة...
٢٢٥	هياكل الصابئة...
٢٢٦	هياكل بالصين
٢٢٨-٢٢٧	بيوت النيران (بطوس، بخارى، دارابجرد، اسطخر، جور)
		الآثار المشهورة :
		بالصين وتركستان وفارس :
٢٢٩	صنم الخطا المهجوج اليه (بشمال الصين) — قصر الدهاك — حائط القلاص
		بالمسراق :
٢٢٩	قصر سنداد، وشعر الأسود بن يعفر فيه...
٢٣٢	جب بابل
		بالخيرة :
٢٣٠	الخورنق والسدير، وما قبل من الشرعيا وفي مجازاة سينمارانيهما
٢٣٠	قصر ستافاد...

بالشام :

الرصيف الممتد في البرية ٢٣٠

مدينة تدمر — ملعب بعلبك — مدينة جرش — جب يوسف — جسر يعقوب ٢٣١

بين الحجاز والشام :

مازل ثمود (وبئر الحجر والناقة) ٢٣١

باليمن :

الأخدود — البئر المعطلة والقصر المشيد — سد مأرب — قصر القشيب — قصر

عمدان ، وشعر ابن أبي الصلت فيه — بئر برهوت — قصر زيدان ٢٣٣-٢٣٢

بفارس :

:

مدينة اصطر ٢٢٩

قصر الشاذباج (والشعر الذي ارتجله ابن الجهم حينما صلبوه عليه) ٢٢٩

بمصر :

دار الأتماط — وشعر ابن فلاقس في مليحة مرت بها ٢٣٤

الأهرام — فتح المأمون للهرم الكبير ، وتدقيق المؤلف في ذلك — وصف

المؤلف للأهرام ، وزياراته لها — شعر المتنبي وأنى الصلت الأندلسي فيها ٢٣٨-٢٣٤

أبو الهول ووصفه — وشعر طاهر الحداد فيه ٢٣٨

سجن يوسف ٢٣٨

حائط العجوز — ووصف المؤلف وزيارته له ٢٣٩

شامة وطامه (تمتلايمون أو رمسيس الكبير) ٢٣٩

بربرة لإخميم — مآرأه المؤلف فيها — تحقيق الحكيم شمس الدين محمد القاش بشأها ٢٤٠-٢٣٩

صفحة

عمود الصوارى بالاسكدرية — منارة الاسكدرية وأشعار ابن الدوى

وَأَرْ قَلَاقِسَ فِيهَا ٢٤١-٢٤٠

الملعب، ومكانه قصر حى حليف (كان) وشعر ابن قلاقس فى وصف هذا القصر ٢٤٢-٢٤١

ببلاد المغرب :

مدينة لبدة (Lepptis) وأطلالها [وهى فيما بين برقة وطرابلس العرب] ... ٢٤٣

مدينة المعلقة بتونس (وهى قرطاجنة) ٢٤٤

مدينة شرشال بالجزائر ٢٤٤

صخرة سبتة بمراكش ٢٤٥

بالأندلس :

هيكل الزهرة بالأندلس ٢٤٥

باب الصُفْر بحال البراس (بين اسبانيا وفرنسا) ٢٥٣-٢٢٩

[شجرة واحدة فى الدنيا لا ثانى لها] ٣٠٤

القصور المشهورة :

قصر العباس بن عمرو العنوى — الشعر الذى كتبه عليه سيف الدولة سنة ٨٣٣١ هـ

ثم أخوه مصر الدولة سنة ٣٦٢ هـ ثم المقلد من المديت سنة ٣٨٨ هـ، ثم ابنه

قرواش سنة ٤٠١ هـ ٢٤٧-٢٤٥

[أمير جيش يلم وحده، وأبىر جيش يؤسر وحده] ٢٤٨

قصر البصرة — .أحدث فيه من المعانزة بين حرير والفرق فى حصرة الجناح الثمغنى ٢٤٨

قصر الكوفة وما حدث فيه من إحضار رأس الحسين الى ابن زياد، ورأس هذا

الى المختار بن أبى عبيد، ورأس هذا الى مصعب بن الزبير، ورأس هذا الى عبد الملك

ابن مروان الذى تطر من مجلسه وأمر يهدمه ٢٤٩-٢٤٨

- قصر هرقل (بدمشق) — وعُرف في زمان المؤلف بقصر شمس الملوك — وصف
القيصراني لبركته ارتجالاً ... ٢٤٩-٢٥٠
- قصر أبي الخصيب، مولى أبي جعفر المنصور ... ٢٨٥
- قصور مدينة الصالحية بالعراق — وما قيل فيها من الشعر ... ٢٦٥-٢٦٦
- [الدار التي بناها المؤلف لنفسه بدمشق] ... ٣٥٠
- قصر لبنى أمية بدمشق — وما كتب عليه من الشعر استهماها وجوانا على سبيل العبرة ... ٢٥٠
- قصر عبد العزيز بن مروان بخلوان مصر — وما كتب عليه من الشعر، استهماها
وجوانا على سبيل العبرة ... ٢٥٠-٢٥١
- مسجد تقنية السلار من اليرموك بالشام رأى المؤلف على بعض جدرانه شعرا في رثاء
بني سيار أصحاب هذه الجهة الأتولين يتلوه شعر في رثاء بني السلار، وما كتبه هو
تحت ذلك من الشعر في رثاء المريقيين على سبيل الموعظة والاعتبار ... ٢٥١-٢٥٢
- بيت من الشعر رآه المؤلف على معبد كان يألمه، فارتجل أربعة أبيات في شكاية
الزمان وأمر بكتابتها تحت ذلك البيت واصرف باكما ... ٢٥٢-٢٥٣

الديارات والحانات المشهورة :

ديارات العراف :

- دير الكَلْب (وهو من عجائب الدنيا) ... ٢٥٤
- دير أبوان (وهو قبر يوحنا، يرعمون) ... ٢٥٥
- دير الزعفران (وشعر الخالدي) ... ٢٥٥
- دير قُني ...
- دير العاقول (وشعر ابن مقلة والبحري وابن كاتب طولون، وحكاية حطة والبحري فيه) ٢٥٦
- دير العدادي (وشعر ابن المعتز وحطه والصنوبري وابن فيروز واللصوص) ... ٢٥٨

صفحة	
٢٦١	دير الباعوث (وشعر المنبجي)
٢٦٢	دير السومى (وشعر أحمد بن أبي طاهر وابن المعتز)
٢٦٣	دير عبدون (وشعر البحتري وابن المعتز)
٢٦٩-٢٦٥	دير زكى (وشعر الصوري وأبي بكر المعوح والزهرائى — وشعر دارون الرشيد بسببه أوفين فيه)
٢٦٩	دير القائم الأقصى (وماحدث لاسحاق الموصلى فيه ، وما قاله من الشعر ، وما عمله الخليفة هارون من رفع الخراج عن هذا الدير سوى عشرة دراهم)
٢٧٠	دير حزقيال
٢٧٠	شعر عقلاء المجانين
٢٧١	دير ماسرجس (زيارة المعتصم له مع ألى النصر البصرى وشعر هذا فيه)
٢٧٢	دير الروم
٢٧٢	شعر عقلاء المجانين
٢٧٤	دير الزندورد (وشعر أبي نواس وبجعة البرمكى)
٢٧٥	دير دومالس (وشعر أن حدود النديم)
٢٧٥	دير ممالو (وشعر محمد بن عبد الملك الهاشمى ، وأشعار خالد بن يزيد الكاتب حينما استدعاء ابراهيم بن المهدي)
٢٧٧	دير الثالب (وشعر ابن دهقان)
٢٧٧	دير مدبان (وشعر الحسين بن الضحاك)
٢٧٨	دير أشموى (وشعر حطه ورقص أبي العتاهية فى سميريه حين سمع الماء به)
٢٧٨	دير سار (وأشعار ابن الضحاك)
٢٨٠	دير قوطا (وأشعار عبد الله بن العباس الربيعى)
٢٨١	دير جرجس (وأشعار أبي جفنه القرشى — واستدعاء أن النخري لأم المعتز لأجل الشرب فيه ليلة الشك)

- دير الخوات — ليلة الماشوش به ، والشعر فيها لمحنة ... ٢٨٢ ...
- دير باشيرا (وشعر أبي العيلاء) ... ٢٨٢ ...
- دير مرمار (وشعر الفضل بن العباس بن المأمون — وما حدث به للامتز أيام خلافته
حينما خرج للصيد مع الفضل المذكور ويونس بن بُعَا) ... ٢٨٢ ...
- دير سرحيس (ويسميه الناس معصرة أبي نواس — شعر أبي نواس وابن الصحاك) ٢٨٤ ...
- ديارات الأساقف (وشعر علي بن محمد بن جعفر العلوي) ... ٢٨٥ ...
- دير زراة (خروج يحيى بن زياد ومطيع بن اياس للتح ووقوفهما به للشرب ليلة
واحدة وتماديهما حتى عاد الجيج مرجعا معه الى بغداد بعد أن حلقا رؤوسهما
كلهما أدبا الفريضة وشعر مطيع في ذلك) ... ٢٨٦ ...
- عمر مرتومان (وأشعار كشاجم فيه وفي عود الملامى) ... ٢٨٦ ...
- دير الألق (وشعر المدايني حينما سكر به) ... ٢٨٧ ...
- عمر إتراعيل (وشعر محمد بن حمد الأسم) ... ٢٨٧ ...
- دير ماقوقا (وشعر أبي الحسين محمد بن ميمون الكاتب) ... ٢٨٩ ...
- دير سعيد (وأشعار الخالدي والسري الرقي — حكاية معن ثقيل مع جماعة من
الطغاة وما قاله عمر بن محمد بن الشحنة من الشعر في ذلك الثقيل) ... ٢٨٩ ...
- الدير الأعلى (وشعر الخالدي) ... ٢٩٣ ...
- دير مارمخايل (حكاية الشهيد الذي وحد بأسفله — وشعر الخالدي وعمر بن الشحنة) ٢٩٤ ...
- دير متي (وما قيل فيه من الشعر — البيتان المكتوبان على باب دهليزه) ... ٢٩٩ ...
- دير الحماص (شعر لأحد بني عروة الشيباني يرثي أياه — وبه يوح نساؤهم على
موتاهم — وإذا رلت أحيائهم هذا الدير نحروا على قبر ميتهم وأقاموا مأتما) ٣٠٠ ...
- دير باعمرما (زيارة سيف الدولة له وشربه فيه والشعر الذي صمعه له أبو اسحاق
اليسري وغناه به سقارة العواد) ... ٣٠٠ ...
- دير القيارة (واستشفاء المرضى من العلل المستعصية بالاستحمام في الحمة التي به) ... ٣٠١ ...

صفحة	
٣٠٢	دير مارقانا (وسكر الخياز البلى وشعره)
٣٠٢	دير أبى يوسف (وشعر الخالدى)
٣٠٣	دير الشياطين (وشعر السرى الرفاء)
٣٠٤	دير ممرجس (وشعر رحل من آل القبرات)
٣٠٥	دير صُباعى (وشعر بعض لصوص بن شيبان)
٣٠٥	عُمر الزعمران (وشعر الخالدى والبيضاء ومصعب الكاتب)
٣٠٧	دير باريتا
٣٠٧	دير حظلة (وشعر وره فيه)
	دير الحائلىق (ورثاء أبى رقيس الرقيات لمصعب بن الزير المقتول مجانه — وأشعار
٣٠٨	بكر بن خارحة ومحمد بن أبى أمية بسببه وفيه)
٣٠٩	دير مريخنا (وشعر عمرو بن عبد الملك الوراق وبمص أشعاره المجونيه)
٣١٠	عمر أخويشا (والشعر فيه)
٣١٠	عُمر عسكر (وأشعار محمد بن حارم الناهلى)
	ديارات الحيرة :
٣١١	دير الأسكون (وصف العبد فيه)
	دير حة (شعر رحل مستهتر بالسكرفيه وقتله به — شعر الثروانى وبكر بن خارحة
٣١٢	الكوفى وأبى نواس)
٣١٤	دير عبد المسيح (والأشعار المكتوبة على حائطه — وعلى لوح وحدوه فى قبر به)
٣١٥	دير الحريق (وشعر الثروانى . وصف مجلس الشراب به فى يوم الشعانين)
٣١٦	دير اس مزعوق (وشعر الثروانى)
٧١٧	دير فاثيون (وشعر الثروانى)
	دير مارت مريم (وشعر الثروانى — شعر بكر بن خارحة فيه على قراءة النصارى
٣١٧	وضرب الواقيس)

من مسالك الأبصار (ث)

صفحة

٣١٨ (ولد صارفاتكا) — شعر قيل فيه

دير حنة الكبير (شعر الثرواني — زيارة ابراهيم بن المدير مع جبهة له ، ومجلس شريها فيه ، وما صنعه جبهة من الشعر والتلحين لهذا السبب — زيارة الوليد ابن يزيد الخليفة الأموي لهذا الدير متكررا ، وشربه فيه ثلاثة أرطال — وتلطف

التمار حتى عرفه) ٣١٩

دير هند (ذهب النعمان بن المنذر ملك العرب إليه ، وتحمله في أحذه امرأة حكم بن عمرو الحمصي ، وقول الشاعر في ذلك — مقابلة خالد بن الوليد مع هند بنت النعمان — مقابلة الججاج لها — عيرة العرب وشهامتهم في الدفع عن الحرم —

مقابلتها لسعد ابن أبي وقاص حين فتح العراق) ٣٢٢

دير اللج (الشعر فيه — ذهب النعمان اليه بموكبه وحشمه وخدمته) ٣٢٦

دير بني علقمة (وشعر عدى بن زيد — وهو مما يتغنى به) ٣٢٧

دير هند الأقدم (زيارة هارون الرشيد له — وبكائه لشعر مكتوب على حائطه

في رقائه في المنذر) ٣٢٧

قبة السنيق (ووصف حفلة النصارى به في عيد الشعانين) ٣٢٨

دير اسحاق (وأشعار أبي عبد الرحمن الهاشمي السلمي) ٣٢٨

دير سيماس (وأشعار دبك الجني وأبي نواس بسببه وفيه) ٣٣٠

ديارات الشام وفلسطين :

دير محلي (وشعر أبي زرعة) ٣٣١

دير مارمروتا (واحسان سيف الدولة الى أهله وشعر الصوري) ٣٣٢

دير الرصافة (شعر أبي نواس وعيره — زيارة المتوكل العباسي له — رقعة الشعر التي

علقها فيه رجل من ولد روح بن زبياع سرا ، يرى المروانية . تعليق المتوكل) ... ٣٣٢-٣٣٤

دير حطورا ٣٣٤

دير البنات (وشعر الطيبي) ٣٣٤

دير كفنون (شعر الطيبي) ٣٣٥

صفحة	
٣٣٦	دير القاروس (شعر حسن بن علي القرى)
٣٣٦	دير بيتي (وهو أول دير للنصارى — شعر أبي نواس)
٣٣٧	دير الطور (بالشام ويعرف بدير التجل — أشعار المهلهل بن يموت بن المروع)
	دير المصلبة — (زيارة المؤلف له — صار مسجدا ثم عاد ديرا — نذر المؤلف اعادته
٣٣٩	مسجدا — أوقاف الدير — شعر حسن القرى)
٣٤٠	دير السقي — (قصيدة المؤلف فيه)
٣٤١	دير الدواكيس (كثرة مرور المؤلف به — أشعاره فيه)
	دير رمانين — ما حدث لعمر بن الخطاب فيه — مجيئه اليه بعد فتح بيت المقدس —
	ومقاتلته لصاحبه الراهب الذي كان أكرمه — مصالحته له على الجزية —
٣٤٢	وكتاب عمر يريد الرهبان
٣٤٤	دير هرقل (وهو خاص بالمجانين) — شعر دعبل فيه — حكاية المبرد مع أحد عقلاء المجانين
٣٤٦	دير يونس (شعر الفضل بن اسماعيل بن يونس بن عبد الله بن العباس ، وشعر أبي شاش)
	دير بُصرى (ويسميه المؤلف أيضا دير الاعمى وهو الذي كان فيه الراهب بحيرا) —
٣٤٧ و ٣١٧	وصف المارئي له ولمصاحبة أهله — شعر ديراية من أهله
٣٤٨	دير الخنات — زيارة المؤلف له — أشعاره فيه
	دير صلبيا (الوليد بن يزيد الأموي كان يكثر الإقامة فيه ، محرمه ويشرب فيه — وصف
	محاسن شربه ومشاركته للقيين في اللعب بآلات الطرب ، ونخروجه بهذه الهيئة
٣٤٩	على وجوه العرب ، وتلطف الحاجب في صرف الناس)
٣٥١	دير بونا (سكر الوليد بن يزيد ومخونه فيه وشعره)
	دير سمعان — تعليل المؤلف للحال الذي وأبى الفرج الأصهباني الذين جعلاه بدمشق ، وليس
	له بها أثر ولا عين — تحقيقه عنه وأنه قرية تعرف بالبقرة بالقرب من معرة
	العمان — وهو الذي دفن بجانبه عمر بن عبد العزيز — وصف جرير للنساء والصبيان
	وهم يقبلون الصلبان ويسجدون لها بذلك الدير — مقالة الوليد بن يزيد
	في السكر به حيث نزل على أكبر عديريه ، وأقسم لا يبرح حتى يشرب مائه من أجا

- لكاسه — والحيلة التي فعلها تدمائه للتخلص من هذا القسم — وصفه شعرا
 لأحمد بن هلال — مقابلة الديراني لعمر بن عبد العزيز بالفاكهة في مرضه ،
 وشراء الخليفة موضع قبره في الدير لمدة سنة ٣٥١-٣٥٢
- دير مران (حكاية المبردمع أحد عقلاء المجانين) — شعر الصنوبري فيه — زيارة هارون
 الرشيد وما صنعه الضحك فيه من الشعر الذي غناه له عمرو بن باقة بلحن حنين —
 وصف إبراهيم الموصلی لمجلس الخليفة هارون فيه وطعامه به ومحادثته مع صاحب
 الدير وذكره له نزول الوليد بن يزيد به وشعره في نعت المجلس وقيام الوليد وشربه
 البخرن مملوا نحرًا ثم ملؤه للجرن دراهم على سبيل الصلة لصاحب الدير —
 موضحه في أيام المؤلف
- دير صيدنايا — هاديان أحدهما يعرف بدير السيدة ، يقصده الفرنج في أيام المؤلف
 ولم فيه اعتقاد خاص — الماء الذي يقطر من صدع فيه — تبركهم به وشدة
 اعتقادهم فيه — ذكر ماروته نصرانية معروفة بالعلم للؤلؤ عن هذا المعنى —
 وصف المؤلف لهذا الماء وتحقيقه بشأنه — شعره في الدير ٣٥٦
- دير شق معلولا — والماء الذي ينقط فيه واعتقاد الصاري له ٣٥٨
- دير بلوذان (مرور المؤلف عليه — شعره فيه)

ديارات اليمن :

- دير نجران (يسميه العرب كعبة نجران) . شعره يتغنى به — ثلاثة بيوت من نصاري
 اليمن تغاري في بناء الكنائس وزيارتها — شعر الأحمسي فيه ، ولحنه يحفظه عن بنان ٣٥٨

ديارات مصر :

- بيعة أبي هور (والاستشفاء بها من داء الخازير) ٣٦٠
- دير يحنس بناحية سنهور — (وحفلة الخاصة بأصبح الشهيد — تحقيق للؤلؤ فيه) ... ٣٦٠
- دير مر يحنس بجانب بساتين الوزير (شعر ابن حاصم) ٣٦١
- دير نهيا بالجيزة (وشعر ابن البصري) ٣٦٢

صفحة

- دير القصر — وعرة نهارويه به — شعر محمد بن عاصم المصرى — مطارخة ابن ظافر
 وابن مجاور والأعز المؤيد ٣٦٣
- دير شعرا — مجالس السراج الوراق وحده — ومع الجزار الشاعر — حكاية السراج
 الوراق والأدباء مع صديقه الراهب به واستدعاء السراج للحمر بالشعر... ٣٦٦
- دير البقل — السبب فى تسميته — شعر السراج فى مدح أبى الفضل ابن العسال وقد خرعا
 الى هذا الدير وتادما فيه ، فأنتم عليه ابن العسال بغير سؤال ٣٧٠-٣٧١
- دير طمويه (طموه) — شعرا عاصم فيه ٣٧١
- كنيسة الطور (دير طورسيا) — نازها — عمرانها — وصف ابن عاصم لها شعرا ... ٣٧٢
- دير طرا — شعر المؤلف فيه... .. ٣٧٣
- الديارات السبع بالوجه البحرى — مرور المؤلف على بعضها فى صحبة السلطان
 الناصر محمد بن قلاوون ٣٧٤
- الدير الأبيض بالصعيد — (وصف المؤلف له — أرجوزة طويلة للتوف فى آتى فيها
 على وصفه بأبداع بيان ووصف السمرة وترتيبها والمآكل عليها وما أشبه ذلك من آلات
 الطعام وألوانه الخ . وهى من عرر الشعر الوصفى — أشعار أخرى له فيه) ... ٣٧٤
- دير ريفة (وحكاية الشاعر المترقى ابن الحداد الذى آتى من بلاده للحج فاناح المطايا به ،
 وأشعاره فى ديرانية) ٣٨٤

الحانات :

حانات المجاز :

- حانة الطائف (وشعر أوى ذؤيب الهذلى فى نهارها ابن بجرة) ٣٨٦
- حانة بنى قريظة (والتجاء أبى سفيان بن حرب بعد عزوة السويق الى سلام بن مشكم
 اليهودى وما قاله من الشعر فى مدحه على إثرا كرامه له بكل النحر الذى فيها) ... ٣٨٧
- حانة حَجَر (وتعرف بحانة ريمان باسم صاحبها) وشعر الراعى الفيرى فيها ... ٣٨٨

حانات الحيرة :

- حانة هون (وشعر أبي الهدي فيها في ليلة الشك من رمضان) ... ٣٨٩
- » دومة (وشعر الأقيشر في صاحبها التي سميت بها الحانة) ... ٣٨٩
- » جابر (وموافاة أبي نواس لها عند أبي الصلصال ، واغراء هذا له على الشرب بشعر لطيف ، ومحالته لأمر أمير المؤمنين ، وما فعله الأمين معه حينما علم بمعلته) ٣٨٩
- حانة شهلاء (امرأة يهودية) — ونحصر الأقيشر الشاعر بها حينما دهمه الشرطى ، ومحاولة الشرطى الشرب ، وحيلة الأقيشر في مساولة الخردون أن يخرج له ، وشعره في ذلك ... ٣٩١

حانات العراق :

- حانة طيراباذ (ووقوف سليمان بن نويخت بها مع أبي نواس حينما ترجوا للحج فأقاما بها الى أن عاد الحجيج فراقاه على أنهما حجاج . وشعر أبي نواس في ذلك) ... ٣٩٢
- حانة قَطْرَبَل (ورحلة أبي نواس اليها مع أبي الشبل الرجمي ، وشعره في ذلك) ... ٣٩٢
- » الشسط (والمجلس الذي بناه الخليفة الواثق به ووصفه ووصف آلاته — ذهاب الخليفة المذكور اليها مع الحسين بن الصحاك واستشاده اياه شعره فيها) ... ٣٩٣
- حانة نخويث (وكانت معانة من الصرائب والحراج) — وشعر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات فيها ... ٣٩٥
- حانة سنجستان (وشعر أبي الهدي فيها) ... ٣٩٦

حانات الشام :

- حانة عزار (ذهاب اسحاق الموصلي اليها وهو في ركاب الرشيد ، وما قاله من الشعر ، وما فعله الخليفة) ... ٣٩٦
- حانة هزيمة باسم صاحبها — (شعر الخليفة الوليد بن يزيد فيها) ... ٣٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿٢﴾

الحمد لله خالق الأرض ومن عليها ، ومُبدئ الخلق منها ومُعيدهم إليها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تحفظ مآلديها .

وأشهد أن محمداً سيدنا عبده ورسوله الذي فُتِحَ به لأُمَّته من خلفها وبين يديها .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، صلاة تفيض على المشارق والمغارب من جانبها .

وسلم تسليماً كثيراً !

أما بعد ، فلما كانت النفوس لا يُصلحها إلا التنقل من حال إلى حال ، والتوقل

على شُرُفات الشدة والارتحال ، لا تطلع على الغرائب ، ولا تستطلع للعجائب ،

وقد قال تعالى : "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ" ، وقال : "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا" ، وقال تعالى : "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" ،

وقال تعالى : "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَاءَ عَذَابِ النَّارِ" .

ولقد ذكر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خطبة قُتِبَ بن ساعدة بَعُكَاظَ ، وفيها قوله :

"إِن فِي السَّمَاءِ لَحَبْرًا ، وَإِن فِي الْأَرْضِ لَمِصْرًا" .

ولقد طالعتُ الكتبَ الموضوعة في أحوال الأقاليم وما فيها ، فلم أجد من قن
أحوالها ، ومثل في الأفهام صُورَها ، لأنَّ غالب تلك الكتب لا تتضمن سوى الأخبار
القديمة ، وأحوال الملوك السالفة ، والأُمم البائدة ، وبعض مُصطلحات ذهبت بذهاب
أهلها ، ولم يبق في مجرّد ذكرها عظيم فائدة ، ولا كبير أمر . وخير القول أصدقه ، والناس
بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

③

فأستحرتُ الله تعالى في إثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها
ومن مِها : الأظهر فالأظهر ، والأشهر فالأشهر ؛ وما لم أجد بُدًا من ذكره في ذلك
ومثله ، وحالة كل مملكة ، وما هي عليه ، هي وأهلها في وقتنا هذا ، مما صمّه نطاق
تلك المملكة ، واجتمع عليه طرفا تلك الدائرة . لأقرب إلى الأفهام البعيدة غالب ما هي
عليه أم كل مملكة من المُصطلح والمعاملات ، وما يوجد فيها غالبًا : ليُبصر أهل كلِّ
قطرٍ القطر الآخر . ويُنسّته بالتصوير : ليُعرف كيف هو ، كأنه قُدّام عيونهم بالمشاهدة
والعيان . مما اعتمدتُ في ذلك على تحقيق معرفتي له ، فيما رأيتهُ بالمشاهدة ؛ وفيما لم
أره بالقل من يعرف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها ، مما رآه عينه أو سمعه
من الثقات بأدنه .

حطة الخراب

ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات ، من ذوى التدقيق في النظر ، والتحقيق للرواية .
وَأَسْتَكثرت ما أمكنني من السؤال عن كلِّ مملكة ، لَأَمَنَ من تغفل الغفلاء ، وتخيّل
الجهالات الضلالة ، وتحريف الأفهام الفاسدة .

تدقيق الخراب
في القل

فإن ثقلتُ عن بعض الكتب المصنّفة في هذا الشأن ، فهو من الموثوق به فيما لا بدّ
منه : كتقسيم الأقاليم ، وما فيها من أقوال القدماء ، واختلاف آراء الحكماء ، إلى غير

الإشارة إلى
مصنوع الكتاب

ذلك من غرائب وعجائب، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ سنين وشهور وأيام. مما هو مَسْرَح أمل، ومَطْمَح ذى عمل، لأَجَلِّ به كلامي، وأَكْمَل به تقصى، وأَتَمَّ به بهجة النظر، ورونق الصفحات: كالطراز في النوب، والخال في الخلد. لا لأَكْثَر به سواد السطور، وأَكْبَر به حجم الكتاب. ولم أقنصر بذكر الأقاليم، عند ذكرى الممالك، مقصد الجغرافيا، كالأول والثاني والثالث، ولا بما تطلق عليه المسميات، كالعراق وخراسان وأذربيجان^(١).

بل أذكر ما أشتمل عليه مملكة كل سلطان، جملة لا تفصيلا، على ما هي عليه المدينة التي هي قاعدة الملك: كقزشي والسرائي من فسمي^(٢) توران ووريز من إيران؛ أو ما لا بد من ذكره معها، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها، والأكثر من مصطلح أهلها.

ولأعني ذوى الممالك الصغار، إذا كانوا في مملكة سلطان قاهر عليهم، أمر فيهم: إذ هم جزء من كل. بل الذكر لكل سلطان يسحق أسم السلطنة: لآتساع ممالك وأعمال، وكثرة جنود وأموال؛ ويتغنى بذيله من لعله يكون في مملكته من ذوى الممالك الصغار: كصاحب حماة مع صاحب مصر، وصاحب ماردين مع صاحب إيران. اللهم إلا أن تكون تلك المملكة مفردة لملك أو ملوك، وليس عليهم سلطان يجمعهم حكمه، ويمضى فيهم أمره: كملوك الجليل، وملوك جبال البربر، وما يجري هذا المنجري، ويسرى كوكبه هذا المسرى.

(١) هكذا ضبطه البكري في "معجم ما استعجم". والنسبة إليها أذري.

(٢) هي المدينة المسماة في الأشهر باسم تبريز. (فتح التاء وبكسرهما) وهي قاعدة أذربيجان. (قاموس).

ولم آلُ جُهْدًا في تصحيح ما كتبتُه بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل .
ولم أُعْرَج إلى ملوك الكفار ركابي، ولا أُرْسِيَتْ بجزائر البحر سفنى، ولا أُسْهَرَتْ
في الطلمسات عيني، ولا أُعْبِتُ في المحفورة يدي . إلا ما أُلْمْتُ منه إلمامة الطيف
المُسَرِّ، ونُسْتُ منه نُفْبَة الطائر الحَذِر . لأنَّ غالب ما يقال (والله أعلم) أساءٌ لا يُعرف
لها حقيقة، ومجاهل لا تُوصَل إليها طريق .

ولم أقصد في العمورة سوى الممالك العظيمة . ولا خرجتُ في جهاتها عن الطرق
المستقيمة : إكْتفاءً بالحق الواضح . والصدق الظاهر ، مما آتَصلت بنا حقيقة أخباره ،
وصَحَّحَ عدنا جلبة أحواله .

اقتصاره على
لك الإسلام .

وقنعت بما بلغه مُلك هذه الأمة ، وثمَّت بكلمة الإسلام على أهله النعمة . ولم
أَتَجَاوَز حُدُودَها ، ولا مشيتُ خطوه بعدها ، إلا ما حرَّه سياق الكلام ، أو طارح به شجون
الحدث : مما أندرَح في أثناء ذلك ، أو اضْطَرَّت إليه عريجات السالك ، أو أفضاه
سبب ، أو دخل مع عبره في ذمِّه حَسَب .

❦

وإن كان في العمر فسحة ، وفي الجسم صحَّة ، وللهمة نشاط ، وللمس أنشاط ،
(وما ذلك على الله بعزیز، ولا من عوائد أُلطافه الخفية بعجيب) ، لا ذُبِّلَنَّا بممالك
الكفار هذا التصنيف ، وأجىء هارسه المُعَلَّم وخلفه من سيِّئهم رديف .

لكنني لم آت في هذا الكتاب بذكر ممالكهم (على اتساع بلادها) إلا عَرَضًا ، ولا
سَطَرْتُ من تفصيلها إلا جَمَلًا : توفيرًا للمآذ ، وتيسيرًا للمآذ ، ولأتمتع بروق الأنوار .
ولا أشوب بسواد الليل بياض النهار .

على أنني ربما ذكرت في مكان ما قارب من بلاد الكفار، ودكرته للجاورة رجاء أن يؤخذ بشمعة الحوار.

شدة احتراسه
في قل العنائب

ولم أذكر عجيبة حتى فحست عنها، ولا غريبة حتى ذكرت الناقل، لتكون عهدتها عليه، وتبرأت منها. وقد يقع الإنكار لأكثر الحقائق من الناس: لقصان العقول. لأن الذي يعرف الحائز والمستحيل، يعلم أن كل مفدور بالإضافة إلى قدرة الله تعالى قليل. وقد وصف الله تعالى الجهال بعدم العقل، فقال: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ". وقد أودع الله من عجائب المصنوعات، في الأرض والسموات، كما قال تعالى: "وَكَايْنٍ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْشُونَ عَلَىٰهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ". وقد أرانا من عظيم قدرته، وبدائع صنعه، ما جلا الشك، وأوضح الحق. فما ذا بعد الحق إلا الصلال؟

سب آندائه
المشرق
٦

وأول ما أبدأ بالمشرق، لأن منه يفتح نوار الأنوار، ونجمر أنهار النهار. إلى أن أختمه بنهاية المغرب، إلى البحر المحيط. لأنه الغاية، وإليه النهاية. إلا فيما لم أجد بدا من الابتداء به من المغرب إلى المشرق: كتخريج الأقاليم، لابتداء الأطوال من الجزائر الخالدات بالبحر العربي، أو ما هذا حكمه، أو وقع عليه قسمه.

تعه في حدة
الكبار

وقطعت فيه عمر الأيام والليالي، وأثبت فيه بالأفلام أحبار العوالي. وشعلت به الحين بعد الحين، وأشتغلت ولم أسمع قول الألاجين. وحرصت عليه حرص الصين، وحلصت إليه بعد أن أحرقت ورائي السين.

السوية سلطان
البحر

وشرعت فيه في أيام من مآسا بإحسانه، وأمننا في سلطانه: سيّدا ومولانا، ومالك رفاينا، السلطان ابن السلطان، السيد الكبير الملك الناصر، العالم العادل المجاهد المرابط المشاعر، المؤيد المظفر المصور، ناصر الدنيا والدين. سلطان الإسلام

- والمسلمين، سيد الملوك والسلاطين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، نائب
الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، ملك البحرين، خادم الحرمين، حامى القبلتين،
مبايع الخليفتين، بهلوان جهان، إسكندر الزمان، ناشر علم العدل والإحسان، مملك
أصحاب المنابر والأسرة والتخوت والتيجان، جامع ذيول الأقطار، مبيد البغاة والطغاة
والكفار، هازم الروم والمريج^(١) والكرج والأرمن والتتار، سلطان البسيطة، مثبت
أركان المحيطة، إمام المتقين، ولي أمور المؤمنين، متعهد حج بيت الله الحرام وزيارة سيد
المرسلين، أبي المعالي محمد بن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبي المظفر قلاوون،
سيد ملوك الأرض على الإجماع، المخصوص بملك أشرف البقاع .

سل عنه وأطبق به وأنظر إليه تحيد ملاء المسامح والأفواه والمقل!

فأدام الله أيامه، وأدار على مقارف النجوم أعلامه!

وسمينه :

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

(٧)

وعلى الله أعتمد، ومعه أسنمت، وإياه أسأل التوفيق والإعانة، وأبرأ من الحول والقوة

إلا به . وهو حسبي ونعم الوكيل !

وفهرست . اتضمنه وبجملته قسمان :

القسم الأول - في الأرض .

القسم الثاني - في سكان الأرض .

(١) نقل العرب إلى لغتهم اسم الخيل المعروف بـ *Francus* قولهم الإفرجة زيادة ألف في أوله لتسهيل

النطق . لذا كن وفتح الراء والحيم . وبه صاحب القاموس على أنه معرب إفرنج . وبه على أن القياس كسر

الراء . ثم حذف الحركات من الأول وقالوا : فرنج بكسر الراء . وأصله للدلالة على أهل

فرسا التي يسميها العرب فرجة وفرجة . ثم شاع استعماله للدلالة على أهل أورقة قاطبة ، ماعدا الروم .

(٢) هم أهل البلاد المعروفة عند الإفرنج باسم *Frangia* .

القسم الأول من الكتاب

في ذكر الأرض وما أشتملت عليه برأ وبجراً .

وهو نوعان :

النوع الأول — في ذكر المسالك .

النوع الثاني — في ذكر الممالك .

أما النوع الأول المشتمل على المسالك ففيه أبواب :

الباب الأول — في مقدار الأرض وحالها .

وفيه فصول :

الفصل الأول — في كيفية الأرض ومقدارها .

الفصل الثاني — في أسمائها وصفاتها .

الفصل الثالث — في أسماء التراب وصفاته .

الفصل الرابع — في الغبار وصفاته .

الفصل الخامس — في أسماء الرمال وصفاتها .

الفصل السادس — في أحوال الأرض .

(ويستطرد في ذلك ذكر الجبال ، والأنهار ، والصحيرات ، والمساحد الثلاثة ، وما يدرج معها ، وذكر جبل

من الآثار القديمة) .

الباب الثاني — في ذكر الأقاليم السبعة.

وفيه فصول:

المفصل الأول — في تقسيم الأقاليم.

المفصل الثاني — فيما وقع في الأقاليم من المدن، والجزائر العاصرة،

٥ برأ وبجرا، ونصويرها بأشكالها.

(ويتصل بذلك كلام مختل في أمر مشاهير ممالك عتاد

الصليب، في التردود البحر.)

المفصل الثالث — في ذكر أطوال النهار في كل إقليم.

الباب الثالث — في البحار وما يتعلو بها.

وفيه فصول:

١٠

المفصل الأول — في ذكر البحار.

المفصل الثاني — في ذكر الرياح، وصوره القنباص^(١).

المفصل الثالث — في ذكر نبذه من العجائب، برأ وبجرا.

الباب الرابع — في القبلة والأدلة عليها.

وفيه فصول:

١٥

المفصل الأول — في أقوال الفقهاء.

المفصل الثاني — في الاستدلال عليها بالنجوم.

المفصل الثالث — في الاستدلال عليها بالرياح.

المفصل الرابع — في الاستدلال عليها بالجبال.

٢٠

المفصل الخامس — في الاستدلال عليها بالأنهار.

المفصل السادس — في قبلة كل أرض.

(١) هذه الكلمة معرّبة عن لفظة Compass الإبراهيمية. وشرح المؤلف لها واف وافر في أول

الجزء الثاني. ومراجعته هناك.

وخاتمة الباب فصل جامع يُسَمَّل على ذكر نداخل الشهور ،
والكواكب الثابتة ، والسيارة ، وصورة الأفلاك ، والقول
في الخسوف والكسوف ، وما يستطرد في ذلك ،
ويندرج معه : لاستخراج القبلة ، وما أندرج في ذلك .
ونسميته استطراداً لتعلق بعضه ببعض .

الباب الخامس — في ذكر الطرق .

وفيه فصلان :

الفصل الأول — في عاريح الطريق .

الفصل الثاني — في سواء الطريق .

النوع الثاني — في ذكر الممالك .

وهو خمسة عشر باباً :

الباب الأول — في مملكة الهد والسد .

الباب الثاني — في ممالك بيت جكرحان .

وفيه فصول :

الفصل الأول — في الكلام عليها جُملياً .

الفصل الثاني — في مملكة القان الكبير ، صاحب التحت . وهو

صاحب الصين والخطا^(١) .

الفصل الثالث — في التورانيين . وهم فرفتان :

الفرقة الأولى — فيما وراء الهر ،

الفرقة الثانية — في خوارزم والتبجاق .

الفصل الرابع — في الإيرانيين .

(١) الخطا (منح الحاء) هي بلاد الصين الشمالية .

الباب الثالث — في مملكة الجليل.

وفيه فصول:

- الفصل الأول — في يومين .
- الفصل الثاني — في تُولِيم^(١) .
- الفصل الثالث — في كَسَكِر .
- الفصل الرابع — في رَشَفَت .



الباب الرابع — في مملكة الجبال.

وفيه فصول:

- الفصل الأول — في الأكراد .
- الفصل الثاني — في اللُتْر^(٢) .
- الفصل الثالث — في السُّول .
- الفصل الرابع — في شَكَارَه .

الباب الخامس — في مملكة الأتراك بالروم.

وفيه ستة عشر فصلا:

- الفصل الأول — في مملكة كرميان .
- الفصل الثاني — في مملكة طغزلو .
- الفصل الثالث — في مملكة قوازا .
- الفصل الرابع — في مملكة عِيدَلِي .
- الفصل الخامس — في مملكة كصطمونية .

(١) الذي في أنى العدا أمها منع اللام ويعربا .

(٢) أورد أبو العدا هذا الاسم في تنويعه بالإشباع هكذا: اللُور .

- الفصل السادس - في مملكة قاروايا .
- الفصل السابع - في مملكة برسا .
- الفصل الثامن - في مملكة اكيرا .
- الفصل التاسع - في مملكة مرمراس .
- الفصل العاشر - في مملكة مغنيسيا .
- الفصل الحادي عشر - في مملكة نيف .
- الفصل الثاني عشر - في مملكة بركي .
- الفصل الثالث عشر - في مملكة فوله .
- الفصل الرابع عشر - في مملكة أيطاليا .
- الفصل الخامس عشر - في مملكة قراصار .
- الفصل السادس عشر - في مملكة أرمناك .

الباب السادس - في مملكة مصر والشام والحجاز .

الباب السابع - في مملكة ايمن .

وفيه فصلات :

- الفصل الأول - فيما هو بيد أولاد رسول .
- الفصل الثاني - فيما هو بيد الأشراف .

الباب الثامن - في ممالك المسلمين بالحيشة .

وفيه سبعة فصول :

- الفصل الأول - في مملكة أوفات .
- الفصل الثاني - في مملكة دوارو .

الفصل الثالث - في مملكة أرابنى .

الفصل الرابع - في مملكة هدية .

الفصل الخامس - في مملكة شرخا .

الفصل السادس - في مملكة بالى .

الفصل السابع - في مملكة داره .

الباب التاسع - في ممالك مسلمى السودان على ضفة النيل الممتد إلى مصر .

وفيه فصلان :

الفصل الاول - في مملكة الكانم .

الفصل الثانى - في التوبة .

الباب العاشر - في مملكة مالى .

الباب الحادى عشر - في مملكة جبال البربر .

الباب الثانى عشر - في مملكة إفريقية .

الباب الثالث عشر - في مملكة بر العدو .

الباب الرابع عشر - في مملكة الأندلس .

الباب الخامس عشر - في ذكر العرب الموجودين فى زماننا وأما كنهم ،

ومضارب أخبيتهم ومساكنهم .

القسم الثاني من الكتاب

في سكان الأرض من طوائف الأمم .

وهو أنواع :

النوع الأول — في الإنصاف بين المشرق والمغرب .

وهذا النوع له شَبَهان : شَبَهٌ بالقسم الأول بحسب موضوعه ، وما آندرج معه ،

وتعلق بذيل المفاخرة بين الجانبين من النبات والمعدن ؛ وله شَبَهٌ بهذا القسم بحسب

ما آندرج فيه من ذكر طوائف العلماء ، الذين هم أعيان الناس ، وذكر سائر الحيوان .

❦

إلا أن هذا الشَبَه أقوى ، لأن المقصود من المكان ساكنه . فالحقناه بهذا القسم .

النوع الثاني — في الكلام على الديانات : وهي ست نحل ، وأربع ملل .

النوع الثالث — في الكلام على طوائف المتدينين .

١٠

النوع الرابع — في ذكر التاريخ .

وفيه بابان :

الباب الأول — في ذكر الدُّول التي كانت قبل الإسلام .

الباب الثاني — في ذكر الدُّول الكائنة في الإسلام .

ومن حيث عَيْنَا التبويب، وَبَيَّنَّا الترتيب، نَشْرَعُ فِي ذِكْرهَا بِأَبَا بَابَا إِلَى آتِهَاءِ
الْأَبْوَابِ، وَنَوْعًا نَوْعًا إِلَى آتِهَا الْكُتُبِ.

والله المؤمل في عمير يوقى بتمامه، ويوفر المواد على ممد أقسامه، مع ما هو أبقى
من الابتغال إلى الله فيما هو أهم: من التفويض إليه، والابتهاج بما لديه، مما يوقى
المُهَجَاتِ، وَيُرَقِّى الدرجات، في الدنيا والآخرة. إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، والمُقدَّر
له والهادى إليه!

إبتغال المؤلف
إلى الله

والرغبة إلى من وقف على هذا الكتاب، ووقع منه نظره على خطأ أو صواب،
أن يصفح عما جنى فيه القلم إلى الزلل، وتخطئ إليه الفكر من الخطل، وَيَسْطِطَ العذر
لمن لم ينجب البلاد، ولم يحل في الآفاق، ولم يُتَمِّمْ في تِهَامَةٍ ولا أعرق في عِراق؛
ولا خطب الدُّمَاءَ، ولا خبط الظُّلُمَاءَ، ولا آفتحم لجج البر والبحر، ولا تعذى مصر
والشام والحجاز، ولا فارق ممالك كان هو وأسلافه فيها تحت قيد العلق والشواغل،
لَمَّا كَانَ يَتَقَلَّدُهُ مِنْهُمْ أَبْنُ عَنْ أَبِيهِ، وَأَخٌ عَنْ أَخِيهِ، مِنْ أَعْبَاءِ الدُّوَلِ وَأُمُورِ الْمَمَالِكِ،
وَأَنْقَالَ الْفِكْرَ وَالْمِهْمَاتِ، وَشَغَلَ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ، مِمَّا يَسْتَغْرِقُ بَعْضُهُ الْأَوْقَاتَ،
وَيَقْطَعُ عَنِ الْأَسْبَابِ، حَتَّى عَنْ لَفْظَةِ سُؤَالٍ، وَلِحِظَةِ كِتَابٍ، إِلَى أَنْ وَهَبَنِي اللَّهُ فَرَاغًا
أَلْفَتَ فِيهِ هَذَا الْكِتَابَ.

رجاء القراء

١٢

١٥

وهذا أوانُ سرد ما أشتمل عليه كل قسم من الأبواب .

ولا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ!

الفنم أول من الكتاب

في ذكر الأرض وما أشتملت عليه برًا وبحرًا
وهو نوعان

النوع الأول في ذكر المسالك وفيه أبواب

الباب الأول في مقدار الأرض وحالها وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول في كيفية الأرض ومقدارها

الذي نبدأ به ، بعون الله وقدرته ، في القول في هذا الفصل ، ما فام عليه البرهان ، وهو أن العالم كروي . ويدل عليه المشاهدة بالعبان ، إلى رعى الشمس من مطلعها إلى معيها ، وكذلك النجوم من مشارقها إلى مغاربها : لأنها تطلع حتى تتوسط السماء هويئسا ، ثم تنحط حتى تغيب عن العين كذلك . فتقطع نصف دائرة . فعلم بالضرورة أنها تقطع في الغيوبة عن العين نصف دائرة ، نظير ما قطعت في الظهور ، ليكمل تمام الدائرة .

والذي تلخص من أقوال أهل العلم والنظر في الهيئته : أن العالم كروي ، والأرض مركزها ، والماء محيط بها لا يفارقها ، إلا ما أنكشف .

فالأرض في جوف الماء ، والماء في جوف الهواء ، والهواء في جوف القلّك : كالمنحة في جوف البيضة في القشر .

استقرار الأرض

ووضعها وضع متوسّط . والهواء إما جاذب لها إلى جهة الملك أودافع عنه .
 وذهب بعضهم إلى أنها مستقرّة بالوضع : فالأرض في فلك الماء ، وفلك الماء
 في فلك الهواء ، وفلك الهواء في فلك النار (وهو الأثير) ، وفلك النار في فلك القمر ،
 وفلك القمر في فلك عطارد ، وفلك عطارد في فلك الزهرة ، وفلك الزهرة في فلك
 الشمس ، وفلك الشمس في فلك المريخ ، وفلك المريخ في فلك المشتري ، وفلك
 المشتري في فلك زحل ، وفلك زحل في فلك البروج (وهو المَكْوَكَب) ، وفلك البروج
 في الملك الأطلس .

والمكوكب في رأى فلاسفة الإسلام أنه المعبر عنه عند أهل الشريعة السريعة
 بالكروسي . وأن الأطلس هو المعبر عنه عندهم بالعرش .

ما هو المعبر
 بالكروسي في رأى
 فلاسفة الإسلام

١٠ وحركات الأفلاك الثمانية من فلك القمر إلى الملك المكوكب ، من العرب إلى
 الشرق . ويرى هذا بالمشاهدة في طلوع القمر .

حركات الأفلاك
 وتقسيم الأقاليم

ولهذا كان تخريج الأقاليم من الغرب إلى الشرق بالمتابعة .

فأما التاسع ، الأطلس ، حركته من الشرق إلى الغرب ، وبحركته يتحرك
 راكب السفينة بحركة السفينة .

الملك الأطلس
 وحركته ، وعنده
 ينشئ الإدراك
 للمشي

١٥ وقد تكلمت الفلاسفة على مُقَعَّر الأطلس ، ولم ينكلموا على محدّبه ، وغاية ما قالوا :
 إن بعد التاسع ، لا خلا ولا ملا . وإلى ها انتهى علمهم وأتقطع نظرهم . والله أعلم بغيبه !

قلت : وزعموا أن في الثامن كل الكواكب إلا السبعة .

قالوا : والبرهان على أنها في الثامن ، أن حركات هذه الكواكب الستة أسرع
 من حركات سائر الكواكب . والكوكب لا يتحرك إلا بحركة فلكه . ولا يمكن أن

هبة في الكواكب
 الثمانية والمتحركة
 والبركة عليها

يكون في التاسع لأنه سريع الحركة، يدور في كل يوم وليلة بالتقريب دورة واحدة. فإذا لم يكن في أحد السبعة ولا في التاسع، لم يبق إلا أن يكون في الثامن.

تشكك ابن سينا
في محل وجود
النوات

على أن ابن سينا قد قال في السماء: "لم يبق لنا بيان واضح أن الكواكب الثابتة في كوة واحدة أو كرات منطوية بعضها على بعض، إلا بإقناعات. وعسى أن يكون ذلك واضحاً لغيري".

تشبه العالم،
لتقريبه إلى الالهام

وقد شبه بعضهم العالم، فقال: "بطبيعة في بركة ماء. فاليزر المدن، وبيوت البزر العمران، والسماء مجوع الأرض، والماء البحر المحيط، ومقعر البركة الهواء، ودائرها الخارج الفلك".

إبراهيم المؤلف
على هذا التشبيه

قلت : وهذا التشبيه ليس بشئ .

طرية الشريف
الإدريسي في
استقرار الأرض
في حوف الفلك

وقال الشريف الإدريسي في كتاب رجار^(١) (وأسم هذا الكتاب : "زهوة المشتاق في اختراق الآفاق" صنفه للملك رجار صاحب صقلية ، وكان فرنجياً محباً للعلم وأهله من كل ملة) . والذي قاله : "الأرض مستقرة في جوف الفلك ، وذلك لسرعة حركة الفلك . وجميع المخلوقات على ظهرها . والنسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفة ، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل ، بمنزلة المغنيطس الذي يجذب الحديد إليه . فالأرض مقسومة بقسمين ، بينهما خط الاستواء . وهو من المشرق إلى المغرب . وهذا هو طول الأرض . وهو أكبر خط في الأرض ، كما أن منطقة فلك البروج أكبر خط في الفلك".

١٤

(١) هو Roger وأسمه الطلياني المقول عنه اللفظ العربي Ruggiero .

قال: "وأستدارة الفلك في موضع خطِّ الاستواء ثلثمائة وستون درجة. والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا. والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع. والذراع أربعة وعشرون إصبعًا. والإصبع ستُّ حباتٍ شعير، مصعوفة، ملصقة بطون بعضها لظهور بعض".
تكون بهذه النسبة إحاطة الأرض مائة ألف ألف ذراع وأثنى وثلاثين ألف ألف ذراع. وهى من الفرائح أحد عشر ألف فرسخ. قال الشريف: "وهذا بحساب أهل الهند. وأما هرمس فإنه قدر إحاطة الأرض، وجعل لكل جريء مائة ميل. فتكون ستة وثلاثين ألف ميل. وتكون من الفرائح اثني عشر ألف فرسخ".

تقديره لأبعاد
الأرض على رأى
الهند، وعلى
رأى هرمس

قلت: فالتفاوت بين الحساين ألف فرسخ، زائده في حساب هرمس على حساب أهل الهند. وذلك نصف السدس.

مقدمة المؤلف
هذين التقديرين

وقد زعم مَرَحِيَّانُ الفيلسوف أن إِرْدُسْتَنَاسَ الحكيم قال إنها مائتا ألف وخمسون

تقدير الحكيم
إِرْدُسْتَنَاسَ

(١) الطاهر أن هذين الأسمين محرمان.

والعالم أن الأول هو مرقيان (Marcianus). وربما يكون بعض المترجمين الأتراك كتبوه "مرحيان" تبعًا لقاعدة التعريب التي تقضى بقل حروف (أ، أو، ك) إلى (ق، ك، ح) كما قالوا الخلدروس في Alexandru (وأظهر مهارس الطبرى). ثم حرف الساحون "مرحيان" إلى "مرحان".

أما الاسم الثانى فكان الخطب به أسهل، لأنه محرف عن "إِرْتَسَنَاسَ" [Eratosène] ثم "إِرْدُسْتَنَاسَ" ثم "إِرْدُسْتَنَاسَ". ولا عرابة في ذلك، فإن العرب كثيرا ما يقلبون التاء دالًا كما قالوا "بد" عند تعريبهم لفظة "ببت" بمعنى الصم (وأظهر تاج المروس). وكما قالوا "ردق" و "زردك" في تعريب لفظة فارسية هي "ررتك" ومعناها عصير العنبر. (أظهر أس البطار، وأظهر تكة المعجمات العربية للعلامة دورى) هذا و"مرقيان" هو من جغرافقي الروم في القرن الرابع بعد الميلاد. وقد كتب سياحة بحرية حول الأرض (Périple du monde).

٢٠

وأما الثانى وهو إِرْتَسَنَاسَ أو إِرْدُسْتَنَاسَ فقد وُلِدَ سنة ٢٧٦ ونُفِيَ سنة ١٩٦ قبل الميلاد. أصله من المستعمرة اليونانية التي كانت سلا درقة [Cyrénaque] ثم أشهر في بلاط الملك بطليموس الثالث المعروف =

ألفا اشتياديوات، واشتياديو هو ثمن ميل، عنه أربعمائة ذراع عندهم . فذلك احد وثلاثون ألف ميل ومائتا ميل وخمسون ميلا .^(١)

وفد ذكر صاحب المجسطي أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل وثلاثون ميلا، وأن فطرها وعمقها سبعة آلاف ميل وستمائة ميل وثلاثون ميلا .

قال فريد زمانه، علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري، عرف بأبن الشاطر : "الأولى أن يُقسم دور كرة الأرض على ثلاثة وسبع لأنه نسبة قطر كل دائرة إلى محيطها . وهو أصح . وعلى هذا فكون الدور أربعة وعشرين ألف ميل، ويكون القطر سبعة آلاف وستمائة وستا وثلاثين ميلا وثلاث خمس مجبورا .

قلت : وذكر صاحب كتاب الكائن أن طول الأرض طاهرا وباطنا ، وبرأ وبحرا، معمورا وغير معمور، أربعة وعشرون ألف ميل . قال : "وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليلها" .

وذكر أبو عبيد البكري في كتاب المسالك والممالك أن حبيشا المنجم ذكر عن خالد بن عبد الله أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون بيرية ديار ربيعة وهي

= ناسم إفرجيت [Ptolomée Evergète] عدية الإسكندرية ، لأن هذا الملك دعاه مدة سنة ٢٢٦ ق م لتولي إدارة المكتبة العيسية التي كانت بالإسكندرية . وبقى الرجل في هذه الوظيفة إلى أن كُفَّ بعرضه في آخر عمره ، فاقطع عن الطعام حتى راحه الجحام . كان عالما بالملك والهندسة ، يعلم القريص ويتعاطى العلية . وهو الذي قاس عدية أسوان محيط الأرض ، برصده الشمس في نهارها . وقد قال إنه ٢٥٢٠٠٠ استدة [Stade] . فيكون أن حصل الله قد حبر الكسور .

(١) في الأصل : "اشتياديو" . ورواها محرقة عن "اشتاديو" تعريبا لكلمة Stadion اليونانية التي قلها المرسيون إلى Stade . ونحن في هذه الأيام قلنا عنهم اللقط اليوناني فنقول "استاده" . "والإشتاديو" يساوي ثمن ميل ، والميل يساوي ٤٠٠ ذراع ، قاله ابن فضل الله . (٢) في الأصل : "وثلاثون" . | وقد صححت الرقم على ما يقتضيه الحساب .

تقدير بطلبوس

تقدير رأس الشاطر
الدمشقي

تقدير صاحب
الكائن
(١٥)

ما صعد المأمون
العاصمي لتحقيق
أبعاد الأرض

برية شيطان المقاربة لسنجار . فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين ميلا من الأرض . فضرب العدد في ثلثمائة وستين ، التي هي جملة درج الفلك يجموعه ، فأتتهى ذلك إلى أربعة وعشرين ألف ميل ومائة ميل وستين ميلا . قال : ”فهو دور كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر“.

٥ . فقطرها على هذا ستة آلاف ميل وأربعمائة ميل وأربعة وعشرون ميلا ونصف ميل ونصف عشر ميل ، بالتقريب . إستنتاج المؤلف

قال : ”والمعمور نصف هذا المحيط ، من خط الاستواء إلى الشمال . ومنها العمران في الشمال يؤول في بريطانيا^(١) . فيكون ذلك تقدير الربع“.

١٠ . قال ابن الشاطر : ”إن واجب الحساب ، على ما ذكر ، عشرون ألف ميل ومائة وستون ميلا ، وإن القطر يكون ستة آلاف وأربعمائة ميل وأربعة عشر ميلا ونصف ميل مجبورا“ . استدلال ابن الشاطر بالدمشق

قلت : والذي حرر في زمن المأمون ، لكل درجة ، ستة وخمسون ميلا وثلاثا ميل . وبعض الذين حرروا ذلك رأوا أنه ستة وخمسون ميلا ، لا غير . مقدار الدرجة حسب المأمون ونحوه

١٥ . ولعل الأول أقرب : لأنه قد يكون هذا الكسر أهمل في القياس . وعلى الأول الأكثر . وعليه عملنا في هذا الكتاب . وسيأتى في ذكر سواء الطريق إيضاحه ، إن شاء الله ! في مكانه . ولم نعمل على ما حرر للمأمون دون ما حرره القدماء ، إلا لأنه أقرب إلينا وأشبه بها . ترجيح المؤلف لنتيجة المأمون وأعتاده عليها في هذا الكتاب

(١) أى بريطانيا العظمى La Grande Bretagne .

(٢) في الاصل : الذي .

المرح والميل
والذراع على
حساب المأمون
وهو المعتمد عليه
في هذا الكتاب

١٦
طول المرح القديم
وطول البريد

وكل فرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع مأمون. فالدرجة تسعة عشر فرسخا إلا تسع فرسخ. وهو الذي عليه عمل هذا الكتاب.

وأما على رأى القدماء، فتكون كل درجة اثنين وعشرين فرسخا وتسعى فرسخ. وأما البريد، فكل أربعة فراسخ بريد.

إختلاف الآراء
في تقدير العمران

وأما العمران من الأرض، فقال البكري: تقدير الربع. وقد ذكرنا ما قاله آتاه. وقال آخرون: الربع. وقال آخرون: الثلث. وقال بعضهم: إن العمران من الأرض ما بين الثلث إلى الربع، أقل من الثلث وأكثر من الربع.

تحرير قطب الدين
الشيرازي لمقدار
العمران

وقال شيخنا، فريد الدهر، ووارث العلم والحكمة، شمس الدين، أبو الشاء محمود ابن أبي الفاسم الأصفهاني، أطال الله مدته! إن العلامة قطب الدين الشيرازي قال له إنه حرر دور المعمورة من الأرض. فكان أمشي عشر ألف ميل مجبورة، قطرها أربعة آلاف ميل مجبورة، فتكون ألف فرسخ وثلاثمائة فرسخ مجبورة.

تقد آس الشاطر
لطرية الشيرازي

قال ابن الشاطر: "وفى الذي ذكره الشيرازي ما لم بهمهم معناه. فإن كان أراد به ما بين أول المعمور وآخره، فهو غير موافق ولا يطلق عليه محيط. وإن كان أراد القطر ما بين خط الاستواء ونهاية المعمور في جهة الشمال، فهذا لا يقال له قطر ولا يفي المعمور بمقدار ما ذكره. ولا نسبة لما ذكر أنه ذرع القطر إلى ما ذكر أنه دور المعمور نسبة قطر الدائرة إلى محيطها". وقال: "وإذا فرضا مبدأ العماره خط الاستواء بنحسة عشر جراً إلى حدود خمسين جراً وثلاث في الجهة الشمالية كان نسبه المعمور

إلى باقى بسط كرة الأرض تقارب الثمن ونصف السدس . وإذا نسب إلى
 حدود ستة وستين جزءا كان نسبة المعمور إلى باقى يقارب الربع . لأن
 ماوراء من الخراب يقارب ما قبل من المعمور . ولا يكون أكثر“

- وقال الشريف : إن بين خط الأستواء وبين كل واحد من القطبين ، الجنوبي
 والشمالي ، تسعين درجة . وأستدارتها عرضا مثل ذلك ، إلا أن العارة فى الأرض
 بعد خط الأستواء أربع وستون درجة ، والباقى من الأرض خلاء ، لاعماره فيه ،
 لسننه البرد والجمود . وأخلق بجلته على الربع الشمالى من الأرض . والربع الجنوبى
 الذى هو فوق خط الأستواء غير مسكون ولا معمور ، لشدته الحر به ، وممر الشمس
 (وهى أسفل فللكها) على سمتيه . فجفت مياهه وعُدم حيوانه ونباته ، لعدم الرطوبة .
- قلتُ : وفيما ذكره الشريف فى الانتهاء إلى أربع وستين درجة فقط ، وإن كان
 الصحيح ، نظرٌ . فإنها فى صورته لوح الرسم تنتهى إلى أكثر من ذلك ، وتستكمل من
 حط الأستواء إلى نهاية الشمال سبعين درجة ، سوى ما هو خارج عن خط الأقاليم ،
 حوبا وشمالا ، على ما نذكره فى مكانه . وإنما غالب الجنوب والشمال لاعماره فيه :
- إذا لا يمكن سكّنه .

رأى الإدريسي
 فى أسباب العارة
 ما بين القطبين

عند المؤلف هذه
 الطريقة ورجحته

(١٧)

- ومن تأمل وضع العالم فى لوح الرسم ، رأى ذلك بالبيان : نخلّو ما تحت
 القطبين ، الجنوبى والشمالى . والخالى تحت الجنوبى أكثر بما لا يقاس . وهكذا
 فى الجغرافيا وضعه .

(١) بحث الكثافة فى هذا الموضع من الأصل ، سطو المحلّد على الهاش .

(٢) هو المعروف الآن بالخرطة الحرفية .

وقد ذكر أبو عبيد مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة . حتى انتهى إلى الإقليم السابع . ثم قال : ” وأما ما وراء هذا إلى آخر المعمور ، فإنه يتبدى من المشرق من بلاد البرغرة وأرض الترك إلى اللان ، ثم يمر على البرجان والصقالبة ، ويتنهي إلى بحر المغرب ، وهو خارج عن الأقاليم السبعة “ . انتهى كلام البكري . وسيأتي (إن شاء الله تعالى) مبسوطا في موضعه .

وإنما ذكرناه هنا للاستدلال على أن الشمال أكثر عمارة من الجنوب . لأننا وجدنا وراء الإقليم السابع عمارة ممتدة . وليس كذلك فيما وراء الإقليم الأول . اللهم إلا ما هو في قسم المشرق ، وراء خط الاستواء ، من الجزائر الممتدة في البحر ، آخذة إلى المحيط ، أو ما هو في حكمها بالصين .

الشمال أكثر عمارة
من الجنوب

فأما قسم المغرب ، فإننا لم نجد وراء الأول فيما يأحد إلى جهة الجنوب عرضا . وإلى البحر المحيط في نهاية المغرب طولاً ، عمارة ، بل ولا على خطه المستقيم ، بل ولا وحدنا العمارة به إلا ما هو داخل خط الإقليم الأول إلى الإقليم الثاني . وسندكر ما وجدناه من العمارة في كل منهما على ما نيتيه .

العمارة في الجنوب
قسم المشرق
(حراز البحر الهندي
وبلاذ الصين)

فأما ما وقع من العمارة في قسم المشرق ، من وراء خط الاستواء الذي هو أول الإقليم الأول ، فنقول : إن صاحب الجغرافيا صور ، فيما هو خارج عن خط الاستواء من مركز دائرة الأرض المسماة عند أهل هذا الشأن قبة آرين ، جرراً عامرة مسكونة في البحر الهندي ، من وراء سرنديب في الجنوب ، وهي متصلة بها . وتقدير هذه الجزر في العرض ، عرض إقليم واحد ونصف إقليم تقريبا ، خلف الإقليم الأول ، زائدا على الأقاليم السبعة في جنوب القسم الشرقي . وعرض هذا المقدر بإقليم واحد

١٨

ونصف إقليم من حيث يأخذ من قبة أرين على خط الاستواء العرضى جنوباً
محضاً، ثلاثة أقسام: كل قسم مقدّر بنصف إقليم.

عرض أولها، وهو المازع خط الاستواء فى خارجه ممتداً على جانب الإقليم
الأول فى غالب النصف الشرقى من قبة أرين إلى جزيرة الجوهر فى البحر المحيط،
نحس درجات. وقد علم عليه فى لوح الرسم هـ .

وعرض ثانياً، وهو الذى يليه، عشر درجات، لارتفاع رأس الحمل والميزان.
وقد علم عليه فى لوح الرسم كى .

وعرض ثالثاً، وهو الذى يليه، نحس عشرة درجة. وقد علم عليه فى لوح الرسم يه .
وذكر بها من الجزر العاصرة: فلاى، وحريرة القمر، وذكر أن طولها أربعة أشهر،
ومنها سرنديب، داخل خط الاستواء فى الإقليم الأول مماسةً له حيث هو من الطول
من قبة أرين مائة ونحس وستون درجة. وقد علم عليه فى لوح الرسم قسه .
كل ذلك بحساب الجمل.

وذكر فى هذه الجزيرة، مما هو وراء خط الاستواء، مدنا، منها: حران، ودهمى،
ودافور، وديمى، وعمبا، ونخلاتى، وتمكاد، ومريانا، وتياو، وموضع قدم آدم،
عليه السلام (جنوبى سرنديب، من وراء خط الاستواء) وفزدرا، وسونيه،
وكباما، وعيمى، ومحلاى، وملاى، وسمردى، يليهما جبل الذهب والحديد، قال
إنهما به كبر، وأنونا، ومعلا، وقصورا، واسفيل. ثم جزيرة تعرف بالموجة، أم جزائر
الصين. ثم جزيرة الشمير. ثم جزائر الواى، وجزيره الدجال إلى جزيرة الجوهر،
فى البحر المحيط.

وصور، في البر المتصل من جهة الصين، برزخا بين البحرين الهندي، حيث
أنعطف شرقاً جزيرة الموجة أم جزائر الصين إلى الشمال، وبين البحر المحيط . وذلك
البرزخ من ثلاثة أبحر: في الشرق، المحيط؛ وفي الجوف البحر الهندي حيث نرج؛
وفي الغرب، حيث أنعطف. وبقي الشمال مكشوفاً، متصلٌ به هذا البرزخ بالصين.
وذكر فيه عدة من المدن.

وأول ما نبدأ بما تغفل إلى الجنوب، بعيداً عن خط الاستواء، حيث هو من
الطول في الجغرافيا مائة وخمس وستون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قسمه
ومائة وسبعون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قع .

وأولها مدينة حميسه، ومدينة قيطغون، ومدينة شرما، ومدينة سرسه، ومدينة قلا،
ومدينة خانقو (وهي الخنسا على فُرْضة من البحر الهندي نرجت هناك في الصين
ولم تمتد) مسامنة لجزيرة الياقوت في المحيط. وقد سماها الشريف بجزيرة بسياره.
وليست في لوح الرسم بجزيرة، ولكن كالجزيرة.

كل هذا خارج عن خط الاستواء.

٢٠
عدم العارة
في الجنوب من
جهة العرب

وما وراء خط الاستواء (في القسم الغربي من قبة أرين إلى البحر المحيط الغربي،
مسامتة لجزائر الخالدات، في جميع العرض إلى متهى الجنوب) لا حظ له
في العارة.

العاره، را.
الإقليم السابع

وأما ما وقع من العارة وراء الإقليم السابع (تأليس في حساب السعة الأقاليم، وهو
الذي أشار إليه أبو عبيد، حين ذكر مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة، وقد نهاها
عليه، وسيأتى إن شاء الله تعالى مبسوطاً في موضعه، وتقديره في العرض نصف

إقليم، ممتداً على جانب الإقليم السابع من أول المشرق إلى نهاية المغرب، وسكانه على ما نيينه (فأوله من جهة الشرق قطعة معمورة بأجوج وماجوج، فيما هو داخل السد؛ وبلاد سيسبان (وهي آخذة عرضاً من هذا الجزء المقدّر بنصف إقليم وراء الإقليم السابع حتى تقطعه، ثم تقطع الإقليم السابع جميعه، ثم بعض السادس)؛ وبلاد الروسية الثانية (وكلها خارجة عن الإقليم السابع في الجزء الذي يليه)؛ وبلاد أنكرية في هذا الجزء، داخلة إلى الإقليم السابع.

وعرض هذا الجزء خمس وسبعون درجة. وقد علم عليه في لوح الرسم **ح د** .
وفي بلوغ العمارة هذا الحد وتجاوز أربع وستين درجة، نظراً.

قالوا : فاقا الروسية، فعامرة أهلة . وكذلك الأنكرية . وأما بلاد سيسبان، فقد كانت عامرة أهلة مسكونة ، ثم تحربت من قديم، لإغارات ياجوج وماجوج عليهم .
ومن تأمل لوح الرسم، رأى ذلك مُتمثلاً لعينه في الإقليم السابع، ورأى خط الإقليم الأول خالياً في القسم الغربي، والمعمور من داخله على فرقتي النيل : الفرقة الآخذة على بلاد السودان من الشرق إلى الغرب حتى يصب في البحر المحيط، والفرقة الآخذة على عربي الحبشة إلى شرقي النوبة إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي.

بيل السودان
المعروف الآن بـ
"سحر"

بيل مصر

(٢١)

١٥ فعلمنا أن سبب عمارة ما وراء خط الاستواء من الجزر في القسم الشرقي، وما هو في حكمها، لاكتشاف الحر الهندى لها، فرطب هواءها، وأنبط ماءها، وأزال جناف أرضها. فببت بها النبات، وسكن الحيوان. ولم يقع في قسم القسم الغربي، وراء خط الاستواء، بحر يؤثر فيه هذا التأثير . فبقى على كيفية طبعه من اليأس والخلاف، لا يمكن به نبات نبات ولا حياة حيوان .

السبب في عمارة
ما وراء خط
الاستواء من القسم
الشرقي، وعدمها
في القسم الغربي

سب العارة فيها
وراء الإقليم الساج

ووجدنا ما هو وراء خط الإقليم السابع، قد أمكنت عمارته بالنبات والحيوان
بكيفية طبعه، لا بسبب آخر من خارج.

لماذا كان الشمال
أعمر من الجنوب

فظهر حينئذ أن الشمال أوفق لمزاج الحيوان. فكان أعمر من الجنوب، لشدة حر
الجنوب على ما بيناه. وهو موافق لرأى الشريف.

رأى الإدريسي
في ذلك

قال الشريف: "لا يكون الحيوان والنبات أبدا، إلا حيث تكون المياه
والرطوبات".

رأى البركي
الاندلسي

وقال البركي: "وركب الله على الأرض حرم الشمس. لعلمه بالحكمة التي ينبغي
أن يكون عليها تركيب العالم في فلك أنخرج مركزه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف
من درج فلك الروج. فلذلك اختلفت حركة الشمس. فمحا مزاج جوهر الهواء
المحيط بالناحية الجنوبيه، فكان الجزء المعمور في الناحية الشماليه. إذ كان كل
حيوان، بطبعه، أحمل للبرد منه للحر. ألا ترى أنه يتولد في الماء من الحيوان
ما لا يحمي كثرة، وكذلك من النبات؛ ولا يكون في النار منه شيء، إلا الشاذ النادر.
إن صح ذلك فيه. كما زعموا أنه يتكون في أفران الزجاجين صرب من سام أرض.
وقد سماه أرسطو بالسرفوت وهي حمر الألوان، إذا خرجت عن النار، هلكت.

٢٢

فوجب لهذه العلة أن يكون اسم الأقاليم السبعة وتحديدها في الجزء الشمالي من
الأرض، كما ترى في لوح الدائرة.

جملة المعمور على
رأى طليوس
والشيرازي
وتوفيق المؤلف
بهما

وقد ذكر صاحب جغرافيا أن جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وخمسمائة ميل
وثلاثون ميلا. وهذا أزيد مما حرره الشيرازي بخمسمائة ميل وثلاثين ميلا. ولعل

هذه الزيادة هي معمور ما هو وراء خط الاستواء في القسم الشرقي ؛ وما هو خارج الإقليم السابع ما رُمِعَ . فإن الشيرازي ، والله أعلم ، لم يحرر إلا معمور الأقاليم السبعة خاصة ، وصاحب جغرافيا ذكر المعمور كله . فكان هذا التفاوت كله .

قلت : ولا أدعي أن ما هو خارج عن الإقليم السابع متوغل في الشمال ، خارج إحترار المؤلف
نحروجا مبينا كلياً . ولكنه خروج مماس مجاور ، حكمه حكم ما هو على الخط .
إذ لو كان خروجاً مبيناً ، لكان إقليماً ثامناً ، وليس كذلك . إذ لا يمكن وجود نبات ولا حيوان لإفراط البرد والجمود ، كما لا يمكن لإفراط الحر واليبس .

والحكمة تشبه الأرض بجسد آدمي : التراب لحمه ، والمياه دمه ، والمجارة عظمه ، والرياح أنفاسه ، والبخارات فضلاته ، رأسه الصين ، ووجهه الهند ، وجيده ما وراء النهر . صدره خراسان وما يليها ، وقلبه العراق ، ويده الجنوب والشمال ، وبطنه الشام ، وسرته جريه العرب . وعجزاه مصر والقسطنطينية ، ونخلاه إفريقية ورومية ، ورجلاه بر العدو والأندلس . تشبيه الأرض بمحمد آدمي

وليس هذا التشبيه بشيء . عدم رضا المؤلف بهذا التشبيه

قال الشريف : ” ومع كون الأرض كرة ، هي غير صادقة الاستدارة ، منها منخفض ومرمع . ولهذا قيل فيما أنكشف إنه تضاريس . والبحر محيط بنصف الأرض الأرض غير صادقة الاستدارة

إحاطة متصلة ، دائرها كالمنطقة . لا يظهر منها إلا نصفها ، وهو ما دارت عليه الشمس في فوس النهار . مثل بيضة مفرقة في ماء ، أنكشف منها ما أنكشف ، وأنغمر ما أنغمر . “
وقد تقدم هذا التمثيل .

تخيل علماء الاسلام
لوجود أمريكا
قبل اكتشافها
بقرن ونصف

وقال شيخنا، فريد الدهر، أبو التناء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني، أمتع الله به !
” لا أمنع أن يكون ما أنكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا ،
منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أمنع أن يكون منكشفاً من تلك
الجهة ، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ،
أو من أنواع وأجناس أخرى“ .

والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً وثقلاً ، ذكرناه . وبالله التوفيق !

(١) للاصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كريستوف كولومب (وهو بالأندلس) لأنه قال بهذه النظرية
قبله بقرن ونصف قرن . وللأصفهاني فضل أكبر على مكتشف أمريكا : لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة
والاستدلال ، وأما كولومب فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفي أبو التناء
في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) . وأما كولومب فقد أجهت في إقناع فرديناند وإيزابلا صاحبي الأندلس بصدق
نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) .

الفصل الثاني

في أسماء الأرض وصفاتها

أسماء الأرض
وصفتها من حيث
الأمسة

قال الثعالبي، في فقه اللغة:

”إذا اتسعت الأرض، ولم يتخللها شجر أو نحر، فهي القضا، والبراز، والبراح؛ ثم الصحراء، والعراء؛ ثم الرها، والجھراء.

فإذا كانت مستوية مع الاتساع^(١)، فهي: الخبت، والحدد؛ ثم الصخصح، والصردح، ثم الفاع، والقرقر، ثم القرق، والصنصف.

فإذا كانت مع الاستواء والاتساع، سدة الأكاف والأطراف، فهي، السهب^(٢) والخرق؛ ثم السبسب والسملق^(٣).

فإذا كانت مع الاتساع والاستواء، والتعد، لا ماء فيها، فهي: الهلاة والمهمة. ثم التنوفة والعباء؛ ثم النصف والصرماء.

فإذا كان مع هذه الصفات، لا يبتدى فيها لطريق، فهي: الهماء.

فإذا كانت تصل سالكها، فهي: المصلة^(٤)، والمتيبة.

(١) أورد اليسوعيون بهذا اللفظ بالفاء في آخره في طبعهم هذا الكتاب (ص ٢٩١) وعارة القاموس

(٢) في مادة قرق) تؤيد رواية أن فضل الله. وهو فتح الزاء وكسرها.

(٣) أورد أن فصل الله هذه اللفظة بالحاء المهملة. وصوابها بالحاء المعجمة كما في طبعة اليسوعيين وفي
يشهد به القاموس.

(٤) في طبعة اليسوعيين: والملق بعد السملق.

(٤) المثبة كسبية وتضم الميم مع كسر التاء. وتمت الميم مع فتح الياء. وقد اختار المؤلف القول الأول واختار
”يسوعيون القول الثاني.

٢٤

فإذا لم يكن بها أعلامٌ ولا معالمٌ^(١)، فهي : المجهل، والهوجل.

فإذا لم يكن بها أثرٌ، فهي : الغفل.

فإذا كانت فقراء، فهي : القى.

فإذا كانت تُبَيِّدُ سالكها، فهي : اليبداء. (والمفازة كناية عنها).

فإذا لم يكن بها شيءٌ من البت، فهي : المَرْت والمَلِيع.

فإذا لم يكن فيها شيءٌ، فهي : المَرَات^(٢) والسَبْرُوت والْتَقَع.

فإذا كانت الأرض علبظة صلبة، فهي : الجبوب، ثم الجلد، ثم العزاز، ثم الصيياء، ثم الجُدُجُد^(٣).

فإذا كانت صلبة بابسمة من غير حصي، فهي : الكلد، ثم الجعطاع^(٤).

فإذا كانت عليظة ذات حجاره ورمل، فهي : البرفه، والأبرق.

فإذا كانت ذات حصي، فهي : المحصاة^(٥) والمحصية^(٦).

(١) في طعة اليسوعيين لها أعلام ومعالم.

(٢) هكذا في الأصل . والذي في طعة اليسوعيين : "المروراة" . وهي الصبحة وقد أوردتها

في القاموس : في مادة (م ر ر) .

(٣) في الأصل : الخدخد (مهملتين) . ولعل الإهمال إهمال من الناحية .

(٤) في طعة اليسوعيين بفتح الصاد . وهو غلط مطبوع .

(٥) في طعة اليسوعيين : "المحصاة" والقاموس يؤيد الضبط الذي أحثاره أن وصل الله .

(٦) في طعة اليسوعيين : "المحصبة" . والأوجه أن تكون الكلمة بالياء لأن الاشتقاق من الحصى .

وإذا أحثرنا الياء بدل الياء . وجب أن نقول المحصبة كما في القاموس .

- فإذا كانت كثيرة الحصى، فهي : الأَمْعَز والمَعْزَاء .
- فإذا أشتملت عليها كلها حجارة سُودٌ، فهي : آحَرَّةٌ وَاللَّابَةِ .
- فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين، فهي : الجَزِيرُ^(١) .
- فإذا كانت الأرض مطمئنة، فهي : الجَوْفُ، والغائطُ، ثم الهَجَلُ، والهَضْمُ^(٢) .
- فإذا كانت مرتفعة، فهي : النَّجْدُ والنَّشْرُ .
- فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلابة والغِلَظُ، فهي : المَتْنُ، والصَّندُ ؛
- ثم القُفُّ، والقَدْفَدُ، والقرقرُ^(٣) .
- فإذا كان ارتفاعها مع اتساع، فهي : اليَفَاعُ^(٤) .
- فإذا كان طولها في السماء مثل البيت وعرضُ ظهرها نحو عشرة أذرع، فهي :
- الثلُ، وأطول وأعرض منها : الرِّبْوَةُ، والرَّابِيَةُ، والأَكْمَةُ ؛ ثم الزُّبْيَةُ وهي التي

(١) لم أجد في القاموس معنى للجزير ولعل اشتقاقه من الحرأى القطع . بدلالة وجود الحجارة الى كالكساكين . وقد وردت هذه اللفظة في طبعة اليسوعيين بالحاء المهملة . ومعنى الجزير كما في القاموس ، المكان المليط المقاد . وهو لا يدل على المراد ها . فليحرر .

(٢) في الأصل بالصاد المهملة . وصوابه بالصاد المعجمة كما في القاموس . وقد ورد على صحته في طبعة اليسوعيين .

(٣) في طبعة اليسوعيين : القَرْدَدُ . وكلا اللغتين لا يدل بطريق الحصر على المعنى الذي أرادته تعالى . قال في القاموس : "الفردد ما ارتفع من الأرض" . وقال : "القرقر الأرض المطمئة اليئة والقاع الأملس" .

(٤) في الاصل من .

لا يعلوها الماء . (وبها صرب المثل ، في قولهم : بلغ السيل الزبى) ؛ ثم النجوة (وهي المكان الذي تظن أنه نجاة بك) ؛ ثم الصَّاد ، (وهي الأرض الغليظة دون الجبل) .

فإذا أرتفعت عن موضع السيل وأنحدرت عن غَلْظ الجبل ، فهي : الخيف .

فإذا كانت الأرض ليّنة ، سهلة ، من غير رمل ، فهي : الرِّقاق (والبرث) ؛ ثم الميثاء والدِّمثة .^(٤)

فإذا كانت طيبة الثُّربة ، كريمة المنيب ، بعيدة الأحساء والنزوز ، فهي : العداة .^(٥)

فإذا كانت خجلة التبت والخير ، فهي : الأريضة .^(٦)

فإذا كانت طاهرة ، لا شجر فيها ولا شيء يحلط بها ، فهي : القراح ، والمِرواح .

فإذا كانت مهيأة للزراعة ، فهي : الحقل ، والمتارة ، والدَّبرة .

[فإذا لم تهيأ للزراعة ، فهي : بور] .^(٧)

(١) حلة وبها صرب الخ ووردت ها . ولم ترد في طبة اليسوعيين .

(٢) في طبة اليسوعيين : محاوكة . ونجا مقصور لامهموز . هرواية آسن فصل الله أوجه .

(٣) وردت في طبة اليسوعيين بالناء المشاة . ورواية آسن فصل الله أصل ويؤيدها القاموس . وإذا كان

اللفظ بالناء فالذي ورد منه هو البريت على ورد سكيت بمعنى المستوى من الأرض . ولم يرد لفظ البرت

في القاموس . وعلى كل حال فإعادة ب ر ت لاتعلق لها بالمعنى الذي قصده الثعالبي .

(٤) في طبة اليسوعيين : الدِّمَّة .

(٥) » » : بعيدة عن الإحساء .

(٦) » » : خجلة للتبت .

(٧) الزيادة من طبة اليسوعيين .

- فإذا لم يكن يصيبها المطر فهي ^(١) : القِلَّ والجُرْز ^(٢) .
- فإذا كانت غير ممطورة ، وهي بين أرضين ممطورتين ، فهي : الخَطِيطَةُ .
- فإذا كانت ذات ندَى ووَخامة ، فهي : الغِمَقَةُ .
- فإذا كانت ذات سباح ، فهي : السَّبَخَةُ ^(٣) .
- فإذا كانت ذات وباء ، فهي : الوَيْثَةُ والوَيْثَةُ [على مثال قَيْلَةٍ وفَعِلَةٍ] ^(٤) .
- فإذا كانت كثيرة الشَّجَر ، فهي : الشَّجَرَاءُ والشَّجَرَةُ .
- فإذا كانت ذات حَيَات ، فهي : المَحْوَاة ^(٥) .
- فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب ، فهي : المَسْبِعة ^(٦) والمَذْبَةُ .

- (١) في طبعة اليسوعيين : فإذا لم يصبا المطر .
- (٢) في الأصل : الجراز - ولم يرد في القاموس سوى : جُرْز وجُرْز وجُرْز ومجروزة للأرض لم يصبا مطرا والجمع أجزاز - ولو قال آبن فضل الله أجزاز لصح .
- (٣) في الاصل : السلخة .
- (٤) الزيادة في طبعة اليسوعيين .
- (٥) هكذا ضبطه في طبعة اليسوعيين .
- (٦) وضبطه في طبعة اليسوعيين : المَسْبَةُ والمَذَابَةُ . والذي ضبطه آبن فضل الله أوجه .

الفصل الثالث

في أسماء التراب وصفاته

أسماء التراب
وصفاته من حيث
الصفة

تراب وجه الأرض يقال له البوغاء.

والدقعاء، التراب الرخو الرقيق الذي كأنه ذريرة.

الثرى، التراب اللين [وهو كل تراب لا يصير طينا لازما إذا بُلَّ] ^(١).

المور، التراب الذي تمور به الريح.

الهباء، التراب الذي تُطَيِّره الريح، فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم.

[يلزق لزوقا (عن ابن شميل) ^(١)].

[الهابي، الذي دق وأرثع (عن الكسائي) ^(١)].

الساياء، التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح.

النبيثة، التراب الذي يخرج من البئر عند حمورها.

الراهِطاء والدأماء، التراب الذي يُخرجه البروع من حموره ويجمعه.

الجُرثومة، التراب الذي تجمع النمل عند قوتها.

العماء، التراب الذي يُعَفَّى الآثار. وكذلك العفر.

الرَّعام، التراب المخلط بالرمل ^(٢).

(١) الزيادة من طبعة اليسوعيين.

(٢) من أول الفصل إلى هامقول عن الفصل الرابع من الباب ٤٦ من فقه اللغة.

السَّيِّد، التراب الذي يُسَمَّد به النبات . فإذا كان مع السَّرْقِين، فهو الدَّمال .

وإذا كان الطين حُرًّا يابسًا، فهو : الصَّلصال .

فإذا كان مطبوخًا، فهو : القَخَّار .

فإذا كان عَلِيكَ لاصفًا، فهو : اللَّازِبُ .

فإذا عيَّرَ الماء وأفسده، فهو : الحَمَأُ .

(وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة .)

^(١) فإذا كان رَطْبًا، فهو : النَّاطِطَةُ وَالتُّرْمُطَةُ [وَالطَّثَرَةُ] .

فإذا كان رقيقًا، فهو : الرَّدَاعُ .

^(٢) فإذا كان تَرْتِطِمَ فِيهِ الدُّوَابُّ، فهو : الْوَحْلُ . وَأُسْدٌ مِنْهُ، الرَّدَعَةُ وَالرَّزْغَةُ وَأَشَدُّ

^(٣) مِنْهُمَا الْوَرْطَةُ : تَقَعُ فِيهَا الْغَنَمُ فَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّحَاصُّ مِنْهَا . (ثم صار مثلاً لكل شدة يقع فيها الإنسان) .

^(٤) فإذا كان حُرًّا طَبِيًّا عَلِيكَ، وفيه خُصْرَةٌ، فهو : الْفَضْرَاءُ .

فإذا كان مخلوطًا بالتبن، فهو : السَّاعُ .

^(٥) فإذا جعل بين اللَّيْنِ، فهو : الْمِلَاطُ .

١٥ (١) الزيادة من طبعة اليسوعيين .

(٢) أورد اليسوعيون هاتين الكلمتين سكون الدال في الأولى (وهو حائر) وسكون الراء في الثانية ولم يقل به القاموس فإنه نص فقط على الفتحين في (ررع) .

(٣) في الأصل : منها . وقد أحترنا رواية اليسوعيين لأنها أصوب .

(٤) في طبعة اليسوعيين : "وهي" . ولعلها سق قلم .

٢٠ (٥) من أول هذه الصفحة إلى هنا منقول عن الفصل السادس من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

الفصل الرابع^(١)

في اسماء الغبار وصفاته

اسماء الغبار وصفاته
من حيث اللفظ

التَّقَع والعُكُوب، الغبار الذي يشور من حوافر الخيل وأخفاف الإبل.

العُجَاجَة^(٢)، الغبار الذي تثيره الريح.

الرَّجَج والقَسْطَل، غُبار الحرب.

الخَيْضَة، غبار المعركة.

العَثِير، غبار الأقدام.

المَنِين، ما تقطع منه.

(١) هذا الفصل منقول عن الفصل الخامس من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

(٢) في طبعة اليسوعيين العجاج .

الفصل الخامس

في أسماء الرمال وصفاتها

(١) (ما أَسْتَرْقُ) من الرمل ، يقال له : العَدَابُ .

(٢) الحَبْلُ ، ما أَسْتَطَالَ منه .

الَلَّبُ ، ما آنَحَدَرَ منه .

الحِقْفُ ، ما أَعْوَجَّ منه .

الدَّعْصُ ، ما أَسْتَدَارَ منه .

العَقْدَةُ ، ما تَعَقَّدَ منه .

(٣) العَصْفَلُ ، ما تَرَاكَمَ [وتراكب] منه .

السَّفْطُ ، ما جَعَلَ يَنْقَطِعُ وَيَنْصِلُ منه .

الشُّهُورَةُ ، ما أَشْرَفَ منه .

(٤) السَّيْهُورُ ، ما أَطْمَأَن منه .

الشَّقِيقَةُ ، ما أَتَقَطَعَ وَغُلْظَ منه .

(١) في الأصل : ما أَسْتَطَالَ . والذي قلناه عن هذه اللمة يؤيده القاموس .

(٢) في الأصل : العَدَابُ . وهو عِلْطُ .

(٣) في طبعة اليسوعيين : أَسْدَقُ . والقاموس يؤيد رواية آس فصل الله .

(٤) الرِيَاذَةُ من طبعة اليسوعيين .

(٥) حارياً ضعة اليسوعيين . وإن كان السَّيْهُورُ معناه ما أَسْهَرَ من الرمل وما أَطْمَأَن من الأرض والذي

في الأصل السَّيْهُورَةُ .

(١) الكَثِيبُ والنَّقَا، ما أَحْدَوْدَبَ وانْهَالَ منه .

العَاقِرُ، ما لَا يُنْبِتُ شَيْئًا منه .

(٢) الهِدْمَلَةُ، ما كَثُرَ شَجَرُهُ منه .

الأَوْعَسُ، ما سَهْلٌ وَلَانَ منه .

الرَّعَامُ، ما لَانَ منه ، وليس بالذي يسبل من اليد .

الهَسَامُ، ما لَا يُمَالِكُ أَنْ يُحْسِكَ منه باليد ، للينه . (٣)

(٤) الدَّكَادِكُ، ما آتَبَدَ بالأَرْضِ منه .

(٥) العَانِكُ، ما عَقَّدَ منه ، حتى لَا يَقْدِرَ الْعَيْرُ عَلَى الْمَسِيرِ فيه .

والكَثِيرُ مِنَ الرَّمْلِ ، يُقَالُ لَهُ : الْعَقَنْقَلُ .

فَإِذَا نَقَصَ ، فَهُوَ : كَثِيبٌ .

(٦) فَإِذَا نَفَصَ مِنْهُ ، فَهُوَ : عَوُكَلٌ .

(٦) فَإِذَا نَفَصَ مِنْهُ ، فَهُوَ : سِفْطٌ .

١٧

(١) في الاصل . الكثيف . وهي سق قلم .

(٢) في طبعة اليسوعيين : الهرملة . وهو غلط .

(٣) في طبعة اليسوعيين أى يسبل من اليد اليه . وهو تحريف ظاهر ، ورواه آبن فصل الله تماسكة مع كل ما قبلها ، ولذلك كانت أحسن سكا . ١٥

(٤) إختار آبن فصل الله صيغة الجمع . والذي في طبعة اليسوعيين . الدكدالك بصيغة المفرد (أطرافنا موس) .

(٥) إلى هنا مقول عن الفصل التاسع من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

(٦) في طبعة اليسوعيين : سه .

(١) فإذا نقص منه ، فهو : عَدَابٌ ؛
(٢)

(١) فإذا نقص منه ، فهو : لَبَبٌ .
(٣)

وقال صاحب الغريب : ” إذا كانت الرملة مجتمعة ، فهي : العَوَكَّةُ ؛ فإذا أنبسطت

وطالت ، فهي : الكَثِيبُ ؛ فإذا أنتقل الكثيب من موضع إلى آخر بالرياح ، وبقي

منه شئ رقيق ، فهو : اللَّبَبُ ؛ فإن نقص ، فهو : العَدَابُ . ”
(٢)

والله أعلم .

(١) في طبعة اليسوعيين : عنه .

(٢) في الأصل بالذال المعجمة وهو خطأ .

(٣) الى هنا متناول عن الفصل العاشر من الباب المذكور .

الفصل السادس

في أحوال الأرض

هذا فصل قصصنا إفراده، لتزيده وضوحا، وسد كره جملة ومفصيلا، ويستطرد في ذلك ذكر الجبال، والأنهار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، وما ينسدرج معها، وذكركم جمل من الآثار المديمة.

فقول، والله التوفيق:

الآرتباط بين
الكائنات الحية
وبين الأرض

إنه لما كانت الأرض وما عليها من المركبات من الطوائع الأربع، وهي: الزاب، والماء، والنار، والهواء، بطرنا إلى تلك المركبات، فوجدنا ما غلب عليه عنصر الهواء (كالطير) فكان في الهواء مقره، وما غلب عليه عنصر الماء (كالسمك) فكان في الماء مقره. ووجدنا الطير، وإن طلب مركبه المركب منه أكثر أجرائه وهو الهواء، والسمك وإن طلب مركبه المركب منه أكثر أجرائه وهو الماء، لم نجد واحدا منهما ولا شيئا من الحيوان مطلقا يطلب النار ويمسها، إلا السمندر وهو نادر، ووجدناه يطلب الأرض ويمسها كالطير إذا حط إلى الأرض، والحيوان إذا أوى إليه. فعلمنا حينئذ أنهما من لوازم الأرض.

تمام ارتباط
الإنسان بالأرض

(٢٨)

فبالأولى أن يكون من لوازمها، ما غلب على عنصره التراب، كالإنسان. ويدل على هذا قوله تعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ نَارَهُ أُخْرَى".

(١) في الاصل: ولا يماسها. والظاهر أن زيادة (لا) سبق قلم.

فغلب حكمها على بقية العاصر، في خلق الإنسان، فقال: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ"
 إشاره إلى التراب؛ وجعلها البداية والنهاية، قال: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ".
 ثم أكد لها التغليب على بقية العاصر الثلاثة التي لا تقوم المركبات إلا بها، بقوله:
 "وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى". فجعل منها النشأة الأولى في أول الخلق، والثانية
 في المعاد؛ وما بينهما، وهو: الموت.

فإن أعرض معترض بالسفسطى وأنه بأوى النار، قلنا: هذا شاذٌّ مادر. والشاذُّ
 المادر لا حكم له.

وإدفعنا أن التراب في تركيب الإنسان أكثر، علمنا أنها مركزه: منها الميلاد،
 وإليها المعاد.

١٠. فعلمنا ضرورة أن الأرض أم البشر. اخرجهم من بطونها، فكأوا كالولدان لها.
 وقوت المولود. ندى الأم، وهو: ما أخرجت لنا من نباتها.

فعلمنا حينئذ أن نوع الإنسان من لوازمها، بطلب مركزه منها: لما فيه من ثقل
 المركب بها. ألا ترى أن السار ولو عكست. أبث إلا طلب العلو: بطلب مركزها؛
 والعربة المنوحة التي قُسرَتْ بقاسير إذا أُطِيفت، طَلَبَ الهواء المملوء به العلو:
 بطلب مركزه؛ والماء لا يجرى إلا من العلى إلى المخص من الأرض بطلب
 مركزه. وكذلك التراب، حيث رمت به الحق، ينحط إلى الأرض: بطلب مركزه.

١٥. وهكذا الإنسان: لا يطلب إلا مركزه، وهو التراب: إذ كان أكثر أجزائه من
 التراب: وإلى هذا أشار الشرف بقوله: "والنسيم جاذبٌ لِمَا فِي أَبْدَانِهِمْ مِنَ الْخَفَةِ".
 والأرض حاذيةٌ لِمَا فِي أَبْدَانِهِمْ مِنَ الثَّقَلِ". وقد ذكرناه آنفاً.

ولهذا لم يُقدِّروا في المركبات وجود الاعتدال الكامل المتساوي في أجزاء التركيب :
إذ لو كانت كذلك ، لحدبها العاصر الأربعة ، جذبا متساويا . فلم يكن له مركز خاص .
وذلك محال .

قلة النار
في الحيوان ، ولماذا
كان العذاب
الموعود به

وأقل أجزاء العناصر في الحيوان غالبا ، النار . ثم ينفات الحيوان في ذلك . ولهذا
لا تقوى [الحيوانات] على النار فوقها على الماء والقرب والهواء . ثم ينفات الحيوان
في ذلك ، مأل كل إلى ما غلب على تركيبه . ولا بهاب الحيوان شيئا يفتححه ، كما يهاب
أقتحام النار . ولهذا كانت النار العذاب الموعود به : لمافرة ما بينهما وبين الحيوان . لقلة
موجودها به في جزء التركيب ، كما أشرنا إليه . والله فعل ما يشاء لا راد لأمره ،
ولا معقب لحكمه .

الإنسان أرضي
راني ، وأساس
معاشه من الأرض

فلما كان الإنسان ، بما علب على تركيبه ، أرضيا ترابيا ، من الأرض مبدؤه ، وإليها
معاده ، ثم منها عوده ، كما قال تعالى : ”مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَى“ ، اضططر إلى مركزه ، وأحتاج إلى الاضطراب في أرجاء الأرض ، للكسب :
إما للصيد ، وهو أول رتب المعاش ، أو الزراعة ، وهي ثاني رتب المعاش ، أو التجارة ،
وهي ثالث رتب المعاش ، على ما يأتي بيانه . فلم يكن له غنى عن معرفه جهات
الأرض ، ليمتد فيها لأسباب معاشه ، فيما ذكرناه أو غير ذلك ، مما يتفرع منه أو يرتب
عليه .

الإنسان مبدئي
على طلب المعاش

زعموا أنه لو وقع إنسان إلى برية يهماء^(١) ، لساكن بها ، لم يكن له دأب إلا طلب
سبب البقاء ، بما يصيد منه ليا كل ، فإذا أكل ، طلب ما هو أزيد سبدا ، فزرع ،

فإذا زرع، طلب ما هو أزيد سببا، فتاجر . ثم مزرع معاشه، ونشعبت أسبابه،
فاحساج حينئذ إلى معرفة أجراء الأرض وعوالمها، ليعرف أين كسبه، ومن أين
معاشه . ولا يمكنه أن يحدد أرضا في بر ولا بحر، إلا بأعلام دالة عليها، كالنجوم
اللائحة، والجمال المسائلة، والأنهار الجارية، والأهوية المسابة . وليس هذا موضع
ذكرها . لكأن ذكرها، إن شاء الله تعالى، عند ذكر معرفة القبلة في كل أرض .



وإنما نذكرها ما هو لائق به . وهو ما هو جلي من أحوال في الأرض لازمة
لها . من بعضياتها المشهورة في جميع الأقطار : كالجمال العظيمة، والأنهار المتشجرة .
لأن بمواقع تلك الجمال الشهيرة . والأنهار المعروفة . نعرف موضع كل جهة من الأرض .

أحوال الارض
على الإجمال

فأما البحار، فإنها قد أفردناها بدانها . وسأني ذكرها في موضعه . ولم نذكرها هنا
مع الأرض . كما نذكر الجبال والأنهار . لأن الجبال والأنهار من عالم الأرض . وأما
البحار، فإنها عالم آخر، أكبر من عالم الأرض، بما لا نسبة بينهما . فوجب إفرادها
بدانها، إذ كانت كشيء آخر .

المعارج والسبب
في إيراد الكلام
عليها

ونحن نقدم الجبال على الأنهار، لأنها أعلى أعلاما، وأثبت في مواضعها مقامها،
وأكثرها على حالها، لا تتغير دواما .

كثرة س الجبال

والذي نقول الآن : إن الجبال كلها منتشرة من الجبل المستدير بغالب معمور
الأرض . وهو المسمى بجبل قاف، وهو أم الجبال . كلها تنشعب منه . فتتصل
في موضع . وتنقطع في آخر . وهو كالدائرة، لا يعرف له أول على التحقيق . إذ كانت
الحلقة المستديرة، لا تعرف طرفاها . وإن لم تكن استدارته استدارة كرية، ولكنها
استداره إحاطة، أو كالإحاطة .

ضريبة في اتصالها
طاهرا أو دافعا

فلما لم تنف له على أول على التحقيق، قدّرنا له أولاً، وهو: كَتِف السدّ الجوى .
ويُدِيرُهُ بالمعمور . يتصل في موضع اتصاله، وينقطع في موضع انقطاعه، إلى كَتِف
السدّ الشمالى : حيث الفرجة التى ساوى الإسكندر ذو الفريين فيها ، كما قال تعالى
”يٰٓاَيُّهَا الصّٰدِقِيْنَ“ وأقام السدّ وعمل الباب، على ما هو مرسوم في لوح الرسم .

(٣١)

ما هو جبل
قاف، والحجر
المسلم، هو أم
الحال

ومجموع هذا الجبل - منصله ومقطعه في كل مكان، شرقاً وغرباً وجنوباً
وشمالاً - هو جبل قاف . وهذا هو المستفيض على الألسنة، الطائرين العالم، بما
يعبر به عند كلّ منهم، على ما يقتضيه اختلاف الألسنة واللغات .

وفد زعم بعضهم أن أمّهات الجبال جبلان : تخرّج أحدهما من لَدُنّ البحر المحيط
في المغرب، وأخذ جنوباً، وخرج الآخر من لَدُنّ البحر الرومى، وأخذ شمالاً، حتّى
تلاقيا عند السدّ . وسَمُّوا الجوى قاف، وسَمُّوا الشمالى جبل قافوناً . والأظهر - والله
أعلم - أنه جبل واحد محيط بغالب بسط المعمور، لا كما هو البحر، محيط بجميع كرة
الأرض، وأنه هو الذى تصدق عليه التسمية بجبل قاف في كل قطر ومكان، ولا
يُعرف في الجيوب إلّا بهذه التسمية، ويُعرف في الشمال بجبل قافونا . وبهذا نزول
شبهة من ظنّ أن كلّاً منهما غير الآخر، والله أعلم .

ما هو الجبل المحيط
وكيف سيرة

والذى نقول، وبالله التوفيق ! إن هذا الجبل المحيط بغالب المعمور مدوّ من كنف
السدّ آخذاً من وراء صنم الخطأ المحجوج إليه، إلى سَعْبته الخارجة منه المعمول بها
باب الصين، آخذاً على غربى صين الصين، ثمّ ينعطف على جنوبية مستقيماً في نهاية
الشرق، على جانب البحر المحيط، مع الفرجة المنعرجة بينه وبين البحر الهندى الداخلة،
ثم ينقطع عند مُخْرَج البحر الهندى المحيط مع خطّ الاستواء، حيث الطول مائة

وسبعون درجة) علم عليها في لوح الرسم قح بحساب الجبل^(١)، ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملا في لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق، بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندي في الجنوب، وتبقى الظلمات بين هاتين الشعبتين : شعبة المحيط الجائية على جنوب الظلمات شرقا بغرب، وشعبة البحر الهندي الجائية على الظلمات شرقا بغرب، حتى تتلافي الشعبتان عند مخرج هذا الجبل، كتصصيل السراويل . ثم يفرج رأس البحرين المتلاقيين شعبتين على مبدأ الجبل، ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء. ومبدأ هذا الجبل قه هنا وراء قبة أرين، عن شرقها. وبعده منها خمس عشرة درجة . وقد علم صاحب جغرافيا قبالة مبدأ هذا الجبل في القسم الشرقي طولا . وذلك بعد أن آتته درجات القسم الغربي عند قبة أرين إلى سبعين درجة، علم عليها في لوح الرسم حى فكان هذا المقدار ده . وهو هاوت ما بين العددين .

ونال لهذا الجبل في أوله : المجرد . ثم يمتد حتى ينتهى في القسم الغربى إلى طول خمس وستين درجة من أول المغرب . وقد علم عليها في لوح الرسم سه . وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر، وينصب منه الليل . وقال إن به أحجارا براقة كالفضة البيضاء . تلالاً، تسمى صجعة الباهت : كل من نظرها، صحك وألصق بها، حتى يموت . وتسمى مغناطيس الناس . قال صاحب جغرافيا، وقد ذكره أرسطو في كتاب الأحجار .

جبل القمر

(١) في الأصل . ومخرج .

(٢) صطه بعض أهل الجغرافيا فتح القاف والميم . والقاف مهم على أنه بصم القاف وسكون الميم (أطراقتويم اللدان طبع باريس صفحة ٦٤) .

وتتشعب منه شعب تسمى آسيفى . يقال إنه مسكون ، وإن اهله كالوحش .
والله أعلم بصحة ذلك .

ثم ينفرج منه فُرجة ، ويمرُّ منه شعب إلى نهاية المغرب في البحر المحيط ، تسمى
جبل وحشية : به سباع لها قرون طوال ، لا تُطاق .

وينعطف دون تلك الفرحة من جبل قاف شعب منها شعبان إلى خط
الأسواء يكتنفان مجرى النيل ، من الشرق والغرب .

فالشرقي ، يُعرف بجبل قاقولى ، ويمقطع عند خط الأسواء .

والعربي ، يُعرف بأدممه . نحري عليه نيل السودان . المسنى في جعرافنا بحر
الدمادم . ويتقطع تلقاء محلات الحبشة ، بين مدينتي سمفرة وجيمي .

وراء هذه الشعبة ، تمتدُّ شعبة منه ، هي الأم من الموضع المعروف به الجبل تأسيفى
المفدَّم الدكر إلى خط الأسواء ، حيث هو الطول هناك عشرون درجة . وقد علَّم
عليها في لوح الرسم ك .

ويُعرف هناك بجبل كرسفانة . وبه هناك وحوش صارية . ثم ينهى إلى البحر
المحيط وينقطع دونه بفرحة مبروجه . وذلك وراء التكرور ، عند مدينة قلتبو . ووراء
هذا الجبل هناك سودان ، يقال لهم ^(١) نتم ، ماكاون الناس . وستأتى جملة من أخبارهم
في موضعها ، إن شاء الله !

ثم تُصل الأم من شاطئ البحر التامى في شماله ، شرقى رومة الكبرى ، مسامتا
للشعبة المسماة أدممة المنقطعة بين سمفرة وجيمي لا تكاد تحيطها ، حيث الطول خمس

(١) هكذا في الأصل . ولعلها هم . (وأعتبر لفظة Niam Niam الأفرنجية) .



وثلاثون درجة علامتها في لوح الرسم له . ويضع منشأ اتصال هذه الأُم في رسم خط العروض على في . رَسَمَها في لوح الرسم . وكذلك تقع شُعَبُها أَخْدا في الجنوب إلى الخط المَعْلَم عليه الأطوال في لوح الرسم ، عند أخذها ما بين سر دانية وبلنسية على في .

٥. وثناهي وصلة هذه الأُم إلى البحر المحيط في نهاية الشمال ، قبالة حرية بريطانيا .
 وتبقى سوسنة داخل الجبل . ثم تمتد هذه الأُم بعد انقطاع لطيف وتنقطع مع انعطاف خرجه البحر المحيط في الغرب بشمال على الصقلب المسماة بحر الأقليمشين^(١) ممتدا إلى غاية المشرق . ويسمى هناك بجبل قاقونا . وتبقى وراء البحرة الجامدة اشدة البرد . ثم ينقطع من الشمال المشرق جنوبا بتعريب إلى كيف السد الشمالي . فتتلاقى هناك الطرفان . وبنهما في الفرجة المنفرحة ، ساوى الإسكندر بين الصدفين .

١٠. ونحن بدكرها ما في لوح الرسم من الجبال ، ونقسمه على أربعة أقسام ، نتخزأ بها المعمورة طولا وعرضا .

- ففي العرض مِمَّا وراء خط الأستواء من المعمور المقدر عرصه بإقليم ونصف إقليم مِمَّا أخذ له عرض لارتفاع الحمل والميزان وهو جزء مقدر بنصف إقليم فيكون ذلك نَتْمَةً لعدد إقليمين من وراء خط الأستواء حيث انتهى أخذ العرض هناك
 ١٥ مِمَّا ابتدئ من قبة أرين جنوبا عشرين درجة ، وقد علم عليها في لوح الرسم ك إلى حيث نهاية المعمور وراء الروسية الثانية ، خارج الإقليم السابع في الجزء المقدر بنصف إقليم مازا مع الإقليم السابع من أول المشرق إلى آخر المغرب حيث انتهى

(١) الاقليمشين تعريب لعملة English بصيغة الجمع العربي ومعناه : بحر الاقليم .

أخذ العرض هناك إلى خمس وسبعين درجة على ما قدمنا ذكره، وقد علم عليه في لوح
 الرسم  قاطعا في الطول على خط مستقيم من المشرق إلى المغرب يقع وسطه
 على خط العروض في جزء أخذ عرضه على خمس وثلاثين درجة وهو ما بين خوز
 وعبادان. وقد علم عليه في لوح الرسم . ووقع هذا الخط في المشرق أخذا على
 جنوب السد^(١)، ما را على جنوب كرمان إلى أن ينتهي إلى البحر الشامي حيث مخرج
 الخليج القسطنطيني منه ما بين قبرس ورودس إلى آخر المغرب. وموقع هذا الخط
 على وسط الأقاليم السبعة المقسمة. فيكون على خط نصف الإقليم الرابع مقسومة
 عليه الأقاليم السبعة نصفين على جانبيين. وموقع هذا الخط الوسط منها.

(وأما جبال مكة والمدينة، فإننا نذكرها بعد الأرباع، مفردة بذاتها، انتتوفر عليها

المادة بإفرادها.)

(١) في الأصل السد.

فالقربع الأول

من هذه الأرباع المقسومة الآن، هو الربع الشرقي الآخذ إلى الجنوب،
 وبه من الحال في جزيرة القمر العظيم من المعمور الخارج عن خط الاستواء:
 جبل يعرف بجبل قدم آدم، يقال إن آدم (عليه السلام) أهبط عليه، وهو
 جنوبي جريه سرنديب.

حال الربع
الأول

حريرة القمر

حل قدم آدم

ووراء جبل كانه باء مخدوفة الذيل (ب) . ذكر صاحب جغرافيا في لوح
 الرسم أن أهله سود ما يكون الناس . تقع حدقة ذيله على خط الأسواء، على جزء
 بلع طوله مائة درجة ونحو درجات . وقد علم عليه في لوح الرسم ^(١) من
 حساب الحمل .

ووراء ثلاثة جبال مقطعة، صفارا، يتلو بعضها بعضا، أولها جبل شرقي
 هذا الجبل عند قائمته الأولى المشبهة برأس ماء متلو كتلوى الأرفم [د] .
 في سمحه مدييه علماء، وويليه من شرقيه الثاني وهو جبل آخذ على مدينتي ملاي
 وسمردى . ذكر صاحب جغرافيا أن الذهب والحديد به كثيران، وويليه من شرقيه،
 الثالث، وهو: جبل هو أصغر الثلاثة، غربي مدينة معلا .

ثم ما هو داخل تحت خط الاستواء جبل كثير الشهرة، وهو المشهور في أواخره
 بجبل الديلم . ومنشؤه من البحر الهندى غربى المنيار . يأخذ ممتدا إلى الشمال

حل الديلم



(١) العدد يدل على أنها : قد

(٢) في الأصل : ماء .

على وراي . في ذيله الغربي كابل . ثم يخرج إلى قسم هذا الربع الآخذ إلى الشمال ، ويقع هناك على أصفهان ، وتنتهي شُعْبَتُهُ على منبع نهر مكران ، المآد إلى السند . وعليه من ذلك الميل في شرقيّه ، الْمُحَمَّدِيَّة . ذكرناها هنا علامة لهذا الجبل . وإذا قد ذكرنا هذا الجبل بجموعه هنا ، لم يبق حاجة إلى ذكره في قسم هذا الربع .

ومن ذلك جبل آخذ على مستقيم هذا الخط الواقع وسط الأقاليم السبعة الْمُخْرَجَة هذه الأرباع عليه . ويمتد هذا الجبل مُشْرِقًا على تَلَوِّ في أوله ، مارًا ، إلى مسامنة باب الصين على جنوبيّه . وهناك يتصل بالأمم . وتمتدُّ منه شعبة آخذة في الجنوب إلى البحر الهندي ممّا وراء المعبر ، مدينة ازهونة . وذلك جميعه خارج عن الأمم ، منقولاً من لوح الرسم .

والربع الثاني

حال الربع
الثاني

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الغربي الآخذ إلى الجنوب .

به من الجبال تحت الأُم الخارجة من شعبتي البحر المشبهة بتعصيل السراويل
المقدمة الذكر، ثلاثة جبال :

- ٥ (الأول) منها وهو الشرقي جبلٌ آخذ عن الأُم على جانب فرجة بينهما،
ممتدا إلى خط الاستواء حتى وقع عليه ويقطع عده . وتقع مدينة لقمراة في ذيله
على شرفيه، وبوشة في ذيله على غربيه .

ويليه (الثاني) على غربيه وهو جبلٌ آخذ إلى مدينة تسويه . وينقطع هناك .

ويليه (الثالث) على غربيه وهو جبلٌ يعرف بجبل حافولي . ذكر صاحب

- ١٠ جغرافيا في لوح الرسم أنه معروف عند المسافرين . يأخذ على شرفي النيل حتى
ينتهي إلى مدينه رفوف حيث آخر خرجة البحر المسدي . وقد بها على ذكر هذا
الجبل . عدد وصفا للأُم المدكورة، وأشرنا إلى أن مخرج الأُم يقع قبائنه من شمال
البحر الشامي، على ما تقدم ذكره .

٢٧

وعن يسره جبلٌ آخذ على شرفي النوبة .

- ١٥ ومن ذلك جبلٌ يقع منه جنوبا مع غريب كثير كأنه "لا" معلقة بالخط
المعربي [لا] .

ومن ذلك جبلٌ آخر مقطوع ما بين حاخة وجيمي .

ومن ذلك دوسهما جبلان آخران أحدهما يأخذ على الواحات والآخر يأخذ
وراءه غربي بحيرة نافر، وشرفي بحيرة كوكورة .

ومن ذلك وراءه في غريبه جبلٌ كأنه رأس صاَد بالخط المفرق [٥]
وسطه بطحاء سهلة، لا وصول إليها من كل جهة، إلا بعد صعود الجبل والتزول إليها
جانبه الداخل . يجرى منه النهر الواصل إلى القيروان المنتهى إلى البحر الشامي .

ويليه جبلٌ يعرف باللتاع كأنه فردة صولجان . عليه حصن الملح وجُزْلَةٌ .
وتنصبُّ منه أنهارٌ إلى المحيط .

ومن ذلك جبلٌ يأخذ بين فاس وسجلماسة وينصبُّ منه نهر بين أسفي
والمزقة حتى يصب في البحر المحيط، شرق طنجة .

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينشأ في أواخر خط الاستواء غربا، حيث الطول
من الغرب خمس عشرة درجة، عَلمٌ عليها في لوح الرسم يه من حساب الجُمل .
ويأخذ جنوبا إلى البحر المحيط .

ومن ذلك جبالان يعرفان بجبل كرسقانة وجبل وحشية . وقد تقدم ذكرهما .
وذلك كله خارج عن الأم، منقول من لوح الرسم .

الجبل اللع

٥

١٠

والربع الثالث

الغربي الآخذ إلى الشمال



حال الرابع
الثالث . وهي
مسالك الأندلس

به من الجبال جبلٌ آخر في جربره الأندلس ، في جوبيها من البحر الشامي
من إسبيلة إلى بطلبوس ، وأنصبَّ منه هيران : أحد أحدهما على إسبيلة ماراً بينها
وبين مائه حتى صبَّ في البحر الشامي ، والثاني منها أخذ على البيرة وصبَّ
في البحر المحيط .

وفي شرفيه جبلٌ أخذ من فوره إلى وادي آش ، عليه هكل الرهرة ، وأنصبَّ
منه هرمة على وادي آش وأحد شرقي عرناطة إلى قرطبة ، وصبَّ في البحر
الشامي .

وفي سرقه جبلٌ نخرج من البحر المحيط ، من شمالٍ مغرباً وأخذ ماراً
في الأندلس إلى بلنسية وآسهي إلى البحر الشامي .

وهذه الجبال كلها وراء وصلة الأثم الخارجة على شرقي رومه الكبرى .

ولولا نخرح الأثم ها ، لما أمتنع سبيل الأندلس في البر إلى بلاد القسطنطينية
الكبرى والآلان والأص والصقلب . ولوصل منه إلى جميع الأرض ، شرفاً وغرباً
وحواً وشمالاً ، من غير بحر حائل ولا لُج مانع . فلما لم يبق للأندلس سبيل إلا
من البحر ، ببنت كأنها داخلة هذا الحبل المحيط بالمعمور ، وإن كان موقعه وراءه
من غربيته .

دكرنا هذا هنا لمنتصيه . إذ لم يمكن السكوت عنه .

ثم نعود إلى تَمَّة الجبال الواقعة في هذا الربع الثالث .

فمن ذلك جبلٌ يأخذ على بحر بُنطُس^(١) المتصل بالبحر الشامى، من شرقى هِرَقْلَة ويمتد إلى أنطاكية وحلب ويمتد في الشام على شمالى بعلبك ودمشق . ويحصر هذا الجبلُ البحر الشامى آخذًا معه إلى الجنوب، على فرجة بينهما تلك الفُرجة هي موقع مدائن الروم وهي المسماة الآن ببلاد الروم، مثل : قونية وقيصرية وأنطاكية .

ومن ذلك جبلٌ يمتد على ماردين وشهرزور وأخلاط . ينقطع ويتصل بجبل أذريجان . وتنصب منه أنهار كثيرة : منها ما يصب في البحر الشامى، ومنها ما يصب في بحر بنطس^(١)، ومنها ما يصب في البحر الهندى، ومنها ما يصب في البحيرة البلاءة المقاربة للسد . ويتصل هذا عن فرجات بجبل طبرستان المازين أذريجان وغزنة . وكذلك يتصل به جبل طوس الآخذ بينها وبين جرجان، حيث يخرج خطٌ آخذ العروض .

ومن ذلك جبالان متقطعان، وراء بحر بنطس^(١)، من شماله بشرق . آخذان على بحيرة الحارس عن شرقها وغربها .

وذلك كله خارج عن الأتم، منقولا من لوح الرسم .

(١) في الأصل "بنطس" وكذا هو في تقويم البلدان لأبى الفداء . ولكننا اعتمدنا ضبط ياقوت .

والربع الرابع

حال الربع
الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الربع الآخذ إلى الشمال، وبه تمامها .

١١ من الجبال، جبلٌ مقطوع^(١) ما بين بلاد السند وبين نوار . وسمي^(٢) الصموج
يحوى نهرٌ مكران^(٣) حيث يقطع مدى الصحراء على ذيله ويخرج هناك .

ومن ذلك جبلٌ تزل به غُرُغُر النار^(٤) . به باب الصين .

ومن ذلك جبالُ الخطا المحبطة بها على باش بالقي ، وآل بالقي ، وحاد بالقي .

ومن ذلك جبلٌ مقطوع ، كأنه صليبٌ ذهبٌ أحدُ شُعنه . ومدينة طقار في ذيله

المعزب . وشعنته الخارجة تقع بلاد اليأس^(٥) في ذيلها .

ومن ذلك جبلٌ مقطوعٌ متلَو كالأرقم ، من غربي بلاد أسحور إلى نهاية العمارة

١٠ في الشمال . ومنه ينصب فرع نهر جيحون .

ومن ذلك جبلٌ في صحراء الفجاء . أحد على معطف النهر المتصل بالمجبرة

الجامدة من شدة البرد .

(١) أصل كثير أن الميم وقعت في هذا الاسم مدلا من الون طريق السهو . فهذا المكان مشهور باسم قنوج

ويسمى عند الفرسيين 'Canoge' .

(٢) سماه أبو العلاء نهر مهران وكذلك المؤلف مما تأتي . من هذا الخبر وهو المشهور بنهر السند

وعند الفرسيين Indus .

(٣) لعلها . التار .

(٤) لعلها : شش .



ومن ذلك جبلٌ منقطعٌ ينصبُّ منه فرعٌ إلى نهرٍ إيتيل^(١) في شرقِ صحارى
القبجاق أخذًا بشرق مدينة أوتنا . ووراءها عبدة الشياطين ، على ما رسم صاحب
جغرافيا في لوح الرسم .

ومن ذلك شعبة أخذة من الأثم إلى جنوبٍ مُقَرَّب ، ينصبُّ منه ماءٌ إلى النهر
المنتهى إلى البحيرة الجامدة .

ثم إنا نذكر هنا ما رأينا إفراده في هذا المكان ، ليكون أوضح لبيانهِ ، وأدَلّ على مكانهِ .
وهو الجبلُ الممتدُّ على الشام ، وجبالٌ شهيرةٌ بجزيرة العرب .

(١) هو المعروف الآن في الجغرافيا الحديثة بنهر فولجا Volga . ومعنى إيتيل بفتح الالف أو بكسرهما
النهر في لغة الأتراك . وهو ببلاد روسيا ، وأكبر أنهار أوربية .

جبال الشام
وأصالتها

فأما الجبل الممتد على الشام

- فإن أوله بالشرق من الصين من البحر المحيط . فيقطع بلاد التتر على معادنها إلى أن يأتي فرغانة إلى جبال البتم الممتد بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فينقطع ، ويمضي في وسطه بين شعبتين منه ، وكأنه قُطِعَ ثُمَّ [وَصَلَ] في وسطه . ويستمر الجبل إلى الجوزجان ويأخذ على الطالقان إلى أعمال مرو الروذ إلى طوس . فتكون جميع مدن طوس فيه . ويتصل به جبال أصبهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندي . وينعطف هذا الجبل ويمتد إلى شهرزور إلى سهرود . فيمر على جباله بسائر دجلة . ثم يتصل بجبل الجودي ، موقف سفينة نوح (عليه السلام) . ولا يزال هذا الجبل مستمراً من أعمال آمد وميا فارقين حتى يمر بشغور حلب . ويُسمى هناك جبل اللكام . ويستمر جبل اللكام إلى أن يعدي الثغور فيسمى بهذا حتى يجاوز حص فيسمى لبنان . ثم يمتد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم من جهة ، ويتصل من الجهة الأخرى ويُسمى المقطم . ثم يتشعب وتتصل أواخر شعبه بنهاية المغرب . ونحن وإن كنا قد ذكرنا هذا الجبل ، كلياً وجزئياً ، مما تقدم على ما اقتضاه الإيضاح في موضعه على ما صور في لوح الرسم في أما كنه ولكننا أردنا هنا اتصال لمجته ليعرف كيف هو بأسمائه فيما يمر عليه في الأرض من شرقها إلى مغربها .

(٤١)

فأما جبال مكة

فاعظمها وأحفظها بالتقديم وإن تعدَّ عن مكة مكانا جبل عرفات ، موقف الحج الأعظم ، وركن الحج الأكبر .

ومنها جبل أبي قبيس ولونه أدكى إلى البياض قليلا وإنما قيل له أبو قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه وقيل هو اسم رجل من مدحج كان يكتنئ أبا قبيس عرف به لأنه أول من بنى فيه . كذا قال الزمخشري : وقال أبو القاسم السهيلي : عرف برجل من جرهم كان قد وسى بين عمرو بن مضاخ ، وبين آبنه عمه مته فدرت أن لا تكلمه ، وكان شديد الكآف بها . فخاف ليعتل قبيسا ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وآمطع حبره . وإنا ما ، وإنا تردي ، فسمى الجبل أبا قبيس . وقال ابن عباس : هو أول جبل وُضع على الأرض . رواه أبو عروبه وأبو بكر بن أبي شيبة . وقال الزمخشري : كان يسمى في الجاهلية الأيمن ، لأن الركن كان مستودعا فيه ، عام الطوفان . وفي أعلاه مبار إبراهيم عليه السلام . وقد جاء في بعض الآثار أن ذلك المار على الموضع الذي نادى منه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بحج بيت الله الحرام . والأكثر أنه نادى من أعلى المقام . وفي أصله الصفا . ومنه يصعد إليه من ناحية المسجد . ويصعد إليه أيضا من شعب أجياد الصغير . وأبو قبيس أحد الأخشين . وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام . وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة .

وجبل الخندمة ^(١) وهو على أبي قبيس من ناحية المشرق . وهو جبل أحمر محجر . فيه صخرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلقة ، تشبه الإنسان إذا نظرت إليها

(١) في الأصل "الخندمة" بالهمزة ، ولكن باقوت والقاموس ذكراه في باب الحاء المعجمة .

من بعيد. نبدو من المسجد من باب السهميين الصغير. وفي هذا الجبل تحصن أهل مكة، إذ أحاط بهم القرامطة وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا الشمس وجميع ما كان في الكعبة، إلى أن رده الله إلى موضعه، على يد ولد الذي قلعه. وتحت هذا الجبل شعب علي بن أبي طالب (رعى الله عنه).

٥ والجبل الأبيض، الذي على الأطح إلى باب المعلى يسمى عاضرة.

الحل الأبيض

والجبل الآخر، على المحون ووجهه إلى قُيعِيعَان، على قبر عبد الله بن الزبير.

③

والأخشب والجبابج، جبال مكة. وفيه الثنية، وهي العقبة، وعند أصله بقيع مكة. ومن هذا الجبل إلى الجبل الأبيض بجى المقتدر السور، وجعل له بابا من حديد وهو المعروف بباب منى، وشعب المحصب.

الأخشب
والجبابج

١٠ وجبل قُيعِيعَان، وهو يقابل أبا قُيس من ناحية الشمال. وهو جبل أخضر يقابل من الكعبة ما بين الركن العراقى والميزاب. وهو حد أخشى مكة.

حل قيعيعان

وجبل أجباد، إنما سمي بأجباد لأن الله تعالى لما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت، أعطى كل واحد منهما كترا من كنوزه. فأوحى الله إلى إسماعيل: "إني معطيتك كترا من كنوزي، لم أعطه لأحد قبلك. فأخرج فتاد بالكتز، يأتك".

حل أجباد

١٥ قال فخرج إسماعيل - وما يدرى ذلك الكتز ولا يدرى كيف الدعاء به - حتى أتى أجباد. فأنهم الله إسماعيل الدعاء بالخيل: "يا خيل الله، أجيبى!" فلم يبق في بلاد العرب كلها فرس إلا أنه وذله الله له، وأمكنه من نواصيها. قال ابن عباس: فلذلك سمي ذلك الموضع بأجباد. وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش. فقال شاعر قصير يرتجز بذلك^(١):

(١) لعله: يهنر.

أونا الذي لم تُركب الخيل قبله ، ولم يذر خلق قله كيف تُركب !

وجبل ابن عمران . وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قُبَيْس وأجباد . وهو
خلفها . يظهر على بعد كانه بينهما . يقابل من الكعبة الشق الباني .
فهذه الجبال المحيطة بالمسجد الحرام .

ثم في العطف في آخر ذى طوى في طريق التنعيم جبل البكاء . وقربه على يسار

المأز إلى التنعيم ، الحجر الذي قعد عنده رسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) مستريحاً
عند إقباله من العُمرة . فَلَا نَ فيه موضعُ رأسه ، حتى آسَند إليه . وهو مشهور بقعد
الأساس عنده . عند أنصرافهم من العُمرة ، وعد جبل البكاء نحتة مما يلي الغرب .

قال الفاكهي : وبمكة في فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى مبار مسجد
التنعيم وجميعه نحو من مائة سقاية . وفي أصله مما يلي الشمال مباءة ، وكانت قد بناها
بسانين . والوادي أسفل منها في المحجة . كل ذلك على يمين المأز إلى التنعيم .

وشامة وطُفَيْل . تحت الثنية السفلى غربى ذى طوى .

ومن ناحية الشرق في طريق منى جبل ثبير . وهو حل عظيم مرتفع أسود
كثير المحارة في عطف وادي إبراهيم (عليه السلام) من يسار المأز إلى منى .

قال السهيلي : "عرف برجل من هُدَيْل . مات فدفن به فعرف به الجبل" . وقال
الزمخشري : "نيران جبلان متفرقان تصب بينهما أفاعيئة ، وهي واد يصب من منى ، يقال
لأحدهما شير غينا وللآخر شير الأعرج ."

ثم جبل حرَاء . وهو على يسار المأز إلى منى أصابا . وهو الجبل الذي كان

(١) لعله حين .

(٢) مكاء في الأصل . ٢٠

حُبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُلُوءُ فِيهِ، حَتَّى أَتَاهُ الْوَحْيُ، وَامْسَ فِيهِ غَارٌ،
إِنَّمَا كَانَ فِيهِ مَوْضِعٌ مِنْهُلٍ شَبِيهِ بِالْحَوْضِ فِي أَصْلِ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ.

- حل ثور وجبل ثور ليس في جبال مكة أعلى منه ولا أوعر . وهو خلف مكة على
طريق مكة . يسمى ثور أطحل . والفار في جانب منه ، في أعلاه دون الثنية
فليلا . وفيه نزل جبريل على النبي ، صلى الله عليه وسلم والغار الذي آخفى فيه
عليه السلام مع أبي بكر صحرة واحدة مقبية ، ومدخلها ضيق طوله خمسة أشبار إلا ثلثا
وعرضه في أوسع مكان فيه ، شبر وأربع أصابع . وصفه الغار أنه مستطيل من
ناحية الغرب إلى الشرق ، وليس بقائض إلى أسفل . طوله ثلاثة وعشرون شبرا ،
وعرضه تسعة أشبار إلا ثلثا . وله باب نان في آخره ، من ناحية الشرق . وهو
الذي فتحه جبريل عليه السلام حين ضربه مخناحه إلى الصحرة ، فأفصح هالك باب
طوله سنة أشبار وعرضه أربعة . وفيه خرج عليه السلام ، يوم خرج إلى المدينة .

- حال المدينة المنورة وأما جبال المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فأشهرها
حل أحد حل أحد وهو حل أحمر أعلاه دكدك . بينه وبين المدينة ميل وأفسح فليلا .
في شمال المدينة ، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” أَحَدُ جَبَلٍ يُجِيبُ وَيُجِيبُهُ ” .
وفي الحديث أنه يكون يوم القيامة أحد ركني باب الجنة . وبعضه قوله صلى الله
عليه وسلم . ” المرء مع من أحب ” . كذا قال الشَّيْخُ . وجبل سلع . وهما
أشهر الجبال هناك . وحل ثور وغلط فيه بعضهم . وجبل عير والحرم ما بينه
وبين أحد .

فهذه هي جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة في جميع المعمورة وما قاربها .
لم نحصل منها إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يَصَوِّرْ في لوح الرسم ؛ وإن كان ، فهو
القليل . وفيما ذكرناه كفاية .



وأما الأنهار المعروفة فحسن تذكرها ما في لوح الرسم من الأنهار ونقسمه على
الأنهار المعروفة
اربعة أقسام تتخزى بها المعمورة طولا وعرضا ، كما ذكرناه فيما تقدم قبل ذكر الجبال .
وبالله التوفيق !

فالقربع الأول

أنهار الربع الأول من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرقي الآخذ إلى الجنوب . وبه من الأنهار ما يُذكر .

من ذلك في جزيرة القمر العظيم^١ ثلاثة أنهار :

٥ شرقياً أخذ من قطورا ومعلا .

وبليه ثانيا في غربيته ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سبابا ، ويأخذ مازا إلى مدينة قزدرا . ويمر هناك ببحرة في جنوبها مدينة كيما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس .

وبليها ثالثا في غربيته ، ويخرج من الجبل المشبه بياء محذوفة الذيل [٥] .

١٠ يطوّق بمدية دقمتي ، فتبقى مدينة دهمي بينه وبين البحر الهندي في جزيرة بينهما . تكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا . فتكون لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي . وتقع مدينة هورانة في غربيته حين يصب في البحر الهندي .

ومن ذلك نهر ينصب من جبل فاف عند وصلة الأثم في شعبي البحر المشبه بتفصل السراويل . وينصب في الشعبة الجنوبية من تلك الشعبتين على مدى غير بعيد . وذلك جميعه غير منقول من لوح الرسم .

١٥

(١) لغة : "حبث" . [والكلمة الآن في الاصل ربما يصح التعبير بها .]

والربع الثاني

من هذه الأرباع المفسومة، وهو الغربي الآخذ إلى الجنوب .

أنهار الربع الثاني

وبه نهر ينصب من جبل قاف، مازا في الشمال إلى خط الاستواء حتى ينصب في البحر الهندي شرقي قبة أرين .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الماز على غربي مدينة لقمراية حتى ينصب عند خط الاستواء في البحر الهندي .

ومن ذلك نهر النيل . وهو النهر الأعظم الذي لا يعدله في عظيم نفعه شيء : لعظم ما عليه من البلاد وطوله في الأمم . وهو ينصب من جبل القمر . وقد قدما عند ذكر الجبال طرفا فيه ، وإن كان لامقال بوقبه ، لأنه إحدى الكبر ، وأولى العرب آية من آيات الله في أرضه ، وعجيبه لمن تأمل من خلقه . ساقه الله تعالى إلى مصر وأجبا به بلدة متا وسفاه أمة عظيمة . وإن لم تكن هي المعززة بفعه ، فإنها كالمعززة به : لعظيم منعنها منه وعميم مصلحتها به . يحيى إليها أحوج ما كانت إلى مجيئه ، ويصرف أحوج ما كانت إلى أنصرافه . وذلك تقدير العزيز العلم . (١) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وفيه يقول القاضي الفاضل : " النيل المصري الذي بكسو الفضاء ثوبا فصيا ، ويؤذي في الأرض ماؤه سراجا من النور مضيا ، ويتدافع تياره دافعا في صدر الجذب بيد الخصب ، وترضع أمهات خلجانه المزارع ، فتأتي أبنائها بالعصف والاب . وفيه

كتمان للقاضي
الفاضل

(١) لعل الالوجه : أحياء به لدا ميتا وسق به أمة عطشى .

يقول أيضا: "وأما النيل فقد أمتدت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه، ولا يُعرف الآن بمصر قاطبة نهر سواه، ولا من يُرجى ويُخاف إلا إياه".

أصول النيل
وحيث نذكر كيف هو، فنقول والله أعلم: إن النيل ينصبُّ عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم الذكر. كل خمسة أنهار من شُعبة. ثم تتبخر تلك العشرة الأنهار في بحيرتين: كل خمسة أنهار تبخر بحيرة بذاتها. ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقولى، ويمتد إلى مدف هناك، ثم يصب في البحر الهندي. ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار. من كل بحيرة ثلاثة أنهار. ثم تجتمع تلك الستة الأنهار في بحيرة متشعبة.

ووصول آخر سلاطين
بنى عبد المؤمن
إلى مسع النيل
حدثني أقضى القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوى، أن الأمير أبا دبوس ابن أبي العلى أبي دبوس ووالده آخر سلاطين بر العدة من بنى عبد المؤمن حدثه أنه وصل إلى هذه البحيرة، في أيام هربه من بنى عبد الحق، ملوك بنى مرين القاطنين الآن.

وصف البحيرة التي
يخرج منها النيل
رجعنا إلى ذكر مجتمع تلك الأنهار الستة في تلك البحيرة وبعضهم يسميها: البطيحة. فنقول.

وفي تلك البطيحة تضريسة جبل: يُفَرَّق بها الماء نصفين.

دراعا النيل عد
منه
يخرج النصف الواحد من غربى البحيرة. وهذا النصف هو المعروف بنيل السودان. ويستقل نهرا يسمى بحر الدمام. يأخذ مُقَرَّبَا ما بين سمفرة وغانة، على جنوبى سمفرة وشمالي غانة. ثم ينعطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا إلى غانة، ثم تمر على أمدية برنسة، ويأخذ تحت جبل في جنوبها خارج عن خط الاستواء إلى رُقيلة.

ثم يتبحر في بحيرة هناك . وتستمر الفرقة الثانية مغرّبة إلى بلاد مالّى والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط، شماليّ مدينة قَلْبَتُو .

ويخرج النصف الآخر متشاملاّ أخذا على الشال إلى شرقى مدينة جِجِمى . ثم يتشعب منه هناك شُعبة تأخذ شرقا إلى مدينة سَحْرَتَه . ثم ترجع جنوبا . ثم تعطف شرقا بجنوب إلى مدينة سَحْرَتَه . ثم إلى مدينة مركة ، متبها في العود هناك إلى خط الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة علّم عليها في لوح الرسم سله . ويبحر بحيرة هناك .



مرور النيل
في بلاد السودان

ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشُعبة شرقى مدينة شيمى متشاملاّ أخذا على أطراف بلاد الحبش . ثم ينشامل على بلاد السودان إلى دُفلة ، حتى يرمى على الجنادل إلى أسوان إلى قوص ، منحدرًا يسقُ بلاد الصعيد سُقا ، حتى يقابل قرية تعرف بدَرَوَة ^(١) سَربام . وقد تعرف الآن بدروة الشريف : نسبة إلى الشريف ابن ثعلب ، النازي في الأمام الظاهرية الركبة بالصعيد ، لمقامه بها .

ويتشعب منه في غربيه شُعبة تسمى المنهى . تستقل نهرا يصل إلى القيوم . يقال إن يوسف (عليه السلام) أحتمره أيام تولّيه لأُمور ملك مصر . وهو يعرف إلى الآن ببحر يوسف . وهو نهر لا ينقطع جريانه في وقت من أوقات السنة ، بخلاف بنية ما يتشعب بالديار المصرية من خُلجان النيل . فيسقى اليوم عامة ، سقيا دائما لا ينقطع . ثم يُبحر فاضل مائه في بحيرة هناك .

مشاهدة للزمام
في بحر يوسف

ومن العجب - وهو مما رأيته بعينى - أنه ينقطع ماؤه من قُوّهتِه أو أنّ أنفطاع المياه من خُلجان الديار المصرية ، وينسدى دون قُوّهتِه ، ثم يكون له بلل دون المكان

(١) هي هذا الصط في معجم البلدان لياقوت وتسمى الآن دروط الشريف (أو بياه قل الزاء) . وهو تصحيف جرى على ألسنة العامة واستعاض .

المسدى، ثم يجرى جريا ضعيفا دون مكان البلل، ثم يستقل نهرا جاريا لا يتقطع
إلا بالسفن . ويتشعب منه أنهار، وتنقسم قسما تعم الفيوم لسقى قرأه ومزارعه
وبساتينه وعامة أماكنه .

ثم نعود إلى ذكر عمود السل المتد : فنقول .

عمود السل
في الصعيد

- ٥ إنه من درود سربام حيث ينشعب المنهى يستمر في بقية الصعيد، يشقه شقا
إلى مدينة القسوط (وهي التي يسميها الآن عامة أهل مصر بمصر) حتى يتعداها .
ثم يتفرق فرقين : تأخذ إحدهما على دمياط، والأخرى على رشيد . وعندهما انتهاء
اليل، ويصب في البحر الشامي .

٤٨

- ومن مديا هبوطه من أسوان مازا في الصعيد إلى أن نصب فرقته في البحر
الشامي، ينقسم منه البحار والأنهار، وينشعب منه الخللج والمساى . تجري في زيادته،
١٠ وتقطع في تقصه .

- وحدثني الشيخ الثبت سعيد الدكالي (وهو من أقام بمالي نحسا وثلاثين
سنة، مصطرا في بلادها، مجنعا بأهلها) قال : ” المستفيض ببلاد السودان أن
السل في أصله يحدر من جبال سود تبار على بعد كأن عليها الغمام . ثم يتفرق
نهرين . نصب أحدهما في البحر المحط إلى جهة بحر الظلمة الجوبي، والآخر يصل
١٥ إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي “ .

معرفة أقام
بالسودان ٣٥ سنة
وأحد المؤلفين
أصل النيل

قال الشيخ سعيد الدكالي . ” ولقد توغلت في أسفاري في الجيوب مع النيل .
فرايتُه متفرقا على سبعة أنهر، تدحل في صحراء مقطعة، ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة،

تدحل هذا الماء
في الأسفار لمعرفة
مع النيل

(١) وأسمها الآن مصر القديمة، ومصر العتيقة .

(٢) هو بحر البحر الذي سبق الكلام عليه في صفحة ٦٨ وحاشيتها .

وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا مجتمعاً . كلا الرؤيتين في بلاد السودان . ولم
أره لما اجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها ، إذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها .
قلت : والأقوال في أول تجرى النيل كثيرة . ذكر فيها المسعودي وغيره مالا فائدة فيه .
والشائع على ألسنة الناس أن أحدا ما وقف على أوله بالمشاهدة . وجعل كل واحد
منهم سببا لعدم الوقوف على خبقة أوله .

اختلاف الأقوال
في أصل النيل

فقال بعضهم : إنه انتهى أناس وصعدوا الجبل فأروا وراءهم بحرا عجاجا ، ماؤه
أسود كالليل ، يشفه نهر أبيص كالنهار ، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ،
ويتشعب على قبة هرمس المبنية هناك . وزعموا أنه هرمس المرامسة ، وهو المسمى
بالمثلث بالحكمة ^(١) . ويزعم بعضهم أنه إدريس عليه السلام . بلغ ذلك الموضع وبنى به
قبة . قالوا : وسمى بالمثلث ، لاجتماع الثلاثة له : السبوة ، والحكمة ، والمملك .

٤٩

وقال بعضهم : إن أناسا صعدوا الجبل ، وبقى كلما تقدم منهم واحد ، صحك
وصفق بيديه وألقى روحه إلى ما وراء الجبل . تخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك ،
فرجعوا .

وزعم بعضهم : أن أولئك إنما رأوا حجر الباهب . فبقى كل من رآه منهم ، صحك
وتقدم إليه وألتصق به ، حتى مات .

روايات عن بحث
ملوك مصر
الأقدمين عن
أصل النيل

وسبأني إن شاء الله ما ذكره صاحب الخرافا عن أرسطو في خاصبة هذا الحجر .
وقال بعضهم : إن ملكا من ملوك مصر الأول جهز أناسا للوقوف على أوله .

(١) في الأصل : أن .

(٢) Triomphiste

فاتَّهَوْا إلى جبال من نحاس، لما طلعت عليها الشمس وانعكست عليهم أشعتها،
أحرقَتْ غالبهم فرجع البقية .

وقال بعضهم : إنهم اتَّهَوْا إلى جبال بَرَّاقَة لماعة كالبلور . فلما انعكست عليهم
أشعة الشمس الواقعة عليها، أحرقتهم .

وقال بعضهم - وهو الصحيح - والله أعلم : إنه لتوَعَّل منبعه في الخراب المنقطع
من وراء خط الاستواء، نَعذر السلوك إليه : لبعْد المسافة وشِدَّة الحر .

فإن قال قائل : فما مع قدماء الملوك ، مع ولعهم بمعرفة أحوال البلاد وحقائق
ماهى عليه ، أن يجهزوا من يقف على حقيقة أوله ؟ قلنا له : وأى فائدة تفى بركوب
هذا المهلك في أرض لا ينبت بها نبات ولا يعيش حيوان^(١) ، ولا يعرف مقدار
ما يستعده له المسافر ، ولا ما يستطهر به الطهر^(٢) .

وإنما غالب ما يقال في هذا (والله أعلم) مما أظهره نظر العلم لانظر العيان .
والله من ورائهم محيط .

وإد فرعا من الكلام في الليل ، فلنذكر فيه الأنهار الشهيرة الواقعة في هذا الربع
الثاني . فنقول :

رأى المؤلف في أن
هذه الأقوال مبدية
على لطريات
"علية لاعلى"
المشاهدة



قبة شهر الربع
الثاني

- (١) مما يجب ذكره في هذا المقام أن سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان يشتهي أن يعرف
أخبار النيل . فسم شراة عسك صغار دروح وما شاكلهم . حلب لم يستعروا . وسلمهم لصيادى السمك
والبحارة ليعدهم صعة البحر وميد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير . فاذا مهروا في ذلك تصع
لم مراك صغار ليركوا فيها وياتوه بحجر النيل . (أطرو مطالع البدور في مازل السرور، ج ٢ ص ٧٤ و ٧٥)
[والظاهر أن هذا المشروع لم يتم طرا للاضطرابات التي كانت حاصلة في مصر في ذلك الوقت أولا بهجوم
الصليبيين وثانيا فافراض السلاطنة الأيوبية . وهذا المشروع قد تم بعسل اسماعيل خديو مصر الكبير في هذا
العهد الجديد .]

ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل المشبه برأس صااد بالخط المغربي [ص] .
 يأخذ أحدهما مشرقا ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاي ،
 شمالي كوكورة وجنوبي محالان جاي . ثم يخرج مشرقا إلى بحيرة أخرى يتجر بها
 غربي مدينة زافون . ثم يخرج متشاملا شمالا بغرب ، على غربي أرض الملح السواخة .
 ثم تتشعب منه شعبة تأخذ جنوبا إلى مدينة ^(١) أودغست ونستمر سائرة نهرا مادّا إلى
 مدينة فاس . فيصب في البحر الشامي .

وثانيهما ينصب آخذا إلى الشمال على مدينة القيروان إلى أن ينصب في البحر
 الشامي .

ومن ذلك نهر يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وسجلماسة ماّزا بين أسمي
 والمزمة حتى يصب في البحر الشامي ، شرق طنجه . ١٠

ومن ذلك أنهار ثلاثة تنصب من الجبل المشبه بفردة صولجان : تجرى من
 جنوب سجلماسة ، واحدا بعد واحد . ونصب ^(٢) الثلاثة مفرقة في البحر المحيط .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المشبه بتعيق لا معلقة بالخط المغربي [لا]
 وراء خط الأسنواء . يصب في المحيط . وقد تقدم ذكر بعض هذه الأنهار ، في ضمن
 ذكر الجبال . وذلك جميعه منقول من خط الرسم .

(١) كذا في ياقوت أودغست مصبوا بالعارة ، وكذا في تقويم البلدان إلا أنه نص على إهمال الدال .

روى الأصل اودعش ولعله تصحيف من الناح .

(٢) في الأصل . "وتصير" »

والربع الثالث

أهار الربع الثالث

من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربي الآخذ إلى الشمال، به مايد كر من الأنهار:

نهر إشبيلية
أو الوادي الكبير

من ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيلية، ينصب من الجبل الفاصل بينها وبين قُرطُبة، وينصب في البحر الشامي. وهو من أحسن الأنهار وأجلها، محموف بالبساتين والدور والقصور، ومصت فيه - أيام ملك المسلمين لها - أوقات مسرة وطُوبى. وحكى الفتح بن خاقان، قال: "ركب عبد الجليل بن وهبون، وأبو الحسن علام البكري من إشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشد سوادا من طرف الظني البافر؛ ومعهما علام وضئ قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه، على عصن بان من قوامه؛ وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزقنا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجُنين الماء. فقال عبد الجليل آرتجالا:

١٠

كأتما الشمعتان إذ سمتا * خذا علام محسن الفيد.
وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى إلى كبدى.
وقال غلام البكري^(٢١):

أحب بمنظر ليلة ليلاء * نجي بها اللذات فوق الماء.
في زورق يزهى بغرة اغيد * يختال مثل البانة الفيناء

١٥

(١) هذه السجعات بلهر أمها من صفة آس فصل الله . وإلا فالدى في "فلاند العقبان" (ص ٢٤٢ و ٢٤٣)

وفي "صح الطيب" (ج ١ ص ٣٥ : من طعة أوردية) بخالفها، وهما متحالفان أيضا في بعض الألفاظ .

(٢) هما سجعات أعملها مؤلفا .

(٣) في الصح : نجي .

قَرَنْتَ يَدَاهُ الشَّمْعَتَيْنِ بِوَجْهِهِ * كَالْبَدْرِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْجُوزَاءِ .
 وَالتَّاحَ فَوْقَ الْمَاءِ ضَوْءٌ مِنْهُمَا ^(١) * كَالْبَرْقِ يَخْفَقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ .
 قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا النَّهْرِ أَخَذْتُ إِشْبِيلِيَّةً ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(٢) " لَسَبُ إِشْبِيلِيَّةٍ عَقْرُبُهَا ،
 وَسَاوَرُهَا أَرْقَمُهَا " . يَرِيدُ بِالْعَقْرِ شَرْفَهَا الْمُطْلَ ^(٣) ، وَهُوَ عَقْرُبَى السُّكَلِ ، وَالْأَرْقَمُ
 نَهْرُهَا . قَالُوا : وَهُوَ مِنَ الْعَجَائِبِ .
 وَحَكِي أَبُو ظَافِرٍ ، قَالَ : ^(٤) " رَكِبَ [الْأُسْتَاذُ] ^(٥) أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ صَارَةَ [مَعَ أَصْحَابِ لَهُ] ^(٦)
 فِي نَهْرِ إِشْبِيلِيَّةٍ فِي عَتَمَتِهِ سَأَلَ أَصِيلَهَا عَلَى الْجَحِينِ الْمَاءِ عَقْبَانَا ، وَطَارَتْ زَوَارِقُهَا ^(٧)
 فِي سَمَاءِ اللّٰهُوَ عَقْبَانَا ، وَأَبْدَى نَسِيمَهَا مِنَ الْأَمْوَاجِ [وَالِدَارَاتِ سُرَرًا وَأَعْكَانَا ، ^(٨)
 فِي زُورْفٍ يَجُولُ جَوْلَانِ الطَّرْفِ ، وَيَسُودُ آسُودَادِ الطَّرْفِ] ^(٩) . فَقَالَ بَدِيْهًا :
 تَأْمَلْ حَالَنَا وَالْجُوزَ طُلُقُ * مَحْيَاهُ ، وَقَدْ طَقِلَ الْمَسَاءُ .
 وَقَدْ جَالَتْ بَنَاتُ عَذْرَاءِ حُبْلَى * تَجَادَبَ مِرْطَاهَا رِيحُ رُحَاءُ .
 بِنَهْرٍ كَالسَّجَنِجْلِ كَوَثْرَى * تُعْبَسُ وَجْهَهَا فِيهِ السَّمَاءُ .

(١) في القلائد وفي المعجم : تحت .

(٢) لسب : معنى لدع .

(٣) هو المعروف الآن عند أهل أسايا باسم Aljaride .

(٤) أوردها صاحب معجم الطيب عن البدائع رواية قرية حدّا من رواية آل فضل الله (ح ٢ ص ٢١٥)

(٥ و ٦) الزيادة من "بدائع البدائع" .

(٧) في البدائع : سأل أصلها . وهو غلط مطبعي . [ووردت بالصحيح في معجم الطيب] .

(٨) في آين فضل الله : جواربها [وقد استحسنّت رواية فح الطيب] .

(٩) في الفح : النهر . [وقد استحسنّت هنا رواية البدائع وأن فضل الله] .

(١٠) في البدائع : وطارت زوارقها في سماء الماء عقبانا . ورواية آل فضل الله أفضل .

(١١) الزيادة عن البدائع والمعجم .

ولما وقف عليها ابن خفاجة، أستحسنها وأستظرفها وأستطابها، فقال يعارضها،
على وزنها ورويتها وطريقها:

أَلَا يَا حَبِّذَا صَحَّحَكَ الْحَبِّبَا * بِحَاتِبَا، وَقَدْ عَبَسَ الْمَسَاءُ!

وَأَدَهْمُ مِنْ جِيَادِ الْمَاءِ نَهْدُ * تَنَازَعُ حَبْلُهُ رِيحُ رُخَاءُ!

إِذَا بَدَتْ الْكَوَاكِبُ فِيهِ غَرْقِي * رَأَيْتَ الْأَرْضَ تَجْذِبُهَا السَّمَاءُ.

ونهر مَرْقُسْطَة . وهو نهر جليل كبير منسج الجوانب .

نهر مرقسطة

وذكر ابن حَقَّانُ أَنَّ الْمُسْتَعِينَ بن هود ركب هذا النهر يوما لتفقد بعض معاقله ،

المنتظمة بجيد ساحله . وهو نهر غزر مائه وراى ، وَأَزْرَى عَلَى نِيلٍ مَصْرٍ وَدِجَلَةٍ

العراق . قد آكتنعت البساتين من جَانِبِهِ ، وَأَلْقَتْ طَلَاهَا عَلَيْهِ ، فَمَا تَكَادُ عَيْنُ الشَّمْسِ

تَنْظُرُ إِلَيْهِ . هذا على أَنَسَاعِ عَرَصِهِ ، وَبَعْدَ سَطْحِ مَائِهِ وَأَرْضِهِ . وقد تَوَسَّطَ زَوْرُ قُهُ

(١) في البدائع وآب فصل الله : الليل . [وقد استحسن رواية مع الطيب .]

(٢) في المعج : تحمدها .

(٣) يشير إلى قلاند العقيان (ص ١٨٥ و ١٨٦) . والحكاية سببا و مصبا في بدائع الدان (ص ٢١٤) .

وأفتر مع الطيب طبع بولاق (ح ١ ص ٤٢٥ ، ح ٢ ص ١٨١) . ولكن السمات التي في قلاند هي
محالصة الكاية التي أوردناها في فصل الله عن البدائع . والتي قلها أيضا صاحب مع الطيب . وأظهر مع
الطيب . طبع أوردة (ح ١ ص ٣٠٥ ، ج ٢ ص ٨١٨) .

(٤) في البدائع وفي المعج . رى . [وهي أدق] .

(٥) في المعج : وزرى .

(٦) في الأصل : على نهر نيل مصر .

(٧) في البدائع : ودجلة والعراق . [والواو الثانية رائدة بالفتح في أثناء الطبع] .

(٨) في البدائع : أن تظر . [ورواية آبر فصل الله أصل ، ومثلها في المعج] .

(٩) في البدائع : وبعد سطح الماء من أرضه . [وهذه الرواية أحسن وأمتن . وفي المعج : وبعد سطح
مائه من أرضه] .

زوارق حاشيته توسط البدر للاله ، وأحاطت به إحاطة الطعامة بالغزاله . وقد أعدوا
من مكاييد الصيد ما أستخرج ذخائر الماء ، وأخاف [حتى] حوت السماء . وأهلة
الهلالات طالعة من الموج في سحاب ، وقانصة من بنات الماء كل طائفة كالشهاب .
فلا ترى إلا صيودا كصيد الصوارم ، وقدود اللهازم ، ومعاصم الأبيكار النواعم . فقال
الوزير أبو الفضل بن حسداى ، والطرب قد أستهواه ، وبديع ذلك المرأى قد أسترق
هواه ، وأرتجل :

لله يوم أنيق واضح الفرر * مفضض مذهب الأصل والبكر !
كأنما الدهر لما ساء ، أعتبنا * فيه بعثي وأبدى صفح معتذر .
نسير في زورق حف السفين به * من جانبه بمظوم ومتشر .
مد الشراع به نشرأ على ملك * بذ الأوائل في أباتمه الآخر .
هو الإمام الهام المستعين حوى * علباء مؤمن في هذى مقتدر .
تحوى السفينة منه آية عجا * بحر تجمع حتى صار في نهر .
تثار من قعره النينات مضعدة ^(٤) * صيدا كما ظمر الغواص بالدرر .
وللندامى به عب ومبرشش ^(٥) * كالراح بعذب في ورد وفى صدر .
والشرب فى ود مولى خلقه زهر ^(٦) * يذكو ، وغرته أبهى من القمر .

(١) فى آين فصل الله وفى المعج : الموج .

(٢) فى المعج : كقصص .

(٣) فى الدائع . حدای . وهو غلط مطبوع .

(٤) فى معج الطيب شرح لطيف واف على هذا الجمع (ح ٢ ص ١٨١ ، ١٨٢) .

(٥) فى الأصل : كالريق ، وكذلك فى الفصح ، وفى القلائد . [وأعتمدت رواية البدائع] .

(٦) فى البدائع وفى آين فصل الله : وبهجته . [وأعتمدت رواية القلائد والمعج] .

بقية أهار الأندلس

ومن ذلك نهر ثان ينصب من ذلك الجبل أيضا . يتزل على مدينة البيرة ،
وينصب إلى المحيط .

٥١

ومن ذلك نهران يصبان من الجبل الفاصل بين طليطلة ووادي آش ، المبنى
بسفحه الجنوبي قبة الزهرة . يأخذ الأول منهما جنوبا إلى قرطبة ، وينصب في البحر
الرومي . ويأخذ الثاني شمالا بين بطليوس وقورة ، ويصب في البحر المحيط .

أهار أخرى

ومن ذلك نهر ينصب وراء خليج البنادقة ، من وصلة الأثم الخارجة من البحر
الشامي ، شرق رومية الكبرى . يأخذ من هذا النهر غربا بشمال على مدينة لبطيرة
شمالا فرنسية . ويصب في البحر المحيط .

ومن ذلك نهر يصب من الجبل المحيط ، حيث يسمى بجبل قاقونا أحذا شرق
مدينة سوسية إلى مدينة قسطنطينة العظمى . ويصب في البحر الرومي عندها .

ومن ذلك نهر يصب من الجبل المحيط المذكور ، شرق هذا المصب ، أحذا
على بلاد الصقل ، ماذا شرق بلاد الحركس والماسجار إلى أن يتهى إلى مدينة مرم
ويصب في بحر بطس^(١)

أهار آسيا

ومن ذلك نهر يصب من جبال همدان وخلاط من شمال ماردين ، أحذا
على شمال ملطه ، حتى يسق بن مدتي نهر وقرمي . ويصب في البحر الشامي .
ومن ذلك نهر جيحان . يخرج من بلاد الروم تحت حصن المنقب . يأخذ ما بين
عين ررما وكفرينا . ثم يمد إلى المصبية ويصب في البحر الشامي .

(١) في دقوت صطه بسم الطاء ، بالعبارة ووص على إهمال السين . وفي الأصل : نطش . وهو تعريف
من السباح شاع في كثير من كتب العرب . وقد سبق التنبيه على ذلك في حاشية صفحة ٥٧ . وسحرى على
التسمية المعتمدة في بقية الكتاب . لأن هذا الاسم مأخوذ عن اللغات الافرنجية وهو المعروف عندهم باسم
Pomus واسمه الحمراني عند المرسيين Pont-Ensein .

ومن ذلك نهر سَبْعَان . يخرج من شماليه ويمر على أذنة^(١) . ثم يصب في البحر الشامي .

ومن ذلك في نهاية الشمال عشرة أنهار : منها آشان بصبان من الجبل الائم المذكورة ، وثمانية تنصب من الجبلين المكتنفين شرقا وغربا لبحيرة جارس ، ينزل من كل واحد منهما أربعة أنهار . تنصب هذه العشرة الأنهار في هذه البحيرة المذكورة .

ومن ذلك أربعة أنهار تنصب من جبال الديلم : ينزل الأقل غربي أرجان ، ويليه الثاني ينزل من شرقيه ، ويليه الثالث ينزل من شرقي المسن ، ويليه الرابع ينزل من سابور . وتنصب الأربعة في البحر الهندي .

ومن ذلك نهر دجلة . يصب من حبال شهرزور وآمد . ويمتد بين آمد وميافارقين إلى الموصل . ثم يمتد الزابان : الزاب الأكبر والزاب الأصغر . وهما نهران كبيران . ثم يأخذ إلى تكريت غربي دمار بنى شينان (تاعمرى وعكبرا والدادان) إلى بغداد . ثم يتشعب ما بين بغداد والمدائن ، جنوبي بغداد وشمالي المدائن شعبه منه ، يأخذ منه شرقا محضا . هو المسمى بالهروان . ثم يمتد عمود دجلة مستقيما على الجنوب ، ثم يتشعب منه بين النعمانية وجبل جرجاريا جنوبي النعمانية ، وشرقي جبل جرجاريا شعبه أخرى ، يأخذ شرقا محضا ، تمر بين حلوان وبعقوبا . ثم يمتد عمود دجلة إلى واسط . فإذا عداها إلى سوادها ، لاقاه^(٢) الفرات هناك . ويجتمع الكل إليه نهر واحد ، يمتد إلى المتفتح . ويتشعب منه نهر معقل^(٣) ، وهو النهر المشهور . وينصب بعضه إلى بطائح البصرة .

(١) هي المدينة التي سميها الترك الآن : أطنة ، منعا للاختلاط في الكتابة بينها وبين أدره .

(٢) في الاصل : لاقته .

(٣) الذي يقال فيه : إذا جاء نهر الله ، ظل نهر معقل .

ويستدير باقيه بالمربد والأبلة شرقى البصرة . ثم يمتد عمود دجلة مستقيما على الجنوب .
ثم تتشعب منه شعبة أخرى صغيرة ، تسمى على جنب الأبلة فتشق أرضها عرضا ، وتلاقى
الشعبة المستديرة بها . ثم يمتد عمود دجلة آخذا جنوبا إلى عبادان . ويصب هناك
في البحر الهندي .

٥٢

نهر الفرات

ومن ذلك نهر الفرات . يصب من جبال الروم ويأخذ على ملطية ، إلى سُمَيْسَاط ،
إلى الرقة ، إلى قرقيسيا ، إلى الرحبة ، إلى الدالية ، إلى عانة ، إلى هيت ، إلى الأنبار . ثم
تتشعب منه أنهار : منها نهر عيسى ، ونهر صرصر ، ونهر الملك ، ونهر صور ، ونهر الصراة ،
وهو المشهور ، وإياه غنى الشاعر في شعره . بقوله :

أَوَمَا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مَلُوحَةً * مِمَّا أَرْقُقُ فِي الْفُرَاتِ دُمُوعِي ؟

ثم يمتد عمود الفرات ويمر ما بين القصور وبين الكوفة على بابل . ويستدير منه
شعبٌ بجانيقين ، وتكون هي جزيرة بوسطه . ويصب ذلك الشعب من تحت حانقين
في بطائح الكوفة . ثم يأخذ عمود الفرات فوق حانقين من حيث أستدار ذلك الشعب
عليها ما تلا على الجنوب مشرفا . ثم يتشعب منه شعبٌ آخر إلى بطائح البصرة . وينعطف
عمود الفرات آخذا شرقا بشمال على وراي قليل إلى سواد واسط . ويلقى هناك دجلة .
ويجتمع عمودها هناك نهرا واحدا ، حتى يصب غربى عبادان ، في البحر الهندي .

١٥

ومن ذلك نهر الساجور . يصب من جبال الروم آخذا شرقا حتى يُحاذي مَنبِج .

نهر الساجور

ثم يصب في الفرات . ويتشعب منه شعبٌ ، لولاها لم يُذكر الساجور . وهو نهر يسمى

قُوقِيق ، يمتد من مغاربه إلى أن ينزل حلب . ويسقي الأرض والمزارع . ويتناهى إلى

نهر قوقيق

شرقى قنسرين . ويجر هناك بحيرات لطيفة . وإنما ذكرناه لشهرة نهر قُوقِيق . ولهذا

علمناه بالأحمر .

ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي . يصب من وراء نهر بعلبك ، من منابع شتى في وطاء أرض . قلت من قرية تعرف باللوبة ومغارة الراهب . ثم يأخذ شمالا مازا حتى بقارب غربي حص . فيصب هناك في بحيرة متوسطة في الاتساع . ثم يخرج منها ويمر غربي حص إلى حماه إلى شيزر إلى أفامية . فيصب في بحيرة بها . ثم يخرج فيشق في جبال نعرف هناك الآن بجبال الغرب ، إلى ديركوش ، إلى بلد يعرف بالإقليم . ثم نزل العمفا إلى أنطاكية إلى السويدية . ويصب في البحر الشامي ، حيث ينعطف هناك . وقد سمنا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتد على الشام شرقي طرابلس المستجدة البناء ،^(١) حيث يسمى الجبل هناك بلبنان . يجري من قرية تعرف الآن برسعين ، فيدخل تحت قاطر معفودة جدها الأبرنس حين علبت المرنج على طرابلس ، فعرفت به . فيشق المدينة المستجدة^(٢) ويصب في البحر الشامي .

ومن ذلك نهر بردا^(٣) . ويخرج من عين في صحراء الزبداني بين بعلبك وبين دمشق . ثم يمتد نهر يخرج من الجبل الممتد على الشام من مكان يعرف الآن بالصيحة^(٤) تحت حصن عزنا ويمتد إلى دمشق . وينقسم قبلها وبعدها أنهارا ، يعم دورها وبساتينها ، ويسقى بعض قراها ومزارعها ، ثم يحرف فاضل مائه شمالي القوطة في بحيرة هناك .

(١) إشارة إلى ماعله السلطان قلاوون حين أحلها من الفرنج فانه هدمها . ثم بنى المدينة الجديدة الباقية إلى الآن بعيدة عن مكان الأولى التي كانت واقعة على البحر مباشرة .

(٢) La Prince .

(٣) المشهور كتابه بالياء : ردى . وهو نهر دمشق المشهور

(٤) وهذا الاسم ماى إلى الآن . ويعرف المكان في عصرنا بين الصيحة . وقد جرت منه الماء في أيام

إلى مدينة دمشق

ومن ذلك نهر الأردن^(١).

ولا يسمى بهذا الاسم إلا حيث خرج من بحيرة طبرية. ويسمى الآن الشريعة. ويشق وادي كنعان شقاً في الطول حتى ينتهي إلى بحيرة زُغَر (وهي سدُوم، دار قوم لوط، وتعرف الآن بالمتنتنة)، والوادي بالغور. وله في كل مكان اسمٌ بحسب ما يضاف إليه من مشاهير القرى التي فيه.

وأصل هذا النهر من مرج عيون والهرماس. وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضي والملاحه، وهي عين بعيدة العمق جداً، ونهر نانياس.

وتسمى هذه الأمواه كلها: الشريعة الشمالية. وترى تحت جسر يعقوب وتجتمع في بحيرة طبرية. ثم تمتد فتلاقى هي والشريعة القبيلة بفرية تعرف بالبقرية، ويأتيان جسر الصنيرة إلى الجسر العادلي، وهو تحت عقبه فيق، فرب الدير الأسود، ثم تأتي جسر شامه المقارب لقرية المجامع، وتمتد فيلانيها نهر الزرقاء، دون دامة، ثم تمتد فترى في البحيرة المننتنة.

وسد كر أصل الشريعة الشمالية. وهو من دير الهريير والجولان واليرموك ووادي الأشعري والفوار والمدان، مع ما ينضاف إلى ذلك من ينابيع. ويتحصل من البلاد المرتفعة. ويجتمع تحت حمة جَدَن. وهي تحت فيق، وعليها قبوٌ معقود ببناء خشن طويل. وبه أحواض. يقال إن كل حوض لعله من العلل يريتها، بإذن الله، إذا استحم منه العليل بها. قالوا: ولم تزل على هذا حتى أتى بعض قدماء الحكماء فهدم القبو والأحواض وجمع الماء كله إلى مجرى واحد، إلا فرعين تركهما: أحدهما لمن به ريح، والثاني لمن به جرب، والماء الغمر لسائر الأسقام. وماء هذه الحمة عذب، وآثار الأبنية باقية.

(١) في الأصل باص مقدار خمسة سطور. وضع المؤلف بدلها تخریجاً مضافة على صحائف الكتاب

وهي عبارة عن الكلام التالي.



الربع الرابع

من هذه الارباع المقسومة، وهو الشرقي الآخذ إلى الشمال، وبه ما يذكر من الأنهار: أسفار الربع الرابع

فمن ذلك نهران يصبان من الجبل المشبه بصليب ذهب أحد شعبه.

ينصب أحدهما من جنوبي هذا الجبل واقعا شرقي مدينة طغان الواقعة في شمال

هذا الجبل بغرب. يمر بين طغان وتركستان مغربا، حتى يصب في بحيرة خلّاط.

والنهر الثاني منهما ينصب من شرقي هذا النهر الأول وعلى سمته . يمتد بنهر، ثم

يتشعب على شعبتين : الشعبة الجنوبية منهما تأخذ شمالي مدينة طغورا مشرقا

على قصر الدّهال المقارب لبلاد كند، ثم ينعطف آخذا إلى الجنوب يسوق بلاد

الهند حتى يصب في البحر الهندي، شرقي كوام. والشعبة الثانية منهما تأتي جنوبي

الأرض المحفورة، على ما قيل، حتى نصب في البحيرة البلاءة.

ومن ذلك نهر أنيسل^(١) . وهو المركب عليه مدينة السراي . ومحوجه من عين تنبع

في ذيل جبل قاقونا، ثم يقتبل الجنوب آخذا بغرب في صحاري القبجاق على شمالي

معادن الفضة، حتى يصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهران ببلاد الخطا، نازلان من الجبل الغربي من جبال المحيط بها.

أخذ الشمالي منهما مشرقا ويبحر جنوبي خان بالق. ثم يمتد مشرقا بجنوب حتى

يتهي إلى المسلق والآخريتهى إلى باش بالق . ويتهى عندها.

(١) أنظر حاشية ١ ص ٥٩ .

(٢) سبق ورود هذا الاسم : المائق ، غير وصل

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الواقع فيه باب الصين . يتزل على قراقوم
ويأخذ مشرقا على بلاد الهياطلة حتى يصب في بحيرة السودان هناك .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتد من وراء العوج . يتزل من شرقيه
على مدينة قلندر . ويحرق في بحيرة هناك .

٥٦

ومن ذلك نهر يسمى نهر الطيب . يخرج من قشمر السفلى .

نهر الطيب

ومن ذلك نهر يتزل من الجبل ، شمالي السد حتى يصب في بلاد عبدة الشياطين ،
في بحيرة هناك ، تسمى بحيرة الشياطين .

ومن ذلك نهر جيحون . ينزل من جبل قاقونا . وتمتد أنهار من جبال تمتد فيمتد
حتى يخرج من هذا الريح إلى الريح الغربي القسم له . فبصب في بحر طبرستان .

نهر جيحون

ومن ذلك نهر سيحون . الآخذ على بلاد فرغانة ويمتد نهر الشاش ويخرج إلى
حائط عبد الله بن حميد حتى يصب في بحر طبرستان .

نهر سيحون

ومن ذلك نهر السغد . ينصب من جبال البثم ، وينتهي إلى بخارا ، ويحرق في بحيرة
هناك .

نهر السغد

ومن ذلك نهر مكران . يصب من جبل الديلم فيمتد آخذا على مدينة الحمديّة .
على كرمان إلى بلاد السند .

نهر مكران

١٥

ومن ذلك نهر عماس . في بلاد الترك .

نهر عماس

(١) Les Huns .

(٢) أنستان .

ومن ذلك الأنهار العشرة . الآخذة منها خمسة تجري من شعبة منقطعة من الجبل المحيط متصلة بالبحر المحيط، وتمتد أنهار من جبال النوشادر الواقعة شرقي الصين حتى يصب في نهر حمدان، ثم يمتد الجميع نهرا واحدا حتى يصب في المحيط .

ومن ذلك نهر حمدان الأعظم . وهو ينزل من جبال أرويه ومانوس على مدينة اطراغا، ويحتر هناك . ثم يمتد مشرقا إلى مدينة لوقر، وينعطف في الصين حتى تلاقيه هناك الأنهار العشرة، أعني المتقدمة الذكر، دون خط الاستواء في أوائل الإقليم الأول . يقال إنه يصب به نهر كل المنصب من الصين الداخل . ويمتد الجميع نهرا واحدا موعلا في القرعة الداخلة في الصين من البحر المحيط والبحر الهندي، إلى وراء خط الاستواء . ثم يصب هناك في البحر المحيط .

ومن ذلك نهران : أحدهما نهر الكر^(١) والآخر نهر الرّس . يصبان من جبل الديلم يسمى جبل قابولا . ويحییء الكر على تفليس . ويلقى الرّس نهر يتزل من سبلان بين ترزند ووزان، ثم يصب الكر جنوبی شروان . ويصب الرس غربيّه . كلاهما يصبان في بحيرة طبرستان .

ومن ذلك نهر يسمى الآن قراصو . وهو اسم باللغة التركية أي الماء الأسود يأتي من شروان وشماتخي ويسكب في بحر طبرستان .

ومن ذلك نهر آخر يسمى أرس . يأتي على شرقي المكان المسمى الآن صحراء بيلسوان . ويصب في بحر طبرستان .

(١) في الأصل : أحدهما على نهر .

(٢) في الأصل : فراقوا [وهو تحريف ظاهر] .

ومن ذلك - على ما قيل - نهران ينزلان من الجبل المحيط ويستقيان بلاد يأجوج ومأجوج. ينزل أحدهما جنوبى السد، والآخر من شماليه. وهكذا صوره صاحب جغرافيا فى لوح الرسم.

فهذه هى جميع الأنهار المشتهرة فى جميع المعمورة وما قاربها . ولم تُنخل منها إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يصوره فى لوح الرسم . وإن كان ، فهو القليل . وفيما ذكرناه كفاية .

البحيرات المشهورة

ثم نحن نذكر ما في معمورة الأرض من البحيرات المشهورة . ونحن قسمها على نصفين : نصفاً شرقياً ونصفاً غربياً .

فالنصف الأول هو الشرق فيه ما يذكر من البحيرات :

٥ من ذلك بحيرة كيما . بحيرة القمر الخارجة عن خط الاستواء . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة اطراغا بالصين . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة سرنك بالهند . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة السوكران ببلاد الهياطلة ، شرقى قراقوم بشمال . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة بخارا . وهي عذبة .

١٠ ومن ذلك بحيرة خوارزم . وهي ملح .

(٥٨)

ومن ذلك بحيرة تهامة . يصب بها نهر اتكش في بلاد الترك .

ومن ذلك بحيرة زرّه ببلاد سجستان . وهي ملح .

ودلك على ما نقل في لوح الرسم .

والنصف الثاني وهو الغربى ، به من البحيرات ما يذكر . :

١٥ من ذلك بحيرات النيل الثلاثة .

اعلاها بحيرتان ، حيث تنصب في أوله ، ثم البحيرة الكبرى التي دونهما ونسبها
البحيرتان اللتان
بحرهما النيل
اللطيفة .

ثم بحيرة الفيوم ^(١) ذكرناها هنا لأنها من النيل من الفرع الآخذ من نيل السودان خلف بلاد عانة. وهي عذبة. بحيرة الفيوم وهي غير التي في أرض مصر

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضا. وهي عذبة. ولم ينبه على أن هاتين البحيرتين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لتعليم أن أرضهما لم تغير ماءهما ولا أفسدت طعمهما.

ومن ذلك بحيرة زاقون. يحرق بها النهر المصب من الجبل المشبه بتعيقه ^(٢) لا بالخط المغربي.

ومن ذلك بحيرة بين قصر عيسى وبين كوكورة وببحيرة بين كوكورة ومجالات جاي. ومن ذلك بحيرتان عند نزرث من بلاد إفريقية: إحداهما ملح، والأخرى عذبة. تجري العذبة في الشتاء ستة أشهر، وتسكب في البحيرة الملح فلا يعدب ماؤها ثم تسقط. وتجرى البحيرة الملح ستة أشهر أخرى تمام السنة، وتسكب في العذبة فلا تملح. وبها أنواع من الحلتان يخرج كل شهر من الشهور العربية نوع منها. فإذا فرغ الشهر، ذهب ذلك وجاء غيره، ثم لا يوجد من نوع الحوت الذي كان في الشهر الماضي شيء ألبنه إلى مدة ذلك الشهر من السنة الآتية. وحكى لي ذلك المغاربة. فسبحان من بيده الأمر كله!

ومن ذلك بحيرتان بأقصى المغرب: إحداهما على مقربة من قصر ابن عبد الكريم في عانة الأنساع. بوسطها حريرة دورها مقدار ثمانية عشر ميلا وتسمى بأبي

(١) يشير إلى بحيرة في نيل السودان المعروف الآن بنهر البحر. ويكون الفيوم حينئذ اسمًا لموضع غير المشهور بديار مصر.

(٢) في الأصل ها. نغريقة لام. وقد أحرقت الاصطلاح الذي ذكره المؤلف فيما سبق.

سُلهام . تمتد أودية تنحدر من جبال غمارة . وفي تلك الجزيرة يأوي عرب ذلك
الموضع بذخائرهم ويرغي بهائمهم .

والأخرى بأزغان شمالي مكاسة . تمتد أنهار تنحدر من جبال أزرو جنوبي
مكاسة . وليس لمباهما منفذ .

ومن ذلك بحيرة ابزو . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة الإسكندرية . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة تنس^(١) . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة جارش . بالشمال وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة طبرية . وهي عذبة .

بحيرة طبرية
وحماماتها

(وبها الحمة المعروفة بحمام طبرية . وللناس فيها أكاديب . وهي صورة تور مثل سور الكلس تكون سعته نحو
عشرة أذرع تقريبا . يجرح منه ماء يدير جري رشي . مهما وضع فيه أحرق لإفراط حرارته . قد أستخرج منه
-دول في عرص الحسل يمتد- وألف دراع تقريبا ، لتقلُّ سُد المدي حرارة . ثم يأتي بتين مسقوفين
- وسقوفهما بالخمر - أحدهما لاستحمام الرجال والآخر لاستحمام النساء والحمة مأوى ملح مكرت) .

ومن ذلك بحيرة زُغر . وهي المخسوف بها ، وهي الممتنة .

بحيرات أخرى

ومن ذلك بحيرة دمشق . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة حمص . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة أقامية . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة أنطاكية . وهي عذبة ، وتعرف ببخيرة يغرا ، وهي موسطة المنذار .

ومن ذلك بطائح العراق : أثنتان بالبصرة ، وواحدة بالكوفة . الجملة ثلاث بحيرات عذبة .

(١) لعله يريد : تيس ، التي كانت بها المدينة المشهورة بالقرب من ديباط .

ومن ذلك بحيرة خِلَاطَ . وهى ملح .

ومن ذلك بحيرة أيودان . وهى ملح .

وذلك منقول من لوح الرسم ، أو محقق بالسؤال ، وإن حصل فى بعضه إخلال .
وفى أتينا به غنى عما سواه . وبعض الشئ فى هذا الباب أستدراك ، إذ المراد بذلك
ما يستدل على الأرض بأعلامها الظاهرة . وفى الدليل الواحد كفاية .

وإذ آتينا إلى هنا نذكر رمل الهير . لأنه مما هو ممتد فى الأرض . فكان من
أعلامها المشهورة المشهودة فى الآفاق .

رمل الهير

قال صاحب كتاب "معرفة أشكال الأرض" : "وأما الرمل الهير ، فطوله من وراء

جبل طي إلى أن يتصل مشرقا بالبحر . ويمضى من وراء جبل طي إلى أرض



مصر ، ثم إلى بلد الوبية . ويمتد إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر . ومنه عرى

يصر من القادسية إلى البحرين . فيعبر البحرين ، فيمتد على مشارق خوزستان

وفارس إلى أن يرد إلى سجستان . ويمتد مشرقا إلى مرو آخذا على جيحون فى برية

خوارزم . ويأخذ فى بلاد الخرنج^(١) إلى بلد الصين والبحر المحيط فى جهة المشرق .

وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق إلى المحيط بالمغرب . وفيه منه جبال

عظام لا تتوغل ولا ترتقى . وبعضه فى أرض سهلة ينتقل من مكان إلى مكان . ومنه

أصم^(٢) اللس ، وأحمر قاني ، وأزرق سماوى ، وأسود حالك ، وأكل مشبع كالنيل ،

وابيض كالثلج . وبعضه يحكى الغبار نومة ، وبعضه خشن جريش اللس .

ونحن نين كل شئ بحسب ما يمكننا من الطاقة والاجتهاد . وفوق كل ذى علم عليم !

(١) سنة الخرنج صف من الترك وقد تصحف هذا الاسم إلى الخرنجية والخرنجية وغير ذلك والصواب ما هنا .

(٢) أى نبات النيل المعروف فى مصر بأسم البيلة [Indigo] .

الآثار البينة في أقطار الأرض

ثم إنا نحن نعقب ذلك بذكر جمل من الآثار البينة في أقطار الأرض ماجرت مجرى الأعلام، وقامت في الاستدلال مقام ماقدما ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات. وسند كرها مبيّنة. وبالله التوفيق^(١)!

الآثار المعطاة
المساجد الثلاثة

٥ فنبدأ بذكر المساجد الثلاثة : المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى.

وهي التي تُشد إليها الرحال، وتُجد إليها الركائبُ الترحال، تسري إليها سري السحاب في المحال، وتسمو والكواكب غرقى سمو حباب الماء حالا على حال.

١٠ روى أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام^(٢)، ومسجدى، ومسجد بيت المقدس. رواه الإمام أحمد.

ويتبع كل مسجد منها بما تعلق بذيل أستاره، وتألّق بإشراق بوره وإسفاره، مما صمّه نطاق سوره، وأقبص عليه رثة سوره، إلى غير ذلك من آثار، ومواطن تُحدّ الدموع فيها النثار.

١٥ وأول ما نبدأ به :

(١) ترك المؤلف هنا بيانا قدره نعمة سطور.

(٢) هكذا في الأصل على الإضافة لأعلى الوصفية. كما هي العادة وبها هو الأشهر.

ذكر الكعبة

البيت الحرام
ودعا لله ومد لولائه

البيت الحرام. أول بيت وُضع للناس، وُضع على قديم الأساس. بُنى مثالا للبيت المعمور، ودُعِيَ إليه كل مأمور. وأذن إبراهيم (صلوات الله عليه) إليه بالحج، ودعا إليه الناس فاتوه من كل فج. حُجَّته الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهده ما تقدم. ويقال إنه لم يبق نبي حتى حجَّه. وبعد عدة أنبياء دُفِئوا في الحجر منه. ولم تزل شعائره مكرمة، ومشاعره محزومة. عُظِّم في الجاهلية والإسلام، وحُرِّم من حيث بُنِيَت الأعلام. ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. وهو البيت المحجوج المحجوب، والمفصود بالزماره قصدة الوجوب. وبه الحجر الأسود الذي هو يمين الله في أرضه، والشاهد لمن حجَّ وقتله بأداء فرضه. سماء الدماء. وحرم نحره الدماء. فامن به الحام ساكا، ومن دخله كان آمنا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

وعن أبي ذر الغفاري. قال: قلتُ يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. رواه البخاري. وأبو عروبة وزاد: وأينا أدركك الصلاة فهو مسجد.

قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: تأويله "إن أول بيت وضع للناس يُعبد الله فيه مباركاً وهدى للعالمين للذي ببكة". قالوا: وليس هو أول بيت وضع في الأرض، لأنه

قد كان قبله بيوت كثيرة. ثم أسند هذا القول عن علي بن أبي طالب والحسن ومطير وسعيد (وأظنه ابن جبير) ثم قال : وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس .
وآختلف هؤلاء في صفة وضعه أول . فقال بعضهم : خلفه قبل الأرض ، ثم دُحيت الأرض من تحته . وأُسند هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال : خلق الله البيت قبل الأرض بالقياس ، وكان عرشه على الماء على زبداء بيضاء ، فدُحيت الأرض من تحته . ومحوه عن مجاهد وقتادة والسدي . وقال آخرون : موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض . وأُسند عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم . وحين أُهبط قال الله : أُهبط معك بيتي يطاف به كما يطاف حول عرشي . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين . حتى إذا كان زمن الطوفان ، رفعه الله وطهره من أن يصيبه عموه أهل الأرض . فصار معمورا في السماء . ثم إن إبراهيم تتبع منه أثرا بعد ذلك ، فبأه على أساس قديم كان قبله . وقوله تعالى ﴿ لِلَّذِي بَيْنَكَ ﴾ يعني للبيت الذي بينك . قال الرغشري : وهو علم للبلد الحرام . ومكة وبكة لغتان . وقيل : مكة البلد ، وبكة موضع المسجد . وقيل : بكة موضع البيت ، ومكة ماحوله . وقيل : بكة البيت والمسجد ، ومكة الحرم كله .

وقال عطاء بن أبي رباح : ووجه آدم إلى بكة حين استوحش . فشكى ذلك إلى الله (عز وجل) في دعائه . فلما انتهى إلى مكة ، أنزل الله تعالى بالقوة من يا قوب الجنة . فكانت على موضع البيت الآن . فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان ، فرفعت تلك الساقطة . حتى نعت الله عز وجل إبراهيم فبأه . فذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ رواه أبو عروبة .

وروى أبو الوليد الأزرق بسنده عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

قال : إن الله (تبارك وتعالى) بعث ملائكة ، فقال أبسوا لي بناءً في الأرض تمشال البيت وقدره . وأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا به ، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور . قال : وكان هذا قبل خلق آدم ، عليه السلام . والله أعلم !

وقيل إن آدم أول من بناها . وقيل شيث بن آدم . وكانت قبل بنائه خيمة من ماقوّة حمراء ، يطوف بها آدم .

وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن قواعد البيت من حراء ، وذكر لنا أن البيت من خمسة أجبل : حراء ولُنان والجُودي وطور سينا وطور زَيْتَا .

وقال ابن جرّح : بُني أساس البيت من خمسة أجبل . (فذكر مثله) .

وحكى السهيلي : أن الملائكة كانت تأتي إبراهيم عليه السلام بالحجارة . وقيل رُفعت لُكمه في الطوفان وأودع الحجر الأسود أمانيس . وبقى موضعها ربوة ، حجبها هود وصالح . فقال إن يعرب قال لهود : ألا نبنيه ؟ قال إنما بينه نبي يتخذ الله خليلاً . ولما بناه إبراهيم دلّته عليه السكينة . وكانت تنزل عليه كالحفّة .

وقال الأزرقى : لما بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة ، جعل طولَ بنائها في السماء بنسعه أذرع ، وطولها في الأرض ثلاثين ذراعاً ، وعرضها في الأرض اثنين وعشرين ذراعاً . وكانت غير مسقوفة . ثم بنتها قريش في الجاهلية . فزادت في طولها في السماء تسعة أذرع . فصار ارتفاعها في الهواء ثمانية عشر ذراعاً . ونقصوا من طولها في الأرض ستة أذرع وشبرا ، تركوها في الحجر .

ولم تزل كذلك حتى كان زمن عبد الله بن الزبير . فهدمها وبنّاها على قواعد إبراهيم ، وزاد ارتفاعها في الهواء تسعة أذرع ، فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً .

هدمها وتحديدها
يامن الزبير

١٤
سأء الحاج لها

ثم بناها المجتاج بن يوسف الثقفى ، فلم يغير ارتفاعها . ونقص الحجر وأعاده كما كان
في الجاهلية .

تواريخ سائها

وأعلم أن الكعبة بُنيت في الدهر خمس مرات :

على يد الملائكة

إحداهن ، بناء الملائكة أو آدم أو شيث ، على ما تقدم .

على يد إبراهيم

الثانية بناء إبراهيم .

على يد قريش

الثالثة بناء قريش . والسبب في ذلك أن الكعبة استهدمت ، فكانت فوق
القامة . فأرادوا تعليتها . وكان بابها لاصفا بالأرض في عهد إبراهيم وعهد جُرم
إلى أن بنتها قريش . فقال أبو حديصة بن المغيرة : يا قوم ! أرفعوا باب الكعبة ،
حتى لا يدخلها أحد إلا بسُلم ! فإنه لا يدخلها جبنثذ إلا من أردتم . فإن جاء أحد
من تكرهونه رميته به فسقط وصار نكالا لمن يراه . فرفعت بابها ، وجعلت لها
سقفا ، ولم يكن لها سقف . وزادت ارتفاعها ، كما تقدم . وكان عمر النبي
(صلى الله عليه وسلم) إذ ذاك خمسا وعشرين سنة ، وقيل خمسا وثلاثين . فحضر البناء
وكان ينقل الحجارة معهم ، كما ثبت في الصحيح . وتنافست قريش فيمن يصنع الحجر
الأسود موضعه من الركن . ثم رضوا بأن يضعه النبي ، صلى الله عليه وسلم .

على يد آب الزبير

الرابعة بناء عبد الله بن الزبير . والسبب في ذلك ، على ما ذكر السهيلي ، أن امرأة أرادت
أن تُجبر الكعبة ، فطارت شررة من الحجارة في أستارها . فأحترقت . وقيل طارت شررة
من أبي قبيس ، فوقعت في أستار الكعبة ، فأحترقت . فشاوَر ابن الزبير من حضره
في هدمها . فهابوا ذلك ، وقالوا : نرى أن نُصلح ما وهى منها ولا نُهدم . فقال : لو أن

١٥

بيت أحدكم آحترق لم يرض له إلا بكل إصلاح، ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها.
فهدمها حتى أفتنى إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر. فحزكوا حجرا منها.
فأروا تحتها نارا وهوّلا أفرعهم. فبنوا على القواعد.

وفى الخبر أنه سترها وقت حفر القواعد، فطاف الناس بتلك الستارة. ولم تخل من
طائف. حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير، أشنت الحرب وشغل الناس حينئذ، فلم
يرطائف يطوف بها إلا جمل. وتم بناءها وألصق بابها بالأرض. وعمل لها خلقا أي بابا
من ورائها وأدخل الحجر فيها. وذلك لأن خاله عائشة (رضي الله عنها) حدثته أن
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة حين بنوا
الكعبة، فأقتصروا على قواعد إبراهيم. ثم قال: لولا حدثان قومك بالجاهلية، لهدمتها
وجعلت لها خلقا وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر. فقال ابن الزبير:
فليس بما عجز عن النفقة. فبهاها على مقتضى حديث عائشة.

وحكى أبو الوليد الأزرق أنه لما عزم على هدمها، نرح أهل مكة إلى منى.
فأقاموا بها ثلاثا. خوفا أن ينزل عليهم عذاب لهدمها. فأمر ابن الزبير بهدمها. فما
احترا على ذلك أحد. فعلاها بنفسه وأخذ المول وجعل يهدمها ويرمى أحجارها.
فلما رأوا أنه لا يصيبه شيء، سعدوا وهدموا. فلما تم بناؤها، خلقها من داخلها
وحارجها، من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القباطي. وقال: من كانت لى عليه
طاعة، فليخرج فليعتمر من التنعيم، ومن قدر أن ينحر بدنة فليعمل، ومن لم يقدر
فليذبح شاه، ومن لم يقدر عليها فليصدق بوسعه. وخرج ابن الزبير ماشيا، وخرج
الناس مشاة. فأعتمروا من التنعيم، شكرا لله تعالى. فلم يريوم أكثر عتيقا وبدنة.
محمورة وشاة مذبوحة وصدقة من ذلك اليوم. ونحر ابن الزبير مائة بدنة.

قال السهيلي: ولما قام عبد الملك بن مروان في الخلافة، قال: لسا من تخليط أبي خبيب بشئ (يعني عبد الله بن الزبير)، فهدمها وأعادها على ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا في ارتفاعها. ثم جاءه الحارث بن أبي ربيعة المخزومي ومعه رجل آخر، فحدثاه عن عائشة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالحديث المتقدم، فندم وجعل يكت بمخصرة في يده الأرض، ويقول: "وَدَدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ أَبَا خَبِيبٍ، وَمَا تَعْمَلُ مِنْ ذَلِكَ".



وتولى البناء - في زمن عبد الملك بن مروان - المجاج بن يوسف الثقفي. وهو البناء الخامس الموجود الآن.

والذي هدمه المجاج هو الزيادة وحدها. وأعاد الركين، وسد الباب الذي فتحه ابن الزبير. وسدّه بين إلى الآن. وحمل في المحر من البيت دون سعة أذرع. وعلامة ذلك في داخل المحر لوحان من مرمر متقوشان متقابلان في الجانبين. وصار عرض وجهها، وهو الذي فيه الباب، أربعة وعشرين ذراعا. وقبل إن الكعبة بنيت مرتين أخريين، غير المحس.

سأء العاقلة

إحداها بناء العاقلة بعد إبراهيم،

سأء حرم

والثانية بناء حُرَّم بعد العاقلة.

ترميم الكعبة

قال السهيلي: إنما كان ذلك إصلاحا لما وهى منه. لأن السيل كان قد صدع حائطه. وكانت الكعبة بعد إبراهيم (عليه السلام) مع العاقلة وحُرَّم إلى أن أنقضوا. وخلفتهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم: لكثرتهم بعد القلة، وعزهم بعد الذلة. وكان أول من جدد بناءها، بعد إبراهيم، قُصَيُّ بن كلاب. وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل.

وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري - مرفوعا - أن أول من جدد الكعبة بعد
كلاب بن مرة، فضي.

وحكى السهيلي أن أول من اتخذ للكعبة علقاً تبع، ثم ضرب لها عبد المطلب بابا
من حديد، وهي الأسياف القلعية التي كانت مع الغزاليين الذهب. وهو ما استخرجه
عبد المطلب من بئر زمزم، لما احترقها بعد ما طمها الحارث بن مضاء، لما أخرج
الله جرمهم من مكة بسبب إحدائهم في الحرم واستحفاهم بالحرم وبني بعضهم على
بعض، فتغور ماء زمزم. وعمد الحارث إلى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان
من ذهب وأسياف قلعية، كان ساسان أهداها إلى الكعبة، وقيل سابور، وجاء
نحت الليل ودفن ذلك في زمزم، وعفى عليها، ولم تزل دارسة حتى حفرها
عبد المطلب وأستخرج ذلك كما هو مذكور في موضعه.

واتخذ عبد المطلب من الغزاليين المدكورين حليته للكعبة، فهو أول ذهب
حلبت به الكعبة.

فلما جاء الإسلام وآلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، بعث إلى واليه على
مكة خالد بن عبد الله القسري بسنة وثلاثين ألف دينار، فصر منها على باب
الكعبة صفائح الذهب، وعلى الميزاب، وعلى الأساطيم التي في جوفها، وعلى الأركان.
وهو أول من ذهب البيت في الإسلام.

ودكر السهيلي أن الذي عمله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بن داود (عليهما
السلام) من ذهب وفضة، حمل إليه من طليطلة، من جزيرة الأندلس، وكانت لها
أطواق من زبرجد وياقوت، وكانت قد أحتملت على بغلي قوي، فتفسخ تحتها.

أخلاق الكعبة
وتحليتها بالذهب
في الحداية

تحلية الكعبة
بالذهب في الإسلام



ثم لما آلت الخلافة إلى الأمين، رُفِعَ إليه أن الذهب الذي عمله الوليد قد رُقِيَ .
فأرسل إلى عامله على ضواحي مكة، سالم بن الجراح، بثمانية عشر ألف دينار
ليضربها صفائح على باب الكعبة . فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزيد عليها
ثمانية عشر ألف دينار . وضرب الصفائح والمسامير وحلقتي الباب والعتة . فالذي
كان عليه من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال .

تحديد باب الكعبة
في زمن الناصر محمد
بن قلاوون

فلت : ثم جُدد الباب الشريف في الأيام الزاهرة الملكية الناصرية سقى الله
عهدها . عُمل بمصر مُصَفَّحًا بالقضه . وأنا كتبت نسخة ما كُتِبَ عليه . وجُهِزَ به
رَشُّ بَغَا الناصري .

رحيم الكعبة
في أيام الوليد

فال الأزرقي : وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأبيض والأخضر والأحمر
في جوفها . فوزر به جُدرانها ، وفرشها بالرخام . بجميع ما في الكعبة من الرخام هو من
عمل الوليد . وهو أول من فرشها بالرخام وأزر به جدرانها .

رحيم المشرك
يوسف بن رسول

فلت : تم ملع غالب ذلك . وغالب ترخمها وما فيها الآن من آثار المظفر
يوسف بن عمر بن رسول ، صاحب اليمن . وأسمه في الرخام داخل الكعبة . حيث
بُصِّلَ المصلى ، بين العمودين نُجَاهَ وجهه في الجدار المتصل بالركن اليماني .

وأختلف أهل السَّير في أول من كسا الكعبة الديباج .

كسوة الكعبة
الحاطية والإسلام

١٨

فقال ابن إسحق : هو الحاج بن يوسف . وقال ابن بكَّار : هو عبد الله بن الربيع .
وقال المسوردي : أول من كساها الديباج خالد بن جعفر بن كلاب . أخذ لطيمة
تعمل البر وأخذ فيها أنماطا ، فعلقها على الكعبة . وذكر جماعة - منهم الدارقطني - أن
نُبَيْلَةَ بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيرا .
فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج .

وحكى الأزرقي أن معاوية كسا الكعبة الديباج . قال : وكانت تُكسى يوم عاشوراء .
ثم إن معاوية كساها مرتين .

ثم كساها المأمون ثلاث مرات . فكان يكسوها الديباج الأحمر يوم التروية .
والقنطاري يوم هلال رحب ، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان .

وهذا الأبيض ابتدأه المأمون سنة ست ومائتين حين قالوا له : الديباج الأحمر
يتخرق قبل الكسوة الثانية . فسأل عن أحسن ما تكون فيه الكعبة . فقالوا : الديباج
الأبيض . ففعله .

قلت : وهي الآن تُكسى في العام مرة واحدة في وقت الموسم . وتجعل إليها الكسوة
من الحزانة السلطانية بالدبار المصرية ، صحنه الرك . فتولى ذلك أمراء الرك .
ويحصررون بأنفسهم فتكسى ، ويأخذ الأنراف وبو شبة الكسوة العتيقة وهتسمونها .
وأخذون في كل قطعة منها أوفر الأعواض . وتجعل إلى سائر البلاد للبركة .

وعهدى بصاحب اليمن يبعث إليها كسوة ، فتلبس تحب الكسوة المصرية . وهما
سوداوان من الحرير الأسود ، بكثابة بيضاء ، فيها آيات جاءت في القرآن في ذكر
الكعبة .

ولما حججت سنة ثمان وثلاثين وسعمائة . صعدت أنا وأمراء الرك المصري
لتلبس الكعبة الشريفة ، حتى كنا على سطحها . فرأيت مبلطاً بالمرمر والخام
الأبيض . ومن جوانبه حُدُرٌ قصارٌ فيها حِلَقٌ لمرباط الستور ، تُجَزَّ فيها الكسوة بحبال ،
ثم تُربط في تلك الحِلَق .

وأنا أحمدُ الله ، إذ بيدي تولى خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبسها الكسوة
الجديدة .

٦٩
هدية سلطان مصر
ملك العرب

وَحَمَلَتِ الْكِسْوَةَ الْعَتِيقَةَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى السُّلْطَانِ بِمِصْرَ، لَتُجَهَّزَ إِلَى السُّلْطَانِ
أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيُومِيِّ مَعَ مَا يُجَهَّزُ عَوَضَ هَدِيَّةٍ بِعَثَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، صَحْبَةَ مَرْيَمَ زَوْجَةِ
أَبِيهِ وَعَرِيفِ السُّوَيْدِيِّ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَكْبَارِ دَوْلَتِهِ. وَعَوَّضَ بَنُو شَيْبَةَ وَالْأَشْرَافُ
عَنْهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمِصْرَ.

وَالْعَادَةُ جَارِيَةٌ أَنْ تَفْسَلَ الْكَعْبَةُ الْمَعْظَمَةُ بِمَاءٍ زَمْزَمٍ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ
ذِي الْقَعْدَةِ، وَتُسَمَّرَ سِتُورُهَا، وَتُلْبَسَ يَوْمَ الْأَضْحَى، وَتَفْسَلَ بِمَاءِ الْوَرْدِ عِدَّةُ عَوْدِ
الرَّكْبِ مِنْ مِثْنَى، أَوْ أَوَّلَ مُنْصَرَفِهِمْ.

وَكُلُّ ذَلِكَ حَضْرَتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَبَوَلِيَّتُهُ بِيَدِي. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ!

علل المؤام
للک

وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ مَطْلَقًا

١٠ حَكَى الْأَزْرَقِيُّ عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ أَنَّ تَبَعًا أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ كِسْوَةً كَامِلَةً، أَرَى
فِي الْمَنَامِ أَنَّ يَكْسُوهَا. فَكَسَاهَا الْأَطَاعَ، ثُمَّ أَرَى أَنَّ يَكْسُوهَا الْوَصَائِلَ، فَكَسَاهَا.
وَهِيَ ثِيَابُ حَبْرَةٍ مِنْ عَضْبٍ.

الناحية وكسوة
الك

ثم كساها الناس بعده في الجاهلية.

١٥ قَالَ السَّهِيلِيُّ: وَيُرْوَى أَنَّ نَعْمًا لَمَّا كَسَاهَا الْمُسُوحَ وَالْأَطَاعَ، أَسْتَقَصَّ الْبَيْتَ. فَرَأَى
ذَلِكَ عَنْهُ حِينَ كَسَاهَا الْخَصَفَ، وَهِيَ ثِيَابُ عَلَازٍ. فَلَمَّا كَسَاهَا الْمُلَاءُ وَالْوَصَائِلَ
(وَهِيَ ثِيَابُ مَوْصَلَةٍ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ وَاحِدَتُهَا وَصِيلَةٌ)، قَبْلَتَهُ. ذَكَرَهُ قَاسِمٌ فِي "الدَّلَائِلِ".

وَرَوَى الْأَزْرَقِيُّ بِأَسَانِيدٍ مُتَّفِقَةٍ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَسَا الْكَعْبَةَ.
ثُمَّ كَسَاهَا أَبُو بَكْرٍ. وَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. وَكَسَاهَا عُثْمَانُ، وَمَعَاوِيَةُ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

كسوة النبوة
والراشدين

وقال تبع لما كسا البيت .

مول تبع عند
كسوة الكعبة

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مُلَاءً مُعَضَّدًا وَبُرُودًا .

فَأَقْنَأْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا * وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا .

وَنَحَرْنَا بِالشَّعْبِ سِتَّةَ أَلْفٍ . فَتَرَى النَّاسَ نَحْوَهُنَّ وَرُودًا .

ثُمَّ سَرْنَا عَنْهُ ثُمَّ سَهَّلْنَا . فَرَقَعْنَا لِوَاءَنَا مَعْقُودًا .

وأما صفة الكعبة

٧٠

وصف الكعبة
ودرعها

فَاعْلَمْ أَنَّ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، مُرَبَّعَةُ النِّيَانِ فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ، أَرْتَعَاعُهَا مِنَ الْأَرْضِ سَبْعَةَ وَعَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُ الْجِدَارِ، وَجْهَتُهَا الْآلِ، أَرْبَعَةُ وَعَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ بَابُهَا، وَعَرْضُ مَوْخَرِهَا مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَرْضُ جِدَارِهَا الَّذِي بَلَى الْيَمِينِ - وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالرُّكْنِ الْعِرَاقِيِّ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ - عَشْرُونَ ذِرَاعًا. وَإِلَى وَسْطِ هَذَا الْجِدَارِ كَانَ يَصِلُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَبْلَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَعَرْضُ جِدَارِهَا الَّذِي بَلَى الشَّامِ، وَهُوَ الَّذِي فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ الشَّامِيِّ وَالرُّكْنِ الْغَرْبِيِّ، أَحَدٌ وَعَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَمِيزَابُ الْكَعْبَةِ عَلَى وَسْطِهِ يَسْكُبُ فِي الْحَجَرِ. وَمِنْ أَصْلِ هَذَا الْجِدَارِ إِلَى أَقْصَى الْجِدَارِ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا.

وعرض باب الحجر الشامي خمسة أذرع^(١) إلا شئ يسير، وعرض بابه الغربي ستة^(١) أذرع إلا شئ يسير، وحدار الحجر مذبور من بابه الشامي إلى بابه الغربي، كالطيلسان. وعرضه ذراع، وارتفاعه من الأرض أربعة أشبار.

(١) كذا في الأصل .

والحجر الأسود، في الركن العراقي المقابل لزمنم . وهو [على] سبعة أشبار من الأرض.

وباب الكعبة على أربعة أذرع من الأرض؛ وعلوه سنة أذرع؛ وعرضه أربعة أذرع .

وما بين الباب والحجر الأسود أربعة أذرع . ويسمى ذلك الموضع الملتزم: لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين فرغ من طوافه ألزمه ودعا فيه، ثم ألتف فرأى عمر، فقال: "هاها تُسكب العبرات".

ومن الباب إلى مُصَلَّى آدَمَ (عليه السلام) حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة، وهو موضع الخلق، ومن أزار الكعبة، أَرْجَحُ من سبعة أذرع. وكان هناك موضع مقام إبراهيم (صلى الله عليه وسلم).

موضع الخلق
ومقام إبراهيم

وصلى النبي (صلى الله عليه وسلم) عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، وأنزل الله تعالى عليه: "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى". ثم نقله (صلى الله عليه وسلم) إلى الموضع الذي هو فيه الآن . وذلك على عشرين ذراعاً من الكعبة: لتلايقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو ترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كبر الناس، وليدور الصف حول الكعبة، ويرى الإمام من وجهه. ثم حمله السبل في أيام عمر وأخرجه من المسجد . فأمر عمر برده إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ويتن موضع الخلق - وهو مُصَلَّى آدَمَ عليه السلام - وبين الركن الشامي ثمانية أذرع.

ومن الركن الشامي إلى اللوح المرمز المنقوش في الحجر الذي بنى هناك ابن الزبير
ركن البيت (وهو على قواعد إبراهيم عليه السلام) تسعة أذرع .

وفيما بين الحجر إلى مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعا ويسمى ذلك الحطيم .
لأنه يحطم الذنوب أي يسقطها ؛ وقيل لأنه حُطِم من البيت ؛ وقيل لأن من حلف
هناك كاذبا انحطم دينه ودنياه .

وما بين الركن العراقي (وهو الذي فيه الحجر الأسود) إلى مصلى النبي (صلى الله
عليه وسلم) قبل هجرته إلى المدينة ، عشرة أذرع . وكان يستقبل بيت المقدس ،
ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس . ولهذا لم يَنْ توجُّهه إلى بيت المقدس إلا
لما هاجر إلى المدينة .

وبين الركن اليماني وبين الباب المسدود في ظهر الكعبة أربعة أذرع . ويسمى
ذلك الموضع المستجار من الذنوب . وعرض الباب خمسة أذرع ، وارتفاعه سبعة
أذرع . وبينه وبين الركن الغربي ثلاثة عشر ذراعا .

وبين الركن الغربي وآخر قواعد إبراهيم - وهناك اللوح المرمز المنقوش - أزيد من
سبعة أذرع . وإلى هناك بنى ابن الزبير .

وقد قدمنا أن ارتفاع الكعبة في الهواء سبعة وعشرون ذراعا .

٧٢

وأما صفة المسجد الحرام المحيطة بالكعبة

فنعول : قد ذكر الأزرق والماردي والشهيد وغيرهم ، وفي كلام بعضهم زيادة على بعض :

كان المسجد الحرام ، أعني المحيط بالكعبة فناء لها وفضاء للطائمين . ولم يكن له على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر جدار يحيط به ، فضيق الناس على الكعبة وأصفوا دورهم بها . وكانت الدور مُحْدَقَة بالكعبة . وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية .

فلما استخلف عمر ، وكثر الناس ، قال : " لا بد لي بيت الله من فناء ! وإنكم دخلتم عليه ولم يدخل عليكم " . فوسع المسجد واشترى تلك الدور وهدمها وزادها في المسجد . وأخذ للمسجد جدارا قصيرا ، دون القامة . وكانت القناديل توضع عليه . وكان عمر أول من أخذ الجدار للمسجد الحرام .

ثم لما استخلف عثمان ، آبتاع منازل ووسعه بها . وبني الأروقة للمسجد ، فيما ذكر الأزرق والماردي وغيرهما .

ثم إن ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة . واشترى دورا ، من جعلتها بعض دار الأزرق ، اشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار . وجعل فيها عمدا من الرخام .

ثم عمره عبد الملك بن مروان ، ولم يزد فيه ، لكن رفع جداره ، وجلب إليه السواري في البحر إلى جُدَّة ، وسقفه بالساج . وعمره عمارة حسنة .

ثم وسع ابنه الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرخام .

وصف المسجد الحرام

مر من الخلفاء
مع الملك
لتوسيع المسجد

عثمان بن عفان
به زدى به

ابن الزبير
بجاء

عمره عبد الملك
ابن مروان لم يزد

توسيع الوليد له

زيادة المنصور
العباسي، وأعمدة
الرخام
ويادها المهدى

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة الرخام.

وزاد فيه المهدى مرتين : إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها توفى المهدى .

وأستقر بناؤه إلى الآن.

روى المسند
الحرام وسقاه

وأما الرواق فنقول : إن له سقعين، أحدهما فوق الآخر، وبينهما فرجة قدر الدراعين، أو نحوهما.

فأما الأعلى منه، مسطوحه فرش مسقف بالدوم اليابس .^(١)

وأما الأسفل منهما، فهو مسقوف بالساج، مزخرف بالذهب .



أساطينه

وعدد أساطينه (ودلك من الرخام والجمر الأبيض، سوى ما جدد في دار الندوة وسوف الحطة) أرعمائة وأربع وثمانون أسطوانة . بين كل أسطوانتين ستة أذرع :
١٠ منها في الجانب الشرق الذي يلي المسعى مائة أسطوانة وثلاث أساطين، وفي الجانب الشمال مما يلي الصفا مائة أسطوانة وإحدى وأربعون أسطوانة، وفي الجانب الغربي مائة أسطوانة وخمس أساطين، وفي الجانب الشامي الذي فيه دار الندوة مائة وخمس وثلاثون أسطوانة .

١٥ وفي وسط هذا الشق أو نحوه الذي يلي المسجد سارية خمس أساطين : ذكر أنها كانت يهودية فسامها النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها، فأبث بيعها إلا بوزنها ذهباً، ففعل النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك، فوُصعت في ميزان، ووضع مثقال واحد مريح المثقال ببركة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

شراء النبي
ذسطوانة بوزنها
ذهباً

ومنها على باب المسجد اثنتان وعشرون؛ ومن ناحية المسجد ست؛ ومن ناحية
الوادي والصفاء عشر؛ ومن ناحية بني جُمح أربع؛ ومن ناحية دار الندوة اثنتان.
وفي دار الندوة سوى ما ذكرناه سبع وستون أسطوانة بالحجارة مبيضة، وطول كل
أسطوانة منها عشرة أذرع، وتدويرها ثلاثة أذرع، وذراع ما بين كل أسطوانتين ستة
أذرع ونصف.

وعدد طاقاته وهي الحنايا المعقودة على الأساطين أربعائة طاق وثمان وتسعون
طاقا، سوى ما في دار الندوة.

حاي المسجد
الحرام

وذراع المسجد الحرام من باب بني جُمح إلى باب العباس، الذي عند العلم الأخضر،
و يعرف بباب بني هاشم، أربعائة ذراع وأربعة أذرع، وعرضه ما بين دار الندوة إلى
باب الصفا ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع.

ساحته

وذراع ما بين وسط جدار الكعبة الشريفة^(١) الذي يلي المسعى مائتا ذراع وثلاثة عشر
ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة الغربي إلى جدار المسجد الغربي الذي يلي بني جُمح
مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة الحنوبية إلى جدار
المسجد الذي يلي الوادي مائة ذراع وأحد وأربعون ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة
الشمالية الذي يلي الحجر إلى جدار المسجد الذي يلي دار الندوة مائة ذراع وتسعة
وثلاثون ذراعا؛ ومن ركن الكعبة العراقي و يقال له الشامي إلى المنارة التي تلي المروة
مائتا ذراع وأربعة وستون ذراعا؛ ومن ركن الكعبة الشامي و يقال له الغربي إلى المنارة
التي تلي باب بني سهم (وهو باب العمرة) مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعا؛ ومن الركن

(١) يظهر أن هذا سقطا . وأصل الكلام "وذراع ما بين وسط جدار الكعبة الشرق إلى جدار المسجد

الشرق" الخ كما تصح ذلك من طائره مد .

اليانتي إلى المنارة التي تلي أجياد الكبرى وبين الخزورة مائتا ذراع وثمانية أذرع؛
ومن الركن الأسود إلى المنارة مستمرة تلي المسعى والوادي من ناحية الصفا مائتا
ذراع وثمانية وعشرون ذراعا .

وارتفاع جداره في السماء مما يلي المسعى ثمانية عشر ذراعا؛ ومما يلي الوادي والصفا
أثنان وعشرون ذراعا؛ ومما يلي بي تَمَحُّجَ أَثْنان وعشرون ذراعا؛ ومما يلي دار الندوة
سبعة عشر ذراعا ونصف .

وعدد شُرَفاته من داخله وخارجه ، أربعائة وخمسة وتسعون شُرَافَة . هذا
من خارجه .

وعندها من داخله أربعائة وثمان وتسعون شُرَافَة .

١٠ بجميعها ألف شُرَافَة إلا سبع شُرَافَات .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ عَيْنُ الْكَعْبَةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ” قَوْلٌ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ” ، إِذْ لَمْ يَفْلُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْاِكْتِفَاءِ بِالتَّوْجُّهِ إِلَى
اِسْتِقبالِ الْمَسْجِدِ الْمُحِيطِ بِالْكَعْبَةِ . وَهَذَا هُوَ أَصْلُ حَقِيقَةِ اللَّفْظِ ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ” إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ” ، وَبِقَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَمَّا
سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ ، قَالَ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ .

المسجد المذكور به
الكعبة كلها

٧٥

وَقَدْ يُطْلَقُ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ وَيُرَادُ بِهِ الْمَسْجِدُ الْمُحِيطُ بِالْكَعْبَةِ . وَهُوَ الْغَالِبُ فِي الِاسْتِعْمَالِ
عَلَى وَجْهِ التَّغْلِيبِ الْحَاجِزِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ” صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي
هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . ” وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ” سُبْحَانَ
الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . ” عَلَى قَوْلٍ مَنْ رَوَى أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا
فِي الْمَسْجِدِ الْمُحِيطِ بِالْكَعْبَةِ .

المسجد الحرام
قد يراد به المسجد
المحيط بالكعبة
فقط

المسجد الحرام
قد يراد به مكة
أو الحرم مأكله

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به مكة أو الحرم بكلمة، على قول من يقول إن المراد بالمسجد الحرام مكة . لأنه (صلى الله عليه وسلم) كان نائما في بيت أم هانئ لما أسرى به، وكما في قوله تعالى "ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاصِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ". على قول من يقول إن المراد الحرم الخارج عن مكة بكلمة .

وهذا كله على وجه التغليب المجازي . ولا ريب فيه . وإلا يلزم الاشتراك في موضوع المسجد الحرام . والمجاز أولى منه . والله أعلم .

بئر زمزم

ومما يشتمل عليه المسجد الحرام بئر زمزم وهي سقيا إسماعيل، وهزيمة روح القدس حبريل، طعام طعم، وشفاء سقم، لا تترف ولا تدم، ولا يتوجه إليها ذم بالقيّة عبد المطلب، ودليل سودده ولا كذب . وفي الحديث : "ماء زمزم لما شربله" .

قال السهيلي : كانت زمزم سقيا إسماعيل بن إبراهيم . بحرها له روح القدس عقبه . وفي ذلك إشارة إلى أنها لعقب إسماعيل وزاته وهو محمد وأُمته (صلى الله عليه وسلم) . والقصة في ذلك معروفة .

وتلخصها أن إبراهيم (عليه السلام) لما احتمل إسماعيل وأُمّه هاجر إلى مكة، احتمل معه لهما قربة ماء ومزود تمر . وتركهما بمكة وعاد . فلما فرع التمر والماء عطش إسماعيل، وهو صغير، وجعل يشبع للوت، جعلت هاجر تسعى من الصفا إلى ^(١) المروة، ومن المروة إلى الصفا، لترى أحدا . حتى سمعت صوتا عند الصبي . فقالت :

قد أسمعت، إن كان عندك غوث . ثم جاءت الصبي . فإذا الماء ينبع من تحت خده . فجعلت تعرف بيديها، وتجعل في القربة . وسيأتي بعد ذلك له خبر . قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لو تركته لكان عينا (أو قال : نهرا معينا) .

صل نسبة
زمزم

قال الحرقي : سميت زمزم بزمزمة الماء . وهي صوته . وقال المسعودي : سميت زمزم لأن الفرس كانت تخرج إليها في الزم الأول ، فترمزم عندها . والزمزمة صوت يخرج الفرس من خياشيمها ، عند شرب الماء . وأنشد المسعودي :

زمزمت الفرس على زمزم . وذاك في ساقها الأقدم .

وذكر البرقي عن ابن عباس : أنها سميت زمزم ، لأنها زمت بالتراب ، لثلاث أسباب .

الماء يمسها ويسمى ، ولو نزلت على الأرض ، حتى تملأ كل شيء .

وقد ذكرنا طم الحارث بن مضاخ إناها . ولم تزل دارسة ، حتى أرى عبد المطلب أن أحمر طسه . فسبب طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات ، من ولد إبراهيم وإسماعيل وقبل له : أحمر برة . وقبل : أحمر المضونة . صنت بها على الناس إلا عليك . ودل عليها علامات ثلاث : بكرة الغراب الأعصم ، وأنها من الثمر والدم . وعند قرية النمل .

صحة حديث
مسند أحمد
عبد المطلب

وروي أنه لما قام لبحرها ، رأى ما رسم له من قرية النمل وقرية الغراب . ولم ير الثمر والدم . وبينما هو كذلك ، نذت بكرة لجازرها ، فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام . فحجها في الموضع الذي رسم له . فسال هناك الثمر والدم . فحضر عبد المطلب حيث رسم له .

وقبل عبد المطلب في صننها : إنها لا تترى أبدا . وهذا برهان عظيم ، لأنها لم تترى من ذلك الحين إلى اليوم قط . وقد وقع فيها حبشي فترحت من أجله . فوجدوا ماءها يشور من ثلاث أعين : أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود . رواه الدارقطني . وروي الدارقطني أيضا مسندا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : " من شرب من ماء زمزم ، فليصلح ، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين . لا يستطيعون أن يتصلعوا



منها". أو كما قال. ورُوي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "ماء زمزم لما شرب له". ورُوي أن أبا ذر تقوت من مائها ثلاثين، بين يوم وليلة. فسمن حتى تكسرت عكته.

وذكر الزهري في سيرة أن عبد المطلب أخذ حوضا لزمزم يستقي منه. وكان يُحرب بالليل، حسدا له. فلما عمه ذلك، قيل له في اليوم: "قل: لا أحلها لمفتسل، وهي لشارب حلّ وإلّ". وقد كُفيتهم". فلما أصبح، قال: نعم. وكان بعد من أرادها مكروه، رمى بداء في جسده، حتى انتهوا عنه. (١)

الصفاء والمروة



قال الله تعالى : ” إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا “.

لصفه والمروة

فرقدا الأرض، وجارا البيت الحرام، وطوبى لمن وقف عليهما، وسعى بينهما
أو إليهما . وسذكر ما هما، فنقول :

أما الصفا فحجر أزرق عظيم في أصل جبل أبي قبيس، قد كسر بدرج إلى آخر
موضع الوقوف. وأكثر ما ينهى الناس منها إلى اثنتي عشرة درجة أو نحوها.

وصف الصفا

وأما المروة فحجر عظيم إلى أصل جبل متصل بجبل قُيعَقَان . كأنه قد آنفسم
على حراين، وبقت بينهما فرجة، بس منها درج عليها إلى آخر الوقوف.

وصف المروة

”وذرع ما بين الصفا والمروة، وهو المسعى . سعمائة ذراع وثمانون ذراعا“.

المسعى

من الصفا إلى الميل الأخضر المائل في ركن المسجد على الوادي مائة وثمانون ذراعا.

”وذرع ما بين الحجر الأسود والصفا مائتا ذراع وأثنان وستون ذراعا“.

ومن الميل الأصغر إلى الميل الأخضر الذي بإزاء دار جعفر بن العباس، وهو

موضع الهرولة . مائة وخمس وعشرون ذراعا.

موضع الهرولة

ومن الميل الثاني إلى المروة أربعمائة وخمس وسبعون ذراعا.

١٥

بجميع ما بين الصفا والمروة سبعمائة وثمانون ذراعا^(١).

(١) في هذا الحساب أخطراب . ولذلك وصفا بين شولتين مزدوجتين ” “ المسافة الكائنة بين

الحجر الأسود والصفا، لتكون النجعة موازنة للقدمة وليصح الحساب .

دار الندوة

قال المسوردي : لم تكن مكة ذات مازل . وكانت مريس ، بعد جُرمُ والعاقلة ، ينتجعون جبالها وأوديتها . ولا يخرجون من حرّما آنسابا إلى الكعبة لاستيلائهم عليها ، وتخصيصها بالحرم لخلوهم فيه . وبرون أن ذلك يكون لهم بسببه شأن . وكان كلما كثر فيهم العدد ونسأت فيهم الرئاسة ، قوى أملهم وعلموا أنهم سيعتدّون على العرب . وكان فضلاؤهم يتخيّلون أن ذلك لرياسة في الدين وتأسيسا لنبوّة ستكون . فأول من أُلهم ذلك منهم كعب بن لؤي بن غالب . وكانت مريس تحتجع إليه في كل جمعة . وكان بخطبهم فيه ، ويذكر لهم أمر نبيّنا (صلى الله عليه وسلم) .

مدأ ظهور قريش بمكة
٧٨
دار الندوة

ثم آتفت الرئاسة إلى قُصي بن كلاب ، فبنى بمكة دار الندوة ليحكم فيها بين مريس ، ثم صارت لتشاؤمهم وعقد الألوية في حروبهم . وكانت هذه الدار ، لا ينكح رجل من قريش ولا امرأة إلا فيها ، ولا يُعقد لواء الحرب لهم ولا لعيرهم إلا فيها ، ولا يُعذر عَلام إلا فيها ، ولا تُدرّج جارية من قريش إلا فيها : يُسقى عليها درعها ثم تُدرّج ويُطلق بها إلى أهلها ، ولا تخرج عبر من قريش ويرحلون إلا منها ، ولا هدمون إلا نزلوا فيها .

قال الكلبي : " وكانت أول دار بُنيت بمكة ، ثم تتابع الناس فننوا الدور . كلما قروا من الإسلام ازدادوا قوّة وكثرة عدد ، حتى دانت لهم العرب " .

قال المسوردي : صارت بعد قُصي لابنه عبدالدار . فابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قُصي ، وجعلها دار الإمارة .

(١) في الأصل : يتخيّلون .

وروى الأزرقي أن معاوية اشتراها لما حج، وهو خليفة، بمائة ألف درهم،
 وذكر السهيلي أن هذه الدار صارت إلى حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى
 ابن قصى فباعها في الإسلام بمائة ألف. وذلك في زمن معاوية. فلامه معاوية
 في ذلك، وقال: "بعت مكرمة آبائك وشرفهم". فقال حكيم: "ذهبت المكارم إلا
 التقوى". والله لقد اشتريتها في الجاهلية بريق نحر، وقد بعثها بمائة ألف، وأشهدكم أنى
 جعلتُ منها في سبيل الله! فأئنا المغبون" .

قال الحارثي: هي اليوم (يعنى دار الندوة) في المسجد الحرام.

قال الأزرقي: وهي جانبه الشمالى. وقد تقدم ذكرها^(١).

دحرجة في المسجد
الحرام وموضعها

(١) يباين بالاصل و آخر الصحيفة مقداره حمة سطور.

مِنَى

٨٥

يسى

حيث تُرعى الجمرات، وتُهمى العبرات، ذوات الليالى المُقمرات، والأيام التى سُلخ من الكافور ثياب عشاياها المعتبرات، يُحلى بها من كل ربّ عاِطِلُه، ويلتقى فى كل سِرْب كل ذى دِين ومَاطِلُه .

وهى بطحاء بين جبلين، مهدّفة الجوانب، فيها يجتمع الحجيج . والمُحَصَّب منها موضع الجمرات . وهى على مدرجة السوق الأعظم، حيث يُنصَّب كلُّ سنة، أيامَ الموسم . يجتمع فيه الخليطان من شام ويَمَن، وتترل الركوب به فى منازلهم : من شَرَف الوادى إلى حيث تُنحر البدَنات تحت العقبة الأولى، حيث تُنصَّب سقايات الحاج .

وكانت فى قديم الإسلام موسم لقاء الحبايب، ومكان موعد كل مفارق . وثلاث ليالى منى معروفةٌ موصوفةٌ، قد أكثر فيها الشعراء وتزعم بها المتيمنون . ومِنَى بيوتٌ هى كالفقرية . منها ماهو مسكون ومنها ماهو برسم بضائع الكارم، أيام الموسم، تُكرى بأجرة طائلة .

وبها آثار متخذة لخزن ماء الأسنية، يباع على الحجيج . وهو ماء ثَقِيلٌ وِىءٌ، لما يحمل من أوساخ الذبائح، وبقايا الأضاحى، ودماء القرابين .

وفىها مسجد الخَيْف . وهو على يمين المتوجه من مكة إلى عرفات . والخَيْف هو البستان . وجدّد بناؤه فى الأيام الزاهرة الناصرية، سقى الله عهدا !

وفىها مسجد إسماعيل، ويسمى بمسجد الكبش . وهو على يسار المتوجه من منى إلى عرفات . يقال إن الفداء لإسماعيل نزل به . ويتزل المصريون منه إلى منى، ويتزل

مسجد الحيف

مسجد الكش

المَكُونُ منه إلى مَعْرَفٍ، ويقع مُجَاهُ مسجد الخَيْف منحرفاً عنه على ذروة من الجبل .
يَحِيلُ بينهما مجرى ماء من ماء الشَّاء . ينزل فيما يليه إلى الطريق العظمى رُكْبَانُ العرب .

جمع (أى المزدلفة) - هي المزدلفة . وكلها مَشْعَرٌ إلا بطن مُحَسَّر . ومنها تؤخذ حصي الجمرات .
وبذلك فسر على وابن مسعود قوله تعالى : "فَوَسَّطْنَا بِهِ جَمْعًا" . قالوا : يعنى المزدلفة .

المزدلفة - ومسجد المَزْدَلِفَةِ عن يسارك إذا مضيت إلى عرفات . وفيه يجمع بين المغرب
والعشاء ، إذا نهر الحاج من عرفات . وهى التى غنى الشريف الرضى بقوله :

عارضاً بى رَكَبَ الحجاز نساءً نُسَّه : متى عهدُهُ بأيام مَلَعِ
وَأَسْمَلًا حديث من سكن الخَيْفَ ولا تكتباه إلا بدمعى .
فاتنى أن أرى الديار بطرفى ، * فلعللى أرى الديار بسمعى !
لَهَفَ نفسى على لبالٍ تقضت * لى بجمع ! وأين ألامُ بجمع

قال الزمخشري فى قوله تعالى "فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ" : المشعر الحرام
قُرْحٌ ، وهو الجبل الذى يقف عليه الإمام وعليه الميَّقْدَةُ .

المشعر الحرام

وقيل : المشعر الحرام ما بين جبلى المزدلفة إلى مأزِمَى عرفة إلى وادى مُحَسَّر . وليس
المأزِمان ولا وادى محسر من المشعر الحرام .

والصحيح أنه الجبل . لما روى حابر أن النبى (صلى الله عليه وسلم) لما صلى
الفجر - يعنى بالمزدلفة - ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام ، فدعا وكبر وهلل . ولم يزل
واقفاً حتى أسمر .

وقوله "عند المشعر الحرام" معناه مما يلي المشعر الحرام، قريبا منه، وذلك للفضل،
كالتقرب من جبل الرحمة، وإلا فالمزدلفة كلها موقف، إلا وادي مُحَسَّر. وجُعِلَت
أعقابُ المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به، عند المشعر.

وقيل سميت "المزدلفة" و"جمعا" لأن آدم اجتمع فيها مع حواء وأزدلف إليها،
أى دنا منها، وقال قتادة: لأنه يُجمع فيها بين الصلاتين، ويجوز أن تكون وُصِفَتْ بعمل
أهلها، لأنهم يزدلفون إلى الله تعالى، أى يتفربون بالوقوف فيها، وعن علي: "لما
أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقف على قُرَح، فقال: هذا قُرَح! وهو
الموقف". وجمع كلها موقف.

أنصاب الحرم

١٠ هي العلامات المبينة على حدود الحرم.

وأول من بناها إبراهيم (صلوات الله عليه)، وأشار له جبريل إلى مواضعها، هكذا
ذكره أبو عمرو بن العزم والأزرقي وغيرهما.

وروى الأزرقي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بتجديد العلامات التي على
الحرم، التي عملها إبراهيم، وجبريل يريه مواضعها، ثم عمر، ثم عثمان، ثم معاوية.

وهذه العلامات بيّنة إلى الآن، بحمد الله تعالى. ١٥

وحد الحرم، من طريق مدينة النبي (صلى الله عليه وسلم) - دون النعيم عديبوت - حد الحرم
نمار - على ثلاثة أميال من مكة؛

ومن طريق اليمن، طرف أضواء لبن في ثنية لبن، على سبعة أميال؛

ومن طريق العراق، على ثنية جبل بالمقطع، على سبعة أميال؛

ومن طريق الجعرانة في شعب آل عبد الله بن خالد، على تسعة أميال؛
ومن طريق الطائف على عرفات، من بطن تيمرة، على سبعة أميال؛
ومن طريق جدة، منقطع الأعشاش، على عشرة أميال.

فهذه حد ما جعله الله تعالى حرماً، لما آخِضَ به من التحريم، وبأين يحكمه
سائر البلاد.

٥. وصح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن هذا البلد (يعني مكة) حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض". وفي رواية: "قبل أن يخلق السماوات والأرض". فيكون تحريمها قبل خلق السماوات والأرض كتابةً تحريمها في اللوح المحفوظ، أو تقدير حرمتها. وروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن إبراهيم حرم مكة. ومعناه أظهر حرمتها. قال السهيلي: روى في التفسير أن الله تعالى لما قال للسماوات والأرض: "إِنِّي آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" لم يُجِبْ به هذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم. فلذلك حرمها. فصارت حرمتها كحرمة المؤمن: إنما حرم دمه وعرضه وماله، بطاعته لربه. وأرض الحرم لما قالت "أَتَيْنَا طَائِعِينَ" حرم صيدها وشجرها وحلأها، إلا الإذخر؛ فلا حرمة إلا لذي طاعة. جعلنا الله من أهل طاعته!
١٠. وصح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. لا يُعْضَدُ شجره ولا يُنْفَرُ صَيْدُهُ ولا يُحْتَلَى خَلَاهُ".

وما زال الناس في الجاهلية والإسلام يعظمون هذا الحرم ويحتنبون قطع شجره. قال الواقدي: لما أن أرادت قريش البنيان، قالت لقصى: "كيف نصنع في شجر

حط شجره

الحرم؟ فذّرم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك. فكان أحدهم يُحرّف بالبيان حول الشجرة، حتى تكون في منزله.

٨٣
قطع شجرة ومقدار
دية كل شجرة ببقرة

قال : وأول من ترخص في قطع شجر الحرم، عبد الله بن الزبير .
قال السهلي : آبتى ابن الزبير دُورا بقميعةان وترخص في قطع شجر الحرم، وجعل دية كل شجرة بقرة . وكذلك روى عن عمر أنه قطع دَوْحة كانت في دار أسد بن عبد العزى، وكانت أطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة. وذلك قبل أن يوسع المسجد. فقطعها ووداها ببقرة.

عَرَافَات

عِراف
فَلَمَّا تَلَقَّى الْخَلِيطَيْنِ مِنْ شَامٍ وَيَمَنٍ، وَجَمَعَ الْبَحْرَيْنِ مِنَ الرِّعْقَةِ إِلَى عَدَنَ . بِهِ يَتَجَلَّى اللَّهُ
عَلَى عِبَادِهِ، وَبِهِمْ الْغَمْرَةُ . وَبِهَا الصَّخْرَاتُ ، مَوْفَقَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
حَيْثُ تَقِفُ الْحَامِلُ .

قصة آدم
وَعَلَى قُبَّةِ هَذَا الْجَبَلِ قَبَّةُ آدَمَ . هَكَذَا تُسَمَّى .
وَيَقَالُ إِنَّ هُنَاكَ تَعَارَفَ آدَمُ وَحَوَّاءُ ، بَعْدَ أَنْ أَهْبَطَا .
وعِرافَات علم للوقوف ، سُمِّيَ بِجَمْعٍ ، كَأَذْرَعَاتِ .

وَأَخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَّتِهَا بِذَلِكَ . فَقِيلَ : لِأَنَّهَا وَصَفَتْ لِإِبْرَاهِيمَ ، فَلَمَّا أَنْصَرَهَا عِرفَهَا ،
وَقِيلَ إِنَّ جَبْرِيْلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يَدُورُ بِهِ فِي الْمَشَاعِرِ ، يَرِيهِ لِمَا هَا ، فَقَالَ : قَدْ
عَرَفْتُ ، وَقِيلَ أَلْتَفَى فِيهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ فِتْنَارَهَا ، كَمَا تَقْدَمُ . وَقِيلَ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَعَارَفُونَ
بِهَا . وَهِيَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُرْتَجَلَةِ . لِأَنَّ عِرْفَةَ لَا تَعْرِفُ فِي أَسْمَاءِ الْأَجْناسِ . (١)

مسجد نَمْرَة

وَيُسَمَّى مَسْجِدُ إِبْرَاهِيمَ . يَقَالُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَاءَ . وَلَا يَصِحُّ هَذَا .
وَهُوَ عَلَى يَمِينِ السَّالِكِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى عَرَافَاتِ ، قَرِيبِ الطَّرِيقِ ، مَدَانِيَا لِعِرْفَةِ .

وَعَادَةُ الْخُطَابَةِ بِهِ فِي وَقْتِنَا لِإِمَامِ الطَّائِفَةِ الْمَالِكِيَّةِ بِمَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ .
وَجُدُّهُ قَائِمَةٌ . وَكَذَلِكَ مِيزُهُ . وَلَا مَقْفَ لَهُ .



مسجد نمرة
(المعروف هنا
بمسجد إبراهيم)

مسجد عائشة

رضي الله عنها

هو بالتنعيم في الحِلِّ، عند أول الحرم، ولا يحضرني من بناءه. وكل مسجد هناك يسمى بهذا. وأشهرها المصائب للطريق على يسار الداخل إلى مكة. وإنما تُسب إلى عائشة لكونها آتت من التنعيم. ولعلها أحرمت في البقعة التي بُني بها المسجد. وعمرتها معروفة على ما تضمنته الأحاديث.

مسجد ميمونة

رضي الله عنها

وسمى بذلك لمكان قبرها. وهناك مات أبو جعفر المصور، ودُفن مُحَرَّمًا، على ما هو مذكور في موضعه.

وميمونة هي بنت الحارث، إحدى أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وكانت أختها أم عبد الله بن العباس.

المواقيت

المواقيت أي مواضع الإحرام

روى ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم. وقال: "هذه لمن أتى عليهن من غير أهلهن، ممن أراد الحج والعمرة. ومن كان دون ذلك، من حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة." أرحاه في الصحيحين.

فهذه المواقيت التي وقتها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يجوز لأحد رداء الحج والعمرة أن يتجاوزها إلا مُحَرَّمًا. وأما من لم يرد الحج أو العمرة، فكذلك عند فقهاء الأمصار، وقولان عبد الشافعي. وموضع ذلك كتب الفقهاء.

٨٥

در الحليفة ،
مبقات أهل الشام
في عصر المؤلف

آر هذا الطريق

الخجمة

(اسمها القديم
مهيمة)

رابع موضع إجماع
الركب المصري
في عهد المؤلف
قرب المارل

(تعليق المؤلف
لجوهري)

يلهم

دات مرق

فأما ذو الحليفة فهو أبعد المواقيت ، على عشر مراحل من مكة ، أو سبع منها .
(وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام) . ومنها يُحرم الآن الركب الشامي .

وبها آبار تسمى آبار على . وبعض الناس يقول بئر المحرم .

والخجمة موضع على ثلاث مراحل من مكة . (وهي بضم الجيم وسكون الحاء
المهملة بعد الجيم) .

وذكر ابن الكلبي أن العالقي أخرجوا بني عَيْل (وهم إخوة عاد) من يثرب ، فقتلوا
الجحمة ، وكان اسمها مَهْيَعَة ، (بفتح الميم وسكون الحاء على وزن مقتلة وقيل بكسر
الحاء على وزن قبيلة) . فجاءهم سيل فأجتاحهم ، فسميت الجحمة .

ولما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة أصابهم حمى . فدعا النبي
(صلى الله عليه وسلم) الله تعالى أن ينقل حماتها إلى الجحمة .

وهي شرقي رابع ممر الركب المصري . ومن رابع يُحرم الآن .

وَقَرْنُ الْمَنَازِل (بفتح القاف وسكون الراء) ، موضع على مرحلتين من مكة . وقد
غلط الجوهري في قوله بفتح الراء ، وقوله إن أويسا القرني منسوب إليها . بل هو
منسوب إلى قرن بفتح القاف والراء بطن من مراد .

ويُلهِم (ويقال أَلِمَ بالهمزة عوضا عن الياء) ، موضع معروف على مرحلتين من
مكة . وهو بفتح الياء واللام وسكون الميم بعد اللام .

ومن المواقيت ما لم يذكره النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث . وهو مبقات
العراقيين ، وهؤلاء عِرْق . وبينه وبين مكة خمس مراحل .

٨٦

المسجد النبوي

على صاحبه أصل الصلاة والسلام

الحرم النبوي

موضع منبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأولاه .

الروضة الشريفة

وبجانبه حجراته المعظمة، التي صمت أعظمه، والله القائل :^(١)

يا خير من دفنت في القاع أعظمه، * قطاب من طيبين القاع والأكم!

نفسى الفداء أقبر أنت ساكنه، * فيه العفاف وفيه الجود والكرم!

قدوم النبي
إلى المدينة ومصلاته
فيها

قال أنس: "قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزل في علو المدينة، في حتى

يقال لهم بنو عمرو بن عوف . فأقام فيهم أربع عشرة ليلة . ثم إنه أرسل إلى ملائكة

النجار، فجاءوا متقلدين سيوفهم . فكأنى أنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على

راحته، وأبو بكر ردفه، وملائكة النجار حوله، حتى أتى بمناء أبي أيوب . قال: "وكان

يصل حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مراتب الغنم" .

سواء النبي
لمسجد بالمدينة

ثم إنه أمر بالمسجد . فأرسل إلى ملائكة النجار، فجاءوا . فقال: يا بني النجار، ثامنوني

بجائكم هذا . فقالوا: لا والله! . انطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى .

قال أنس: وكان فيه نخل، وقبور المشركين، وحرب . فأمر النبي (صلى الله عليه

وسلم) بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنبشت، وبالحرب فسويت . قال: وصهوا

(١) في المواهب اللدنية (ج ٢ ص ٥١٠ طبع محمد شاهين بالقاهرة سنة ١٢٨١) أن محمد بن حرب الهلالي

أتى قرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) . مراره وحلس محدثه . فجاء أعزاني مراره . ثم قال: يا خير الرسل إن الله

أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعَفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَهُمُ الرَّسُولُ

لَوَحَّدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" . وقد حثك مستعفا من دعي . مستشفعا بك إلى ربي ! وأنشأ هول :

* يا خير من دعت . . . الدينين *

وأظن أبصاراً شرح "المواهب" للرقا (ج ٨ ص ٣٦١ من طبعة مولا سنة ١٢٧٨)

الحل قبله، وجعلوا عصادنيه حجارة. قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم، وهم يقولون:

اللهم إله لا حبر إلا خير الآخرة! . فأنصر الأنصار والمهاجرة!
(رواه البخاري ومسلم).

وروى عن الشفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى المسجد يؤمّه جبريل إلى الكعبة ويُقيم له القبلة.

قال السهيلي: بنى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللين، وبها: بل من حجارة منصودة بعضها على بعض، وحيطانه باللين، وجعلت عمده من جدوع النخل. فتحرّبت في خلافة عمر، فجذدها.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: "كانت هذه القبلة في شمالي المسجد. لأنه (صلى الله عليه وسلم) صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا إلى باب المقدس. فلما حُولت القبلة بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الضفة".

قال أبو سعيد الخدري: كان سقف مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) من جريد النخل. وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أكنّ الناس من المطر، وإياك أن تهمر أو تصفر، فتفتن الناس!

١٥

وعن عبد الله بن عمر أن المسجد كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منيا باللين، وسقفه الجريد، وعمده خشب الحل. فلم يزد فيه أبو بكر شيئا. وزاد فيه عمر وباه على بنائه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باللين والجريد، وأعاد عمده خشبا. ثم عيره عثمان، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والفصة، وحمل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج. (رواه البخاري ومسلم).

٢٠

زيادة حمويه

وربما

٨٧

زيادة حمويه

آمن حمان

وعن عكرمة قال: قال لي عبدالله بن عباس ولأبنة علي: "انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه". فأنطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فأحتى ثم أنسا بمحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد، فقال: "كما نحل لينة لينة، وعمار لبتين لبتين. فرآه النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل ينفض التراب ويقول: ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! قال: هول عمار! أعوذ بالله من القس!" (رواه الحارثي). وزاد معمر في "جامعه" أن عمارة كان ينقل لبتين لبتين: لينة عنه ولينة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "للاس أجروك أجران، وآخر زادك من الدنيا سربة لبن، وتقتلك الفئة الباغية."

مساحة الحرم
في عهد النبي

وعن خارجة بن زيد، أحد فقهاء المدينة السبعة، قال: بنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسجده سبعين ذراعا في ستين ذراعا، أو يزيد. فلما كان عثمان، زاد فيه. جعل طول المسجد مائة وستين ذراعا وعمره مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة، كما كانت في زمن عمر. وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة (وهي التي دفن فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه رضى الله عنهما). فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد. فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور الذي نهى عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اتخاذ المساجد على القبور. ثم بسوا حدارين من ركني القبر الشمالين، حرفوهما حتى آلتقيا. كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قالت عائشة (رضي الله عنها): "ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً".

الزيادات المتوالية
في

٨٨

ثم إن الوليد بن عبد الملك زاد فيه جعل طوله مائتي ذراع وعمره في مقدمه مائتين، وفي مؤخره مائة وثمانين.

زيادات العباسيين

ثم زاد فيه المهدي سنة ستين ومائة، من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث.

ثم زاد فيه المأمون سنة اثنتين ومائتين، وأتقن ببنائه ونقش فيه: "هذا ما أمر به
 عند الله المأمون" في كلام كثير

قال العلامة أبو زكريا النووي، رحمه الله: فينبغي للصلي أن يغني بالمحافظة على
 الصلاة فيما كان في زمنه (صلى الله عليه وسلم). فإن الحديث الصحيح عن رسول الله
 (صلى الله عليه وسلم): "صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه،
 إلا المسجد الحرام" إنما بباول ما كان في زمنه، لأنه هو الذي حصلت الإشارة
 إليه. لكن إذا صلي في جماعة، فالتقدم إلى الصف الأول، ثم إلى ما يليه أفضل.
 فليقطع لذلك.

وذرع ما بين المنبر ومقام النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يصلي فيه حتى
 نوى، أربعة عشر ذراعا وشبر.
 وذرع ما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعا وشبر.^(١)

المسافة بين المنبر
 ومصل النبي وقبره

بيوت النبي

صلى الله عليه وسلم

٨٩

قال السهيلي: كانت بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) تسعة: بعضها من جريد
 مطين بالطين وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرسومة بعضها على بعض مسقفة
 بالجريد أيضا.

بيوت النبي

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: "لم يبلغنا أنه (صلى الله عليه وسلم) بنى له تسعة
 أبيات، حين بنى المسجد، ولا أحسنه فعل ذلك. إنما كان يريد بيتا حينئذ لسودة،
 أم المؤمنين. ثم لم يحتاج إلى بيت آخر، حتى بنى لعائشة في شوال سنة اثنتين. وكأنه
 (صلى الله عليه وسلم) بناها في أوقات مختلفة. والله أعلم."

٢٠

(١) ياصر ماسهل الصحيحة في الأصل مقدار سبعة أسطر.

وقال الحسن بن أبي الحسن : كنتُ أدخل بيوت النبيّ (صلى الله عليه وسلم) وأنا غلام مرأق فأناال السقف بيدي . وكان لكل بيت حُجرة . وكانت حُجرة (عليه السلام) أكسبة من شعير مروطة في خشب عرعر .

وفي تاريخ البخاري أن باب (صلى الله عليه وسلم) كان يُقرع بالأظافر . أي لاحتق له .

تدخل بيوت
المسجد أيام
عبد الملك بن
مروان

ولما تولى أزواجه (صلى الله عليه وسلم) خلطت البيوت والمخمر بالمسجد . وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان . فلما ورد كتابه بذلك ، ضح أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته .

قال السهيلي : وهذا يدل على أن بيوت (صلى الله عليه وسلم) إذا أضيفت إليه ، فهي إضافة ملك : كقوله تعالى : "لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ" . وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله : "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ" فليست إضافة ملك . وذلك أن ما كان ملكاً ، فليس بموروث عنه .

مسجد قباء



مسجد قباء
(وهو أول مسجد
بنى في الإسلام)

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسسه لئلي عمرو بن عوف . ثم أنتقل إلى المدينة .

وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أسسه ، كان هو أول من وضع حجرا في قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر . ثم أخذ الناس في البنيان .

كيفية تأسيسه

ودكر الخطابي عن السُّمُوس بنت النعمان، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى مسجد قباء، أتى بالجمر قد صهره إلى بطنه، فيضعه، فيأتي الرجل يريد أن يلقه، فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره.

قال السهيلي: وهذا أول مسجد بُني في الإسلام، وفي أهله نزلت: "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا"، فهو على هذا المسجد الذي "أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى"، وإن كان قد روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن المسجد الذي "أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى" فقال: هو مسجدى هذا. وفي رواية أخرى قال: وفي الأرض حير كبير. وقد قال ابن عمرو بن عوف حين نزل "لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا": ما الظهور الذي أنشأ الله به عليكم " فذكروا له الأسدي جاء بالماء بعد الاستنجار بالحجارة. فقال: هو ذاكم، فعلبكوه!

قال السهيلي: وليس بين الحديثين تعارض. كلاهما أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، غير أن قوله سبحانه "مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ" يقتضى مسجد قباء، لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول النبي (صلى الله عليه وسلم) دار هجرته والبلد الذي هو مهاجرة.

قال القاسم بن عبد الرحمن: عمار بن ياسر أول من بنى مسجدا لله، يُصَلَّى فِيهِ. رواه أبو عمرو بن عوف. وذكر ابن إسحاق هذا الحديث عن عمار في خبر بقاء مسجد المدينة. قال السهيلي: إنما غنى بهذا مسجد قباء، لأنه هو الذي أشار على النبي (صلى الله عليه وسلم) ببيانه. وهو الذي جمع له الحجارة. فلما أسسه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استتم بِنَاؤُهُ عَمَّارٌ.

(٩١)

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يزور قباء راكبا وماشيا، فيصلي فيه ركعتين. مُتَّفَقٌ عليه. وفي رواية: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يأتي مسجد قباء كل سبت، راكبا وماشيا. وكان ابن عمر يعمله.

مسجد الضرار

- روى أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء - وكان يأتيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويصلي فيه - حسدهم إخوانهم بنو غنم بن عوف . وقالوا : نبنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي فيه ، ويصلي فيه أبو عامر الراهب ، إذا قدم من الشام . ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوانهم ، زعموا . وأبو عامر هو الذي سماه النبي (صلى الله عليه وسلم) العاسق . وقال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم . فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين . فلما أنهزمت هوازن ، خرج هاربا إلى الشام . وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، فإني ذاهب إلى قيصرا ، وآت بجود ، ومُخْرِجٌ محمدا وأصحابه من المدينة .

- فبنوا مسجد الضرار إلى جانب مسجد قباء . وقالوا للنبي (صلى الله عليه وسلم) : "بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة واليلة المطيرة والشاتية . ونحن نحب أن تصلي لنا فيه ، وتدعونا بالبركة" . فقال (صلى الله عليه وسلم) : "إني على جناح سمر وحال شغل . وإذا قدمنا ، إن شاء الله ، صلينا فيه" . فلما قفل من غزوة تبوك ، سأله إتيان المسجد ، فقل قوله : "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا" إلى قوله "لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا" الآيات .

فدعا بمالك بن الدُخْشُمُ وَمَعْنُ بن عَدِيَّ وعامر بن السَّكَنِ ووحشي، قاتل حمزة، فقال لهم: "انطلقوا إلى هذا المسجد الظالمِ أهلُه . فأهدموه وأحرقوه". ففعلوا . وأمر أن يُحمل مكانه كُتَّاسَةٌ تَلْقَى فيها الحَيْفُ والقَمَامَةُ .

وقيل كل مسجد بُنِيَ مَبَاهَةً، أو رِيَاءً وَسُمْعَةً، أو لغرضٍ سوى أبنَاء وجه الله، أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار .

وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بنى عامر، فقليل له : مسجد بنى فلان، لم يصلوا فيه بعد . فقال : " لا أحب أن أصلي فيه ، فإنه قد بى على ضرار " . وكل مسجد بنى على ضرار أو رياء ، فإن أصله ينتمى إلى المسجد الذى بُنِيَ صَرَارًا .

وعن عطاء : لما فتح الله الأمصار على عمر (رضى الله عنه) أمر المسلمين أن يبوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه .

وذكر ابن إسحاق الذين اتخذوا مسجد الضرار وذكر فيهم جارية بن عامر ، وكان يعرف بحمار الدار . وهو جارية بن عامر بن جُجَّع بن العَطَّاف . وذكر فيهم آبنه جُجَّعًا ، وكان إذ ذاك غلامًا حدَّثنا قد جمع القرآن . فقصدموه إمامًا لهم ، وهو لا يعلم بشئ من شأنهم .

وقد ذكر أن عمر بن الخطاب ، في أيامه ، أراد عزله عن الإمامة . وقال : أليس بإمام مسجد الضرار ؟ فأقسم له جُجَّع أنه ما علم شيئًا من أمرهم ، وما ظن إلا الخير . فصَدَّقَه عمر وأقره .

مساجد المدينة

قال السهيلي: كانت مساجد المدينة تسعة، سوى مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم). كلهم يصلون بأذان بلال. كذلك قال بكير بن عبد الله بن الأشج، فيما روى عنه أبو داود في مراسيله، والدارقطني في سننه.

فمنها مسجد راتج، ومسجد بني عبد الأشهل، ومسجد بني عمرو بن مبدول، ومسجد جُهينة، وأسلم (وأحسبه قال مسجد بني سلمة). وسائرهما مذكور في السنن.

وذكر ابن إسحاق، في المساجد التي في الطريق، مسجداً بذى الحليفة. وكذا وقع في كتاب أبي بجر، بالخاء معجمة، ووقع بالهيم في كتاب قرئ على ابن السراج وابن الأفلح.

بقيع الفرقد

٩٣

ضيق العرق

وهو مدفن أهل المدينة النبوية. وفيه تدافن أكثر أهل المدينة.

قبة العباس ومن
مها من أهل البيت

وفيه قبة العباس بن عبد المطلب، عم النبي (صلى الله عليه وسلم). وفيها معه الحسن بن علي. وكان الحسن أوصى أن يدفن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن يُخاف أن يراق في ذلك منجم دم. فمنعه مروان. وكادت الفتنة أن تقع. وأبى الحسن [ابنه] إلا أن يدفن مع جده. فكلّمه عبد الله بن جعفر ومُسَوّر بن مخرمة. فدفن بالبقيع في قبة العباس. وفيها أيضاً زين العابدين، وأبنة محمد الباقر، وأبنة جعفر الصادق.

قبة عثمان بن عفان

وفي البقيع أيضاً قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وكان موضع القبة وما حوله بستاناً لرجل من الانصار اسمه كوكب. وكان يقال حش كوكب. والحش البستان.

فأستراه عثمان (رضي الله عنه) وزاده في البقيع . وكان يقول إنه يدفن هاهنا رجل صالح . فكان أول من دُفن بهذه الزيادة .

وفي البقيع أيضا قبة إبراهيم بن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وقبة فاطمة الزهراء .

وفي البقيع أيضا جماعة من أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) وعمته صفية .

وفيه خلائق من الصحابة والتابعين .

وفيه قبة مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة .

وأول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون . قال المطلب بن عبد الله بن حنطب :

أول من دفنه النبي (صلى الله عليه وسلم) بالبقيع ، عثمان بن مظعون ، ثم قال لرجل

عده : آذهب إلى تلك الصحرة ، فأثنى بها حتى أضعها عند قبره . فن مات من أهلنا دفناه عده . رواه ابن أبي شيبة .

قال علي بن أبي طالب : ثم أتبعه إبراهيم بن النبي (صلى الله عليه وسلم) . رواه ابن أبي شيبة أيضا .

قال الأصمعي : قُطِعَت غُرُقْدَات في هذا الموضع ، حين دفن فيه عثمان بن مظعون .

فسمى بَقِيع الغُرُقْد لهذا .

وقال الخليل : ”البقيع من الأرض موضع فيه أروم شجر . وبه سمي بَقِيع الغُرُقْد .

والغُرُقْد شجر كان ينبت هناك“ .

والبقيع على باب المدينة الذي في جهة الشرق ، الذي وراء دار عثمان بن عفان .

ومنه يخرج إلى البقيع . ^(١)

قبة إبراهيم
(إبراهيم)

قبة فاطمة وعندها
من أمهات المؤمنين
والصحاباء والتابعين

قبة مالك بن أنس

أول مدفون بالبقيع

سبب تسمية
بالغرقد

٩٤

سمى الغرقد

المسجد الأقصى

كلمة سادة على الحرم
المقدس

معهد الأنبياء، ومعهد الأولياء، وثاني البيت الحرام في البناء، وأول القبلتين
حال الابتداء. شيدت ملوك بني إسرائيل معاهد، وشنت بقباب البروج معاقده؛
ثم تدارك بنو أمية ذمها، وصفحوا أرضه وسماها؛ وهذا هو على ما هو عليه من حمل
الآلام، واختلاف دول الكفر والإسلام؛ ومن صخرته المقدسة المعراج، حيث
عرج بخاتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام) من حضرة القدس إلى حضرة القدس.
وبسط له بساط الأسى؛ ودنا من ربه مقاما لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل
إليه ملك مقرب ولا نبي كريم؛ وقد أم في ذلك المسجد بالبين، وصعد منه إلى أعلى
عليين. وإلى صفيح تلك القعة المحشر، ومنها يوم القيامة المنشر. والصحرة بها
عرش الله الأدنى، ومقام الفخار الأسنى؛ وهي التي ترف إليها عروس الكعبة زفا،
وتقسم الناس لشقاوة وزلي؛ الفضائل التي لا تحصى.

٩٥

قد تقدم حديث أبي دز: أول مسجد وضع، المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى.
وبينهما أربعون عاما.

وروى عن علي بن أبي طالب، قال: كانت الأرض ماء فبعث الله ريحا فمسحت
الأرض مسحا، وظهرت على الأرض زبدة فقسمت أربع قطع. خلق من قطعة
مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة. ذكره أبو المرح
أبن الجوزي.

بيت المقدس

وروى ابن منده بسنده، أن كعبا قال: بنى سليمان بن داود بيت المقدس على
أساس قديم، كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم.

- قال ابن الجوزي: سكن الجبارون في الأرض المقدسة فسلط عليهم يوشع، ثم سلط الكفار على بيت المقدس فصيره مزبلة. فأوحى الله (عز وجل) إلى سليمان فبناه. وروى عن سعيد بن المسيب قال: أمر الله تعالى داود أن يبنى مسجد بيت المقدس. قال: رب! وأين أبنيه؟ قال: حيث ترى الملك شاهرا سيمه. قال: فرآه في ذلك المكان. قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما ارتفع أنهدم. فقال داود: يارب! أمرتني أن أبنى لك بيتا، فلما ارتفع هدمته. فقال: يا داود إنما جعلتك خليفة في خلقي، لم أخذته من صاحبه بغير إذن؟ إنه بينه رجل من ولدك. فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض، فقال: هي بقنطار. فقال سليمان: فدأستوجبها: فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذاك؟ قال: لا بل هي خير. قال: فانه قد بدا لي. قال: أوليس قد أوجبتها؟ قال: بلى، ولكن البيعين بالخيار ما لم ينزقا. (قال عبد الله بن المبارك، هذا أصل الخيار). فلم يزل يراذه، ويقول له: مثل موله الأول، حتى أستوجبها منه بسبعة قناطير. فبناه سليمان حتى فرغ منه. وتغلقت أبوابه. فعالجها سليمان أن يفتحها، فلم تنفتح، حتى قال في دعائه: بصلوات أبي داود إلا تفتحت الأبواب! ففتحت الأبواب.
- قال: ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قنّاء بني إسرائيل: خمسة آلاف بالليل، وخمسة آلاف بالنهار. لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار، إلا والله عز وجل يعبد فيه. وقال أبو عمرو الشيباني: أوحى الله إلى داود: إنك لن تقيم بناء بيت المقدس. قال: أي رب! ولم؟ قال: لأنك غمرت يدك في الدم. قال: أي رب! أو لم يكن في طاعتك. قال: بلى وإن كان.

وقال كعب: أوحى الله تعالى إلى سليمان أن أبني بيت المقدس . فجمع حكماء الإنس
وعفاريت الجن وعظماء الشياطين . ثم فزق الشياطين ، فجعل منهم فريقا يبنون ، وفريقا
يقطعون الصخور ، وفريقا يقطعون العُمد من معادن الرُّخام ، وفريقا ينفصون
في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان . وأخذ في بناء المسجد ، فلم يثبت الساء .
وكان عليه حير^(١) بناء داود . فأمر بهدمه . ثم حصر الأرض حتى بلغ الماء . فقال :
أَسُّوْا عَلَى الْمَاءِ . فآلفوا فيه الحجارة . وكان الماء يلفظ الحجارة ، فاستشار في ذلك ،
فأشاروا عليه أن يتخذ قِلَلا من نحاس ، ثم يملأها حجارة ، ثم يكسب عليها ماء على خاتمه
من ذكر التوحيد ، ثم يلفيها في الماء لتكون أساس الساء . ففعل . فثبت وبنى . عمل
ببت المقدس عملا لا يوصف ، وزينه بالذهب والفضة واللوان الجوهر في سمائه
وأرضه وأبوابه وجُدُرِه . ثم جمع الناس وأخبرهم أنه مسجد الله ، وأنه هو الذي أمر
ببنائه ، وأنه من أنقصه أو شيئا منه ، فقد صاّد الله ، وأنه كان قد عهد إلى داود
في ذلك ، ثم أوصى سليمان بذلك من بعده . ثم آخذ طعاما وجمع الناس .

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالى : ” فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورَةً
بَابُ بَاطِلُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ” قال : هو سور بيت المقدس
الشرقي . وقد أضربنا عن كثير مما ورد في البناء السلماي والعجائب التي كانت فيه ،
لعدم صحته بالنقل .

وأما ما ورد في فضله .

فصل بيت المقدس

فمنه حديث أنس . قال : ” قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : صلاة الرجل

(١) الحير بالفتح شبه الحظيرة أو الحلي | أظهر لسان العرب ٥ ص ٣٠٨ .

(٩٧)

في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبايل بست وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يُجمع فيه بخمسة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة“.

وعن أبي ذر قال : قيل : يا رسول الله ! صلاة في بيت المقدس أفضل ، أم صلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قال : ”صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه . وانعم المصلّي ! هو أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمانٌ ، ولَبَسَ طُغْرُوسٌ من حيث يُرى بيت المقدس ، أفضل وخير من الدنيا جميعاً!“

وصح عن موسى (عليه السلام) أنه لما أُخْضِر قال : يارب أدنني من الأرض المقدسة رميةً بحجرٍ! .

ونزله أبو ذر وأكثر فيه الصلاة . وصلى فيه ابن عمر . ومات فيه عبادة بن الصامت ، وشذاد بن أوس ، وأبو أبي بن أُمّ حرام ، وأبو ربحانة (وأسمه شمعون) ودو الأصابع ، وأبو محمد النجاري . هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به . والذي أعقب منهم عبادة وشذاد وسلامة بن قيسر وفيروز الديلمي . والذي لم يعقب منهم أبو ربحانة وأبو محمد النجاري وذو الأصابع .

وقال أبو الزاهرية : أتيت بيت المقدس أريد الصلاة . فدخلت المسجد وغفّلت عني سُدّة المسجد ، حتى أطفئت الفاديل ، وأنفطعت الرجل ، وغلّقت الأبواب . فبدأت أبا كذلك إذ سمعت حفيفاً له جناحان ، قد أقبل وهو يقول : ”سبحان الدائم القائم ! سبحان الدائم ! سبحان الحي القيوم ! سبحان الملك القدوس !

سبحان رب الملائكة والروح! سبحان الله وبمحمده! سبحان العلي الأعلى! سبحانه وتعالى". ثم أقبل حفيف يتلوه، يقول ذلك. ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها، حتى أمتلأ المسجد. فإذا بعصم قريب مني. فقال: آدمي؟ فقلت: نعم. فقال: لا روع عليك، هذه الملائكة! قلت: سألتك بالذي قواكم على ما أرى! من الأول؟ قال: جبريل، قلت: ثم الذي يتلوه؟ قال: ميكائيل. قلت: من يتلوهم بعد ذلك؟ قال: الملائكة. قلت: سألتك بالذي قواكم على ما أرى. ما لقاتلها من الثواب؟ قال: ٩٨ من قالها مرة في كل يوم، لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة، أو يرى له.

وروى أبو عبد الله بن باكوية، بسنده إلى محمد بن أحمد الصوفي، قال: قال لي أستاذي أبو عبد الله بن أبي شبة: "كنتُ سبت المقدس. وكنتُ أحبُّ أن أبيت في المسجد، وما كنتُ أترك. فلما كان في بعض الأيام، نُصرتُ في الرواق بمُصْرِقائمه. فلما أن صليت العتمة وراء الإمام، أتيت الحُصْر، فأختبأت وراءها. وأنصرف الناس والقوام. ثم خرجتُ إلى الصخرة. فلما سمعتُ غلق الأبواب، وقعت عيني على المحراب وقد أنشق ودخل منه رجلٌ ثم رجلٌ إلى أن تم سبعة. وأصطف القوم. ولم أزل واقفا شاخصا زائل العقل إلى أن انفجر الصبح. نفرج القوم على الطريق الذي دخلوا." ١٥

وبه إلى ذي النون قال: بينا أنا في بعض جبال بيت المقدس، سمعتُ صوتا يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخُدام، ولَمَت بالطاعة عن الشراب والطعام، وألقت

(١) في الأصل: قال.

(٢) في الأصل: لما.

(٣) أي: وسنده يعني سداً عن عداقه ما كويه. ٢٠

قلوبهم طول الصام . بين يدي الملك العلام ! فتبعْتُ الصوتَ . فإذا أمرُدُ مصعُرُ
الوجه . يميل ميل الفصن إذا حركته الريح ، عليه شملة قد آتزر بها ، وأخرى قد آتَشَحَ
بها . فلما رآني ، توارى عني بالشجر . فقلت : ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين . فكلمني
وأوصني . فخر ساجدا ، وجعل يقول : هذا مقام من لا ذك وأستجار بمعرفتك وألفَ
محبتك ! فيا إله القلوب ، أحجيني عن القاطعين لي عك ! قال : فغاب عني ولم أره .
وروي عن قتادة في قوله تعالى : ” يَوْمَ يُنَادِي الْمُسَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ “ قال :
من صحرة بيت المقدس . وقال يزيد بن جابر في الآية : يقف إسماعيل على صحرة بيت
المقدس . فيسمع في الصور ، فيقول : أيتها العظام النخرة ، والجلود المتمزقة ، والأشعار
المتقطعة ، إن الله تعالى امرِك أن تجتمعى للحساب !

وروي ابن منده بسنده عن أنس بن مالك قال : إن الجنة لتحق شوقاً إلى بيت
المقدس . وبيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي سرّة الأرض ^(١) . (يعني الصحرة) .
وبه عن أبي إدريس الخولاني قال : يحول الله صحرة بيت المقدس مرجانة بيضاء
كعرض السماوات والأرض . ثم يصب عليها عرشه . ثم يقصى بين عبادته ، يصيرون
منها إلى الجنة وإلى النار . وقال أبو العالية في قوله تعالى : ” إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا “
قال : من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صحرة بيت المقدس .

قال المفسرون في قوله تعالى : ” وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُسَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ “
قالوا : هو إسماعيل . يقف على صحرة بيت المقدس فبأدى : يا أيها الناس ، هلموا إلّا
الحساب ! إن الله بأمرهم أن يجتمعوا لفصل القصاء ! (وهذه هي العضة الأخيرة .
والمكان القريب صحرة بيت المقدس) .

قال كعب ومقاتل : هي أقرب إلى السماء بثانية عشر ميلا . وقال ابن السائب :
بأثنى عشر ميلا .

وروى أن كعبا قدم لإلياء قرشا [حبرا] من أحبار يهود بضعة عشر ديناراً على
أن دله على الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرع من بناء المسجد .
وصلى مما يلي ناحية باب أسباط . فقال كعب : قام سليمان بن داود على هذه
الصخرة ثم استقبل بيت المقدس كله . فدعا الله عز وجل بثلاث . فأراه تعجيل
إجابته في دعوتين ، وأرجو أن يستجيب في الثالثة . فقال : ” اللهم هب لي ملكا
لا ينبغي لأحد من عدي ، إنك أنت الوهاب ” فأعطاه الله (عز وجل) . وقال : ” اللهم
هب لي ملكا وحكماً يوافق حكك ! ” . ففعل الله (عز وجل) ذلك به . ثم قال : ” اللهم
لا يأتى هذا المسجد أحديريد الصلاة فيه ، إلا أخرجته من خطبته كيوم ولدته أمه ! ”
هذه نبذة يسيرة من ابتداء وضعه .

فتح بيت المقدس
في أيام عمر ، ثم في
أيام صلاح الدين ،
ثم تسليمه للفرنج ،
وأستنقاده منهم



وأما ما يتعلق بفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
وأستيلاء الفرنج عليه ، ثم فتحه على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ،
وتسليمه إلى الفرنج بعد ذلك في أيام الملك الكامل ، ثم أستنقاده منهم بعد ذلك على
يد الناصر داود بن المعظم ، فليس هذا موضعه . وسيأتى إن شاء الله تعالى في التاريخ
التلويح بذلك والإشارة إليه . فهناك ذكره أنسب .

وسمعه ومزاراته
إلى سنة ٧٤٣

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصى ، وما أشتمل عليه من المزارات ، على
ما استقر عليه بناؤه إلى سنة ثلاث وأربعين وسبعائة .

وفد آلف في ذلك الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك تاليفا صغيرا سماه: "سلسلة المسجد، في صفة الصخرة والمسجد"، نقلتُ منه ما يليق بهذا الموضع، معتمدا في ذلك على ما حرره بالذراع.

تصنيف خاص
في الحرم القدسي

ونتدئ بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها، فنقول:

الصخرة الشريفة

- أما البناء المبارك من وجه الصحن المبروش بالبلاط المصقول، فارتحاله ثمانية عشر ذراعا، يعلو ذلك كرسى القبة، وأرتفاعه عشرة أذرع وربع، ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلاث ذراع. في دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شبابيك، وهي مئمة الأركان. كل مئمة تسعة وعشرون ذراعا وثلاث ذراع. والبناء من ظاهره مكسو منه أرتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر. ومن أعلاه سبعة أذرع إلى الميازيب بالقص المذهب المشجر المختلف. وتحتوي كل مئمة على سبع طاقات:
- ١٠ إثنين في الطرفين مسدودتان، والخمسة مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد. ومن أعلى الميازيب حائط أرتفاعه أربعة أذرع، مكسو بالقص بالصخرة المذكورة، مشخص في كل مئمة منه ثلاثة عشر محرابا. ولها أبواب أربعة: فالقبة أرتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمان. وأمامه من خارج رواق مبروش بالرخام الأبيض المشجر طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف، وعرضه أربعة. سقفه بسط مدهون. والوسط أمام الباب قنطرة بالقص المذهب، محمول على ثمانية أعمدة من الرخام: منها غرابي اثنين في طرفيه، وخضرمسيني تلوهما أربعة وثمان والحلم، اثنين، بين الأعمدة الغرابي والخضرمهنا رحام مقوش الظاهر سعته ذراع وثلث. تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب.

البناء المئمة
المحيط بها وطاقاته
وشبابيكه

وصف مبنى البناء على
الطراز العرفي

وَيُعَلَّقُ عَلَى الْبَابِ الْمَذْكُورِ مَصْرَاعَانِ مِنَ الْأَبْوَابِ مَلْبَسَةٌ بِالْحَاسِ الْأَصْغَرِ الْمَنْقُوشِ .
وعلى يَمْنَةِ الدَّخْلِ وَيُسْرَتِهِ دَرَابِزِينَ خَشَبٍ أَرْتِفَاعُ ثَلَاثِي ذِرَاعٍ ، فِي رُؤُوسِ التَّشْمِينَةِ
الْأُولَى خَاصَّةً . وَيُقَاسُ مِنْ عَتَبَةِ هَذَا الْبَابِ مِنْ دَاخِلٍ إِلَى وَجْهِ الْأَعْمَدَةِ الْآتِي
ذِكْرُهَا ثَمَانِيَةَ أَذْرَعٍ وَثَلَاثَ ذِرَاعٍ ، بِأَعْلَاهَا سَقْفٌ بِسَطٍ مَدْهُونٍ بِأَنْوَاعِ الدَّهَانِ ، أَرْتِفَاعُهُ
خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، مَحْمُولٌ عَلَى حَائِطِ الصَّخْرَةِ . وَالْأَعْمَدَةُ وَالْحَائِطُ مِنْ بَاطِنِ التَّشْمِينَةِ ،
مُلَبَّسٌ بِجَمِيعِهِ بِالرَّخَامِ بِغَيْرِ فُصٍّ بِإِنْذَارِهِ رَخَامٌ مَنقُوشَةٌ تَقْدِيرُ ذِرَاعٍ مَذْهَبَةٌ .^(١)

كُلُّ ثَمِينَةٍ مِنْ هَذَا السَّقْفِ مَحْمُولَةٌ عَلَى سَارِيَتَيْنِ مَلْبَسَةٌ بِالرَّخَامِ الْمَشْجَرِ وَالْمَلُونِ
الْبَدِيعِ . دَوْرُ كُلِّ سَارِيَةٍ أَحَدُ عَشَرَ ذِرَاعًا وَثَلَاثَ ذِرَاعٍ . وَطُولُهَا ثَمَانِيَةَ أَذْرَعٍ وَثَلَاثَ ذِرَاعٍ ،
وَجِهَاهَا الَّذِي بَلَى الصَّخْرَةَ بَقَرَتَيْنِ . وَمَعَ السَّارِيَةِ عَمُودَانِ : أَحَدُهُمَا "شَحْمٌ وَلَحْمٌ" وَالْآخَرُ
أَخْصَرُ مَرَسِيئِي . بَيْنَ كُلِّ عَمُودٍ لِأَخِيهِ خَمْسَةُ أَذْرَعٍ . وَدَوْرُهُ ذِرَاعَانِ وَثَلَاثَ ذِرَاعٍ .
وَأَرْتِفَاعُهُ خَارِجًا عَنِ الْقَوَاعِدِ سِتَّةَ وَنِصْفٍ يعلوها "بَسَاتِلٌ" مَلْبَسَةٌ بِالنَّحَاسِ الْأَصْغَرِ
الْمَنْقُوشِ الْمَذْهَبِ فَوْقَ نَقْشِهِ . يعلو "البساتل" قَنَاطِرٌ بِالْفُصِّ الْمَذْهَبِ الْبَدِيعِ .

بِهِدَّةِ التَّشْمِينَةِ الْأُولَى ، ثَمَانِيَةَ سَوَارٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ عَمُودًا . مِنْهَا أَبْيَضٌ وَأَزْرَقٌ عَشْرَةٌ ،
وَإِخْصَرُ مَرَسِيئِي ثَلَاثَةٌ ، وَ"شَحْمٌ وَلَحْمٌ" ثَلَاثَةٌ .

١٤٢

وَتَفْهَمُ مِنْ وَاجِهَةِ قَوَاعِدِ هَذِهِ الْعَمَدِ عَشْرَةَ أَذْرَعٍ لِتَشْمِينَةٍ ثَانِيَةٍ عَلَيْهَا سَقْفٌ
"مَقَالِي" مَذْهَبٌ ، أَرْتِفَاعُهُ أَرْتِفَاعُ السَّقْفِ الْأَوَّلِ . وَ"مَقَالِيهِ" مَرَكِبَةٌ بِغَيْرِ تَسْمِيرٍ لِأَجْلِ
كُنُسِ السَّقْفِ . وَالسَّقْفُ الَّذِي يعلوه الرِّصَاصُ خَمْسَةُ أَذْرَعٍ مِنَ الْبَاطِنِ . وَبِآخِرِ هَذِهِ
التَّشْمِينَةِ الدَّائِرَةُ الدَّرَابِزِينَ الْمُحِيطُ بِدَوْرِ الْقَبَةِ . وَالْحَامِلُ لِلْقَبَةِ أَرْبَعَةُ سَوَارٍ مَرْبُوعَةٍ مَلْبَسَةٍ

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَدَوْرُهَا كَانَ الْمُرَادُ : تَأَسُّدَاتُهَا .

بالرخام مثل الأولى. بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام "الشحم واللحم"
والأخضر المرسني. يملو ذلك قناطر من الوجهين : فصٌ مُذهَّبٌ، والباطن رخام
أبيض وأسود. جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عموداً : منها أخضر مرسني
سبعة، و"شحم ولحم" خمسة.

قال : ولقد قستُ عموداً منها "شحم ولحم" فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفاً وارتفاعه
خارجاً عن القواعد سبعة أذرع وثلاثي ذراع^(١).

وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة
وأربعون ذراعاً، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع، ومن ظاهر القبة
الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف.

قال : ولقد قست الدور الحامل للقبة بالأعمدة والسوارى فكان مائة وثلاثة أذرع.

وصفة الشاك الحديد الذي بين هذه العمود والسوارى له أربعة أبواب : الشمال
مها مغلق، والثلاثة مفتوحة. فأما القبلى فيصعد إليه بدرجتين. ومن حد عتبته من
داخل إلى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع. وحجر الصخرة من هذه الجهة
ملبس بالرخام الملون ارتفاع ذراعين. ويحيط بحجر الصخرة من تمة أقطاره درابزين

من الخشب المنقوش. دوره أربعة وسبعون ذراعاً. وبآخر هذه الصخرة المرنمة من

عرب إلى جهة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صفراء. قبل إنه أثر قدم النبي
(صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج. وقبالة القدم المشار إليه مرآة من السبعة معادن
يسمونها "درة حمزة" محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف : منهن اثنتان "روحان في جسد".

صفحة الشاك
وتوابعه

أثر قدم النبي
يقال

(١٢)

(درة حمزة)
مرآة من السبعة
معادن

(١) بالاصل : وثلاث.

(٢) بالاصل : السبع معادن.

وأرتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلاث ذراع، تعلوه شرفة خشب مدهونة.
وأعلى الشرفة شمعانات حديد.

والمحراب الذى يصلى به إمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلى داخل
الدرابزين الخشب المقدم الذكر . وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة،
معقود قنطرةً بالرخام الغريب، على عمودين "شمعية" يتزل إلى باطنها بأربع عشرة
درجة . طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع، وعرضها سعة ونصف
من القبلة للشمال .

و جميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام .

وباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار . كل محراب على عمودى رخام
لطاف . وأمام المحراب الأيمن صُفَّةٌ نُسِّى "مقام الحِصْر" . طولها من الشرق للغرب
ذراع وثلاث ذراع ، ومن القبلة للشمال ذراعان وربع . وبواجهها عمود رخام قائم
للسقف ، وعمود راقد مَرْدُّ لها . وبالركن الشمالى من المغارة صُفَّةٌ تَفْرُقُ الصخرة
يسمونها "مقام الخليل" . عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف ، ومن الشرق للغرب
ذراع وربع .

وأما الباب الشرقى من بناء الصخرة ، فهما بابان : أحدهما داخل الآخر .
جُعل الباب الخارج وقايةً للداخل من الأمطار والثلوج . ملبس بالرخام . رحاب
ما بين البابين عرض أربعة أذرع وربع ، وطول نرجسته اثنا عشر ذراعاً ونصف .

على يمينه الخارج بيت للبواب . وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف ، وعلى
يساره بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسينى وزُرُق .

وعقد ما بين البابين بالعص المُنْعَب . ومن عتبة الباب الثاني منهما إلى العمدة
سبعة أذرع وثلثان وهو الحامل للسقف البَسَط .



ومن واجهة العمدة للشباك الحديد أحد عشر ذراعاً . ومن باطن الشباك الحديد
إلى الدرازين الخشب الساتر للصخرة أربعة أذرع وربع . ومن حد هذا الباب
الشرقي ، على يسرة الداخل منه طالبا للقبلة على مسافة تسعة أذرع ، عمودان مرسختان
أخضر . بأعلامهما دُقِيسِي مُنْعَب يطلع من باطنه إلى ظهر سقف الصخرة والقبلة .
وأما الباب الشمالي ويسمى باب الجنة فله خرقة كالتي في الباب الشرقي
وصفتها وحليتها .

الباب الشمالي
المسمى باب الجنة

وفما بين العمودين اللذين أمام الباب - داخل درازين خشب مذهب به محراب
لطيف - إشارة على الرخامة السوداء التي يصلح الناس عندها . وقُقدت هذه الرخامة
من مئة زمانية ، وعمل مكانها رخامة خضراء . والناس يصلون ويدعون عندها .

وأما الباب الغربي فله خرقة كالباين الشرقي والشمالي .

الباب الغربي

وسعة ما بين تامين الصخرة من داخل مثل الباب الشمالي خلا السعة من الشباك
الحديد لدرازين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلثا ذراع .

هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والنساء المثلث المخطط بها .

١٥

وأما الصحن المحيط بها ، بجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول .

الصحن ومساحته

وذراع من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً ، ومن الشرق للغرب
مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع .

وذرع ما بين الرواق الذي قبلي الباب القبلي من أبواب الصخرة إلى رأس السلام الموصلة للجامع، ثلاثة ونحسون ذراعا. ومن رأس السلام إلى عتبة الجامع مائة ونحسون ذراعا ونصف وربع.

وبأعلى هذه السلام أربع قناطر محمولة على ثلاثة أعمدة وركنين من البناء : منها عمودان صوّان أحمر، والوسطاني رخام أبيض فيه نقر مربع. ذكروا في التواريخ أن الدعاء عنده مستجاب.

وشرقي هذه القناطر على مسافة أربعين ذراعا قناطر مثلها. أعمدتها اثنتان أخضر مرسينى. وفيما بين هاتين القنطرتين في أسفل الحرم صُفَّةٌ كبيرة تسمى صفة السبع دَرَج. يقال إنها مأوى الصالحين والسيّاح في الليل، وعليها يتركون.

وبجانب القنطرة المذكورة أولا، مدهونٌ صورةٌ محراب، بحذيه عمودا رخام لطاف. وفي ركنها الغربي قبتان من رخام، واحدة تعلو الأخرى : كل منهما قطعة واحدة، تسمى قبة الميزان، محمولة على اثني عشر عمودا من الرخام "الشحم واللحم" بقواعد "شمعية". والقبة التي عليها كمثل ارتفاع القبة المذكورة بكاملها : ثمانية أذرع وثلاثان. وارتفاع العمود السفلي ذراعان وسدس؛ وارتفاع العمود الفوقاني ذراع ونصف وربع. وتعرف أيضا بقبة النجو.

وبالقربة القبلية من جهة غربي الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية، طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعا، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع. لها بابان يُفتحان للشمال، بخدّهما ثلاثة أعمدة من الرخام، كل عمود به أربعة في جسد واحد،

(١) في الاصل : ساحة.

ملفوفة "متعينة". وتليو ذلك عمودان لطاف. وارتفاع بنائها تسعة أذرع من أرض
صحن الصخرة .

ويَدْخُل من البابين المذكورين لرواق طوله ثمانية عشر ذراعا ونصف في عرض
ستة ، بسقف شامى مذهب ثلاثة عشر مربعا . بصدرة القبلى ثلاث طاقات مطلّة
على الحرم وأبواب الجامع .

وبالجهة الغربية منه قبة معقودة . بكل جهة من جهاتها القبليّة والشمالية
والغربية ثلاث طاقات . ولجتها الغربية باب للدخول إليها من الرواق المذكور ،
وطاقة نطل على الرواق المذكور .

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكور قبة ألطف من هذه . سكن الإمام ، وقم
المكان ، وحاصل الزيت .

فة الملك المعظم

ورتب الملك المعظم لها إماما مفردا يصلى الصلوات الخمس . ورتب بها خمسة
وعشرين نفرا من طلبة النحو وشيخا لهم ، وشرط أن يكونوا حنيفة من جملة طلبة
مدرسته التى خارج الحرم . ووقف على ذلك قرية تسمى بيت لقيا ، من عمل القدس
الشريف . وعلى سقفها مكتوب أنه أهتم بعمارة ذلك فى سنة ثمان وستائة .

الإمام والصفحة
أحاف هذه
المدرسة



القرية الموقوفة
لطب

وأمام الشبايبك الشمالية التى بالقبة الغربية من هذا الرواق ، على تقدير خمسة
أذرع ، ممشاة معقودة علتها سبع عشرة درجة ، عرض كل درجة ذراع ، يتوصل
منهن إلى سفل الحرم .

وأمام القبة الشرقية من هذا الرواق صفة عليها رخامة منقوشة منزولة لإخراج
ساعات النهار ، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلاثان ، وعرضها ذراع وثلث ،
وارتفاعها ذراع ونصف .

مرولة المدرسة

قبة للتصديدين
بالحرَم المقدس

ويقابل هذه المدرسة في القُرنة الشرقية من هذا الصحن قبة لطيفة مكسوة من ظاهرها بالياض، خلوة لبعض المتصدين بالحرَم الشريف، يفتح بابها للشمال. وثمة جهاتها الثلاث بكل منهن طاقة مطلية على الحرم.

وفي حائطي هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان تعلو إحداهما قبة من جهة الغرب والأخرى في الشمال سقف على عمودين رخام، يصلي عليها المبلتون في الصلوات الخمس.

وذرع ما بين عتبة الباب الشرقي إلى حد الدرج، نهاية صحن الصخرة المبلط من جهة الشرق، ستة وسبعون ذراعا.

وبأعلى هذا الدرج خمس قناطر معفودة على أربعة أعمده وساريتين، يتخذهن القبلي والشمالي خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم. وأرتفاع عقد هذه القناطر عشرة أذرع، أسوة أرتفاع القناطر التي على سائر السلام. وبقي ثلاث قناطر منهن مفتوحة، يُخرج منهن إلى هذه الدرج المسماة بدرج البراق. وعدتهن ست وثلاثون درجة. وذرع ما بين أول درجة من هذا الدرج إلى حد السور الشرقي مائة وستة وخمسون ذراعا وثلاث.

وذرع ما بين الباب الشرقي البراني وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع.

أعمدة القبة



وهذه القبة محمولة على اثني عشر عمودا أخضر مرصني و"شحم ولحم". طول كل عمود، خارجا عن قواعد، ثلاثة أذرع وثلاث وربع وثمن، وأرتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية أذرع.

جميع ما بين الأعمدة محروق . وما بين العمود والعمود مُتَكَائَةً من الحجر الصوّان
المحوت المجلي ، تقدير شبر لا غير . طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع ونصف .
وعرض ما بين عمودي المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملّون . يحدّي المحراب
عمودان رخام أبيض . وبأعلى هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالفص المذهب والأخضر
المختلف الألوان . ارتفاع القناطر ذراعان وربيع ، وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية
عشر ذراعا . وبباطن هذه القبة قبة محمولة على ستة أعمدة أخضر مرسنيّة و”شحم
ولحم“ . ما بين العمود والعمود أربعة أذرع سعتها ثمانية أذرع ونصف . بأعلى الأعمدة
قناطر ملبسة بالفص ، طول أربعة أذرع ونصف . والقبة الخشب من أعلى ذلك .

روى أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي الخطيب ، بسنده إلى أبي مالك بن
ثعلبة ، قال : سمعتُ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدث عن أبيه عن جده (يرفعه)
”أن سليمان بن داود جعل سلسلة معلقة من السماء إلى الأرض ليتبين الحق من
المبطل ، فالحق ينالها والمبطل لا ينالها ، وأن يهوديا استودع مائة دينار فجعلها . فجاؤوا
إلى السلسلة - وقد سبك اليهودي الذهب في عصا - وناولها صاحب المال وحلف :
لقد أعطيته دنائره . وحلف الآخر أنه لم يأخذ . فأرقت السلسلة من ذلك اليوم“ .
ويقال إن السلسلة كانت موضع القبة المذكورة . والله تعالى أعلم .

السلسلة المعلقة
بين السماء والأرض

وذرع ما بين الباب الشمالي من أبواب الصخرة (المسمى بباب الجنة) إلى منتهى
الصحن المحيط بها إلى القناطر الثلاث المعقودة على عمودين رخام وساريتين^(١) مائة
وثمانية أذرع .

١٤٨

المشاة الموصلة للحرم

ويُنزل من هذه القناطر في ثمان درج إلى الحرم الشريف . وأمام الدرج ممشاة مستطيلة مفروشة بالبلاط ، عرضها خمسة أذرع وربع وينتهي متشاملا إلى باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء ، وطول هذه المشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعا . وسيأتي (إن شاء الله) ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم .

وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه في منتهى شمالي الصحن مسطبتان . طول كل منهما ثمانية أذرع ونصف ، من الشرق إلى الغرب ، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلاث ذراع . يصلي الناس عليهما .

ومن هذا الباب الشمالي على مسافة اثنين وأربعين ذراعا طالبا للغرب عمل مسطبة ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع ، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعا وثلاث ، وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع . بُني عليها قبة مئمنة ، تسمى قبة المعراج . بابها يفتح للشمال ، سعته ذراع وثلاث ، وطولها ذراعان وثلاث . بظاھر الصفة المذكورة حاملا لأركانها من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عمودا . طول كل عمود ، خارجا عن القواعد ، ذراعان وثلاث ذراع .

قبة المعراج

والثمينية التي بين الأعمدة ملبسة ألواح رخام ملكي مشجرة بأزرق . يُصعد إلى بابها بثلاث درج رخام . ثم ينزل إلى داخلها بمثلهن .

أرضها مفروشة بالرخام الأبيض ، وحيطانها من داخل كذلك ، مثل الظاهر . ياطنهما من الأعمدة أيضا ثمانية عشر عمودا . وبأعلى الرخام المذكور طاقات نحاس شبه الجبس "المكندج" ثلاثة ، وزجاج أربعة . وبأعلى الطاقات كرسي القبة . وعرضها من الشرق للغرب سبعة أذرع ، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع . سعة محرابها ذراع وثلاث ذراع ، وهو بأول المسطبة لجهة القبلة . والباب والسلام بآخرها لجهة الشمال . وثمة المسطبة يصلي عليها الناس .

٥

١٠

١٥

٢٠

ومن قطب القبة لأرضها ارتفاع ستة عشر ذراعاً . وبظاهرها في أعلاها قبة لطيفة مكان الهلال، محمولة على ستة أعمدة صغار رخام شمعية؛ طول كل واحد منها تقدير ذراع.



وذرع ما بين الباب الغربي إلى رأس القناطر التي أمامه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعاً وثلاث ذراع . وهي أربع قناطر معقودة على ثلاثة أعمدة مكتبة بالأزرق وساريتين .^(١) ويتزل من هذه القناطر بأربع وعشرين درجة إلى الحرم . ومن حد هذه الدرج إلى السور الغربي^(٢) (وهو الذي فيه الباب الحديد المعروف الآن بباب القيسارية ، وفيه باب الميضاة وسائر الأبواب الغربية الآتى ذكرها إن شاء الله عند ذكر أبواب الحرم) خمسة وثمانون ذراعاً وثلاث ذراع .

وبظاهر هذا الصحن من الصهاريج المركب على فوهة كل منهن خرزة رخام أو حجر منحوت سبعة ، لمن تسعة أبواب . منها بالجهة القبلية بئر يعرف بالرمانة له بابان : هذا الباب الذي بالصحن ، وباب بسفل الحرم أمام الجامع ، وبالجهة الشرقية بئران ، يعرف أحدهما بالشوك ، ويعرف الآخر ببئر الورد ، له بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة . وبالجهة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة . وبالجهة الغربية ثلاث آبار : إحداها يُعرف بالكاس لأن على فوهته كأس رخام طويل ، والآخر له بابان من الصحن ، والآخري يعرف بئر .

الآثار وصح ربح
صحن الحرم

(١) بالأصل : وساريتين .

(٢) بالأصل : الصور .

(٣) بالأصل : من م الصهاريج . ولا يستقيم الكلام في رأينا إلا بإحمال لفظة م واعتبارها رائدة .

(٤) في الأصل : تذكير البئر في مواضع وصح القنويون على تأنيها .

وإذ ذكرنا ما في هذا الصحن من الصهاريج، فلنذكر ما في سفلى الحرم من الصهاريج، فنقول:

الصهاريج في سفلى
الحرم المقدسى

في سفلى الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجاً .

بالجبهة القبلىة ستة : بالقرب من الزاوية الفخرية واحد، وبباب الجامع واحد؛
وداخل باب الجامع الشرقى واحد، ويسمى ببئر الورقة، وله بابان أحدهما هذا الذى
داخل باب الجامع، والآخر فى مكان يعمل فيه نجارة الحرم، والبئر الأسود، وله
ثلاثة أبواب: أحدها ينزل إليه بدرج، وبئر يعرف بالبحيرة، له بابان؛ وبئر فى الحاكورة
التي عند الباب الشرقى، وله بابان: واحد فى الحاكورة، وباب خارج عنها .

١١٥

وبالجبهة الشرقىة ثلاثة آبار : منها بالقرب من باب الرحمة واحد، له بابان .

وبالجبهة الشمالىة ثلاثة آبار: بئر بركة بنى إسرائيل؛ وبئر بباب شرف الأنبياء؛ وبئر
بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوى وخانقاه الإسعردى .

وبالجبهة الغربىة ثلاثة: أحدها بباب الفوانمة؛ والآخر عند باب الرباط المنصورى،
وله بابان: باب فى الحاكورة، وباب خارج عنها، يعرف بأبن عروة؛ وبئر عند الباب
الحديد مغطى بحصر الأروقة .

وهذه الآبار الأثان والعشرون معمرة بالمياه .

وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة . واحد عند درج الميزان، والثانى
عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون بالجبهة الشرقىة من الحرم .

(١) ليس فى الأصل فقط . مقطنا الكلمة ولا نصى أنها مطابقة لما أراد المؤلف ، ويحور أن تكون نجارة .

(٢) يظهر أن هذه الكلمة مصروب عليها فى الأصل ولكن بكيفية توحى الشك .

وقد أستوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما أشتمل عليه .

فلذا ذكر ما بياطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك .

ونتدئ أولاً بذكر السور المحيط بذلك جميعه .^(١)

صفة السور القبلي وما صاقبه من المساجد وغيرها

- وأول هذا السور من جهة الغرب مسطبةٌ طولها من المحراب للشمال ستة أذرع وعرضها ستة ونصف . وبصدرها محرابٌ . ويتلوها من جهة شرقها بابُ الزاوية المعحرية ، ويتلو بابُ الزاوية الفخرية من الشرق صُفَّةٌ عشرة أذرع وربع ، وعرضها ثلاثة ونصف . ويتلو هذه المسطبة باب جامع المغاربة . وطول جامع المغاربة من محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعاً ونصف ، وعرضه أحد عشر ذراعاً ونصف . ومحرابه لطيفٌ ، مركب على عمودين رخام لطاف . ومن ظاهر حائط هذا المحراب إلى حائط جامع النساء نَحْرَجَةٌ في الزاوية الفخرية التي إلى جانبه ، وطول دهليزه أحد عشر ذراعاً وثلاثة أذرع ، وعرضه أربعة أذرع وثلاثة أذرع .

السور القبلي
ومساحته ومحاربه

١١١

وفي باطن سوره الشرق مسطبة لطيفة ، عرضها ذراع ونصف ، وطولها ثمانية أذرع ونصف وربع وثمان .

- وفي ثخائن السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القومة به . وله باب واحد يفتح للشمال . سَعْتُهُ أربعة أذرع وارتفاعه خمسة أذرع .

باب القناديل
والحوائج

جامع المغاربة
وجامع النساء

وقولنا جامع المغاربة، لغلبة هذا الاسم على السنة الجمهور. ولو قلنا مسجد المغاربة، لما علم الجمهور بالقدس. وكذلك جامع النساء. كل ذلك ليس يجوامع تقام فيها خطبة. وإنما لكل منها إمام مفرد، يصلي فيه الصلوات الخمس لا غير.

ويتلو جامع المغاربة قَصْوةً كبيرةً يتلوها جامع النساء . وطوله من الشرق للغرب
أثنان وستون ذراعاً ونصف ذراع، وعرضه من القبلة للشمال ^(١) أثنان وعشرون ذراعاً
وثلاث ذراعاً، وهو رواقان سقفيهما اثنا عشر عقداً: كل رواق ستة عقود محمولة في الوسط
على ست عضائد. وبصدره من الشبابيك خمسة: عرض الشباك الأول منها ذراعان
ونصف، وعمقه في السور ثلاثة أذرع، وهو عرض السور جميعه في هذه البقعة،
وأرتفاعه ثلاثة أذرع وثلاث ذراع. وثمة الشبابيك دون هذا المقدار.

١٠ وبجائطه الغربي شباك مطّل على حارة المغاربة .

وباب هذا الجامع يُفتح للشمال. وبكل خذ أربعة أعمدة رخام أبيض في جسد
واحد. طولها خارجاً عن القواعد ذراعان إلا ربعاً. وأمامه شجرتان عظيمتان من
الجوز، تحتها مسطبة يصلي الناس عليها .

١٥ ويدخل من الباب المذكور وينزل بنحس درج إلى الأروقة المذكورة . ومن
باب جامع النساء على مِصْبَى سبعة وعشرين ذراعاً من جهة الشرق، الباب العربي
من أبواب الجامع المسمى الآن بالمسجد الأقصى .

(١) في الأصل : وعرضها ... وهي . [والسياق يدل على أن المراد مساحة ذلك الجامع . لذلك استعملنا
الصغيرين المذكورين] .

صفة السور الشرقي



السور الشرقي
(وفيه مهد عيسى)

تقدم أن في قُرنة السور القبلي مهّد عيسى، عليه السلام. وشماله رواق معقود على ستة عقود قد خربت مساطبه من العمار القديمة. وبعض أرضه مبسوطة بالقص. طوله ثلاثة وأربعون ذراعا، ومن جانبه للقبلة كشف إلى حد مهّد عيسى.

- وشمالى هذا الرواق، على مصى^(١) ثلثمائة ذراع، مسجد باب الرحمة. وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعا، وعرضه قبلة^(٢) وشمالا أربعة عشر ذراعا ونصف. وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع. يصلى فيه إمام مفرد. وهو معقود بالحجر المنحوت ست قباب: اثنتان مرتفعتان، وأربعة منبسطة على عمودين صوّان بيض في الوسط وساريتين في وسطه طول كل عمود أحد عشر ذراعا ودورته أربعة أذرع ونصف. وهذا المسجد متخذ باطن البابين المسميين بباب الرحمة.

١٠

باب الرحمة

وهما بابان قديمان قد سُدّا. على كل منهما مصراعان من خشب مصفح من خارج بالحديد. طول كل منهما أحد عشر ذراعا، وعرضه ستة ونصف. وخلف كل مهما بابان بالصفة المذكورة إلا أنهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش. قد سُمّرا وأُحْكِمَ غلقهما. قيل إنهما من بقايا العمار السلمانية، سُمّيا بأبواب الرحمة.

- ومنتهى السور الشرقي رواق طوله من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا ونصف. ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلث، ويعقبه في أول السور الشمالى باب أسباط. وسيأتى ذكره، إن شاء الله.

١٥

(١) بالاصل : وعرضها.

(٢) بالاصل : وشمال.

وليس في هذا السور الشرقي الآن بابٌ يُسلك منه للحرم الشريف . ولم يكن له في الزمن القديم سوى البابين المذكورين .
ويقال إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) غلقهما لما فتح القدس . فلم يفتحها إلى الآن .

المقبرة خارج
هذا السور

وقد آخذ الناس ظاهر هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم . وفيها قبر شداد بن اوس .

١١٣

وادي حهم
وادي من غمات
المان والآثار
والقوش والمعابد
القديمة

وتلو المقبرة المذكورة وادي عميق يعرف بوادي جهنم ، يزرع . وفيه كروم وبساتين . ومنه يتطرق إلى عين [ماء] . وفيه أبنية عجيبة وآثار غريبة وقوش ومعابد قديمة . وهو وقف على المدرسة الصلاحية . وحد هذا الوادي من الشرق طور زينا الذي قال إن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام منه . وبه قبر رابعة العدوية ، يُزار قصداً . وفيها بين السور الشرقي وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين . تقدير عدتها مائة شجرة ، يستظل الناس تحتها ويصلون .

قال صاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك :

وصف المصنوع
الارعة بالحرم
القدس

”ولقد مضى على في مجاورة هذا الحرم الشريف القصور الأربع ، فرأيت له في كل فصل محاسن في غيره لم يُجمع ، وهو أنه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزهار المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لب الذكي الأروع . وكل أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتي إليه ، ويأخذ من تلك الأزهار ما علم منفعة ومضرة .“

قال : ”وأما ما شاهدته بالبيان ، أنني جلست وقتاً في بقعة منه تكلمت بأزهار من الشقائق والبهار والأقوان ، وإلى جاني فقير عليه أطمار رثة يبدى تبسماً ، وتارة يعلل صوته

- بالتسبيح والتكبير ترميًّا، ويقول: سبحان من جمع فيك المحاسن وكسالك هذه الحلال
 الفانحة، وجعلك تحتوى على كنوز الدنيا والآخرة! فقلت له ياسيدى! أما فضله
 وركته، فقد صدق العيان فيها الخبر، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر؛ لكن
 ما كنوز الدنيا؟ فقال: ما من زهرة تراها إلا ولها في الشغ والضرر خواص، يعرفها
 أهل الاختصاص! فقلت: لعل تظهر للعيان شيئاً مما عرفت يزداد به اليقين تبصره،
 وتكون هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسره. فأخذ بيدي ومشي خطوات
 إلى جهة من جهات الحرم. ومد يده أخذ قبضة من ذلك الكلب، وقال: هل
 معك خاتم أو درهم؟ فقلت نعم. فأخرجت درهماً مما معي. فعركه بذلك الكلب،
 فعاد كالدينار في صفرته. ثم أخذ حشيشة أخرى، وعركه بها. فعاد أبيض.
 أني مما كان أولاً. وقال: هذه رموز آحتوت على تلك الكنوز. ولم يترك نبي الله
 سليمان شيئاً من المواهب التي معه الله إياها، والمنافع التي وصلت إليه من الإنس
 والجن على اختلاف صورها ومعناها، إلا وأودعه في هذا الحرم. فأين من يهم تلك
 المعاني، أو من كان لها يُعاني؟ ثم أخذ منها غير ما كنت أسلكه. فسألته التلبث
 والتلبث. فقال: الدنيء من صرف نظره إلى العرض الأدنى، والسرى من صرف
 زمانه بالتهجد في هذا المغنى. أوصيك أن تفتن الفرصة في ركعات تقدمها بين يديك،
 فما سواها فإن، ولا تلتفت إلا إلى ما يترك من الرحمن. فقلت: ما سبدي! ومثلك
 من يمتنع إلى أبواب الصواب. فقال: ما بعد السنة والكتاب من باب. ثم فارقتي مهرولا،
 معلماً بصونه ومرتبلاً. يقول: سبحانك يادائم! سبحانك يا قدوس! سبحانك
 يا رحمن! سبحانك يا محيي النفوس! جعلت هذا الذكر لي ديدناً، وكلما اشتاقت له
 مني عين أطربت بذكره أذناً.

صفة السور الشمالي وفيه عدة أبواب

أولها من جهة الشرق بابٌ يسمى باب أسباط، وهو تلو الرواق المقدم ذكره
الذي هو نهاية السور الشرقي، وارتفاع هذا الباب خمسة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع
ونصف وربع وثمن ذراع.

ويعقب هذا الباب من غربيه، رواقٌ معقود على عشر سوارٍ، طوله آثنان وسبعون
دراعا، وعرضه ثمانية أذرع، بصدرة أربعة شبابيك مُطلّة على بركة بنى إسرائيل،
وهي بركة قديمة عميقة.

ويعقب هذا الرواق ساحةٌ، وهي أرضٌ كُشِفَ ببعضها مصبُ مياه لبركة بنى
إسرائيل، وبعضها كُشِفَ، قصد أن يُبنى به أروقة، وإلى الآن لم تُكْمَلْ، وطولها أربعة
وسبعون ذراعا.

ويعقب هذه الأرض المدرسةُ الكريمة، وجاورت ما أمامها من الأروقة بحائطين: ^(١)
غربية وشرقية، وجعلوا مصيقيْن قدامها، وطول هذه المدرسة من الشرف للغرب
خمسة وعشرون ذراعا، وجُعل قدام هذه الأروقة مسطبةٌ يصعد إليها بأربع دَرَج بارزة
في الحرم، طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا، وهذه المدرسة بناها كريم الدين
عبد الكريم، فآثار الخواص الشريفة السلطانية الناصرية، ويعقب هذه المدرسة بابٌ،
يسمى باب حِطّة، عرضه أربعة أذرع وثلاث أذرع، وارتفاعه ثمانية أذرع، أمامه مَمشاة

مروشة بالبلاط، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعا، وعرضها خمسة أذرع وكُسِّرَ
يُصعد من آخر بدرج ^(١) إلى ثلاث قناطر معقودة على عمودين رخام وساريتين، يُدخل
منهن إلى صحن الصخرة .

ويُخَدَّى هذا الباب مسطبتان لطيفتان، عرض كل منهما ذراعان: الشرقية منهما
لصيقة للدرسة الكريمة المذكورة؛ وتلو الغريسة رواق، طولُه اثْنان وسبعون ذراعا
في العرض المذكور .

وفي سورة ثلاثة شبايك للرباط العَلَمَى الدواداري . وبأوله من الشرق بالقرب
شباك للتربة الأوحدية، من بني أيوب .

ثم يتلو هذا الرواق بابٌ يعرف بباب شرف الأنبياء . طولُه ثمانية أذرع وعرضه
أربعة . وأمامه ممشاة نظير المشاة المذكورة . وقد تقدم ذكر هذه أيضا .

ويتلو هذا الباب رواقٌ طولُه سبعة وأربعون ذراعا، وعرضه سبعة أذرع ونصف،
معقودٌ على ثمان سَوَارٍ . بأوله شبا كان . أحدهما مفتوحٌ يُتوصَّل منه إلى زاوية
الصاحب أمين الدين، المعروف بأمين الملك . وتلوهُما بابٌ يُصعد من باطنه إلى زاوية
اللاوى . وتلو الباب مسطبة، فيها صهريجٌ .

ويعقب هذا الرواق من الغرب رواقٌ معقود عقدين على ثلاث سوارٍ . طولُه
تسعة عشر ذراعا ونصف، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع . ويُصَلَّى به الآن
بعض النسوة، الصلوات الخمس، خلف الأئمة .

(١) لعله من آخره أو من آخرها [ليستقيم بناء الكلام] .

مدرسة آل ملك
وحاقاه الاسعدي

وبأعلاه مدرسة الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار، وخاتناه مجد الدين
الإسعدي التاجر . وبأوله جوار الصهرنج المذكور . ^{ويعتقد} سلم يصعد منه إلى المدرسة
وخاتناه المذكورتين .

ويعقب هذا الرواق كشف ليس به أروقة . وهو صورة مسطبة عالية . ويُنزل
من وسطها بست درج إلى الحرم .

مدرسة الخاول

وبأقصى ارتفاع هذا السور خمسة شبايك لمدرسة الأمير علم الدين سنجر
الخاولي، رحمه الله . وليس لها استطراق إلى الحرم . ومن حدّ هذا الكشف، طالبا
لجهة الغرب، خلوتان . لكل منهما باب يُفتح للجهة القبليّة من الحرم . وداخلهما كله
في باطن السور الشمالي . وهي من جبل صخر أصمّ، صفة مغارة . وقيل يعرف قديما
بمغارة إبراهيم . وفي الشرقية منهما شبك لطيف . وإلى جانب هاتين الخلوتين، خلوة
لشيخ الحرم . وبها شباك كان على الحرم الشريف . وطولها ستة عشر ذراعا . وأمامها
مسطبة في الطول المذكور، وعرضها أربعة أذرع وثلاث . وبأعلى هذه الخلوة، خلوة
يُصعد إليها بسلم، بسبع درج في حدّ الباب الذي يفتح للشرق .

ويتلو ذلك رواق على عقدين طوله من الغرب طالبا للشرق خمسة عشر ذراعا
وعرضه تسعة ونصف . وتلوه سلم مستطيل جدًا، يصعد من أعلاه إلى مأذنة، وإلى
دار هناك لبني جماعة . وهذه المأذنة هي أقصى السور الغربي، وارتفاعها ثلاثة وخمسون
ذراعا . وبأعلاها درابزينات خشب منقوشة . وهي مكحلة من العمدة الرخام اللطاف
بأحد وثلاثين عمودا .

صفة السور الغربي

السور الغربي

ويشتمل على سبعة أبواب بما فيه من باب الطهارة، فإنه الآن غير نافذ .
وامام كل باب شجرة كبيرة من الميس أو التوت، وتحتها مسطبة يصلّي الناس عليها،
ويستظلون بها، خلا باب الغوانمة، فليس قدامه شيء .

ومبدأ السور من المأذنة المذكورة .

أبوابه

- وأول أبوابه من هذه الجهة، باب الغوانمة، وطوله أربعة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع .
يُصعد إليه من الحرم الشريف بعشر درج . ويجتذ الشالي خلوة للبواب ، بارزة
في الحرم تقدير خمسة أذرع . ومن حد هذه الخلوة إلى المأذنة المذكورة خمسة وثلاثون
ذراعا . ومن الباب المذكور - على مصى ثمانية عشر ذراعا طالبا للقبلة - باب لطيف
خلوة في باطن عرض السور لبعض الفقراء المجاورين . ومن حد هذه الخلوة إلى نهاية
أربعة وعشرين ذراعا حاكورة بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمى .

وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدمين ، وله تأثيرات حسنة في الحرم من
المواعيد والأبنية .

آثار علاء الدين
العمى باطن الحرم

- وطول الحاكورة طالبا للشمال خمسة وأربعون ذراعا، في عرض سبعة أذرع وكسر .
ومن نهاية الحاكورة إلى أقصى السور وهو المأذنة المذكورة ثشف بلا أروقة .
ولصيق هذه الحاكورة من القبلة باب كبير يعرف بباب الرباط المنصوري . طوله
سته وعرضه خمسة ونصف . وأمامه تمشاة يتوصل بها إلى السلم الذي يتوصل منه
إلى صحن الصخرة، قبالة الباب الحديد الآتى ذكره .

باب الرباط
المنصوري

ويخذه الباب المذكور إلى جهة الشمال عقد على ساريتين ، طوله تسعة أذرع وعرضه عرض الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به . وهذا العقد أول العقود في السور الغربي .

وعمِل في ثمانية الحائط التي في أوله مع ثمانية السارية خلوة صغيرة للقيم والبواب بالباب المذكور .

ساكن ومحال
وحلوات

وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشرون يومئذ للنظر في المصالح . وتلو الباب المذكور عرض الحاكورة ، وطوله مائة وثمانية أذرع ، معقود على ست عشرة سارية . وعلى تقدير عشرة أذرع من أوله شبك القاعة التي هي سكن الناظر على أوقاف الحرم . وهي من وقف الحرم . وفي آخره خلوة لطيفة سكن القيم و برسم القناديل .

وتلو ذلك الباب المعروف بالحديد . طوله أربعة أذرع ونصف ، وعرضه ذراعان وثلاث ذراع . وأمامه ممشاة مبلطة يتوصل منها إلى سلم لصحن الصخرة الشرفة . عرضه ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف وعدد درجه إحدى وعشرون درجة . وليس بأعلى قناطر أسوة بقية السلام .

باب الحديد

وتلو هذا الباب رواق على ثمان سوار طوله ثمانية ونمسون ذراعا وعرضه عرض سائر الأروقة . وبآخره باب لطيف لخلوة لبعض الفقراء .

باب الحديد

ثم يتلو هذا الرواق باب كبير عمِل من قريب وأستجدة فتحه ، يُنزل إليه بعشر درجات . له مساطب في خفيه . طول كل منها سبعة أذرع وعرضها ذراع وثلاث ذراع .

(١) في الامل : مصالح .

قد أُتِّقَتْ عمارته . وأرتفاعه ثمانية أذرع وعرضه خمسة أذرع . وعقده بوجهين ،
 منقوش بالحجر الملون . وطرارز كتابته بالذهب ، تُقرئ الحجر . وأبوابه مصفحة بالنحاس .
 المذهب المخزم ، متقن العمارة والزخرفة . ويتوصل منه إلى القيسارية المستجدة .
 وتشتمل على صُنْفَي حوانيت ، بعضها وقفٌ على الحرم ، وبعضها وقفٌ على المدرسة
 والخاقاه اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكر ، رحمه الله ، وسيأتي ذكرها .
 عن كُتُب . إن شاء الله !

وإلى جانب هذا الباب رواقٌ معقود على ساريتين بكارجدا طوله خمسة عشر
 ذراعا ، وعرضه إلى خارج الساريتين سبعة أذرع وثلاث ذراع وإلى باطنهما خمسة
 أذرع ونصف . بصدرة شباكٌ لقاعة من وقف الحرم . وبجانب الشاك خلوة
 لطيفة للقيم والبواب . وإلى جانب هذا الرواق بابُ الطهارة . وهو يشتمل على
 طهارتين : إحداهما للنساء ، والثانية للرجال . وتشتمل طهارة الرجال على ثلاثة وعشرين
 بيتا وفسقية كبيرة . وبأعلى طهارة النساء مساكن تُكرى لوقف الحرم .

الحلاوى
والطهارات
والمساكن
١٢٠

وباب الطهارة يُنزل إليه من أرض الحرم بأربع درجات . وطول الباب أربعة أذرع
 وثلاث ذراع ، وعرضه ثلاثة وثمَن . وبعده سبع درجات إلى دهليز مستطيل ، يتوصل
 منه إلى طهارة الرجال وإلى سلم يتوصل منه إلى علو طهارة النساء . وطهارة النساء
 في أوائل الدهليز ، على يمين الداخل .

باب الطهارة

ويتلو باب الطهارة رواقٌ طوله ثلاثة وستون ذراعا ، وعرضه سبعة ونصف .
 معقودٌ على تسع سوارٍ .

وفيه في ثمانية السور بابان خلوتين : إحداهما للقيم والأخرى برسم فقير . وفي آترة من جهة القبلة محرابٌ ملاصقٌ للأذنة ، يُصلّى فيه صلاةٌ مفردةٌ بإمامٍ مفردٍ . وتجاوره المأذنة المختصة بالحرم وارتفاعها ثمانية وأربعون ذراعاً . وباعلاها درابزينان من الخشب . وهي مكحلة من العمد الرخام اللطاف بثمانية أعمدة .

باب السلسلة
(وهو باب السحرة)

ويتلو المأذنة بابان قد غلق الشمالى منهما وُسُمر والمأذنة إلى جانبه . ويسمى الباب المفتوح باب السلسلة . ويعرف قديماً باب السحرة . سَعته خمسة أذرع وثلاث ، وطوله ثمانية ونصف . وكذلك المغلق^(١) . وأمام هذا الباب ممشاة قلع يتوصل منها إلى سلام صحن الصخرة بعقد قنالة المعظمية . ذرعها سعة وسبعون ذراعاً وربيع . ويتلو الباب رواقٌ معقود على عشر سوارٍ طوله سبعة وخمسون ذراعاً ، وعرضه سبعة أذرع وربيع ، وارتفاع عقده عشرة أذرع ونصف . وهو نظير ارتفاع سائر سقوف أروقة الحرم .

وهذا الرواق فيه شباك للدراسة التنكزية : أبوابها من الآبنوس والعاج . وداخلهما المدرسة . وظهره حامل للثقاق التنكزية . وفي آترة باب لطيف يصعد منه إلى أعلى المدرسة وسكن الصوفية . وفي آخر سواريه ستة أعمدة من صوّان كبار . ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبةً ارتفاعها ذراعاً وطولها من الجنوب للشمال ثمانية وثلاثون ذراعاً إلا ثمناً ، وعرضها عرض الرواق المذكور .

باب حارة المغاربة

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعاً ، تجدد باب حارة المغاربة . وسعته ثلاثة أذرع وربيع ، وطوله أربعة ونصف .

وتلو الباب المذكور على ثلاثة أذرع مسطبة . وهي نهاية السور الغربي وأول السور القبلي . وهذه المسطبة مجاورة للزاوية الفخرية التي هي أول السور القبلي من جهة الغرب . وقد تقدم ذكرها .



وإذا قد أسنوعنا صفة السور المحيط ، فلندكر الآن ما وعدنا بذكره مما أشتمل عليه سوى صحن الصخرة .

ونبدأ بما هو تحت صحن الصخرة ، وعدته تسع خلأ : أحدها جمل حاصل لأصناف الحرم .

الخلاوي
والخواصل تحت
الصخرة

فمنها بالجهة القبلية ثلاثة : منها ما على أبوابه مساطب ومعرشات كرم ، وفيه أبواب الرواق المعظم التي تحت مدرسته . وهو مصلى للحنابلة بإمام مفرد ، ويجانبه الشرق حاصلان يجعل فيهما زيت الحرم وأصنافه .

وفي الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع خلأ : منها ما عمل قدام أبوابه حاكورة وغرست أشجارا . والجهة الشمالية خالية من الخلاوي والخواصل .

وبالجهة الغربية خلوتان . إحداهما جعلت حاصل لأصناف الحرم . وفيه أبواب للرواق المعظم . وقبالة أبواب الرواق المعظم من الغرب قبة موسى عليه السلام . وهي أمام باب السلسلة وأمام رواق الحنابلة . بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعا . وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعا . وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف ، وارتفاعها نصف ذراع . بصدر المسطبة القبلي القبة المذكورة . طولها من ظاهرها من القبلة إلى الشمال

عشرة اذرع، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك. وارتفاع كرسى القبة من ظاهر المسطبة ثمانية اذرع. تشتمل هذه القبة من باطنها على أرض معروشة بالرخام .
بابها يفتح للشمال. عرضه ذراع ونصف، وطوله ذراعان وثلاثان . وبحذيه شباكاً حديد في طول الباب وعرضه . وبكل جهة من جهاتها شباكاً حديد. يُغلق على كل شباك، زوج أبواب. وهي محمولة على الأركان. وبين كل حائط وأخيه قوس عقيد. وبأعلى كرسى القبة كرسى ثان، فيه خمس طاقات زجاج. وبأعلى الكرسى الثانى القبة المعقودة. تقدير ارتفاعها من ظهر الكرسى الثانى ثمانية اذرع. وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية، حتى ولا في خذى المحراب .

صفة قبة سليمان عليه السلام

وهذه القبة بالجانب الشمالى من الحرم . وهي مسامنة للصهريرج والسلم الذى
بصعد منه إلى الخانقاه الإسعردية والمدرسة السيفية آل ملك .

ومن واجهة الصهريرج إلى باب القبة ثمانية وأربعون ذراعاً. وهو يفتح للشمال .
طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع وثمن . بحذيه عمودا رخام ومسطبتان : يبنى
وسرى. طول كل منهما خمسة اذرع وربع، وعرضهما مثل ذلك .

وبحذى الباب المذكور شباك كان مطلقاً على هاتين المسطبتين . طول كل
شباك منهما ذراعان وثلاث ذراع، وعرضه ذراع وثلاثان .

يدخل من هذا الباب إلى قبة مئنة . وثلاثة التثمينات مسدودة . بها أربعة وعشرون
عموداً من الرخام طول كل عمود - خارجاً عن القواعد - ذراعان ونصف . في كل تثمينه

من المسدودات أربعة أعمدة حاملة للرخامة التي في عقد القناطر . وبمحدّتي المحراب عمودان لطيفان طول كل منهما ذراع ونصف .

١٦٦

وفي نهاية العمدة - عند نهاية كرسي القبة - طاقات زجاج بدائرها . سعة القبة ستة أذرع ونصف ، وارتفاعها من قطب القبة للأرض عشرون ذراعاً .

وعلى بئمة المصلى في المحراب صخرة صغيرة طولها ذراعان وربع ، وعرضها من الجهه القليلة ذراع . ومن الشمالية ثلثا ذراع . يدعو الزوّار عندها . ويقال إنها من الآثار السلمانية ، وإن الدعاء عندها مستجاب .

صخرة سليمان

وفي حائط هذه القبة القبليّة ، من خارج ، عمودان من الرخام . وبهما تكمل ما بهذه القبة من الأعمدة ثلاثين عموداً .

١٠ صفة المجلس الذي بناه سليمان عليه السلام

ويسمى الآن اصطبل سليمان

قال صاحب تاج الدين : هذا المجلس بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذي أعلاه . وله من داخل الحائقات الصلاحية (يعني المجاورة لمقصورة الخطابة وبها الآن شيخ يدعى الخنفي ، وبه تعرف الآن) سلّمان : أحدهما ست وثلاثون درجة يُتّزل منها إلى بعض أقسام المجلس المذكور ، والثاني أربع وخمسون درجة ، يُتّزل منها إلى بقية أقسام المجلس المذكور .

اصطبل سليمان

قال : والمكان في عابة النور لما عمل له من المناور والطاقت المحكمة . وهو رواقات عقودها محمولة على عمد من الصوّان وأركان البناء . وعرض هذه المجالس من القبلة إلى الشمال : منها ماعرضه ثمانية أذرع ، ومنها ماعرضه تسعة أذرع ، ومنها ماعرضه

عشرة أذرع ، وارتفاع عقوده من الأرض التي بها الابواب النافذة لرأس وادى عين سلوان منها ما تقدير ارتفاعه عشرون ذراعاً، ومنها ما تقديره خمسة عشر ذراعاً.

ويقال إن أحد هذه الأبواب كان منه دخول الأنبياء عليهم السلام.

وي إحدى أسطواناته حَلَقَةٌ. يقال إن البراق ربط بها ليلة الإسراء.

مرطط البراق

وهذه الأروقة كلها آخذة من الشرق للغرب . فمنها ما يمكن قياس طوله ، الذي

١٢٤

يمكن التطرق إليه . فكان تقديره ثلاثة وتسعين ذراعاً . ومنها ما لم يمكن قياس طوله لكون أطواله قسمت حيطاناً : منها ما هو في وقتنا هذا مملوء بالتراب المهول ، ومنها ما هو صفة حواصل ، ومنها ما هو مساكن ومرافق لسكان الخلقاء المذكورة.

قال : ونطاق التُّطْق ضاف عن استيعاب وصف هذا المجلس . لكن الأماكن التي

يمكن التطرق إليها والمشى لها هو نافذ منها دلت على أن البقعة المسماة بالجامع (يعنى

المسجد الأقصى) موضع الخطبة الآن ، وبقعة جامع النساء وغالب المشاوات التي بالحرم

والأشجار المزدعة : كلها معلقة على هذه العقود والسواري .

قلتُ : ولقد دخلتُ إلى بعض هذه الأماكن ، ورأيتُ من عجائب الأبنية بها

رياسة المؤلف

ما يملأ العين . وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الخُتْنِي ثم أفضيتُ منها

إلى الكروم وظاهر المسجد .^(٢)

(١) بالأصل : دل .

(٢) ياص آخر الصحيفة بالأصل مقداره تسعة سطور .

قبر الخليل عليه الصلاة والسلام

وما جاوره من قبور بنيه والأزواج

وكلها داخل ذلك المسور ، وفي حدود ذلك المكان المنور .

قبر الخليل . إبراهيم
وروجته سارة
وأسمه إسحاق

- روى الحافظ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين الرُمَيْليّ المقدسيّ ، بسنده
إلى كعب الأجبّار ، قال : أول من مات ودُفن بِحَبْرَى سارة . وذلك أن إبراهيم
خرج لما مات ، يطلب موضعا ليقبرها فيه . فقدم على صفوان ، وكان على دينه .
وكان مسكنه وناحيته حَبْرَى ^(١) . فاشتري منه الموضع بخمسين درهما . وكان الدرهم
ذلك العصر خمسة دراهم . فدُفنت سارة فيه . ثم تُوفّي إبراهيم فدُفن لَصِيْقَهَا . ثم تُوفّيت
رَبْقَةُ زوجة إسحاق ، فدُفنت فيه . ثم تُوفّي إسحاق فدُفن لَزِيْقَهَا . ثم تُوفّي يعقوب فدُفن
في الموضع . ثم تُوفيت زوجته لِيَقَا فدُفنت معهم .

- فاقام ذلك الموضع على ذلك إلى زمن سليمان . فلما بعثه الله ، أوحى إليه أن أبني
على قبر خليلي حَبْرًا حتى يكون لمن يأتي بعدك ، لكي يُعرف .
نخرج سليمان وبنو إسرائيل من بيت المقدس ، حتى قدم أرض كنعان . فطاف
فلم يصبه . فرجع إلى بيت المقدس . فأوحى الله إليه : يا سليمان ، خالفت أمرى !
قال : يا ربّ ، قد غاب عني الموضع . فأوحى الله إليه : امض ، فإنك ترى نورا من
السماء إلى الأرض ، فهو موضع قبر خليلي . نخرج سليمان ثانيا ، فنظر فأمر الجن فبنوا
على الموضع الذي يقال له الرامة . فأوحى الله إليه : إن هذا ليس هو الموضع ، ولكن

(١) حَبْرَى كسرى [أظن القاموس . وقد أورد القصة في "معجم ياقوت" ج ٢ ص ١٩٥ بعض
تصحيح في الاسماء .]

اذا رأيت النور قد ألترق بأعنان السماء . نخرج سليمان فنظر إلى النور قد ألترق بأعنان السماء إلى الأرض . فبنى عليه الخير .

قلت : ولم يكن لهذا الخير بابٌ . وإنما المسلمون لما أفتتحوا البلد ، فتحوا له بابا . وبنائه بناء محكم . وفي حائطه حجارة هائلة في كبر القدر ، منها ما طوله سبعة وثلاثون شبرا .



وقد أقيم بهذا الموضع خطبةٌ ، ورُتّب به إمام ومؤذنون .

وفي قبلته بابٌ يُتزل منه بدرج كثيرة إلى سرداب ضيق تحت الأرض ، يأخذ متشاملا إلى بحوة فيها ثلاث نصائب قبور في حائطه ، يقال إنها قبر الخليل وزوجته وإسحاق .

وهناك طاقة لا يُعرف إلى أين تنهى ، لكن يقال إنها إلى مغارة تحت أرض الحرم . فيها الموتى . وتلك أمثال القبور من فوق .

زيارة المزمع
للسرداب الذي فيه
قبور الأنبياء

ولقد أُنبت إلى هذا السرداب ومشيتُ به زحما ، لضيقه . ولتطأ طؤ سقفه ، لا يقدر أحد على المشي منتصبا به . وهو خطوات يسيرة تنتهى إلى الفجوة المذكورة . وهى نحو أربعة أذرع فى مثلها . وهيئة القبور فى قبلة المسجد الآن قبران : الأيمن قبر إسحاق ، والأيسر قبر زوجته . وفى شماليه مما هو منفصل عن المسجد بهيتين متقابلتين قبران : الأيمن قبر إبراهيم الخليل ، والأيسر قبر سارة زوجته . وفى شمالى الحرم فة مفردة مسامنة لقبة الخليل . وفيها قبر يُقال إنه قبر يعقوب . ولا شك ولا ريب أن إبراهيم (صلوات الله عليه) ومن ذكر معه مدفونون داخل هذا المسور . وأما تعيين موضع القبر ، فافقه أعلم .

قال علي بن أبي بكر الهروي : حدثني جماعة من مشايخ بلد الخليل أنه لما كان في زمان بردويل الملك، آنحسف موضع في هذه المغارة . فدخل جماعة من الفرنج إليها بإذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقد يَلَبَّتْ أكفانهم، وهم مستندون إلى حائط، وعلى رؤوسهم قناديل . وهي مكشوفة . فخذد الملك أكفانهم ثم سد الموضع . وذلك سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . حكى ذلك شهاب الدين بن الواسطي . قال : وقيل إن هر آدم وروح وسام في المغارة . قال : والمغارة تحت هذه المغارة التي تُزار الآن . والله أعلم .

اكتشاف قبور
الأنبياء في أيام
احتلال الصليبيين
لبلد الخليل

قد آدم وروح - م

ووراء الحرم موضع فيه قبر يسب إلى يوسف، عليه السلام . يقولون إنه لما بُني المكان، أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم . فسمع بانيه وهو سليمان (عليه السلام) فائثا يقول : دعوه خارج الحرم، فعليه خراج مصر !

ق- يوسف وسب
وحوده - م
الحرم

(١٧)

ويقال إن موسى (عليه السلام) لما نرح من مصر، استصحب معه تابوت يوسف . ودفنه هناك فربما من آباءه، ولم يدفنه عندهم، لما ناله من الملك . هكذا يقال، والعهد على قائله . والله أعلم .

قلت : وهذا الحرم مؤزر جدره بالرحام الملون والمذهب . وعليه أوقاف جليله . وبمذ فيه كل يوم بعد العصر سماءً وهوى فيه من الخبز على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم .

حرفة الحرم
الخالص وصيافته

ولقد رتب الخليل (صلوات الله عليه وسلامه) في ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسعمائة . فأخبرني جماعة المباشرين أن في بعض ليالى العشر من هذا الشهر في هذه السنة فرقوا راده على ثلاثة عشر ألف رغيف، وأن غالب أمام العام مابين السبعة

يزده الحرم
بقبر ابراهيم الخليل
سنة ٧٤٥

آلاف والعشرة آلاف. ويُفَرَّق أيضاً مع الخبز طعام المَدَس بالزيت الطيب والسَّاق. وفي بكرة النهار يُطَبَخ أيضاً قدر من الدَّشيش، ويُفَرَّق على الواردين. وفي بعض ايام الأسبوع، يُطَبَخ ما هو أغزر من ذلك.

وله خُدَام يرسم غريبة القمح وطحنه وعجينه وخبزه. لا يبطلون ليلاً ولا نهاراً. وأهراء القمح والطاحون والفرن، نافذٌ بعض ذلك إلى بعض. بحيث إن القمح تُفَرِّج في الأهراء ويُخْرَج خبزاً محبوباً. ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام والليالي والأيام، لا ينقطع له مدد، ولا يُحصَر بضبط ولا عدد.

ولما استولى الفرنج على بلد الخليل (عليه السلام) أجروا هذا السَّاط وزادوا على مَنْ كان قبلهم، وبالقوا في صلة هذا المعروف.

ثم زاد ملوك الإسلام في السَّاط. وهو معروفٌ يشمل المأمور والأمير، والغني والفقير.

وقلتُ من قصيد مدحته، عليه الصلاة والسلام:

هذا خليل الله إبراهيم قد * لاحتنا أعلامه الشَّمُ الدُّرى!

هذا الذي سَنَّ القِرَى لضيوفه * كرمًا، ولولاه لما سَنَّ القِرَى!

هذا الذي مَدَّ السَّاط فما أنطوى * ذاك السَّاط تكمًا، وسَلَّ الورى!

وقلتُ من أخرى:

هو ذا صاحب السَّاط ولكن * صاحب الحوض نخله ودووه!

ذو نساء يُقرى به كلُّ ضيف * لم يُخَيَّب تحت الدُّجى طارقوه!

مُنعمٌ سَبَدُ حوادٍ كريم، * منذ مدوا سَماطه ما طووه.

قبح الصياغة
وأهراؤه

استمرار السَّاط
في أيام الفرنج
وزياداتهم

زيادة ملوك
الإسلام فيه

قصائد للزُّلْف
في مدح الخليل

﴿١٧٢﴾

وقلتُ من أخرى، حين زرتَه في ذى الحجة سنة خمس وأربعين [وسبعائة]:

خليلُ الله العرشُ أوَّلُ مَنْ قَرِئَ * ضُيُوقاً! وها قد جئتُه وأستضيفتُه.

أُتيتُ كَرِيماً لا تزال رِحابُهُ * مُطَبَّقةً بالوفد حيثُ نظرتُهُ.

دعتُ نَارَهُ الضَّيْمَانَ في غَسَقِ الدُّجَى * وليس سواها بارقاً ثمَّ شِئتُهُ.

فَقِيَ الحُودِ شَيْخُ الأنبياءِ جميعهم * ووالدُهم حقّاً، يقيماً علمتُهُ.

وقلتُ، عند الوداع في هذه السنة:

هذا الخليل وهذه أبنائُهُ! * يكُميك بعد فراقه أبنائُهُ!

هياتِ لا تُؤَيِّ أفلَّ حقوقِهِ * ولو أن جفنتك لا يحفُّ نكاؤُهُ!

فامسكِ فؤادك إن ملكتِ عَنانَهُ! * هياتِ قد طارت به أهواؤُهُ!

وتعزّ عن أهل الكُثيبِ وإنما * من أين للصب الكُثيبِ عزائُهُ!

قلتُ : وكان قدومنا هذه المَرَّةَ على الخليل (عليه السلام) يوم الاثنين لأربع

عشره ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعائة . فبتنا ليلتنا نتبرك

في حُوب تلك القصور من العِظام العِظام، ونعفّر الوجوه في تلك القعة المُشرّفة

في مواضع أقدام أولئك الأقوام . ثم أصبحنا وقد حمّدا السُرَى عند الصُّباح ،

وطلبنا حوائجنا عند تلك الوجوه الصُّباح . فلما قضينا من الزيارة الأرب، وهزّتنا

من النوبة الخليلية الطرب ، بعثتُ وراء الصاحب ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن

الخليل التميمي الداري . وهو بقية هذا البيت الجليل، والمنتهى إليه النظر على وقب

الحبيب سجدنا مجد (صلى الله عليه وسلم) وبلد أبيه إبراهيم الخليل . وأقمنا منه

تفصيل المؤلف
لبارته

﴿١٧٣﴾

استحضر المؤلف
سعة الإقطاع
الذي تميم الداري
ورصفه لها

(١) إحضار الكتاب الشريف النبوي المكتتب لهم بهذه النطية . والمُشْرِف لهم به على سائر البرية . فأنعم بإجابة الملتَمَس ، وجاء به أقرب من رَجْع النَّفْس . وهو في خرقة سوداء من مُلَحَم قطن وحرير ، من كُم الحسن أبي محمد المستضيء بالله أمير المؤمنين ، وبطانتها من كُتَّان أبيض على تقدير كل إصبع منه ميلان أسودان ، مشقوقان بميل أبيض ، جعل ضمن أيكاس يضمها صندوق من آبنوس يُلَفُّ في خرقة من حرير . والكتاب الشريف في خرقة من خُفٍّ من آدم ، أظنُّها من ظُهر القَدَم . وقد مَوَّه سواد الجلد على الخط ، لا أنه أذهب ، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه . وهو بالخط الكوفي المليح القوي . فقبلنا تلك الآثار ، وتمتعنا منه بمدد الأنوار . ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهدة لهم بمضمونه ، ومزيلة لشك الشاك المريب وظنونه . ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره :

”نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه“

”تميم الداري وإخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه“

”من غزوة تبوك في قطعة آدم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه“

”نسخته كهيئته“

(١) أي العلية ، لغة اليمن . وذلك إشارة إلى إقطاع تميم الداري ”صحائف“ وسياق حكاية هذا الإقطاع

”بسم الله الرحمن الرحيم“

”هذا ما انطى محمد رسول الله لقيم“

”الدارى وإخوته حبرون والمرطوم“

”وبيت عینون وبیت ابراهيم وما فيهن“

”نطية بت بدمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم“

”ولا عقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم“

”لعنه الله شهد عتيق بن أبو حنيفة وعمر بن“

”الخطاب وعثمان بن عفان وكتب على بن“

”بو طالب وشهد“

١٠

هذه نسخة الكتاب الشريف .

و”أبو حنيفة“ ألف وباء ووأو- ثم ”حنيفة“ - و”بو طالب“ باء ووأو- ثم
 ”طالب“ . وليس في ”بو“ ألف . يبين ذلك يعرف . و”كتب“ في ذكر على
 رضى الله عنه مقدمة ، و”شهد“ مؤخره . يبين ذلك أيضا يعرف .

وقد رأيت ذلك كله بعينى ، ومن خط المستضىء قلت . وهو خطه المعروف
 بالمالوف . وقد رأيته وأعرفه معرفة لا أشك فيها ولا أرتاب . وقرأته من الكتاب

نقل هذه نسخة
 من خط الحليمة
 المستضىء

١٥

النوى نفسه . وهو موافق لما كتبه المستصفي ، نقله عنه . على أن آثاره كادت تنعفى ، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتفتنى^(١) .

وكان التبرك برؤية ذلك على ظهر القبو الصغير الشمالى ، فى الحرم الخليلي الملاصق لقبر زوج يعقوب (عليه السلام) المقصي منه إلى المأذنة بحصرة مخزن العدى .

(١) وقد رأى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قل أب فصل الله . فى ذلك ما رواه صلاح الدين الصمدى (فى رقتي ٢٧ و ٢٨ من الجزء ٤٨ من تذكروته ، وهذا الجزء مخطوط ومحموط بدار الكتب الخديوية) . وهذا نص ما فيه .

قال الفقيه القاضى أبو بكر العربى المافرى رحمه الله تعالى فى كتاب القس له . " وقد كان عند أولاد تميم الدارى رضى الله عنه محزون بدمشق . قرية إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، كتاب النوى صلى الله عليه وسلم فى قطعة من أديم : (سم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمما الدارى . أقطعه قريتي حبرون وعينون قريتي إبراهيم الخليل . يسير فيهما بسيرته . وكنت على س أى طالب . وشهد فلان وفلان .) فبقينا فى يده يسير بسيرته . وشاهد الناس كتابه إلى أن دخلت الروم سنة ستين | لعلها ست | وتسعين . ولقد أعترضه فيهما بعض الولاة ما يريلهما من يده إمان كوني بالشام . فحضر مجلسه القاضى حامد الهروى . وكان حاضرا فى الظاهر ، ومعتزليا فى الباطن ، ملحدا شيعيا . وكان الوالى س كان | أركب | . فاستظهر أولاد تميم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال القاضى حامد : هذا الكتاب لا يلزم ، لأن النوى صلى الله عليه وسلم أقطع ما لا يملك . فاستعنى المقهاء . فقال الطوسى ، وكان بها حينئذ : هذا كافر ، والنوى صلى الله عليه وسلم كان يقطع الحمة ويقول : قصر عمر ، قصر فلان . فكيف لا يقطع فى الدنيا " وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رويت لى الأرض ... الحديث . فوعده صدق وكتابه حق . فخرى القاضى والوالى ، وبنى أولاد تميم بكتابهم . "

وبما يدل على وجود هذا إلى ما بعد أن فصل الله ثلاثة أرباع القرن أو القلقشندى صاحب "صح الأعشى" كتب فصلا طويلا على هذا الإقطاع وعلى الكتاب السوى الكريم . وذكر فى آخره ما نصه : " وهذه الرقعة التى كتب بها النوى صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدى التميميين حذام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن . وكلما مازعهم أحد ، أتوا بها إلى السلطان بالدار المصرية ليوقف عليها ويكتب عنهم من يظلمهم . وقد أحضرت برؤيتها غير واحد . والأديم التى هى فيه قد حلق لطول الأمد . " | أطر مسح الأعشى ح ٧ ص ٣٩ من النسخة المحفوظة بخزانة | . وذلك يدل على أن الكتاب النوى كان موجودا إلى سنة ٨٢١ هجرية .

وقد كنتُ رأيتُ ذلك مرة متقدمة بالحصن سكني بنى الخليلي، بظاهر البلد،
لما أتيتُ زائراً بعد العود من الحج على الدرب المصري في المحرم سنة تسع وثلاثين
وسبعمائة. ولكنني إذ ذاك لم ألقه.

روية المؤلف لهذا
الكتاب الشريف
سنة ٧٣٩

قبر يونس بن متى عليه السلام

١٣١

٥ قرية حلحول على يسار الذهاب من بلد القدس إلى بلد الخليل عليه السلام .
وبعزج الزائر إليه . وعليه بناء وقبة . وله خادم .

قبر يونس بن متى
ورواية المؤلف له
من أب آخره
سنة ٧٤٥

زُرَّتْهُ مراراً . وآخر عهدى به في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة .
وكتبتُ على جدار القبة بيتين حطرا لي في ذلك الوقت، وهما: (١)

قبر موسى بن عمران عليه السلام

١٠ بالقرب من أريحا، ويعرف القرية بشيخان .

رأيتُ بخط علاء الدين ابن الكلّاس ما صورته : "قال الشيخ إبراهيم ابن الشيخ
عبد الله بن يونس الأرموي عن والده قال : زرتُ قبر موسى (عليه السلام) الذي
بالقرب من أريحا . قال الشيخ إبراهيم : وكان إذ ذاك لم تبَنَ عليه قبة ولا مشهد .
قال : فقلت في نفسي : اللهم أرني ما أزداد به يقينا في صحة هذا القبر . قال : فبينما أنا نائم
رأيتُ كأن القبر آنسَقَ وخرج منه إنسان طَوَّال . قال : فبحثُ إليه وسلمتُ عليه ، وقلتُ
له : من أنت ؟ قال : موسى بن عمران ، وهذا قبري . وأشار إليه . ثم قعدنا . وإذا بالقرب

رواية في تحقيق
موضعه وماله
عجب

منا رجل يطبخ في قدره فلما آستوى طعامه، أحضره إلينا وإذا هو شوربة أرز .
 فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق ، وأنا ثلاث ملاعق ، والرجل ثلاثا .
 ثم تداولناها بيننا إلى أن فرغت . قال الشيخ عبد الله : وكنتُ على عزم العود إلى
 بلاد العجم إلى عند شيعي . فقال لي موسى عليه السلام : أنت لانسافر إلى شيعك .
 وكيف تسافر ؟ وأنت تريد تتزوج بامرأة من نسل الرسول ورُزق منها أربعة أولاد .
 وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة ، وضم الإبهام إلى باطن كفه ، يحكيه .
 قال الشيخ إبراهيم : فكان كما ذكر موسى عليه السلام . فلم يسافر والدي ، وتزوج بامرأة
 شريفة ، وهي أمي . ورُزق أربعة أولاد ، أنا أحدهم . ولما حضرته الوفاة ، قلت له :
 باسیدی أنت راض عنی ؟ فقال : كيف لا أرضى عنك ، وقد بشرني بك موسى
 عليه السلام . (١)

(١) ياص آخر الصفة بالاصل مقداره ثلاثة عشر سطرا .

مسجد دمشق

١٢٣

المسجد الاموي
وقرانه

مسجد عظيم، ومعبد قديم . لا يُعرف على الحقيقة بانيه ولا زمن بانيه . فتح
المسلمون الشام، وهو كنيسة لأهل دمشق يُتعبَد فيها، زمن الروم . وقد كان قبلهم
معبدًا لأُمم مختلفة . وتزعم الكلداسه أنه من بنائهم وأهم بنوهم فيما بنوا من الهياكل
السبعة التي أنحدوها للكواكب السبعة . جعلوه بيتًا للمشتري . قالوا ولهذا استمر التعبد
فيه إذ كان المشتري طالع الديارات والتأله . هذا ما زعموه .

وقال عبدالرحمن بن إبراهيم دحيم : حطان مسجد دمشق الأربعة من بناء هود
وما كان من حد السيساء إلى فوق، فهو من بناء الوليد .

حياته

وقال الوليد بن مسلم : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق، وجدوا
في حائط المسجد القليل أوحا من حجر، فيه كتاب نقش . فأتوا به الوليد . فبعث إلى
الروم فلم يستخرجوه . فدلَّ على وهب بن مبه . فأقدمه عليه ، فأحبره بموضع ذلك
اللوح . ويقال ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام . فلما نظر إليه وهب ، حرك
رأسه . ثم قرأه ، فإذا هو .

لوح . كتبت حد
بدي وحدوه
في أيام الوليد .
وروي وهب بن مبه
أنه قرأه

” بسم الله الرحمن الرحيم . ابن آدم ! لو بطرت يسير ما بقي من أجلك ، لرهدت
في طول ما نرجو من أملك ! وإنما تلقى ندمك ، لو قد زلت بك قدمك ، وأسلمت
أهلك وحشمتك ، وأنصرف عك الحبيب ، وودعتك العريب ، ثم صرت تدعى فلا
تحيب ! فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد . فأعمل لنفسك قبل يوم الصامه ،
وقبل الحسرة والدامه ، وقبل أن يحلَّ بك أجلك ، وتترع منك روحك ! فلا ينفعك

بسم الله الرحمن الرحيم

مالٌ جمعته، ولا ولدٌ ولدته، ولا أخٌ تركته! ثم تصير إلى برزخ الموتى، ومجاورة الموتى. فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الضعف، والصحة قبل السقم، قبل أن يؤخذ بالكظم، ويحال إليك وبين العمل. وكُتِبَ في زمان سلمان بن داود عليهما السلام.

دخول العرب
دمشق واتحصن

(١٣٤)

ولما فتح المسلمون دمشق (على ما باني ذكره، إن شاء الله تعالى) دخل أمير الجيش أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) بالأمان من غرب البلد، ودخل خالد بن الوليد بالسيف من شرقه.

الكنيسة صعد بها
النصارى وضعها
للسلمين، إلى أيام
الوليد

فكانت دمشق بصعين. والكنيسة كذلك. فاتخذوا منها الصف الشرقي المفتوح عنوة، مسجداً يصلون فيه. ونصلي النصارى في الصف الآخر. فتأذى المسلمون لمحاورة النصارى لهم في مكان تعدهم، وكرهوا فرع النواقيس بإزائهم. وأشتد ذلك

حيلة لطيفة للوليد
مع إمبراطور الروم

على الوليد بن عبد الملك. وكان مغرّياً في سلطانه بعمارة المساجد وبناء المعابد. فأعطى رجلاً ديتة حتى أتى القسطنطينية. ودخل في زى النصارى كنيسة العظمى يوم الأحد، والملك فيها قنّ دونه. فلبث حتى رأى أن جمعهم قد استكمل. ثم قام مأذّن. فأخذ وأحضر لدى الملك، وقد جلس إلى جانبه البطريق، وأستدارب بهما

القسوس والشمامسة. فقال له الملك: من أنت، وما حملك على ما صنعت؟ فقال: أما أنا، فرجل من المسلمين من أهل دمشق، وأما ما حملني على ما صنعت، فأنشدك الله، أيها الملك: هل ساءك ما فعلته وكرهته أم لا؟ فقال: نعم. فقال: ونحن في معبد في شطره

المصالحة
على احتصاص
المسلمين في طين
استنار النصارى
كنيسة مريم كلها

النصارى، نسمع نواقيسهم، ونساء يجاورتهم. فأراد أمير المؤمنين أن يعرفك أننا نساء بذلك، كما ساءكم ما فعلت. فخلّ عنه، وكانوا قد هموا بقتله. ثم قال له: صالحونا على عوّض. فصولحوا عنه بنصف كنيسة مريم، وكانت شطرين.

٥

١٠

١٥

٢٠

ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بنائه وتحصين فنائه . أبقى منه ما أبقى ، وجند ما جند .

شروع الوليد
في تحميته

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقرئ : حدثني أبي عن أبيه المغيرة ، أنه دخل يوما على الوليد بن عبد الملك فرآه مغموما . فقال : يا أمير المؤمنين ما سبيلك ؟

رواية أخرى
في مراد المحدث

فقال : يا مغيرة إن المسلمين قد كثروا ، وقد ضاق بهم المسجد . وقد بعثت إلى هؤلاء

لندخل كنيستهم في المسجد ، فأبوا . وقد أقطعتهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالا ،

فامتنعوا . قال : لا تغتم يا أمير المؤمنين ! قد دخل خالد من الباب الشرقي بالسيف ،

ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان . فاستباحهم أي موضع بلغ السيف ، فإن

مكن لنا فيه حق أخذناه . قال : فرجعت عني ! فتول أنت هذا . فتولاه . فبلغت المسحة

١٣٥

إلى سوق الريحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسرا بالقاسمي .

فإذا باقى الكنيسة قد دخل في المسجد . فبعث إليهم . فقال : هذا حق قد جعله

أحد البصري
ربع كنائس في حيز
محمية

الله لنا ! لم يصل المسلمون في عَصَب ولا ظلم ، بل تأخذ حفا . قالوا : قد أقطعتنا أربع

كنائس ، وبذلت لنا من المال كذا وكذا . فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن نتفصل بذلك

علينا ، فافعل ! فتمتع عليهم حتى سالوه وطلبوا إليه . فأعطاهم كنيسة حُجيد بن دزة ،

وكنيسة أخرى عند سوق الجُب ، وكنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة .

ثم جمع الوليد المسلمين لهدم الكنيسة . فقال بعض الأقباء للوليد ، والفأس على

محاوة القنطرة
لمع هدم كنيسة
توسعة ، ومباشرة
لوليد الهدم

كتفه ، وعليه قباء سمرجلى ، وقد شد قباءه : إني أخاف عليك من الشاهد ^(١) . قال .

ويلك ! إني ما أضع فأسى إلا في رأس الشاهد ! ثم إنه صعد . فأول من وضع فأسه

في هدمها الوليد بن عبد الملك . وكبر الناس .

وقال يعقوب الفسوي: سألت هشام بن عمار عن هدم الكنيسة . فقال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلية . فأما أهدم كنيسة توما ، وكانت أكبرهما . قال : فرضوا أن هدم كنيسة الداخلية وأدخلها في المسجد . وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذي يُصلى فيه . قال : وهدم الكنيسة في أول خلافته . وكانوا في بنيانه تسع سنين . ولم يتم بناؤه .

وقال يزيد بن أبي مالك : أرسل إلى الوليد حين أراد أن ينقض الكنيسة فأناه النصارى فقالوا : كنيسة تالاندهما ! قال : فإني أتركها وأهدم كنيسة توما ، لأنها لم تكن في العهد . فلما رأوا ذلك ، قالوا : إنا تركها لكم ، وتدع لنا كنيسة توما . فصعد الوليد وصعدنا معه . فكان أول من صرب بفأس في هدمها .

قال : وأراد أن يبنى المسجد أسطواناب إلى الطاقات . فدخل بعض البنائين فقال : لا يبنى أن يبنى هكذا . ولكن يبنى أن يبنى فيه قناطر وتُعقد أركانها ، ثم تجعل أساطين وتجعل عمدا . وتُعقد فوق العمد قناطر تحمل السقف وتخفف عن العمدة البناء . وتجعل بين كل عمودين ركنا . قال : فُيى كذلك .

١٣٦
تحريف الحارث
النصارى للوليد .
ومباشرة الهدم
نفسه

وفال إبراهيم بن هشام الفسائي : حدثني أبي عن يحيى بن يحيى ، قال : لما هم بهدم كنيسة مَرَّ يُحَنَّا ليزيدها في المسجد ، يعني الوليد . صعد المنارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات ، وفيها راهبٌ يَأْوِي في صومعة . فأحدره من الصومعة . فأكثر الراهب كلامه . فلم تزل يد الوليد تدق في قفاه حتى أحدره من المنارة . ثم هم بهدم الكنيسة . فقال له جماعة من نجارى النصارى : ما نجسر على هدمها . فقال : أتخافون ؟ هات

(١) العرب تقول للرجل نجار ، وإن كان لا يعمل بالمثقب والمنشار ونحوه ، ولا يصرب بالمضلع ونحو ذلك .

(أظر كتاب " الحيوان " للمأخذ ج ٤ ص ٢٦)

التعويض على
الصارى بكنيسة
أخرى

المُعَوَّل، بإعلام ! ثم أتى بسلّم فنصه على محراب المذبح . وصعد فضرب بيده حتى
أثر فيه أثرا كبيرا . ثم صعد المسلمون فهدموه ، وأعطاهم الوليد مكان الكنيسة الكنيسة
التي بحمام القاسم ، حذاء دار أم البنين في الفراءيس . قال يحيى بن يحيى : أنا رأيت الوليد
فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق .

مسألة الوليد
مع الصاري
وتعويضهم به
أخرون إذا هدموا
وهو أشرفه أهدم
نفسه أنكره

وروى الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره ، قال : لما كان الوليد وأراد بقاء
المسجد ، فقال إنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيسة هذه ، ونعطيك عوضها حيث
شئتم . وإن شئتم أعطيتكم ثمنها ، وأضعف لكم الثمن . فأبوا ذلك ، وقالوا : لنا دقة
وعهد . والله إنا لاجد ما يهدمها أحد ، إلا جُنَّ ! قال : فانا أول من يهدمها . فقام وعله
قباء أصغر فضرب ، وهدم الناس معه .

قال أحمد بن المَعْلَى : فأخبرني شيبه بن الوليد ، قال حدثني أبي ، قال : كنت أمرُّ
عبد الرحمن بن عامر اليحصبي (وهو شيخ كبير أزرق) وهو جالس بالروضة ، فيقول لي :
ألا تأتي حتى أكتب لك آرتجاز جتلك وهو يصرب بالقأس في الكنيسة بعد الوليد ؟
قلت : نعم ، ولكن حدثني الحديث . فقال : لما عزم الوليد على هدم الكنيسة ، قالوا
إبه لا يهدمها أحد إلا جُنَّ . فقام جتلك يزيد بن تميم فجمع له وجوه أهل البلد .
وأمره الوليد أن يخذ قأسا صغيرة . ففعل . ثم خرج الوليد وتبعه وجوه أهل البلد
حتى علا الكنيسة . ثم ألفت إلى يزيد بن تميم ، فقال : ابن القأس . فأتاه به . فقال

(١) هو الذي سماه " الشاهد " في الرواية المتقدمة في صفحة ١٨٠

(٢) في الأصل : قالوا .

(٣) في الأصل : قالوا .



إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أول من يهدمها يُحْيَى، وأنا أول من يُحْيَى في الله. وأخذ برقبته قبائمه فوصعها في منطقتيه. ثم أخذ الفأس فضرب به صربات. ثم ناوله جثتك فصرب به بعده، وتناول الفأس كل من حصر.

وصاح النصراني على الدرج وولولوا. فالتفت إلى يزيد بن نعيم، وهو على حراجه، فقال: آبت إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها. ففعل. فجاء اليهود فهدموها.

قال ابن المعلث: وأخبرني همام بن محمد بن عبد الباقي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني مروان بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان، قال: لما أراد الوليد ساء مسجد دمشق، أحتاج إلى الصنائع. فكتب إلى الطاغية أن وجهه إلى بمائتي صاع من صنائع الروم، فإني أريد أن أبني مسجدا. وإن لم تفعل، غزوناك بالجيوش، ونحرب الكنائس، وفعلت. فكتب إليه: "لئن كان أبوك فهمها فأنغل عنها، إنها أوصمة عليه، وإن كنت فهمتها وغيبت عن أبيك، إنها لو صمة عليك". وأما موحه إليك ما سألت. فأراد أن يعمل لها جوابا، فجلس عقلاء الرجال يذكرون. فقال الرزدق: أنا أحبيه. قال الله تعالى: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا". فسرى عنهم.

وعن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه، قال: كتب ملك الروم إلى الوليد: "إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها. فإن كان حقا فقد خالفت أبالك، وإن كان باطلا فقد أخطأ أبوك". فلم يجبه أحد. فوثب الرزدق، فقال: أنا أبو فراس! "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ"! قال فكذب به الوليد إلى ملك الروم.

(١) سي الرازي أو ابن فضل الله إيراد الجرح الذي أشار إليه في صدر الكلام في الصفحة السابقة.

(٢) هكذا بالأصل. والرواية التالية أكثر وصوحا وطهورا.

بكتابة ملك الروم
سألت الهدم

طلب الوليد صائعا
وعملة من ملك
الروم

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام بن مَلاَس: حدثني أبي عن أبيه عن جده، قال: بنى الوليد قبة مسجد دمشق، فلما استقلت وتمت، وقعت، فشق ذلك عليه. فأتاه بناء، فقال: أنا أتولّى بناءها، على أن لا يدخل أحد معي في بنائها. ففعل. فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء. ثم بناها. فلما استقلت على وجه الأرض، غطاها بالحُصْر. وهرب. فاقام الوليد يطلبه ولا يفدر. فلما كان بعد سنة، قديم، فقال له: ما دعاك إلى الهرب؟ قال: تخرج حتى أريك. فأتوا. فكشف عن الحُصْر. فوجد البليان قد انحط حتى صار مع وجه الأرض. فقال: من هذا كنت تُؤثّر! ثم بناها حتى قامت. وقال عمر بن الدَّرَفَس الغساني: رأيت قبة مسجد دمشق. وقد حُصر لأركانها حتى بلغوا الماء، وألّقي على الماء جران الكروم. وبجى الأساس عليه.

سقوط القبة
بعد سائها

حيلة هندسية
في تشييدها

١٣٨

وقال إبراهيم بن أبي حوَّشب: كان جذى أحد قوَّمة المسجد في بسائه. فحدثت أن الوليد بعث إليه عند مراعه من القبة، ولم يبق إلا عقد رأسها. فقال: إني عزمت على أن أعقدها بالذهب. قال: يا أمير المؤمنين! اختلطت؟ هذا شيء يُقدَّر؟ فقال: ما جئني، تقول لي هذا؟ وأمر به، فصُرب نحسين سوطا. ثم قال: أذهب، فافعل ما أمرت به. قال: فذكر لي أنه عمل لينة من ذهب. فحملها إليه. فلما رآها وعرف ما فيها، قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا. ورضي عنه وأمر له بنحسين ديناراً.

محدرة حربية عند
رأس القبة
بالذهب، وتقريع
حد أصحاحه

وقال أبو بكر أحمد بن البرامي، حدثنا أبي: سمعت بعض شيوخنا قال: لما فرغ الوليد من بناء المسجد، قيل له: أتعبت الناس في طينه كل سنة. فأمر أن يُسَقَّف بالرصاص من كل بلد. فبقى عليه موضع لم يجد له رصاصا. فكتب إليه بعض عماله: وحدنا عدد امرأة منه شيئا، فأبى أن يبيعه إلا وزنا بوزن. فكتب إليه خذه بما

تغطية سطحه
بالرصاص

شراؤه رصا، مما من
امرأة يهودية نوره
دهنا، ثم تبرعها
بالتبرع للسجلات وأت
من عدل الخليفة

أرادت . فأخذه منها وزنا بوزن . فلما وقاها ، قالت : هو مني هدية للمسجد . وقالت :
أنا ظننت أن صاحبكم يظلم الناس . وقيل كانت يهودية .

سليمان بن
عبد الملك يتولى
أمر الصاع بنفسه

وقال الوليد بن مسلم : لما أراد الوليد بناء المسجد ، كان سليمان بن عبد الملك
على الصنّاع .

أداء الأمانة

وروى محمد بن عائذ عن مشيخة قالوا : ماتم مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة . لقد
كان يفضل عند الرجل منهم الفلّس ورأس المسمار ، فيجىء حتى يضعه في الخزانة .

ما كان يب من
الرحاء والمرمر

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام : سمعت أبي يقول : ما في مسجد دمشق من
الرخام شيء ، إلا رحامتا المقام الغربي . فإنه يقال إنهما من عرش سبيل . وأما الباقي
فكله مرمر . المقام هو مقصورة الخطابة والرّخامتان هما السماق البراق ، لا يدرى
ما قيمتهما .



قلت : قوله في ذلك مردود .

مناقشة المؤلف
عن الرّحام والمرمر
والخجارة . وتفصيل
أنواع الرّحام
الملّون

فقد أجمعت الحكماء على أن الرّخام هو الأبيض . فأما الملّون فكله حجارة .
وبمسجد دمشق من الرّخام الأبيض وقرميين من الإبل . وإن كان النّساق رخاما
بزعمه ، ففيه من الملّون كالفراي والمنقط والمشحم والأخضر والسّماق غير اللّوحين شيء
كثير . والناس تطلق على كل ذلك اسم الرّخام .

رحم به
ومن بعده

وقد استجد شيء كثير منه في الحائط الشامي ، جدده الطاهر ميرس . وأستجد
بعد ذلك كثير .

(١) في الأصل بالهال المهملة وقال في " خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال " لصقّ الدين
الحرزجي : هو بالذال المعجمة الدمشقي .

وفعله المقام الغربي . إشارة إلى محراب مفصورة الخطابة . فإن المسجد لم يكن في حائطه القبلي في ذلك الوقت إلا هذا المحراب ، والمحراب الشرقي المعروف بمحراب الصحابة .

قال دُحَيْم : وحدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح عن أبيه ، قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم .

عدد المرجح
١٢٠٠٠

وقال أبو تقي هشام بن عبد الملك : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : لما أخذ الوليد في بناء المسجد وطهر من تزوفه وبائنه وعظم مؤونته ، تكلم الناس وقالوا : محق ببيت الأموال في نفس الخشب وتزويق الحيطان . فصعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " قد بلغني مقاتلكم ، وليس الأمر على ما ظننتم . ألا وإني أمرت باحصاء ما في بيوت أموالكم فأصبحت فيه عطاءكم ست عشرة سنة " .

ترويته وسقته
الناهضة واحتجاج
الامة على الوليد
ورده المصع

(١) في الاصل بالموحده وهو تصحيف من النسخ . وصوابه بالمشاة المعوقية والقفاف كما صطله في " خلاصة تدهيب تدهيب الكمال في أسماء الرجال " لصبي الدين الحررخي .

(٢) أقام البيهقيون في حاليته (سنة ٤٣٨ قبل المسيح) هيكلًا لمحاكاة سموة البارثون [Le Parthénon] على رأس الصحرة المقدسة عندهم [L'Acropole] [Athènes] في مدينة أثينا . وأسترقوا في بانيه شرسين إلى أثني عشره . ولا تزال أطلاله ماثلة لآل . موصعا للعب المعاب . وقد طعت العقدة عليه ٢٠٠٠ سنة " أي مدته أوحدة . والثالث ٦٠٠٠٠ فرك ، قريبا من ٥٠٠٠٠ دينار . فيكون مجموع المصروف عليه ٦٠٠٠٠٠٠٠ من الدماير | نحو بل القدر إلى ما يعادله في أيام الدولة الأموية | . وقد قدم جماعة من المعاصرين للحكومة قائلًا أهل أثينا على رعيهم الخليل الشيريريكليس [Pericles] وسوا عليه هذا الإسراف الفاحش وهذا الدخ الباطل . فلهم الرحل ، وألق عليهم خطة أخذت بمجامع قلبهم . وسرفهم أن هذه العقدة الطائلة لا تكاد تذكر في حب هذا الصخر الذي سيقن لهم ولأغفاهم مدى الدهر . فأقره القوم وأنصروا راصين .

أما المسجد الأموي فقد كان بده العمل فيه سنة ٨٨ للهجرة . وقد علمنا من الرواية المتقدمة في صفحة ١٨١ أنهم " أقاموا في بانيه سبع سنين ولم يتم بناؤه " . هذا وقد عرفنا أبو فصي العذري (كما في صفحة ١٨٨) =

وقال الوليد عن عمر بن مہاجر، قال: حسبوا ما أنفق على الكرمۃ التي قبلي مسجد دمشق فكانت سبعين ألف دينار.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أصم بن محمد بن محمد بن طيبة السكسكي قصة كبر
قال: ذكر أن الوليد بن عبد الملك حين بنى مسجد دمشق، مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ فِي الْمَسْجِدِ
وهو يبيكي. فقال: ما قصتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! كنت رجلاً حلالاً. فلقيني يوماً
رجل فقال: أتجئني إلى مكان كذا وكذا؟ ودكر موضعاً في البرية. فقلت: نعم. فلما
حملته وسرنا بعض الطريق، آتفت إلى فقال لي: إن بلغنا الموضع الذي دكرته
لك، وأنا حي، أعينتك؛ وإن مت قبل بلوعي إليه، فأحمل جثتي إلى الموضع الذي
أصف لك. فإن تم قصرًا خراباً، فإذا بلغته، فأمكث إلى صحوۃ النهار. ثم عد سبع
شرفات من القصر وأحفر تحت ظل الساعة منها على قدر هامة. ستظهر لك بلاطة،
فاقلعها فإنك ستري تحتها مغارة، فادخلها، فإنك ترى في المغارة سريرين على أحدهما
رجل ميت. فأجعلني على السرير الآخر، ومدني عليه، وحمل ما معك مالا من المغارة
وأرجع إلى بلدك. فمات الرجل في الطريق، ففعلت ما أمرني به. وكان معي أربعة
جمال وحمار فأوسقتها كلها مالا من المغارة؛ وسرت بعض الطريق، وكانت معي مخلاة
نسيت أن أملأها وداخلي الشر. فرجعت بها وتركت الجمال والحمار في الطريق.
فلم أجد المكان، وعدت. فلم أجد الدواب، فبقيت أدور أياماً. فلما يئست، رجعت

= أن العقدة عليه بلغت ٤٠٠ صدوق، في كل صدوق ١٤٠٠٠ دينار. فيكون مجموع العقدة عليه
٥٦٠٠٠٠ دينار وهو يعادل تقريباً ما صرفه أهل أنطايا وأحلامهم على ساء هيكلمهم.

فأنت ترى أن المدة التي استغرقها ساء الهيكل الوثني وبناء الجامع الإسلامي تكاد تكون واحدة. كذلك،
كان الشأن في اعتراض الوثنيين والمسلمين، وفي الرد الذي أحاب به كل من رعيم الوثنيين وأمير المسلمين،
وإن كانت المدة بينهما ١٢٥٠ سنة. أليس التاريخ يعيد نفسه، كما يقولون، ولو بعد توالي الدهور
وتعاقب القرون؟

إلى دمشق ولم أحصل على شيء واضطرنى الأمر إلى ما ترى : أعمل فى التراب كل يوم بدرهم . وكلما ذكرتُ حالى ، لم أملك نفسى ! أن أبكى فقال له الوليد : لم يقسم الله لك من تلك الأموال شيئا ، وإلى صارت ، فبنيت بها هذا المسجد . ثم وهبه شيئا .

وقال أبو قُصَيِّ العُذْرَى : وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق ، فكان أربعائة صندوق ، فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار . وبلغ الوليد أنهم تكلموا ، فقال : يا أهل دمشق إني رأيتكم تمحرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فأحببتُ أن يكون مسجدكم الخامس .

الشفقة عليه
٥٠٠٠٠٠٠
دينار
١٠٠٠٠
دينار
١٠٠٠٠
دينار
١٠٠٠٠
دينار
١٠٠٠٠
دينار

وقال خالد بن تيوك : اشتريتُ الوليد العمودين اللذين نحتت النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار .

١٠٥٠
دينار
١٠٥٠
دينار

وقال أحمد بن إبراهيم الغسانى : حدثنا أبى عن أبيه عن ريد بن واقد ، قال . وكنتُ الوليد على العُمال فى بناء مسجد دمشق ، فوجدنا فيه مغارة ، فعرّفنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافى ، والشموع ترهرى بين يديه ، فنزل . فإذا كيسة لطيفة : ثلاثة أذرع فى ثلاثة . وإذا فيها صندوق . فإذا فيه سَفَط ، وفى السَفَط رأسٌ يحى بن زكرياء . فأمر به الوليد . فردّ إلى المكان . وقال أجعلوا العمود الذى فوقه معبرا من الأعمدة . فجعل عليه عمود مسَفَط الرأس .

رأس يحيى بن
زكرياء فى كيسه
١٠٥٠
دينار

وقال آب البرامى : سمعتُ أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازنى يقول : لما كان فى أيام الوليد وبنائه المسجد ، أحفروا فيه فوجدوا بابا مغلقا . فأتى الوليد ، ففتح بين يديه . فإذا معاره فيها تمثال رجل على فرس ، فى يده الواحدة الدرة التى كانت فى المحراب ، ويده الأخرى مقبوضة . فأمر بها ، فكسرت . فإذا فيها حبتان : حبة قمح وحبة شعير . فسأل عن ذلك . فقيل له : لو تركت الكف ، لم بسوس فى هذه المدينة قمح ولا شعير .

تمثال قديم
وحدوده فى حجر
الأساس

الأفناء المعقودة
تحت المسجد

قلت : وحكى لي شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد النحار الحزاني الكاتب المجود، وكان يياشربه بعض العائز، أنه فتح في حصرتة الشرقية المعروفة بتحت الساعات لكشف قني الماء . فإذا تحت المسجد أقباء معقودة وعمد مصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة ، قد أحكم بناؤها ، وشدت في سلاسل الأساس معاقدها . قد بنيت بالصفاح^(١) والعمد ، والباء الذي ماهو في قدرة أحد . قال : ودخلناها وحلنا في جوانبها .

الرواق الذي كان
محيطاً به
وأقاصه وماداً
بى

وحكى لي المعلم علي بن محمد بن التقي المهندس ، قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : كان لهذه الكيسة رواق يحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة . في كل جهة باب . فالشرقي باب جيرون ، وكان الباب الغربي تلقاءه ، وراء المسرورية ، ما بين العسرونية وبينها . وبقى إلى زمن العادل أبي بكر . فسكاه لما عمر القاعة . وتقل حجارتها وعمده إليها .

قال : وكان في هذا الرواق قلالتي وصوامع .

قلت : ومن آخر ما نقص منها الباب وما يحاوره برأس القباقيين ، مما يلي شقبة الكائن .

وبنى منه مارة الجامع الشرقية ، بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعائة .

وتأخر من حجارتها بقايا أشترت لماراة الجامع اليلغاوى ، جوار برداء سنة ثمان وأربعين وسبعائة .

وتم بقايا من سور ذلك الرواق وباب قديم ، موجود بين المدرسة الثورية وبين المدرسة الجهادية المعروفة بقصر هشام .

(١) الصفاح حجارة عراض كما في اللسان . وقد استعملها كتاب الابدلس بمعنى الصعود (راجع دورى

في تكة المعجمات العربية) . قل ابن فضل الله حري في هذا المقام على هذا الاصطلاح .

١٩١

نعم بعض عمر
بن عبد العزيز
على النصارى
كنيسة أخرى

وقال ابن الملقى: أخبرني أحمد بن أبي العباس، حدثنا ضمرة عن علي بن أبي جحيلة قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز، قالت النصارى: يا أمير المؤمنين، قد علمت حال كنيسنا! قال: إنها صارت إلى مازون. فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق، لم تكن في صلحهم، يقال لها كنيسة توما.

عمر بن عبد العزيز
أراد رجاءه
نصارى، وكيف
نصاهم القوم
أرضواهم

- ٥ قال ابن الملقى: وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر أنهم رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم، فكلهم ورفع لهم في الثمن، حتى بلغ مائة ألف. فأثروا. فكتب إلى محمد بن سويد الفهري أن يدفع إليهم كنيسهم، إلا أن يرصهم. فأعظم الناس ذلك، وفيهم بقية من أهل الفقه. فشاوهم محمد بن سويد، متولى دمشق. فقالوا: هذا أمر عظيم! ندفع إليهم مسجدنا، وقد أذنا فيه بالصلاة وجمعا فيه. يهدم ويباد كنيسة. فقال رجل منهم: ها هنا حصة. لهم كنائس عظام حول المدبسة: دير مران، وباب توما، والراهب، وغيرها. إن أحبوا أن نعطيهم كنيسهم. ولا يبقى حول دمشق كنيسة إلا هدمت، وإن شاؤوا تركت هذه الكنائس ونسجل لهم سجلا. ثم عرصوا عليهم ذلك. فقالوا: أنظرونا، ننظر في أمرنا! فتركهم ثلاثا. فقالوا: نحن نأخذ الذي عرصت علينا، ونكتب إلى الخليفة نجبره بذلك، ويسجل حولنا بأمان على ما في القوطه. فكتب إلى عمر. فسرّه ذلك وسجل لهم كنائسهم، إنهم آمنون أن تحرب أو تُسكن. وأشهد لهم شهودا بذلك.

- ١٥ وقال صتموان بن صالح: حدثنا الوليد، حدثنا محمد بن مہاجر: سمعت أنحن عمرًا قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وذكر مسجد دمشق، فقال: رأيت أموالا أنفقت في غير حقها. أنا. سدرتك ما استدركت منها، فإدّه في بيت المال: أعمد إلى ذلك الفسینساء والرحام، فأقلعه وأطيهه، وأززع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالا، وأززع

شروع عمر بن
عبد العزيز في
رجاءه لوضع
نمها في بيت المال.
وكيف ردّه عن
ذلك مع المحاشة

١١٦

تلك البطائن . وأبيع جميع ذلك . فبلغ ذلك أهل دمشق فأشتد عليهم . فخرج إليه اشراقهم فيهم خالد القسري . فقال لهم خالد : آتذوا لي حتى أكون أنا المتكلم . فأتوا له . فلما أتوا دير سمعان استأذوا على عمر . ثم قال له خالد : بلغنا يا أمير المؤمنين أنك هممت بكذا وكذا . قال : نعم . قال : والله مالك ذلك . فقال : عمر لمن هو ؟ لأمتك الكافرة ! (وكانت بصرانية أم ولد) . فقال : إن كنت كافره ، فقد ولدت مؤمنا . فاسحى عمر ، وقال : صدقت ! فما قولك "ماداك لي" ؟ قال : لأنما كما معشر أهل الشام ، وإخواننا من أهل مصر والعراق يعرفون عليّ الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزا بالصغير من سيفساء ، وذراعا في دراع من رخام . فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب وبسناجر على ما حملوه إلى دمشق . ويحمل أهل حصص إلى حصص فيسناجر على ما حملوه إلى دمشق . ويحمل أهل الشام ومن وراءهم حصتهم إلى دمشق . فذاك قولي : ماذا لك . فسكت عمر .

وورد الروم
وإحسانهم به

ثم جاءه بريد من وإلى مصر يخبره أن قاربا ورد عليه من رومية ، فيه عشرة من الروم يريدون الوصول إلى أمير المؤمنين . فأذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشرة من المسلمين يحسنون الرومية ، ولا يعلمونهم بذلك حتى يحملوا إلى كلامهم . فساروا حتى نزلوا دمشق ، خارج باب البريد . فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم في دخول المسجد . فأذن لهم ففروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القلعة . فكان أول ما استقبلوا المقام . ثم رفعوا رؤوسهم إلى القبة . فخر رؤسهم معسفا عليه . فحمل إلى منزله ، فأقام ماشاء الله أن يعيم . ثم أفاق . فقال له أصحابه بالرومية : ما قصتك ؟ وما الذي عرض لك ؟ قال : كنا معشر أهل رومية نتحدث أن يبقا العرب قليل . فلما رأيت ما بئوا ، علمت أن لهم مئة سيبلعونها . فذلك أصابي ما أصابي . فلما قدموا على عمر ، أخبروه . فقال : لا أرى مسجد دمشق إلا عيظا على الكفار . فترك ما كان هم به من أمره .

١٤٣

رواية أخرى
في منزله على تحريد
بقية من غيرها

وقال أبو ررعه الدمشقي : حدثني أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدثنا أبي عن أبيه
عن حذو، قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يحرد ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب .
وقال إنه يشغل عن الصلاة . ف قيل له : يا أمير المؤمنين إنه أنفق عليه في المسامين
وأعطائهم . وليس يجتمع منه شيء ينتفع به . فأراد أن يبيضه بالحص . فقيل له : تنهب
التعقات فيه . فأراد أن يستره بالخزف فقيل له : صاهيت الكعبة . فبينما هو كذلك إذ
ورد عليه وفد الروم . فاستأذنوا في دخوله فأذن لهم . وأرسل معهم من يعرف الرومية
وقال : أحفظوا ما يقولون . فلما وقفوا تحت القبة ، قال رئيسهم : كم للإسلام ؟ قالوا :
مائة سنة . قال : فكيف تصفرون أمرهم ؟ ما بنى هذا البنيان إلا ملك عظيم . وأتى
الرسول عمر فأخبره ، فقال : أما اد غابظ العدو ، فدعه .

١٠ وقال أحمد بن إبراهيم بن مأس : حدثنا أبي عن أبيه قال : لما قدم المهدي
بريد بيت المقدس ، ومعه أبو عبيد الله الأشعري كاتبه ، فقال : يا أبا عبيد الله ! سقنا
سوا أمة بثلاث : بهذا البيت ، لا أعلم على الأرض مثله ، وببئيل الموالى ، وبعمربن
عد العريز . لا يكون والله فينا مثله أبدا . فلما أتى بيت المقدس ودخل الصحرة قال :
يا أما عبيد الله ، هذه رابعة .

بفرار المهدي
ما في فصل
منه في

١٥ قال أحمد . وحدثنا أبي أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيى
بن أكرم قال : ما أعجب ما في هذا المسجد ؟ قال المعتصم : دهنه وبقاؤه ، فإننا ندعه
في قصورنا فلا يمسى عليه عشرون سنة حتى يتغير . قال : ما ذاك أعجبني منه . فقال
يحيى بن أكرم : تأليف رخامه ، فإنني رأيت فيه عقدا ما رأيت مثله . قال : ما ذاك
أعجبني . قال : ما هو ؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدم .

بغير المأمون
منه على غير مثال
منه

عجائب الدنيا
حسن عد الشامي
مبا المسجد
الأموي



وقال الشافعي : عجائب الدنيا خمس : منارة ذى القرنين ، والثانية أصحاب الرقيم بالروم ، والثالثة مرآة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة إذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ وجاء أهله إليها ، يرون صاحبهم من مسافة مائة فرسخ ، والرابعة مسجد دمشق ، والخامسة الرخام والفسيفساء ، فإنه لا يُدري له موضع . فلت : وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر .

صاعة
الفسيفساء
وأوعاها

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق . ومن هذا النوع المسحور . وأما الملون فمعجون .

الفسيفساء
التي احترقت
سنة ٧٤٠

وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحُصِّل منه عدة صديق وفست في الحريق الواقع سنة أربعين وسبعائة ، وعمل منه قَبْلُ للجامع التنكري ما على جهة المحراب .

الفرق بين القديم
والجديدة في أيام
المؤلف

غير أنه لا يبيح تمامًا مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر . والفرق بين الحديد والقديم أن القديم قطعه متأسفة على مقدار واحد ، والحديد قطعه مختلفة . وبهذا يعرف الحديد والقديم .

هذا المسجد
يشق إلى الحة

وروى الوليد بن مسلم عن ابن توبان قال : ما ينبغي أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدنا .

القدرة المسماة
"قليلة"

وروى أحمد بن البراء بسنده عن عبد الرحيم الأنصاري قال : سمعت [بعض] الأعراب وهم يدورون المسجد ، يقولون : لا صلاة بعد القليلة . ففيل له : رأيت القليلة ؟ قال : نعم ، وهي تضيء مثل السراج . قلت : من أخذها ؟ قال : أما سمعت المثل ؟ " منصور سرق القلة ، وسليمان شرب المرة " منصور الأمير ، وسليمان

الامير يسرقها ،
والأمويون يردونها
للتشيع عليه

صاحب الشرطة، يعني صاحب شرطته. وذلك أن الأمين كان يحب البلور. فكتب إلى صاحب شرطة منولى دمشق أن يُنفذ إليه القليلة. فسرقها ليلاً، وبعث بها إليه. فلما قُتل الأمين رد المأمون القليلة إلى دمشق ليُشنع بها على الأمين.

وكانت في محراب الصحابة. فلما ذهب حُمل موضعها برنية زجاج رأيتها ثم أنكسرت فلم يُجعل مكانها شيء.

صياغها
وأنكسار العريه
الراح التي
وصعت محلها

وقال علي بن أبي حميلة: كنا ستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود حسنة، فدخلته الريح فهزته. فثار الناس فخرقوا اللبود.

ست. المسجد

قلت: وأما بناؤه، فهو وثيق البناء، أنيق البهاء، فدُبني بالحجر والكس إلى مستوى حوائطه، وشُرف بالشراريف في أعاليه، وأُتخذت له ثلاث مائر: اثنان في جناحي قبلته، شرقاً وغرباً، والثالثة في شامه وتعرف بالعروس.

وصف المزار
بأنه الوثيق
الأسبق

ويُدخل إليه من ستة أبواب، منها أربعة أصول، وأثنان مسنحتان. فالأصول باب الزيادة، وهو في حائطه القبلي؛ وباب الساعات وهو في حائطه الشرقي، يوصى إلى حصرة الساعات المعمولة لمعرفة الأوقات، تدار بالماء، وتعلق بها أبواب الساعات. وتُجَاهه في الحائط الغربي باب البريد، وهو أشهر من الشمس في الآفاق، وأكثر ذكراً من "ذكرى حبيب ومتل" للرفاق. وهو حضرة فسيحة في جانبيها حوائط للفقواكه والشمع والعطر والشراب وأطياب المأكول. وبها القني من المياه الحارية، توقد عليها المصابيح بالليل فيمويه الماء ذهب شعاعها، وتُطرب أنايبها الأسماع بلذة إيقاعها. والرابع باب النفاين وهو في حائطه الشمالي، تلاصقه الحائض الشمشاطية وتغارها الأندلسية.

نومه القديم
والمسحقة

①

وأما البابين المستجدان فهما الباب النافذ إلى الكلاسة، والباب النافذ إلى الكاملية.
وهما جناحا باب النطاين.

والمسجد ذو صحن يصادف باب النطاين، قد قُصِّصَتْ حوائطه بالفسيفساء
الرومي المذهب والملون بفرائب الأشجار والصبغة.

ويدور به رواق قد أُرْتُرت جُدُّه وسواريه بالرَّخام الملون، وعُقدت رؤوس عمده
وسواريه بالقناطر. وجُعل على قنطرة منها طاقات صغار، بمصل بين كل آنتين منها
عمود رخام أوسارية.

وفي قبلته ثلاثة أروقة، وفي وسطها القبة المعروفة بالنسر: قد عُمدت على المحراب
الكبير الذي يصلَّى به خطيب الجامع وعاقبة الناس؛ ومقصوره الخطابة وسها المنبر؛
وأمامه سُدَّة الأذان.

وإلى جانبه الأيسر المصحف العثماني بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان،
رعى الله عنه.

وفي شرفي هذه المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة. وهو محراب
المسلمين الأول. وبه تصلى المالكبة الآن.

وعربي المحراب الكبير محرابٌ يعرف باللازورده. تصلى به الحنفية، جوار دار
الخطابة.

ثم يليه باب الزيادة، ويليه من الغرب محرابٌ تصلى به الحنابلة.

ولكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام ومؤذن. وقد وقف في كل محراب منها وقفٌ
على مدرّس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة: كل طائفة في محرابها.

وصف الأروقة وكل أروقته بالعمد والعضائد ، عليها طاقاتُ القناطر المعقودة بعضها على بعض . وقد أُرزت جُدُر هذه الأروقة بالرُّخام الأبيض والحجَزع والأحمر المنقُط والأخضر المرشوش والأسود الغرابي والأَبقع والمعجون الأزرق .

وصف الدبر وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النَّسر القبلي والشامي فن الرخام إلى أعلى الجدر والأركان معمُولٌ بالسيِّمساء ، مسعوفٌ بالطائِن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجهر والإسفيداج والأصباغ الخالصة من لونٍ والمركبة من لونين .

وصف الحلقة الراشدين وقد جُعِل في أركان المسجد الأربعة أربعة مَشَاهِدٌ أُتِّخِذَتْ على أسماء الصحابة الأربعة . فالشرقي بِقِبْلِهِ [مشهدٌ] على اسم أبي بكر، وبه عتة خزان كُتِبَ وقف ، وشامية مشهدٌ على اسم علي ، والغربي بِقِبْلِهِ مشهدٌ على اسم عمر، ويعرف الآن بِمشهد عروة ، وبه شيخ حديث وجماعةٌ من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزان كُتِبَ وقف . وشامية مشهدٌ على اسم عثمان . وبه بصلي نائب السلطان في شاكه والحاكم الشافعي إلى جانبه .

وهذا الشباك يحكم الحاكم بعد الصلاة ، كأنه كرسى ملك له . وبهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التي لا ينفرد بها حاكم . فبجتماعهم بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم .

وصف ربر العادين وداحل مشهد علي مشهدٌ لطيف يعرف بالسجن . يقال إنه سُجِّنَ به زين العابدين حين أُقْدِمَ على يزيد . وجواره في زاوية الرواق الشامي - شرقي الباب النافذ إلى الكاملية - مقصورةٌ قد جاور بها جماعةٌ من الفقراء ، وتعرف بالحلية . وبها خزانة كتب وقف .

(١) كذا وقع في الأصل ولعله موهون عن جوييه .

وفي كل من ذلك إمام يُؤتم به، ومؤذن يُقيم الصلاة ويُنطق.

العمارات والمدارس
التي أهدت إليه

وفي هذا المسجد زيادات في شماله اتسع بها فناءه، ونفسحت أرجاؤه .

منها الزاوية الحلبية المذكورة في أول حده الشمالي من الشرق ؛ *

ثم التربة الكاملة، ولها مسجد له إمام ومؤذن ؛

والكلاسة، وبها إمامان ومؤذنان .

وفي شامها، الأشرقية والمدرسة العزيزية ينفذ إليهما، ولكل منهما إمام ومؤذن .

وجوار المدرسة العزيزية التربة الصلاحية من غربها .

هذا إلى عدة أئمة تقوم فيه احتسابا .

فرشه بالمرمر
وعمده وعصائده
بالرخام المذهب

وقد فرش المسجد بالمرمر (ومقطعه من جبل المزة) وعمد قائمه بالرخام الملون

والمُنقوش المذهب .

ساق الماء

وكذلك عملت عضائده وذُهِبَت قواعد عمدته ورؤوسها . وأجرى الماء في صحن

عُقدت عليه قبة في صحنه، وفي صحن في ركن النسر من داخل الرواق، وفي جميع

مشاهده وزياداته، وفي ميضأة أُتِيخت أسفل المنارة الشرقية منه . هذا إلى ما في حضرة

باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية ، وأسواق قائمة، وسُرج تتقد

ليلا كالأنجم، وبيوت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسم .

سود الى رصف
القبة

فأما القبة فما لا يحول مثلها في ظن، ولا يدور في فكر. قد تعلق رفرقها بالغمام

عابنا، وحلق طائرها إلى أخويه النسرين يعني أن يكون لهما ثالث . قد بُنيت على

فناظر، ممتدة على قناطر، يعقود مُحكمه، وقطع صخور مُنظمة، إلى سقوف مُدجَّبة،
ومحاسن موجرة مسهبة.

مول هلال القبة

وعلى رأس القبة هلالٌ عالٍ في أنبوبة، طولَ الرمح.

قد غُلِّتْ هي وكل الأسطحة بالرصاص . وحُكِّتْ ميازيبُهُ، وُجِّعَ فيه من كل
حَسَن غريبه .

وصف ساعة
المسجد

قال أبو محمد بن زَبْر القاصي: سُمِّيَ بابُ الساعات لأنه عمل هناك بيكار الساعات.^(١)
نُعلم بها كلُّ ساعة تمضي . عليها عصافيرُ من نُحاسٍ وحية من نُحاسٍ وغرابٌ من
نحاس . فإذا تمت الساعة خرجت الحية، وصهرت العصافير، وصاح الغراب، وسقطت
حصاة في الطُّست .

وكان في الجامع قبل حريقه طُلُسماتٌ لسائر الحشرات، مُعلَّقةٌ في السقف فوق
الطائن . ولم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت
الطُلُسمات، وُجدت . ومما كان فيه طُلُسمٌ للصُنُونات^(٢) لاتعشش فيه . ولا يدخله غراب .
وطُلُسمٌ للفار، وطُلُسمٌ للحيات والعقارب . وما أبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفار .
وفيه طُلُسمٌ للمنكبوت .

صلوات الخدم
قبل حريقه
١٢٧

وكان حريق الجامع في نصف شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة .

وكان سببه أن أمير الجيوش بدرًا الجمالي ورد من مصر إلى دمشق في هذه السنة .
فلما كان بعد العصر يوم نصف شعبان، وقع القتال بين المشاركة والمغاربة . فضرَبوا

حريق الخدم
سنة ٥٦١ ورساله

(١) هكذا في الأصل . وصوابه "بكاء" . وهي الساعة المائية التي وصفها ابن جبير الأندلسي في رحلته

(٢) هو الطائر المعروف باسم سبوع العرب وأسم عصمور الجحشة عند عامة مصر . وأسمه الفرنسي

دارا كانت مجاورة للجامع بالنار، فبادرت إلى الجامع . وكانت العامة تعاون المغاربة . فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع . فجّل الأمر وعظم ، فجعلوا يكون ويتضرعون .

وصف العباد
الكاتب لهذا
الحريق

ووصف العباد الكاتب هذا الحريق في كتاب . فقال : " وفي النصف من شعبان هذه السنة ، أحترق جامع دمشق . ففجع الإسلام بمصابه ؛ وصلت النار في محرابه ؛ وأشتعل رأس القبة شيئا بما شئت ، وأكلت النار أم الليالي منها ما ربت ؛ وطار النسر محاسن الضرام ؛ وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام ؛ فكانت الحميم استجارت به فمسكت بذيله ، وكانت النهار ذكر ثارا عده فعطف على ليله ، فواها له ! من مسجد أحرقتة تفحات أساس الساجدين ؛ وعلفت فيه لعمحات قلوب الواجدين ؛ ثم تداركه الله بالأنطاف والإطفاء ، وأناه بالشفاء بعد الأشتفاء ؛ وقال حسبه أصطلاء وأصطلاما ، وحقق فيه قوله : " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا " .

آيات و ذلك
الحريق

وقال ابن العين زربى في الحريق المذكور:

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى دَمَشْقِ الَّتِي كَا * نَتْ جَمَالَ الْآفَاقِ وَالْأَقْطَارِ !
وَعَلَى مَا أَصَابَ جَامِعَهَا الْجَا . مَعَ لِّلْمُعْجَبَاتِ وَالْآنَارِ !
إِذْ أَتَتْهُ النَّيْرَانُ طُولا وَعَرَصَا * عَنْ يَمِينٍ مِنْ قُطْرِهِ وَيَسَارِ ،
ثُمَّ مَرَّتْ عَلَى حَدَائِقِ نَخْلٍ * فَإِذَا الْجَمْرُ مَوْصِعَ الْجُحَارِ !

الفوارات التي به
وتواريج إشارتها
وسقوط عمدتها
وما فوقها

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : أقيمت القبة الرخام التي فيها فؤارة الماء في سنة تسع وستين وثلاثمائة . قال : " وقرأت بخط إبراهيم بن محمد الحناني : أنشئت الفؤارة المنحدرة في وسط جيرون سنة ست عشرة وأربعائة . وأمر بيمر القصعة من ظاهر

١٤٨

فصر تجاج إلى جيرون وأجرى ماءها الشريفُ نحر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني". وتحتُه بخط محمد بن أبي نصر الحميدي: "وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، من جمال تحاكت بها. فأنشئت كَرَّةً أخرى".

قال ابن عساكر: ثم سقطت عمدتها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة في سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال الحافظ أبو عبدالله الذهبي: ثم عمل لها الشاذروان، في آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشرة وستمائة.

عمل شاذروان
في سنة ٦١٠ هـ

قال: "ورأيت القصعة وهي أكبر من التي في وسط طهارة جيرون. وفي زناورها الأوسط ست أنابيب صفراء، تمور حول القوارة. وعليها درابزينات، فلما احترقت اللبادين سنة إحدى وثمانين وستمائة، تلفت هذه القصعة وبُعي عوضها هذه البركة المشتمة. وينبع الماء في هذه البركة من قنائه دُفنت إليها من مكان مرتفع، فيعلو بها الماء نحو قامة. وسمعة القوارة أعظم من مرآها، وأسماها أجل من معناها."

وصف الذهبي
القصعة القوارة
التي كان بها
عوضها بعد
حريق سنة ٦٨١ هـ

قلت: ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة بسوق الدهشة والطرائفين وتشعث وجه الجدار الذي للشهد المعروف بأبي بكر وتعلت شرر النار حتى وصلت إلى دار المارة الشرقية وشرعوا في إصلاح ما وهى من ذلك، وجدوا أعاليها متداعية، وحجارتها مصخرة مفطرة، فوقف عليها الحكام وقامت البينة بالضرورة الداعية إلى نقض المارة وتجديد بنائها. فنقصت جذرها الأربعة إلى حد أوتار الرواق القبلي، ونقص الجدار القبلي والجدار الشرقي إلى الأرض، وحفر ما بين الجدران في وسط المارة عدة

حريق سنة ٧٤٠ هـ
وتجديد المارة
على أصلها

قامات . وبُنِيَ ذلك كَيْنَةً واحدة، وبُنِيت المنارة بِنِائِنا جَلِيلًا لَمْ يُبْنَ مِنْ زَمَنِ الْوَلِيدِ أَجْلٌ مِنْهُ وَلَا أَوْثَقُ .

مقامة الصعدي
في وصف الحريق
ص ٧٤٠

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء الصعديّ من مقامة أنشأها في الحريق المذكور، من فصل يتعلق بالجامع :

« فسالْتُ الخَبرَ، مِمَّنْ غَبَر، فقال: إنَّ الحريقَ وقعَ قَريبًا مِنَ الجامعِ، وأنظرُ إلى شَبَحِ الحَوَكيِفِ أنْتَشَرَتْ فِيهِ عَقَائِقُ اللَّهَبِ اللامعِ ! فبادرتُ إلى صَحْنِهِ وَالنَّاسِ فِيهِ قِطْعَةً لَحْمٍ، وَالْقُلُوبِ ذَائِفَةً بِتِلْكَ النَّارِ كما يَذُوبُ الشَّحْمُ . ورأيتُ النَّارَ، وَهِيَ نَشَرَتْ فِي حَدَادِ الظُّلَامِ مُعْصَفَرَاتِ ذَوَائِبِهَا، وَصَعَّدَتْ إِلَى السَّمَاءِ عَذَابَاتِ ذَوَائِبِهَا :

ذَوَائِبُ لَحْتٍ فِي عُلُوكَانِمَا * تَحَاوُلُ نَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ .

وعلت في الجؤكأنها أعلام ملائكة النصر، وكان الواقف في الميدان يراها وهي «رَبِّي بِشَرِّ كَأَقْصَرِ» ، فكم «زَمِي» «أَضَحَّتْ» لذلك «الدُّخَانُ» «حَائِيهِ» . وكم نفس كانت «في النَّازِعَاتِ» وهي تتلو «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» ، ولم تزل النار تأكل ما يليها . وتنفى ما يستعملها ويحتلها ، إلى أن ارتفعت إلى المارة الشريفة ، ولعبت ألسنتها المسودة في أعراض أخشابها النفس به وثار إليها من الأرض لأخذ النار ، وأصبح صخرها كما قالت الخنساء «كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ» . فَنُكِّسَتْ وَكَانَتْ لِلتَّوْحِيدِ سِبَابَةً ، وَلَمَعْبَدِهَا الْمَطْرَبِ شِبَابَةً ، وَأَبْتُلِيَ رَأْسُهَا مِنَ الْهَدْمِ وَالنَّارِ بِنَفْسِهِ ، وَأُدَارَ الْحَرِيقُ عَلَى دَائِرَتِهَا رَحِيقَهُ :

وَبِالْأَرْضِ مِنْ حُبِّهَا صَفْرَةٌ ، * فَمَا تُثَبِّتُ الْأَرْضَ إِلَّا بِهَارَا .

وأصبح «باب الساعات» وهو من آيات الساعة، وخلت مصاطب الشهود من

السنة والجماعة، وعادت الدهشة، وقد آل امرها إلى الوحشة، وحسنها البديع وقد
ثلّت النار عرشه. كأن لم آربها سميرا، ولا شاهدت من بنائها وقماشها جنة وحريرا.
وقال جمال الدين عبد الله بن غانم، من كتاب عن كافل الشام، تنكر (رحمه الله)
إلى نائب طرابلس في هذه الواقعة.

وصف آس - م
لهذا الحريق

- «وأصحى» «قم الفؤارة» يصاعد حمرات أنفاس، و«سوق النحاسين» يرسل منه
إلى سور الجامع «شواظ من بار ونحاس»؛ وأقعد «بيت الساعات» إلى قيام الساعة،
ودخل إلى باب الجامع لكن لغير طاعة، وكاد يصلى من به يصلى، ويقبل على
صف العابد. فيؤلى. وأهزرت المأذنة محمى نافص، وتشعت وجه المشهد الأبي
بكرى فكأما أصاته عين الروافص، وترقرقت عون العابدين من الألم، ورق صحن
الجامع لما تم هذاه الساجدين من المأذنة بنار على علم، وما زالت مرآة اللهب حتى
خزبت النار، وصفت بعد ذلك في صحن الجامع ما فضل عن أكل النار.

١٥٠

- قلت: وهذا المسجد معمور بالناس كل النهار وطريق الليل، لأنه متمر المدارس
والبيوت والأسواق. وفيه ما ليس في غيره من كثرة الأئمة والقراء، ومشايخ العلم
والإقراء، ووجوه أهل التصدير والإفتاء، ووطائف الحديث وفراء الأسباع والمجاورين
من دوى الصلاح. فلا تزال أوقاته معمورة بالخير، أهلة بالعبادة. قل أن يخلو طرفه
عن في ليل أو نهار من مصل، أو جالس في ناحية منه لأعتكاف، أو مرتلي لقرآن،
أورافع بعمرته بأدان، أو مكر في كتاب علم، أو سائل عن دين، أو باحث في معتقد،
أو مختبر لمذهب، أو طالب لحل مشكل: من سائل ومسؤل، ومميت ومستميت.
هذا إلى من يأتي هذا المسجد مستأنسا لحديث، أو مرتفعا لقضاء أخ، أو متفرجا

وصف المؤلف
لهذا المسجد
الناس دائما

في فضاء صحنه وحسن مرأى القمر والنجوم ليلا في سمائه . هذا إلى فسحة الفضاء وطيب الهواء وبرّد رُواقاته ، أوقات الهجير ؛ وحسن مرأى ميازيه ، أحيان المطر . وفي كل ناحية من وجهها قمر .

وعلى هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يستقل به إلا ديوان ملك ؛ وعليه ^(١) حلائل الأوقاف . إلا أن الأيدي العادية قد آستولت على كثير منه لسبه الأكار والمناصبات . وعبر ذلك مما عمل عليه على سبيل النصّات .

وقد أضيف إليه وقف المصالح ، وقد كان أفرد زمن نور الدين ، رحمه الله . وهو لا يجاوز نسعين ألفا في السنة . جعل لها مصارف أخذ بحجتها كل مال المسجد وغلّ بالباطل ورُتب منه لغير ذوى الاستحقاق . وحمل حتى كلّ مطاه . وأخذت حتى قصّرت خطاه . وها هو الآن قد آختلت أحواله ، وأكلت وشربت أمواله . وأصبح نهبا مقسما ، وسواما صيح في حجرانه . وآل حال ماسثريه إلى أسوأ الحال وشرا المال .

وكاوا غيانا ثم أضحوا رزية . « أَلَا عَظُمْتَ تِلْكَ الرِّزَايَا ، وَجَلَّتْ !

وقد أنفقت كلمة السفار في الآفاق إلى أنه فرد في محاسنه ، بديع في نظرائه .

مقام إبراهيم يـرزة

روى مكحول عن أبي عباس ، قال : ولِدَ إبراهيم بُغُوطَة دمشقي في قرية يقال لها رَزَّة ، يجبل قاسيون .

(١٥١)

... إبراهيم
... سريره
(بالوطة)

(١) في الأصل : " له الأكار والمناصبات " وفي الكلام إيهام . ولعل المؤلف أراد أن يقول .
" لثبه المكابر والمناصبات . "

وعن حسان بن عطية قال: أغار ملك تبيط هذا الجبل على لوط فسياء وأهله .
 فأقبل إبراهيم في طلبه ، في عدة أهل بدر : ثلثائة وثلاثة عشر . فالتقى هو وملك
 الجبل في صحراء معمر . فعبي إبراهيم مينةً وميسرةً وقلبا . وكان أول من عبي
 الحرب هكذا . فالتقوا . فهزمه إبراهيم وأستنفذ لوطاً وأهله . فأتى هذا الموضع الذي
 ببرزة ، فصلى فيه .

وروى أحمد بن حميد بن أبي العجائز عن أبيه عن شيوخه ، أن الآثار التي
 في برزة عند المسجد الذي يقال له مسجد إبراهيم في الجبل (عند الشق) أنه مكان
 إبراهيم ، وأن الآثار التي فوق الشق في الجبل موضع رأى إبراهيم ، فمن صلى فيه
 ودعا أجابه الله ، وأن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم في مواضع
 من الجبل . أدركت الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون . وهو نافع لقسوة القلب
 وكثرة الذنوب ، وأن بعضهم جاء من مكة فصلى في الموضع الشق ، لمنام رآه .

وعن أبي الحسين محمد بن عبد الله الرازي ، قال : قال أحمد بن صالح : أدركت
 الشيوخ بدمشق وهم يصلون مسجد إبراهيم عليه السلام ببرزة ويقصدونه ويصلون
 فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب ، وهو موضع عظيم شرف . ويذكرون ذلك عن
 شيوخهم ويقولون إن الشق الذي في الحل خارجاً عن المسجد هو الموضع الذي
 احتأ فيه إبراهيم من الفمرد ، صاحب دمنق .

وعن عروه بن رويم عن أبيه عن علي : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 وسأله رجل عن الآثار بدمشق فقال : لها جبل يقال له قاسيون ، فيه قتل ابن آدم

(١) بل المراد : موضع رؤيانه .

(٢) في الأصل . وهو .

أخاه، وفي شرقه وُلد إبراهيم، وفيه آوى الله عيسى بن مريم وأمه من اليهود. وما من عبد أتى معقل روح الله فأغتسل وصلّى فيه ودعا، إلا لم يُردّ خائباً. وهو جبل كلمه الله. (والحديث طويل. وهو موضوع، وإنما ذكرته لثلاث يقتربه.)

مغارة الدم

١٥٢

مغارة الدم
وصلها - خصوصاً
في الاستسقاء.

قال أبو زرعة الدمشقي: سألت أبا مُسِيرٍ عن مغارة الدم. فقال: مغارة الدم موضع الحجرة، موضع الحوائج. يعني بذلك الدعاء فيها والصلاة.

وقال محمد بن أحمد بن إبراهيم: حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، سمعتُ سعيد ابن عبد العزيز: حدثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل الله أن يسقينا، فسقانا.

قال مكحول: ونرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدم يسئسئون. فلم يبرحوا حتى سألت الأودية.

قال سعيد بن عبد العزيز: صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل آدم نسأل الله أن يسقينا. فأتى مطر، فأقمنا في الغار الذي تحته ثلاثة أيام.

وقال هشام بن عمار: صعدتُ مع أبي وجماعة - نسأل الله سُقياً - إلى موضع قتل ابن آدم أخاه. فأرسل الله علينا مطراً غزيراً، حتى أقما في المعار. فدعوا الله فارتفع عنا، وقد رَوَيْتِ الأَرْضُ.

وقال محمد بن يوسف الهروي: سمعتُ يزيد بن محمد وأبا زرعة وأحمد بن المُعَلَّى وسليمان بن أيوب بن حَظْلَم وغيرهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمار وهشام

أَبْنُ خَالِدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِ^(١) وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْقَاسِمُ بْنُ عُمَانَ الْجَوْعِيُّ يَقُولُونَ: سَمِعْنَا الْوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبْنَ عِيَّاشٍ يَقُولُ: «كَانَ أَهْلُ دِمَشْقَ إِذَا أَحْتَبَسَ عَنْهُمْ الْقَطَرُ أَوْ غَلَا سَعَرُهُمْ أَوْ جَارَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ أَوْ كَانَتْ لِأَحَدِهِمْ حَاجَةٌ، صَعَدُوا إِلَى مَوْضِعِ أَبْنِ آدَمَ الْمَقْتُولِ، فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ، فَيُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا.»

قال هشام: ولقد صعدتُ مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله سقيا. فأرسل الله علينا مطرا غزيرا حتى أقمنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام.

قال هشام بن عمار: وسمعت من يذرعن كعب قال: آخبتنا إلياس من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين، حتى أهلك الله الملك وولي غيره. فأتاه إلياس فعرّض عليه الإسلام. فأسلم وأسلم من قومه خلق، سوى عشرة آلاف منهم. فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم.^(٢)

(١٥٢)

١٠

مقام عيسى بالربوة

روى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، قال حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية أن ملكا من بني إسرائيل حصره الموت، وأوصى بالملك لرجل حتى يدرك ابنه. وكانوا يؤملون أن يدرك ابنه فيهلكوه. قال: مات فجزعوا عليه. فلما خرجوا يجنازته، وفيهم عيسى بن مريم، دنا من أمه فقال: أرايت إن أنا أحييت لك ابنك، أتؤمنين بي وأنا عيسى؟ قالت: نعم. فدعا الله. فجعلته أكفائه فتحل عنه، حتى استوى جالسا. فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة. وطلبوه حتى آتته إلى شعب النيرب. فأعتصم منهم

مقام عيسى بالربوة

معمر بن عيسى

١٥

(١) الخوارى برز سكارى. انظر القاموس (في مادة ح ود).

(٢) يياض في الأصل مقدار سبعة سطور.

بقلعة على صخرة متعالية. فأتاه إبليس فقال: «جئتك، وما أعذر إليك من شيء. هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شبر من الأرض، صنعوا بك ماصعوا. فلو ألقيت نفسك من هذا المكان، فتلقاك روح القدس فبذهب بك إلى ربك فتستريح منهم» قال: «يا غوي، الطويل الغواية! إني واحد فيما علمني ربي، عز وجل، أني لا أجرب ربي حتى أعلم أراض عني أم ساخط علي» فأقبلت أم الغلام، فقالت: ما معشر بني إسرائيل! كنتم تكونون تشقون ثيابكم جزعا عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله. قالوا: فما تأمرنا به؟ قالت: إيتوه فأمنوا به. فأتوه فقالوا: خصلة بيننا وبينك! إن أنت فعلتها، آتبعناك. قال: وما هي؟ قالوا: نحبي لنا عزيرا قال: دلوني على قبره. فزل عيسى معهم حتى أتوه به إلى قبره. قال: فتوضأ وصلى ركعتين ودعا. فجعل قبره يتفرج عنه الثراب. فخرج قد أبيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول: هذا فعلك يا ابن مريم! قال: لم أصع بك. هذا فعل قومك. زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتبعوني حتى أحبك لهم. وهذا في هدي قومك سير. قال فأقبل عليهم يعظهم ويأمرهم باتباعه. فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية! فما لصف رأسك ولحيتك فدأبيض قال: سمعت الصبيحة، فظننت أنها دعوة الداعية، حتى أدركني لك. قال: إنما هي دعوة ابن مريم. فأتته الشيب إلى ما ترى.

وآختلف أهل التفسير في تعيينها.

وروي مرفوعا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: «وَأَوْبَاهُمَا إِلَى رَبِّهِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ». قال: تدرون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هي بالشام بأرض يقال لها القوطة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن الشام:

وروي عن ابن عباس قال: الربرة أنهار دمشق.

احتلاف
المصريين في موقع
الربرة

وكذا قال سعيد بن المسيب ويزيد بن شجرة؛ وقال كعب أمر الله تعالى عيسى بن مريم وأمه أن يسكنا دمشق، وهي إرم ذات العماد.

وقال الحسن في تفسير الآية: هي ارض ذات أشجار وأنهار، يعني أنهار دمشق.

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مشيخته أن بنى إسرائيل همت بعيسى فأمره الله

أن ينطلق إلى دمشق، وقال الحسن: ذات قرار ومعين، ذات معيشة تقوتهم وتحملهم.

وماء جار. قال: هي الربرة، هي دمشق.

وقيل إن الربرة في القرآن هي الرملة، روى مرفوعا عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

وزاد به: ولا تزال طائفة من أمتي على الحق، طاهرين على من ناوأهم، حتى يأتي

أمر الله وهم. كذلك. فلنا: يارسول الله، وأين هم؟ قال: بأكاف بيت المقدس.

وروى عبد الرزاق في تفسيره عن أبي هريرة قال: هي الرملة من فلسطين.

(١٥٥)

ويروى عن قتاده: هي بيت المقدس.

وقال زيد بن أسلم: هي الإسكندرية.

وقال وهب: هي مصر^(١).

ويروى عن جابر الجعفي عن أبي جعفر: وأوتيناها إلى ربرة، قال: الكوفة؛

والمعين المرات.

وقيل غير ذلك. والراجح عند الأكثرين أنها ربرة دمشق.

وهذه الأقوال واهية. وإنما ذكرناها للتعجب، اقتداءً بالحافظ أبي القاسم بن

عساكر، رحمه الله!

استاد المؤلف
عليه هذه الأقوال

(١) المقصودها المدسة المعروفة قديما بالفسطاط.

الكهف بقاسيون^(١)

بناء الكهف
قاسيون سنة ٢٧٠
ورقيا عربية
في ذلك

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق: ذكر أبو العرج محمد بن عبد الله ابن المعلم أنه ابتداء ببناء الكهف سنة سبعين وثلاثمائة. قال: وبالله ربي أعتصم من الكذب، وأسأله أن ينطق بالصدق لسانی. رأيت جبريل عليه السلام في النوم. فقال لي: إن الله بأمرك أن تبني مسجداً يُصلّى فيه ويُذكر اسمه؛ وهو هذا. فقلت: وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سميتُه أنا: كهف جبريل. وقلت: أتى لي بذلك؟ قال: إن الله سيوفق لك من يُعينك عليه.

مسجد عمرو بن العاص

مسجد
عمرو بن العاص
بالفسطاط بمصر

مسجدٌ عظيمٌ بمدينة الفسطاط. بناء عمرو بن العاص، موضع فسطاطه وماجاوره. وموضع فسطاطه منه، حيث المحراب والمنبر.

ومعه رصده

وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام. ووقف عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلوا فيه.

ولا يخلو من سكنى الصلحاء، معمور الأوقات بالذكر. وعقب صلاة الصبح فيه أوقاتٌ مشهودةٌ ومواسمٌ خير لا تعد.^(٢)

وصف الهلال
والشمس فوق
النيل في وقت
العروب

وحكى علي بن ظافر [الأزدی] قال: روى لي أن الأعز أبا الفتوح ابن قلاقس و[نشو الملك علي بن مفرج] بن المتجّم اجتمعوا في منار الجامع في ليلة فطر ظهر بها

(١) أي مسجد الكهف.

(٢) وقعت هذه الحكاية في صفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتاب "بدائع البدائ" المطبوع في بولاق سنة ١٢٧٨. وهناك زيادة رخص في الألفاظ. فلذلك جمعت بين روايته ورواية ابن فضل الله.

الهلل للعيون، وبرز في صححة بحر الليل كالنور^(١). ومعهما جماعة من غواة الأدب، الذين ينسلون إليه من كل حدب . فحين رأوا الشمس فوق بحر النيل غاربه ، وإلى مستقرها جارية ذاهبه ، قد شمردت للغرب^(٢) الذيل ، وأصغرت خوفاً من هجمة^(٣) الليل ، والهلل في حمرة الشفق ، كحاجب الشائب أو زورق الورق . فأقترحوا عليهما أن يصنعا في ذلك الوقت التزيه ، على البديه .

فصنع ابن قلاقس :

أُنْظِرْ إِلَى الشَّمْسِ فَوْقَ النَّيْلِ غَارِبَةً * وَأَنْظُرْ لَهَا بَعْدَهَا مِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ !
غَابَتْ وَأَبْقَتْ شُعَاعًا مِنْهُ يَحْمِلُهَا * كَأَنَّمَا أَحْتَرَقَتْ بِالْمَاءِ فِي الْفَرْقِ !
وَاللَّهْلَالُ ، فَهَلْ وَافَى لِيَنْقُدَهَا * فِي إِثْرِهَا زَوْرَقٌ قَدْ صَيَغَ مِنْ وَرَقِ

وصنع ابن المنجم :

يَارُبَّ سَامِيَّةٍ فِي الْحَوْقِ تَبْهَا * أَمْدُ طَرْفِي فِي أَرْضٍ مِنَ الْأَفْقِ .
حَيْثُ الْعِشِيَّةُ فِي التَّمْثِيلِ مَعْرَكَةٌ * إِذَا رَأَاهَا جَبَابٌ ، مَاتَ لِلْفَرْقِ .
شَمْسٌ نَهَارِيَّةٌ لِلْغُرْبِ دَاهِبَةٌ * بِالنَّيْلِ مُصْفَرَّةٌ مِنْ هَجْمَةِ الْفَسَقِ .
وَاللَّهْلَالُ أَنْعَاطٌ كَالسَّنَانِ نَدَا * مِنْ سَوْرَةِ الطَّعْنِ مُلْقَى فِي دَمِ الشَّفَقِ .

وحكى علي بن ظافر أيضا ، قال : أخبرني [أبو عبد الله] بن المنجم الصواف ، بتمامه

(١) في كتاب البدائع : كانون . [وهو غلط] .

(٢) في « » : للغيب .

(٣) في « » : هجوم .

(٤) يعنى المأدنة .

(٥) ورد هذا الشطر في كتاب البدائع هكذا : « والشمس هاربة للغرب دارعة » .

(٦) بدائع الدلائل ص ١٢٩ وفيه زيادة ونقص عن ابن فضل الله . وقد جمعت بين الروايتين .

قال : صعدتُ إلى سطح الجامع بمصر في آخر شهر رمضان مع جماعة . فصادفتُ به الأديب الأعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك علي بن مفرج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعاً المغربى في جماعة من الأدباء . فأنضفتُ إليهم . فلما غابت الشمس وفاتت ، ودُفنتُ في المغرب حين ماتت ، وتطرز حداد الظلام بعلم هلاله ، وتحملى زنجى الليل بخلخاله ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يعملوا في صفة الحال . فاطرق كل منهما مفكراً ، وميز ما قدفه إليه بحر خاطره من جواهر المعاني متخيلاً . فلم يكن إلا كرجع الطرف ، أو وثبة الطرف ، حتى أنشدا .

فكان ما صنعه نشو الملك :

وَعَشِيٌّ كَأَنَّمَا الْأَفْقُ فِيهِ * لَا زُورٌ دُرُصٌّ بُضَارِ !
فَلَمْ لَمَّا دَنَتْ لِمَغْرِبِهَا الشَّمْسُ وَلَاحَ الْهِلَالُ لِلنُّجَارِ :
أَقْرَضَ الشَّرْقُ صَوَاهِرَ دِينَا . رَا فَأَعْطَى الرَّهْيَنَ نَصْفَ سَوَارِ !

وكان الذى صعه ابن قلاقس :

لَا تَنْظُرِ الظَّلَامَ قَدْ أَحْذَا الشَّمْسُ وَأَعْطَى النَّهَارَ هَذَا الْهِلَالَ .
إِنَّمَا الشَّرْقُ أَقْرَضَ الْغَرْبَ دِيَا * رَا فَأَعْطَاهُ رَهْنَهُ خَلْخَالَ !

(١) الدائع : وعشاء .

(٢) في آبر فصل الله : الهار | وهى ليست مطابقة للقام ، ولعلها سق قلم . فذلك آحترتُ رواية بدائع البدائع | .

(٣) في البدائع : فأعطاه الرهن .

قال: وهذا مما تواردت في معناه الخواطر. وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الأعرابي الفتوح ابن قلاقس: لتتصيفه السوار. وعلى كل حال فقد أبدعنا، ولم يتركنا للزيادة في الإحسان موضعا.

مسجد قرطبة

١٥٦

- مسجد عظيم ليس في مساجد المسلمين مثله بنيةً وتميقاً، وطولاً وعرضاً. مسجده قرطبة
- وطول هذا الجامع مائة باع مرسله، وعرضه ثمانون باعاً. طوله وعرضه
- ونصفه مسقف، ونصفه صحن للهواء. تسقفه وصحنه
- وعدد قسبي مسقفه تسعة عشر قوساً. وفيه من السواري (أعني سواري مسقفه نسبه وسواريه
- بين أعمدته وسواري قبلته - صفاراً وكباراً - مع سواري القبة الكبرى وما فيها) ألف سارية.
- وفيها ثريات كبيرة للوقيد. منها واحدة يوجد فيها ألف مصباح. وأقلها تحمل آثني ثرياته
- عشر مصباحاً.
- وسقفه كله سماوات خشب مسمره في جوائز سقفه. وجميع خشب هذا الجامع سماواته وجوائز
- من عبدان الصویر الطرطوشي. إرتفاع الجائزة منها شبر في عرض شبر إلا ثلاثة سقفه
- أصابع. وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبراً. وبين الجائزة والجائزة غلط جائزة.
- والسماوات المذكورة كلها مسطحة: فيها ضروب صنائع من الضروب المستدسة والمُدْرَب وهو صنعة الفص وصنعة الدوائر. والمداهن لا يشبه بعضها بعضاً بل كل صفة الفص وصفة الدوائر
- سماء منها مكتف بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها وأبدع تلوينها بالوان حمرة

الزنجيرية والبياض الإسفيداجي والزرقة اللازوردية والزرنوق الباروقي والخضرة
الزنجارية والتكحيل النقي . تروق العيون وتستميل النفوس : بإتقان ترسيمها ،
ومختلفات ألوانها وتقسيمها .

وسعة كل بلاط من بلاط مسقفه ثلاثة وثلاثون شبرا . وبين العمود والعمود
خمسة عشر شبرا .

ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة . وقد عُقد بين العمود والعمود على أعلى
الرأس قسي غريبة عليها قسي أخرى على عمد من الحجر المحوت ، متقنة .

وقد جُصص الكل منها بالجص والجيار . ورُتبت عليها نجوم مستديرة ، ثابتة بينها
ضروب صناعات الفص بالمقورة . وتحت كل سماء منها إزار خشب .

ولهذا المسجد الجامع قبلة تعجز الواصفين أوصافها . على وجه المحراب سبع
قسي قائمة على عمد طول كل قوس منها أشف من قائمة ، وكل هذه القسي مزججة
بصبغة القوط^(١) . قد أعيت الروم والمسلمين بفريق أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها .

وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة : اثنان أخضران ، واثنان زرزوريان . لا تقوم بمال .

ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعة . خشبه آبنوس
وبقس وعود الجمر . ويحكى في كتب تواريخ بني أمية أنه صنع في نجارته ونقشه

سبع سنين . وكان عدد صنّاعه ستة رجال ، غير من يخدمهم ويتصرف لهم . ولكل
صانع مهم في اليوم نصف مثقال محمدى .

(١) أي L'art Gothique

(٢) هكذا في الأصل . ولعله أراد . وع . [كما فعل المؤلف بعد أربعة أسطر] .

وصف قلة
المحبة ، وما فيها
من صفة القوط

أعمدة المحراب
لا تقوم بمال

المبر الذي ليس
معمور الأرض
مثله

سنة صانع قصوا
سبع سنين في عمله

- عن شمال المحراب بيت فيه عُدَد وطسوت ذهب وفضة وحسك^(١) . وكلها لوقيد
الشمع في ليلة كل سبع وعشرين من رمضان .
- وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان ، لتقله ، فيه أربع أوراق من مصحف
عثمان بن عفان الذي خطه يمينه ، وفيه نُقِطٌ من دمه .
- ولهذا الجامع عشرون بابا ، مصفحةً بصمغ النحاس وكواكب النحاس . وفي كل
باب منها حلقتان في نهاية الإتقان .
- وفي الجهة الشمالية منه الصومعة ، الغريبة الشكل والصنعة ، الجليلة الأعمال الرائقة ،
إرعاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي : منها ثمانون ذراعا إلى الموضع الذي
يقف عليه المؤذن بقدميه ، ومن هناك إلى أعلاها عشرون ذراعا . ويصعد إلى أعلى
المازدرجين : أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي . إذا أفرق
الصاعدان أسفل الصومعة ، لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى . والذي في الصومعة من
العمد بين داخلها وخارجها ثلثمائة عمود : بين صغير وكبير . وفي أعلى الصومعة على
القمة التي على بيت المؤذنين ثلاثُ تَفَاحَات : واحدة من ذهب ، وأثنان من فضة .
تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلا من الزيت .

آلات الوقيد
في ٢٧ مصفامصحف يرفعه
رجلان فيه
ورقات من
مصحف عثمانبابه ٢٠ مصفحة
لنحاس وكواكب
النحاس

صومعة لغريبة

دوران متعلقات
للصعود إلى أعلاهافي ثلثمائة عمود
(١٥٨)
ثلاث تفاحات
من ذهب وفضة

- ١٥ وَبِحُدُومِ الْجَامِعِ كُلِّهِ سِتُونَ رَجُلًا^(٢) .

٦٠ رجلا
يخدمون الجامع

(١) هكذا في الأصل بالأعمال . وفي اللسان أن الحسك شوك مدرج لا يكاد أحد يمشي عليه إذا يسر
الأم كان في رجله حف... والحسك من الحديد ما يعمل على مثله وهو من آلات العسكر . [ولعله المراد بها
والعرض احاطة هذه العُدَد والآلات بشئ يجمع الناس الوصول إليها] .

(٢) قبة الصحيفة بياض . مقداره سعة عشر سطرا .



سائر المزارات
وتمصيلها
ومواضعها المرمومة
والحقيقية

بقية المزارات الأخرى

وأما سائر المزارات فكثيرة جدًا: لا تدخل تحت الحصر، ولا يحيط بها قلم الإحصاء. وإنما نذكر منها ما حضرنا ذكره في هذا الوقت، مما هو ببلاد الشام، على ما يغلب على الظن صحته، لا كما يزعمه كثير من الناس في نسبة أماكن لاحقيقة لها. والله أعلم! من ذلك:

§ قبر مالك بن الأشتر النخعي. قيل إنه على باب مدينة بعلبك، من الشمال، والصحيح أنه بالمدينة.

§ قبر حفصة، زوج النبي، صلى الله عليه وسلم. قيل إنه ببعلبك، والصحيح أنها أم حمص، أخت معاذ بن جبل. فإن حفصة ماتت بالمدينة.

§ دير إلياس النبي عليه السلام، ويقال إنه كان محبوبا [فيه].

§ مشهد إبراهيم (عليه السلام) بقلعة بعلبك. جدد بناءه الملك الأشرف موسى.
§ قبر أسباط، ببعلبك.

§ قبر نوح (عليه السلام) بقرية تعرف بالكرك، من أعمال بعلبك.

§ قبر شيث، بقرية تعرف بشرعين بالقرب من كرك نوح. وقبر إلياس النبي بقرية.

§ قبر حزقيل، أحد أنبياء بني إسرائيل بالبقاع، غربى كرك نوح.

§ قبر بنيامين، شقيق يوسف، عليه السلام، بقرية ظهر حمار، من البقاع.

§ قبر شيبان الراعي، بالبقاع، بالقرب من حزقيل. في مشهد مبنى عليه.

- § قبر أيوب (عليه السلام) بقرية تعرف بدير أيوب، من أعمال نوى. كان بها أيوب، عليه السلام. وبها ابتلاه الله، عز وجل، وبها العين التي ركضها برجله، والصخرة التي كان عليها، وبالقرية أيضا قبر سعد التكروري، فقير صالح له شهرة.
- § مشهد جماعة من الصحابة بقرية تعرف بِحُجَّةٍ عَلَى يسار الذهاب إلى زرع^(١).
- كان بها وقعة أجادين في فتوح الشام. وبها حجر، ذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جلس عليه. وهذا ليس بصحيح. فانه (صلى الله عليه وسلم) لم يعد بصرى. وذكر أن بجامعها سبعين نبيا.

§ قبر أليّسع، بقرية تعرف ببسر، من أعمال زرع^(١).

§ نجران، شرق بسر. يقال إن بها الأخدود. ولا يصح. لأن الأخدود باليمن والله أعلم.

١٠

§ قبر عبد الرحمن بن عوف، بقرية تعرف بالدور، على باب زرع^(١). والله أعلم.

§ الهَمَيْسَع أبو أليّسع، في ذيل الحجّة. والله أعلم.

§ سام بن نوح، على باب نوى. وبها قبر الشيخ محي الدين النوى. وبها الشيخ على الحريري، شيخ الطائفة الحريرية.

١٥

§ مبرك الناقة. موضع معروف ببصرى. ويقال إن ناقة النبي (صلى الله عليه وسلم) بركت به هناك. أما قدوم النبي (صلى الله عليه وسلم) ببصرى فلا شك فيه، وأما أن ناقته بركت به في هذا الموضع بعينه، فلا تقطع به. ولكن الظاهر أنه هو. فانه أعلم.

(١) ذكر ياقوت أن أصل اسمها رُزًا والعامة سمّتها زُرع (ج ٢ ص ٩٢١).

- وفي هذا الموضع مصحف شريف عثمانى، وعليه أثر الدم.
- § وقبلى بصرى ديرًا يقال له دير الناعق. كان به بحيرا، الراهب. وبه اجتمع برسول الله، صلى الله عليه وسلم.
- § وشرق بصرى، قرية تعرف بدنين. بها قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حفرة سوداء، على ما ذكرنا. والله أعلم.
- § وقرب بصرى قرية تعرف بغصب. بها قبر وهب بن منبه.
- § قدم هارون، عليه السلام. ببلدة بصرخد.
- § وبهذه البلدة مشهد،ذكروا أن موسى و هارون (عليهما السلام) كانا به، لما خرجا من التيه.
- § قبر هارون. في السيق ببلاد الشولك.
- § قبر أبى عبيدة بن الجراح. بقرية عمتا من الفور. وعليه بناء، ولخادمه مرتب جار. أجرى له في الأيام التنكرية، بعلم الوزير أمين الملك ووساطته.
- § قبر معاذ بن جبل. بالقصير المعيني.
- § قبر أبى هريرة. بقرية تثنى بالساحل، من أعمال الرملة.
- § البلقاء. يزعم بعض الناس أن الكهف والرقم هالك. وهذا ليس بصحيح. قال الهروى: وقد زرنا الكهف والرقم في بلاد الروم عند مدينة يقال لها أبسس،^(١) خربة

٥٥١

(١) تعرف أيضا باسم أفسس. وبالفرنسية Ephèse.

بها آثار عجيبة، قريبة من مدينة أَلَكْسَتَيْنِ . وقيل إن مدينة دقيانوس هي طليطلة .
والصحيح الذي ببلاد الروم . وسيأتي ذلك في موضعه .

§ قبر جعفر الطيار . بقرية مُؤْتَةَ ، من أعمال كَرَك الشَّوَبَك .

§ وبها أيضا قبر زيد بن حارثة ، وقبر عبد الله بن رَوَاحَة ، والحارث بن
العمان ، وعبد الله بن سهل ، وسعد بن عامر القيسي وأبي دُجَانَةَ
الأنصاري : اسْتُشهدوا (رضى الله عنهم) في غزوة مُؤْتَةَ ، وهي غزوة مشهورة .

§ قبر سليمان بن داود . سرق بُبَيْرَة طَبْرِيَّة . قال شهاب الدين ابن الواسطي
في نصنعه : والصحيح أن سليمان دفن إلى جانب أبيه ، في بيت لحم . وهما في المغارة
التي بها مولد عيسى ، عليهم السلام .

§ قال : ومن شرقها أيضا قبر لقمان الحكيم وأبنة ، على ما قيل .

§ قبر أم موسى بن عمران . بقرية يقال لها إِرْبِل من أعمال طبرية . عن يمين
الطريق . وبها أربعة من أولاد يعقوب . وهم : دان وأبساخور وزبولون وكاذ .

§ قصر يعقوب ، عليه السلام ، وبيت الأحزان ، وجب يوسف ، عليه
السلام . في الطريق إلى بانياس . وهذا هو المشهور . قال ابن الواسطي : والصحيح

(١٦٢)

أن جب يوسف في طريق القدس ، عند بلد يقال له سِنَجِيل . وقال في موضع
آخر : سِيلُون قرية كان يعقوب (عليه السلام) ساكنا بها . وإن يوسف (عليه
السلام) خرج معها مع إخوانه . والجب الذي رُمي فيه بين سِنَجِيل ونابلس ،
عن يمين الطريق .

(١) في الأصل بعد هذا الكلام تكرار نصه : ويقال إن مدينة دقيانوس .

§ قبر شُعَيْب، عليه السلام. بقرية يقال لها حِطَيْن ويقال حِطِيم. وقبر زوجته على الجبل، على ما قيل.

§ قبر يهوذا بن يعقوب. بقرية رُومَة من أعمال طبرية.

§ قبر صَفُورَاء، بنت شُعَيْب، زوجة موسى بن عمران. بقرية كفر مَنَدَه. قيل إنها مَدَيْن، على ما زعم. قال أبو الواسطي: والصحيح أن مَدَيْن شرق طُور سينا.

§ وبهذه القرية الجُبُّ الذي قلع موسى الصخرة من عليه، وسقى منها أغنام شُعَيْب. قال: والصخرة باقية هناك. وبها آثان من أولاد يعقوب، وهما: أشير ونفتالي.

§ وعنده الأماكن جبل يقال له الطور. قيل إن موسى، من هذا الجبل رأى النار، ومن هذا الموضع أرسله الله.

§ قبر راحيل أم يوسف. عن يمين الطريق السالك من القدس إلى الخليل.

§ قبر لوط. بقرية كفر تريك، شرقي بلد الخليل.

§ مقام لوط. بقرية تامين. وبها كان يسكن، بعد رحيله من زُغَر. والموضع الذي خُسف بقومه هو اليوم البحيرة الممتدة. وقيل إن الحجر الذي ضربه موسى فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا، بُزَغَر.

§ قبر عبادة بن الصامت. بالرملة.

§ مشهد الحسين. بعسقلان. كان رأسه بها. فلما أخذها الفرنج، نقل المسلمون الرأس إلى القاهرة، ودُفن بها في المشهد المعروف به، خلف الفَصْرَيْن، على زعم من

قال ذلك . والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق . لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية .
وكانت دمشق دار ملكه وملك بنى أمية . ومن المحال ان يتجاوز الرأس المحمول إلى
السلطان لغير حصرتة . وله بدمشق مشهدٌ معروف ، داخل باب الفرديس . وفي خارجه
مكان الرأس ، على ما ذكروا . وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم
الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن . والمدعى بعيد بين
مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان .

§ وفي هذا المشهد دُفن رأس الكامل صاحب ميّافارقين . وفي ذلك قال أبو
المهتار ، الكاتب .

أين عازٍ عرّا وجَاهَدَ قوما . * أُنْحِنُوا بالعراق والمشرقين
لم يَشْنُهُ أَنْ طِيفَ بالرأس منه * فله أسوة برأس الحسين .
وافق السَّبْط في الشهادة والدفن * ن وقد حاز أبحره مرّتين .
لَمْ وَارَوْا في مشهد الرأس ذاك الر * أس ؟ فَاسْتَعْجِبُوا من الحالتين !

§ قدر يحيى وزكريا . يقال إلهما بِسَبْطِيَّة . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد .
قال : وكلّى الوليد على العمال في بقاء جامع دمشق . فوجدنا فيه مغارة ، فعرفنا الوليد
ذلك . فلما كان الليل وافى ، وبين يديه الشموع . فنزل . فإذا هي كنيسة لطيفة : ثلاثه
أدبَع في ثلاثة أذرع . وإذا فيها صُدف . فإذا فيه سَقَط وفي السفط رأس يحيى بن
زكريا ، مكتوبا عليه . "هذا رأس يحيى بن زكريا" . فأمر به الوليد ، فُرِد إلى المكان .
وقال : آجعلوا العمود الذي فوقه مُغَيَّراً من الأعمدة . فجعل عليه عمود مُسَقَط الرأس .

(١) هذا مشهد معروف . والذي في القاموس مصدقاً .

قال زيد بن واقد : رأيتُ رأسَ يحيى بن زكريا، وعليه البشرة، والشعرُ على رأسه لم يتغير . وقال القاسم بن عثمان الجوعى : سمعتُ الوليد بن مسلم وسئل : أين بلغك رأسُ يحيى بن زكريا ؟ قال : بلغني أنه تمَّ . وأشار بيده نحو العمود المسقط الرابع من الركن الشرقي . وقال هشام بن عمار : حدثنا محمد بن شعيب ، قال : دخلتُ مع شداد بن عبد الله من باب الدَّرَج . فقال لي : ترى هاهنا كتنا بالروم ؟ قل : نعم . فصلتُ ركتين . وقال : هاهنا رأسُ يحيى بن زكريا . وروى القاسم الجوعى عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزاعي : أين بلغك رأسُ يحيى بن زكريا ؟ قال : في العمود الرابع المسقط .

سعد بن عباد . يقال إنه بقرية النبيحة ، من غُوطَة دمشق . ولا يصح . (١)
 خالد بن الوليد . يقال إنه خارجُ خِمْص . ولا يصح . وإما هو خالد بن يزيد
 ابن معاوية ، بقول جرهم . فإن عمر بن الخطاب كان قد عزل خالدًا عن حمص وأشخصه
 إلى المدينة . فمات بها ، ووجدَ عليه عمرُ بعد موته .
 ضَرَار بن الأَزُور . خارج باب شرق . مع خلق من الصحابة ، استشهدوا
 في فتح دمشق .

§ وبمقابر باب الصغير خلقٌ من الصحابة أبصا ، استشهدوا في فتح دمشق .
 § وكذلك من سكن دمشق منهم .

§ وكذلك سائر بلاد الشام ، وبمصر ، والعراق ، والعجم ، والمغرب .
 § وبجزيرة العرب منهم رجال ، وبمكة والمدينة مشاهيرُ وأعلام . (٢)

(١) يباض بالأصل مقداره سطران .

(٢) يباض بالأصل مقداره خمسة سطور .

البيوت المعظمة عند الأمم

وأما غير ذلك مما هو لطوائف الأمم :

فأقول ذلك ما كانت عبَاد الكواكب تعظمه .

عادة الكواكب
وجباؤها

- وهي سبعة بيوت في الأرض . يرون أن كلا منها هيكل كوكب من الكواكب
السعة السيارة : لأعتقادها أن الكواكب أحسام حية ناطقة ، تجري بأمر الله في كل
• ما يحدث في العالم . فقفزوا إليها الفرائين ، لتتفعمهم . فلما رأوها تنحني في النهار وبعص
أحيان الليل ، عملوا لها تماثيل ، وبنوا لها البيوت وأهيا كل : ظناً أنهم إذا عظموا تلك
التماثيل الموضوعة لها ، تحركت الأجسام العلوية بمرادهم .

١٦٥

وقد قال الله تعالى : حكاية عن قولهم : ” مَا عَبُدُكُمْ إِلَّا لِنُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ” .

- والآيات السعة التي كان إليها حُجَّهم : البيوت المحجورة

§ أولها البيت الحرام . كان يأتيه منهم من يتقرب بزحل .

قلت : وإن صح قولهم من قصد هؤلاء البيت الحرام بالتعظيم ، فلا عجب . وإياه
مازال معطى في الإسلام وقبل الإسلام ، تنحج إليه طوائف الأمم في كل الأوقات .
زاده الله إبقاء وأدامه . ووصل شرفه بيوم القيامة !

- § وثانيها بيت فارس ، على رأس جبل أصفهان . وبينهما ثلاثة فراسخ . كان يأتيه
منهم من يتقرب بالمشتري . ثم جعله يستأشف - لما تمجس - بيت نار . فعظمه المجوس .
§ وثالثها بيت مندرسان . ببلاد الهند . كان يأتيه منهم من يتقرب بالمريخ . وقد

ذكره أبو عبيد البكري وقال : إن به من القوى الدافعة والجاذبة والمنفردة ، أوصافا لا يسع ذكرها . ثم قال : وهو بيت مشهور من أراد البحث عنه ، فليبحث .
§ ورابعها بيت كاوسان . بناء كاوس الملك ، بمدينة فرعاء . كان لأنه منهم من يتقرب إلى الشمس . قال أبو عبيد البكري : وهدمه المعتصم . وهدمه حبر ظريف ذكر في كتاب الزمان .

§ وخامسها بيت عُمدان . بناء الضحاك بمدينة صنعاء . كان يأتيه منهم من يتقرب بالزُهرة . وخرّبه عثمان بن عفان ، رضى الله عنه . والآل مكانه بركة . وآثاره كالجبل الضخم . وكان الوزير عيسى بن الجراح ، لما فى إلى اليمن آحتفر به قرا وبنى عليه سقاية . قال البكري : وزعم أهل اليمن أنه سُبني على يد غلام يخرج من بلاد سبأ ، يؤثر في هذا العالم تأثيرا عجيبا .

§ وسادسها بيت بأعلى بلاد الصين . بناء ولد عامور بن سويل بن نافت بن نوح . يأتيه منهم [من] يتقرب لُعطارد خاصة ، ولسائر الكواكب السعة السيارة عامة . وهو سبعة أبيات ، في كل بيت سبع كُوى ، يقابل كل كوة صورة على صورة كوكب من الخمسة والعشرين . ولهم فيه أسرارٌ بزعمهم .

§ وسابعها بيت النوبهار . بناء متوشهر الهندي بمدينة بلخ . وكان يأتيه من الصائفة من يتقرب بالقمر . وكان يسمى المتولى لسداتته ”برمك“ . وكانت ملوك الفرس تعظمه وتعظم متوليه . وآلت ولايته إلى أبي خالد البرمكي ، فلها قيل ”خالد بن برمك“ ولهذا قيل ”البرامكة“ . وكان من أعلى المباني تشييدا . وكان يلبس بالحرير الأخضر ، تُشرعه

(١) في الأصل : مكان

(٢) هكذا في الأصل . والحساب لا ينح .

شِقَاقٌ مِنْهُ . طول كل شُقَّة مائة ذراع . فيقال إن الريح حملت بعض تلك الشِّقَاق فرمت به على مسيرة خمسين فرسخاً . وهذا يدل على عُلُوِّه الرَّائِد . وكان قد كتب على باب النوبهار بالفارسية : ” قال سوراشف الملك : أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال “ .

- ثم لما ملك الإسلام مدينه بلخ ، كُتِبَ تحت هذه الكتابة بالعربية : ” كذب سوراشف . الواجب على الخراج إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان “ .

هياكل الأقدمين

وأما يوت اليونان^(١) فهي ثلاثة هياكل ، وهي مشهورة في العالم :

هياكل الأقدمين

- أولها - بيت بانطاكية ، داخل مدينتها ، على يسرة المسجد الجامع . وخرابه المسلمون .
ولما أتى ثابت بن قُزَّة بن زكريا الخزائي مع المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين ، أتى هذا الهيكل وعظمه .

وثانيها - هو الهرم الذي على بُعد من القسطنطينية .

وثالثها - بيت المقدس . كان قد شُرع في بنيه . ثم شرع داود (عليه السلام)

١٦٧

- في تكميل بنيه مسجداً . ثم تم على يد أبنيه سليمان ، عليهما السلام .

قال البكري : فاما الصنم الذي ذكره الله عز وجل في الإنجيل ، فكانت اليونانية آحترت له جبل لُبْنَان . فَأَتَّخَذُوا لَهُ هُناك هَيْكَلًا فِيهِ نَقُوشٌ عَجِيبَةٌ ، فِي الْحِجْرِ . لَا يَتَأَثَّرُ مِثْلُهَا فِي الْحَشَبِ^(٢) .

(١) في هذه التسمية طر . ولعل المؤلف أراد ” الأتوليس “ . وإلا فالهرم للصريين الأقدمين ، وبيت

المقدس لبني إسرائيل .

(٢) لعل الإشارة إلى هيكل بعلبك ، فان هذا الوصف ينطبق عليه .

هياكل الصقالبة

وأما بيوت الصُّقْلَب فهي بيوت ثلاثة ، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات
أستترقت عقولهم :

فأولها - بيت فيه آثار مرسومة تدلُّ على الكائنات . قال الكرى : وهذا البيت على
الجلبل الذي كان للفلاسفة أنه أحد جبال العالم . (قلتُ : لعله يكون على الجبل المستدير
وهو المسمَّى في الشمال بجبال قاقونا) .

وثانيها - على الجبل الأسود . تحيط به مياه عجيبة ، ذوات طعوم مختلفة . وفيه صنم
كبير ، على صورة رجل شيخ ، بيده عصا يحرك بها عظام الموتى . وتحت رجله اليسرى
عرايب سود من صور الغداف وعبرها .

وثالثها - يحيط به خليج من البحر ، في وسطه قبة عظيمة ، بها صنم على صورة جارية .

هياكل الصابئة

وأما ما كان للصابئة . فكان لهم هياكل تسمى بأسماء ، وهي :

هيكَل العلة الأولى ، وهيكَل العقل ، وهيكَل الصورة ، وهيكَل النفس .
مستديرات الأشكال .

وهياكل الكواكب والنيرين على أشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربيع .
وكانت لهم فيها دُخْنٌ وقرابين يطول وصفها .

(١) الذي في مروج الذهب : "الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد حال العالم العلية" .

قال البكري : والذي بقي من هياكلهم ، بيتٌ بحزاف ، في باب الرقة . يعرف
بمعليشا . وهو هيكل آزر ، أبي إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام . ولهم في آزر وأبيه
كلام كثير .

١٢٨

قال البكري : ولهم في هياكلهم مخاريق قد وصلت : تقف السدنة من وراء
الحُدُر وتتكلم بأصوات الكلام ، فتجري الأصوات في تلك المنافع والمخاريق إلى تلك
الصور المخوفة فيظهر لها طقُّ على حسب ما دبر على هيئة هندسية . ثم قال : والصابئة
حشوية اليونان . وإنما يضافون إلى الفلسفة ، إضافة نسب لا إضافة كلمة ، لأنهم
يونانيون ، وليس كل يوناني بحكيم . قال أبو عبيد البكري : وعلى باب حران كتابة
بالسريانية نسبة قول في النفس نسبة قول أفلاطون : الإنسان نبات سماوي . قال :
والصابئة تقرب في بعض الأوقات ثورا أسود . تُشد عيناه ويضرب وجهه بالملح ،
ثم يُدبح ويُنظر في أعضائه . وما يظهر منه في الجراحات والاختلاج ، فيُستدل به
على أحوال السنة . ولهم في قراينهم أسرار ومخبآت .

وهيكل في أفاصي الصين . وهو بيت مدور له ستور وأبواب . في داخله قبة
مُسبَّعة عظيمة البنيان . وبه بر مسبَّعة الرأس ، متى أكتب إنسان على رأسها تهوّر
على رأسه فيها . وعلى رأس البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم ، قلم السند هند :
” هذه البئر تؤدي إلى مخزن الكتب الأولى وتاريخ الدنيا وعلوم السماء لما كان
ويكون ، وتؤدي إلى خزائن رغائب هذا العالم . لا يصل إلى الدخول إليها والاقتباس
مما فيها إلا من وازت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا “ .

هيكل الصين

قلت : هذا ما ذكره البكري ذكرته كما ذكره . والعهد عليه فيما نقله .



بيوت النيران

بيوت النيران

وأما بيوت النيران، فأقول من ذكرها أفريدون . قال : لأنه زعم أنها من جنس الكواكب النورية . وبالنور صلاح العالم . لأنها عندهم أصل كل شيء ومبدأ كل تمام . لأنها تجذب الحيوان إليها كالقراش الطائر بالليل ، وما يصاد بالليل بالسُّرَج من الوحش والطير والسماك كما يصاد في البصرة بإيقاد السرج في الزواريق ، فيطلع السمك من الماء حتى يقع في الزواريق . ويطلق أقوال المجوس في اجتذاب النار للحيوان أن الحيوان ينام الليل لأحتباسه عن الإسفار ، فإذا رأى النار ظنه فرجة إلى النهار ، فقصده .

وليس هذا موضع ذكر شبهتهم والأجوبة عنها . وإنما ذكرنا هنا ما هو لائق به . وبيوتهم المشهورة خمسة :

فأولها ، بيت بطوس ،
وثانيها ، بيت بخارى ،
وثالثها ، بيت دارايجرد في أرض فارس .
بناهما أفريدون .

(كان زرادشت نبي الفرس ، على ما زعموا ، قد أمر يستأشف الملك أن يطلب نارا كان يعظمها جُمُ ، الملك ، فوجدت بنحوارزم . فنقلها يستأشف إلى دارايجرد . قال البكري : والمجوس تعظم هذه النار ، وهي أكرم نيرانهم .)

ورابعها ، بيت باسطخر ، من فارس . ويقال إنه كان مسجد سليمان ، عليه السلام .

وقال المسعودي: وقد دخلته. وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر. فرأيت بناينا عجيبا وهيكلًا عظيمًا، وفي أعلاه صور من الصخر محكمة، عظيمة المقادير: من الخيل وسائر الحيوان. يحيط بذلك كله سور من الحجر، فيه صور الأشخاص، قد سُكِّلت وأُتِفِنَت. ويزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء، عليهم السلام. وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار: لها هبوبٌ وحيفٌ. بذكر من هناك من المسلمين أن سليمان حبس الريح فيه، وأنه كان يتغذى بعبك، من أرض الشام، ويقيل بمدينة تدمر، في الملعب المتخذ فيها (وهي في البرية بين العراق ودمشق من أرض الشام. وبين تدمر والشام ستة أيام) ثم يتعشى بهذا المسجد.

(١٧٠)

وبتدمر خلق من العرب من فطان.

وخامسها، بمدينة جُور التي يضاف إليها الماورد. بيت نار بناء أردشير له يوم عيد. وهو على عين هناك، عجبة. وإليه متزهاتهم. وفي وسط جُور بنيانٌ كانت تعظمه الفُرس، يعرف بالطربال، نخر به المسلمون.

وإمامُ فضل ماء وردهم، لصحة التربة وشفاء الهواء.

والوان سكانها في غاية الحسن، من اعتدال الحمرة والبياض.

وبين جور وشيراز (وهي قصبة فارس) عشرون فرسخًا.

فسبحان الذي من علينا بالإسلام، وهدانا إليه وعلمنا ما لم نكن نعلم، وفضلنا على

كثير من خلقه، تفضيلاً!

الآثار المشهورة

ومما تُتبع به هذه الهياكل من الآثار المشهورة في الأرض مما بقي، لقي جسمه
أو رسمه، ما يُذكر:

§ ومن ذلك صنم الخطأ المحجوج في نهاية الشرق المتشامل . وهو قريب من
السند .

§ ومن ذلك قصر الدهالك . ما بين مدينة طغورا وبين مدينة باش بالق ، شرق
طغورا وغربي باش بالق .

§ ومن ذلك حائط القلاص . ويعرف بالحائط المحيط ، ويعرف بحائط عبد الله
ابن حميد جنوبي بلاد الغربية وأسيجاب .

§ ومن ذلك مدينة إصطخر . وهي مدينة عجيبة البناء ، من بناء سليمان ، عليه السلام

§ ومن ذلك قصر سندان . وهو بالعراق ، قريب النيل ، بأرض الأزر ، على نهر
سدان . وكان مسكن آل محرق^(١) ، وفيه قال الأسود بن يعفر .

❦

ماذا أوّمل بعد آل محرق ، * تركوا منازلهم ، وبعد إباد ؟

أهل الخورق والسدير ومأرب * والقصر ذي الشرفات من سندان .

دار تحيرها لطيب مقلها * كعب بن مامة وابن أم دؤاد .

زلوا بأنقرة يسيل عليهم : ماء الثرات ، يحيى من أطواد .

حرت الرماح على محلّ دبارهم * فكأنما كانوا على ميعاد !

§ ومن ذلك قصور الحيرة ، بين العراق والشام .

(١) هو ما جاء المهمل في لسان العرب في مادة (ح ر ق) وقد أعجم في الأصل تصحيفا من التامع .

الخورق والسدير

§ ومن ذلك الخورق والسدير. وهما من أشهر الآثار. بناهما شخص اسمه سِنِمَار
للنعمان بن قيس، وكله في عشرين سنة. فلما وقف عليه النعمان، استجاده وأتى على
سِنِمَار. فقال له سِنِمَار: لو شئت أن أجعله يدور مع الشمس، لفعلت. فأمر به أن
يُطرح من أعلى شرفاته. فضرب به المثل، فقيل: "جزاء جزاء سِنِمَار". وفي ذلك يقول
الشاعر^(١):

حزني بنو قيس، وما كنت مذنباً، * جزاء سِنِمَارٍ وما كان ذا ذنب!
بنى القصر للنعمان عشرين حجة * يعلّ عليه بالقراميد والخشب.
فلما استوى البنيان وأشدّ رصفه * وأض كثل الطود والشاخ الصعب^(٢)،
رمى بسِنِمَارٍ على أم رأسه، * وذاك لعمر الله من أعظم الخطب!
ثم تهرب هذا النعمان في الجاهلية، وأنزع من ملكه، ولبس المسوح. وفيه قال
عدي بن زيد:

وتذكر رب الخورق إذ فكّر يوماً. وللهدي تفكير!
راقه ماله وكثرة ما يملك، والنهر معرضاً والسدير.
فأرعوى قلبه وقال: وما غبطة حتى إلى الممات يصير؟

(١٧٢)

§ ومن ذلك قصر سَنَافَد.

١٥

§ ومن ذلك الرصيف الممتد بين صَرْخَد والعراق، ممتداً في البرية. يقال إنه من عمل
سليمان بن داود، عليهما السلام. وهو يتصل في مواضع ويتقطع في أخرى. يتوصل
السالك معه من الشام إلى العراق، ومن العراق إلى الشام في أقرب مدة.

الرصيف

(١) أورد ياقوت هذه الأبيات باختلاف يسير في الألفاظ (في معجم البلدان ج ٢ ص ٤٩١).

٢٠

(٢) و الأصل الشاذخ. [وقد صححت معاونة ياقوت].

§ ومن ذلك مدينة تدمر بين العراق وبين الشام، وما فيها من عجائب البناء وكبار العمدة.

§ ومن ذلك ملعب بعلبك. والباقي منه عمدٌ بقلعتها الآن، وما في سورها من الأحجار العظام والصخور الراسية كالجبال. يقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليهما السلام.

§ ومن ذلك مدينة شُهبَة من بلاد حوران. بها من الأبنية الباقية والعمد العالية والآثار الدالة ما هو من جلائل الآثار.

آثار حوران
صفحة

§ ومن ذلك مدينة جُرش من بلاد حوران. يحكى الهول عن غرائب آثارها. وقد أصبحت خاوية على عروشها، خالية من أهلها وسكانها، لا يُحس بها حسيس، ولا يوجد بها أنيس.

§ ومن ذلك جب يوسف، وهو قرب قرية أسمها شوري.

§ وبلدانيها جسر يعقوب، وهو معروف مشهور.

كل ذلك ببلاد صفد.

§ ومن ذلك منازل ثمود^(١) بين الحجاز والشام. وبيوتهم المنحوتة في الجبال باقية إلى الآن.

منازل ثمود

وهي المعنية بقوله تعالى: "وَوَيْتَحْتُونَ بَيْنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا قَرِيبِينَ". وبها البئران: بئر الناقة وبئر ثمود، المقسوم بينهما الشرب. ولما مرّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأرض ثمود في غزوة تبوك، وجد بعض من سبق من أصحابه قد ملأ من بئر الحجر. فأمر بأن يراق الماء. فقالوا: يا رسول الله قد عجبنا منه العجيب. فأمر بأن يطعموه الإبل، وأن يشربوا من بئر الناقة. وهما معروفان هناك.

وهذه فائدة أردنا التنبيه عليها.

١٧٢

(١) في الأصل عاد وصحفاً بالهامش "ثمود" ولكنه لم يلفت إلى البقية فصحفاً نحن كما ترى والآية

والحديث معروفان من قصة ثمود.

- ٥ ومن ذلك جُبُّ بَابِلَ، وهو الذي حُبِسَ به دانيال. ألقاه فيه بُحْتُ نَصْر. وألقى معه أسدين حتى أناه، بأمر من الله، نبيُّ من أنبياء بني إسرائيل. فقال: يا صاحب الجُبِّ! فأجابه دانيال: قد أسمعت! ما تريد؟ قال: أنا رسول الله إليك، لأستخرجك من موضعك. فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره! والحمد لله الذي لا يكلُّ من يوكل عليه إلى غيره! والحمد لله الذي يحزى بالإحسان إحساناً! والحمد لله الذي يخزي بالإساءة غفراً! والحمد لله الذي يكشف ضرنا عن كربنا، وأستخرجه وإن الأسدين لعن يمينه وشماله يمشيان معه حتى عزم عليهما دانيال أن يرجعا.
- وعن ابن عباس، قال: من قال عند كلِّ سبعٍ: "اللَّهُمَّ! ربَّ دانيال وربَّ الجُبِّ وربَّ كلِّ أسدٍ مستأسدٍ! احفظني واحفظ علي!" لم يضره السبع.
- ١٠ § الأخدود. المختفر لأصحاب الأخدود المذكورين في القرآن الكريم. وهو بقرآن من اليمن.
- من ذلك البئر المعطلة والقصر المشيد. وهما قريب المجر الخالي^(١) بمشاريق اليمن.
- ١٥ § ومن ذلك سد مأرب. وهو بلاد سبأ من اليمن.
- قصر نقشيب. كان ليلقيس.
- قصر حمدان. ومن ذلك قصر عُحمدان. بصعاء اليمن. وهو من أشهر الآثار وأظهر المعالم. كان مسكن التباعة من حمير، ومنهم شمر بن مالك وأسعد أبو كرب. وكفى بذكرهما طافا الأرض وبلغا الآفاق. وقصر عُحمدان هذا هو المذكور في الأشعار، والمشهور في الأخبار. وفيه يقول ابن أبي الصلت:

اشرب هنيئًا عليك التاج مغتبيًا * في قصر عُمدان دارا ملك محلا!

تلك المكارم لأقعبان من لبن * شيبًا بماء، فعادا بعد أبوالا!

ومن ذلك بئر برهوت . ببلاد حَضْرَمَوْت من بلاد اليمن . وهو الذي لم يُعرف
عنه ، ولا علم أن إنسانا نزله .

ومن ذلك قصر زِيدان . المشهور بمدينة ظَفَّارِ بِالْيَمَنِ . وكانت تسمى قديما
مدينة يَحْصِب .

ومن ذلك قصر الشَّاذِيَاخ . وهو باب نيسابور ، من نخراسان . كان دار
السلطنة لبعض ملوكها . ولم تؤخر ذكره إلا لأنه شُبَّه ببناء عُمدان . فكان كأن لذكره
به تعلقا :

اشرب هنيئًا عليك التاج مرَفَقًا * بالشَّاذِيَاخ ، ودع عُمدانَ لِلْيَمَنِ^(١) !

فانت أولى بتاح الملك تلبُّسه * من هَوْدَة بن عليّ وأبن دى بَزَن !

وعلى باب قصر الشاذياخ ، ضُلب على بن الجَهم . فقال حين ضُلب ، أرتجالا .

لم ينصبوا بالشَّاذِيَاخ عشيَّة الإثْنين مسبوقا ولا مجهولا !

نصبوا بحمد الله مِلءَ قلوبهم * شرفا ، وملء صدورهم تَجِيلا !

ما عابه أن بُزَّعه ثيابه ، * فالسيف أهول ما يُرى مسلولا^(٢) !

(١) في الأصل : باليمن . [وقد صححت بمحوه باقوت ، لأنه أورد هذين البيتين في معجم البلدان ، ح ٣

ص ٢٢٩] .

(٢) هذه الحكاية والأبيات المتعلقة بها ليست في باقوت . وإنما أوردتها صاحب الأعاني بتعصيل

أولى (ح ٩ ص ١٠٧) مع إيراد القصيدة مأكلا وهي ١٢ بيتا . [وقد صححت بمصر الكلمات بمحوه] .

دار الأعماس
القسطاط

ومن ذلك دار الأعماس . وكانت بفسطاط مصر، يباع بها قماش النساء،
وقآخر اللباس والأمتعة . وتجلب إليها من كل أرض . وكان يجلس على حوانيتها أهل
المراع واللهو . وكانت من عجائب المباني، وغرائب الآثار .

وحكى ابن ظافر أن ابن قلافس جلس بمصر فيها مع جماعة، فترت بهم امرأة^(١)
تعرف بابنة أمين الملك . وهي شمس تحت سماء الثقاب، وغصن في أوراق الشباب^(٢) .
فخذقوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب، والمريض إلى الطبيب . فجعلت تلتفت
تلقت الظبي المذخور، أفرقه القانص فهرب، وتثى تثى الفصن المظفور، عاتقه النسيم
فأضطرب . فسأله العمل في وصفها . فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان
الأردى القيرواني^(٣) :

”أعرضن لما أن عرضن فإن يكن * حذرا ، فإن تلتفت الغزلان؟“

ثم صنع .

لها ناظر في دري ناصر * كما ركب السن فوق القناة .

(١) في كتاب دائع الدائه، ص ١٧٤ وفي ديوانه المخطوط مرة ٥٤٩ أدب بدار الكتب الخديوية،
وفي مسحة التي عى ماطهارها مع التدقيق في التصحيح الشاعر المصري الشهير خليل افندي المطراب .
سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥)

١٥

[وقد جمعت بين الروايات ، إلا ما كان فيه اختلاف وتغير فقد مهت عليه في الحواشي التالية . الثلاثة
دون الحكاية التي تضمنت واقعة الحال .]

(٢) في كتاب دائع البدائة : صحاح .

(٣) في آر فضيل الله . في غصن أوراق

(٤) قول المثلث الأردى .

(١) لَوْتُ حِينَ وَلَّتْ لَنَا جِيْدَهَا * فَأَيُّ حَيَاةٍ بَدَتْ مِنْ وَفَاةٍ؟
(٢)
كَمَا دُعِرَ الظُّبِيُّ مِنْ قَانِصٍ * فَتَرَوُكَ تَرَفًا فِي الْأَلْتَفَاتِ!
(٣)
ثُمَّ صَنَعَ.
(٤)

ولطيفة الألفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة، إلا عتًا.
كلت محاسنها فودَّ البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو ينعتها.
قد قلت لما عرضت وتعرضت: * يا مؤيسا، يا مطعمعا، قل لي متى؟
قلت: أنا الظبي الغرير وإنما * ولي وأوجس خيفة فتلقنا.
(٥)
(٦)

ومن ذلك الأهرام بمصر. وأجلها الهرمان بجيزة مصر. وقد أكثر الناس القول

(١٧٤)

في سبب ما بُنِيَ له. فقيل: "هيا كل للكواكب". وقيل: "قبور ومستودع مال وكتب"

وقيل: "ملجأ من الطوفان". وهو أبعد ما قيل فيها. لأنها ليست شبيهة بالمساكن.

فتح المأمون
للهرم الكبير،
وتدقيق المؤلف
في ذلك.

وأقربها إلى الصحة - والله أعلم - أنها إما هياكل كواكب، وإما مواضع قبور. ولقد
فُتِحَ أكبرها في زمان المأمون، حين قدم مصر. فلم يظهر منه ما يدل على ما وُضِعَ له.
وعلى السنة الناس أنه وجد ذهاب فوزنه، وحسب مقدار ما أنفق، فوجدهما سواء
بسواء، لا يزيد أحدهما على الآخر بشئ، لعلمهم السابق أنه سيُنْفَقُ عليه مثل هذا
(٧)

(١) في ابن فضل الله: أرت.

(٢) » » » حياة بذأ أو وفاة.

(٣) في ديوانه المخطوط والمطبوع: هز.

(٤) هذه الأبيات لم ترد في الديوان المخطوط ولا المطبوع.

(٥) في البدائع: القريد.

(٦) » : نبوة.

(٧) في الأمل: لعلهما.

المقدار . فوضع هذا المقدار بإزاء ما ينفق عليه . ووجدتُ هذا في كثير من الكتب .
مراجعتُ التواريخ الصحيحة والكتب المسكون إليها ، فلم أجِد المأمون وجد به شيئاً
ولا استمداد زائدا عما يعلم الناس به علما .

وأدُلُّ الأدلة على أن أحدهما هيكُلُ بعض الكواكب ، أن الصابئة كانت تأتي حقيقة
تُخجُّ الواحد وتزور الآخر ، ولا تبلغ به مبلغ الأول في التعظيم . والله أعلم بحقيقة أمورها
وجليّة أحوالها .

وهي أشكال لمسيّة . كأن كل هرم له سراج . آخذة في أسافلها على الترتيب مسلوقة
في عمود الهواء . آخذة في الجوّ حتى إلى التثبيت . أولا استدارة سفل أبلوج السكر^(١)
لشبهائها به . ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعا لبعض الكواكب لماسبية
أقتضته .

وصف المؤلف
للأهرام وزيادته
ب

ولقد أضعدتُ غير مرّة ، ما زلتُ على الأهرام بجميع بلاد الجزيرة ، ورأيت منها ما دثر
بعضه . وما دثر كله . فإذا هي مصفحة البناء ، شيئا على شيء ، لا فسحة في أوساطها ، كما
تكون ساحات الدور بين الجدران . وإنما هي بناء ملتصق على بناء . بعضها فوق بعض .
ووجدتُ بعض الأهرام مبنية بالطوب . وهذا أكبر دليل على أنها لم تُخذ ملجأ
من الطوفان .

(١٧٥)

فأما مقدار الهرمين المشار إليهما ، في ارتفاعهما ومساحة أقطارهما ، فإنه مذكور
في الكتب دكرا مستوعبا لم أحققه بالقياس . وأبى لي تحقيق في هذا الكتاب أن
أذكره بجزء التعليل ، مع إمكان التحقيق ، مع كثرة ترددي عليها ، وسكنتي بالقاهرة
في جوارها . ولعدي مانع في وقت هذا التأليف ، فعدتُ عن معاودتها بالنظر والتحقيق .

(١) في الأصل : وأن .

(٢) في النص : السكر . فمع « بكر » .

على أن الهدم قد شرع في قلع هذه الآثار، ونقل أحجارها إلى الأبنية والمساكن .
نبه لها الدهر طرفا غافيا، وقلبا غافلا، فأصبحت هاوية الأركان، ناعة السكان . فلقد
صدق عليها المتنبي قوله :

أين الذي الهرمان من بُنيانه * من قومه ما يومه ما المصراعُ
تختلف الآثار عن سُكَّانها * حيناً، ويدركها الفناء فتتبع !

وإن فيها لعمرة للعتبر، وتذكرة للذكر، وآية لمن أتاب، وتبصرة في الدنيا لمن يلد
للقاء ويعمر للخراب .

وحكى ابن ظافر^(١) قال : ذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا
متزهين إلى الأهرام^(٢)، ليرَوْا عجائب مبانيها، ويتأملوا عرائب ماسطوره الدهر من العبر^(٣)
فيها، فأقترح بعض من كان معهم العمل فيها . فصنع أبو الصلت أمة من عبد العزيز
[الأندلسي] :

بعيشك هل أبصرت أحسن منظراً، * على ما رأيت عينك، من هَرَمي مصر^(٤)
أنافاً بأعان السماء وأشرفاً * على الجوق، إشراف السماء على النسر^(٥)
وقد وافيا نُسرا من الأرض عالياً .. كأنهما نهْدان قاما على صدر.

(١) بدائع البداهة (ص ١٣٦) ، ومع الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤) .

(٢) أين فضل الله : في .

(٣) هذه الكلمة ليست في البدائع ولا في مع الطيب .

(٤) البدائع : بأكناف .

(٥) أين صل الله : أو .

أوالهول ووصفه § ومن ذلك أبو الهول . وهو أسمٌ لصنمٍ يقارب الهرم الكبير . في وَهْدَةٍ منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب . لايبين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعنته . أشبه شئ برأس راهب حبشي ، عليه غفارية ، على وجهه صباغ أحمر إلى حُوءٍ ، لم يَحُلْ على طول الأزمان ، وقديم الآباد . وهو كبير . لو كان شاخصاً كله ، لما قصر عن عشرين ذراعاً طوله . في غاية مناسبة التخطيط .

يقال إنه طَلَسَمَ^(١) مع الرمل عن المزدَرَج . وزاد تحسين هذا القول إليهم وتصويرهم ، أنه على نهاية الرمل إلى جهة المزدَرَج .

وفي أبي الهول يقول [أبو منصور] ظافر الحدَّاد^(٢) .

تأمل هيئة الهرمين وأنظرا ، * وبينهما أبو الهول العجيب !
كَمَّارِيتَيْنِ^(٣) على رحيل * نجوين ، بينهما رقيب .
ويَضُّ البحر عندهما دموعٌ * وصوتُ الريح بينهما نجيب .
وظاهرُ سجن يوسف مثلُ صَبٍّ * تخلف ، وهو محزونٌ كَثِيبٌ .

§ وأما سجن يوسف ، فشمال الأهرام ، على بُعدٍ منه ، في ذيل خرجة من جبل في طَرَفِ الحاجر .

(١) هكذا ضبطه في الأصل . والمعروف أنه طَلَسَمَ .

(٢) في بدائع الدلائل (ص ١٣٦) ، وفي فتح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤)

(٣) في آبن فصل الله في البدائع : كَمَّارِيتَيْنِ . [وهو تصحيف . وقد ورد الصواب في فتح الطيب ، والكلام بمنزلة الثنية لا الجمع . والعمارية هنا هودج . وهي كلمة مولدة . أنظر تكملة المعجمات العربية للعلامة دوري] .



§ ومن ذلك حائط العجوز . وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، ممتداً على جانب المزدرع بها ، كأنه قد جعل حاجزين الرمل والمزدرع . على أنه غير على الدرى .

مشيتُ معه إلى دندرا ، من الصعيد الأعلى . ورأيتُه قد دثر غلبه ، ومنقطعه أكثر من متصله . وهو مبنى من طوب . ليس بعريض السمك ولا على الجدار .

ووقفت على الكتب المؤلفة في أخبار مصر أنه من بناء امرأة أسمها دلوك ، وأنه يصل إلى ما بين العريش ورغ ، منتهى الحد الفاصل بين مصريين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسافل أرض مصر .

ويذكر في تلك الكتب - بسبب سوء العجوز له - خرافةً لسنا رضى ذكرها .

ولا يعرف من بنى هذا الحائط حقيقةً ، ولا ما بنى له عن يقين . ولكنا قلنا على

الظن الغالب .

شامة وطامة
(تمثالا ممنون أو
مسيح الكبر)

§ ومن ذلك شامة وطامة . وهما صلمان من حجر ، على قاعدتين ، ببلاد الصعيد .

§ ومن ذلك البرابي . بالصعيد ، في أماكن منه .

§ وأشهرها برباة إهميم . من ورائها على شرق النيل ، حيث ينعطف الرمل ملتقى على الريف .

رأيتُ بها مختلفات من صور الحيوان : من نوع الإنسان والدواب والوحش والطير . على صور مختلفة ، وأشكال متباينة ، مصبغة بأنواع الأصباغ ، مرسومة في الجدر والسقوف والأركان ، من باطن البناء وظاهره ، لم تتطمس رسومها ، ولا حالت أصباغها : كأن يد الصانع ما فارقت صورها ، وكف الصانع ما مسح دهانها .

تحقيق الحكيم
شمس الدين محمد
القاسم شأبا

(١٧)

قال لى الحكيم المحقق شمس الدين محمد النقاش: إنه سافر قصدا إليها وأقام مدة
بردد نظره فيها، ويحدد نظره في أوضاعها. ^(١) فرآها تشتمل على هيئة العلويات المرصودة
بأسرها، مما لا يعمل كل موضوع منها إلا برصد محرر مما لا يسع زمان واحد بعضه.
قال: فعلمت أنها ما عملت في زمان واحد، بوضع حكيم واحد: لقصر مدد الأعمار
عن زمان يفى برصد تلك الهيئة الكاملة. قال: وإنما تكون - والعلم لله - مما توارث
عملها على حكم الأرصاد المحررة عدة حكاء في أزمنة طويلة، حتى أستقل ذلك
المجموع وتمت تلك الهيئة.

عمود الصواري
بالإسكندرية

§ ومن ذلك عمود الصواري . بظاهر الإسكندرية . وهو عمود مرتفع في الهواء
نحته قاعدته، وفوقه قاعدة . يقال إنه لا نظير له من العمود في علوه ولا في آستدارنه .
ويحكى عنه حكاءات منها ما هو مسطر في الصحف، ومنها ما هو مستفيض على الألسنة،
مما لا نرى ذكره

درة الإسكندرية
والشعراء

§ ومن ذلك المنارة بها . وشهرتها كافية . ولم يبق منها إلا ما هو في حكم الأطلال
الدوارس، والرسوم الطوامس .

وقد كانت المنارة مسرح ناظر، ومطمح أمل حاضر، طالما جمعت أخذانا، وكانت
لحياد الخواطر ميدانا .

١٥

حكى ابن ظافر أن ابن قلاقس والوجه [أبا الحسن علياً] بن الدروي طلع المنارة،
والوجه يومئذ في عنقوان [شبابه و] صباه، وهبوب شماله في الجنوب وصاه .

(١) لعله أراد : مصره

(٢) بدائع الداء، (ص ١٣٨) .

وَأَبْنُ قَلَاقِسٍ مَغْرَمٌ بِهِ، مُغْرَى بِجَبِّهِ، مَكْبٌ عَلَى تَهْنِيهِ، مَبَالِغٌ فِي تَفْضِيضِ شَعْرِهِ
وَتَهْنِيهِ، وَلَمْ تَكُنْ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا تِلْكَ الْهِنَاءُ، وَلَا اسْتَحْكَمَتْ بَيْنَهُمَا أَسْبَابُ الْمَهَاجَةِ،
فَأَقْرَحَ عَلَيْهِ أَبْنُ قَلَاقِسٍ أَنْ يَصِفَ الْمَنَارَةَ . فَقَالَ [بَدِيحًا] :

وَسَامِيَةِ الْأَرْجَاءِ تُهْدِي أَخَا السُّرَى . ضِيَاءٌ، إِذَا مَا حِنْدُسُ اللَّيْلِ أَظْلَمَا،
لَبَسْتُ بِهَا بُرْدًا مِنَ الْأَنْسِ صَافِيًا . فَكَانَ بَتْدَ كَارِ الْأَحْبَةِ مُعْلَمًا،
وَقَدْ ظَلَلْتَنِي مِنْ دُرَاهَا بَقْبَةٌ . أَلَا حِظَّ فِيهَا مِنْ صَحَابِي أَنْجَمَا،
فَخَيْلُ أَنْبَ الْبَحْرِ تَحْتَى غَمَامَةً * وَأَيُّ قَدْ خِيَمْتُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ .

فَاشْتَدَّ سُرُورُ أَبْنِ قَلَاقِسٍ وَفَرَحَهُ، وَقَالَ يَصِفُهَا وَيَمْدَحُهَا :

وَمَنْزِلُ جَاوَرِ الْجَوْزَاءِ مَرْتَقِيَا . كَأَنَّمَا فِيهِ لِلنَّسْرَيْنِ أَوْكَارُ،
رَأَيْتُ الْقِرَارَةَ سَامِيَ الْفَرْعِ فِي يَدِهِ . لِلشُّوْبِ وَالنُّورِ أَخْبَارُ وَأَثَارُ،^(٢)
أَطْلَقْتُ فِيهِ عِنَانَ النِّظْمِ فَأَطْرَدْتُ . خَيْلُ لَهَا فِي بَدِيعِ الشَّعْرِ مِصَارُ،
وَلَمْ يَدْعُ حَسَنًا فِيهِ أَبُو حَسَنِ، . إِلَّا نَحْمَ فِيهِ كَيْفَ يَخْتَارُ،
حَلَّى الْمَنَارَةَ لَمَّا حَلَّ ذُرُوتَهَا . بِجَوْهَرِ الشَّعْرِ بِحَرْمَتِهِ زَخَّارُ،
مَا زَالَ يُذَكِّرُنِي بِهَا نَارُ الذِّكَاءِ إِلَى * أَنْ أَصْبَحْتُ عَلَمًا فِي رَأْسِهِ نَارُ،^(٣)

وَمِنْ ذَلِكَ الْمَلْعَبِ بِهَا . وَقَدْ كَانَ لَهُ عِيدٌ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِيهِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَتُرْمَى بِهِ
كُرَّةٌ، فَمِنْ وَقَعَتْ فِي كَمِّهِ، آلُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ . وَحَضَرَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،

١٧٧ مكرر
الملعب ومكان قصر
ع خليف

(١) مدائع الدائنة : دَيْتٌ .

(٢) فِي أَبْنِ فَضْلِ اللَّهِ . وَأَخْبَارُ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الدِّيْوَانِ الْمَحْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ، بِمَجْرَدَةٍ مِنَ الثَّانِي وَالْخَامِسِ، وَمِنْ حِكَايَةِ الْحَالِ .

ووقعت الكثرة في كنهه . فقالوا : أنحرمت المادة ؟ فإن مثل هذا لا يملك . وهذه واقعة مشهورة ، لا حاجة إلى الإطالة بها .
ومكان هذا الملعب عمر بنو خليف القصر المنسوب إليهم .

- وحكى ابن ظافر أن ابن قلاقس حضر يوما عند بنى خليف [نطاهر الإسكندرية] في قصر رسا بناؤه وسما ، وكاد يمزق بمزاحمته أنواب السما . قد ارتدى جلايب السحاب ، ولاث عمام الغمام . وآبتسمت ثنايا شرفاته ، وآتسمت بالحسن حنايا غرقاته . وأشرف على سائر واهى الدنيا وأقطارها ، وحبته السحاب بما أوثمت عليه من ودائع أمطارها . والرمل بهائه قد نشر تبره في زبرجد كرومه ، والجو قد بعث بذخائر الطيب إليه لطيفة نسيمه . والنخل قد أظهرت جواهرها ، ونشرت عداثرها . والطل ينزل لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه ، والبحر يرعد [غيظا] من عبث الرياح به . فسأله بعض الحضور أن يصف الموضع الذي تمت محاسنه ، وغبط به ساكنه . فحاشت لذلك كجج بحره ، وألقت إليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحره ، فقال :

قَصْرٌ بِمَدْرَجَةِ النِّسِيمِ تَحْدُثُ ٠ فِيهِ الرِّيَاضُ بِسَرِّهَا الْمُسْتَوِرِ ٠

- (١) بدائع الدائع ، ص ١٧٥ ، ومع الطيب [ح ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥] .
(٢) هذه الكلمة ليست في الدائع . ولكنها واردة في مع الطيب .
(٣) في آبر فصل الله ، وفي المعج : وآرتسمت .
(٤) هاتان الكلمتان ليستا في الدائع .
(٥) في الدائع : فألقت إليه جواهرها لترصيع لبة ذلك القصر ونحره .
(٦) في آبر فصل الله وفي البدائع : عه .
(٧) لم يرد في الديوان المخطوط والمطبوع سوى هذا البيت والثالث بعده .

(١) خَفَضَ الخورنق والسدير سُمُوهُ * وثنى قصور الروم ذات قصور.
(٢) لاث الفام عمامة مسكبة * وأقام في أرض من الكافور.
غنى الربيع به محاسن وصفه * فأقترع نور يروق [ونور]
(٣) فالذوح يسحب حلة من سندس * تزهو ملؤلؤ طلها الموفور.
والنخل كالفيد الحسان تقترطت * بسبائك المظوم والمشور.
والرمل في حبك النسيم كأنما * أبدى غصون سواف المذخور.
(٤) والبحر يرعد منته فكأنه * درع كسن بمعطى مقرور.
(٥) وكأنا، والقصر يجمع شملنا، * في الأفق، بين كواكب وبدور.
وكذاك دهر بنى خليف لم يزل * يثى المعاطف في حير جبور.

١٠ ومن ذلك مدينة لبدة^(٧) . وهي خراب يباب . بها صلمان عظيمان من الرخام
الأبيض ، في زى أمرأتين . وغالب بناء هذه المدينة - في جدرها وسقوفها وفرش
دياراتها وأرصها - من الرخام الأبيض . وكان يجرى إليها وادٍ يصب إلى البحر الشامي

(١) في أن وصل الله : السور .

(٢) في الديوان المخطوط والمطوع : لاث | وهو سهو من التامع ومن جامع الحروف | .

(٣) في الدائع : فالروض .

(٤) في الدائع : المهجور | وقد صححت البيت لأن فيه تحريفا كثيرا في أن وصل الله وفي الدائع

دون المعج .

(٥) أى نصب وتلبس .

(٦) في أن فصل الله : بمعطف .

(٧) أسمها الجمراني القديم "لبيس" Lepidus

وُثِرَتِ السفن البحرية إليه . وطفات الوادى ومجارى الماء مرصوفة بالرخام . فنلب عليها ساقى الرمل ، فقطع مدد الوادى ، وأخل أوطانها ، وأجل سُكَّانها . وهذه المدينة بَرَقَّة ، مما يقابل أطرابلس الغربية .^(١)

ومن ذلك المعلقة^(٢) . وهى مدينة بإفريقية . على ساحل البحر الشامى على نحو ستة عشر ميلا من تونس . يقال إنها كانت لابنة الملك الذى قال الله ، وقوله الحق ،
 ٥ فى حقه : ”وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا“ . بها آثار عظيمة ، وأحجار كبيرة ، ومهاوٍ بعيدة ، وأشراب عميقة . تُظْهِرُ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا الْعَجَبَ الْعَجَابَ ، وَاللَّبَّ اللباب . ومن عظيم ماحوته من الأحجار ، أنه على طول المدد ، وتراخى عان الأبد ، أنه ينقل من أحجارها إلى ما جاورها ولا ينقطع مددها ، ولا يظهر نقص فى كثرتها .

ومن ذلك مدينة شرشال^(٣) . وهى مدينة تقابل مِلْيَانَةَ ، بالغرب الأوسط ، على
 ١٠ ساحل البحر الشامى . يقال إنها كانت مدينة الملك الغاصب للسفن ، المعنى بهوله تعالى فى سورة الكهف . وقد تقدمت الآية عدد ذكر أبنة هذا الملك ، فيما قبل . وهى مدينة تزيد على الوصف ، فى أنساع الأفنية ، وأرتفاع الأبنية ، وعظم القناطر المرفوعة ، والأقبية المعقودة ، والفواعد المشيدة ، والجُدر السميكة ، مما يشهد له جُوال الأرض ، وسُفَّار الآفاق ، وسُتُمار الحديث ، بأنه لاشبيه له فى تخشين بنائها ، وتحسين
 ١٥ صاعاتها .

مدينة المعلقة
 شوس (وهى
 قرطاجنة)



مدينة شرشال
 الحرائر

(١) Tripoli de Barbarie

(٢) يشير المؤلف إلى أحد أقسام مدينة قرطاجنة المشهورة التى يسميها الإدريسي قرطاجنة ، وقد أفاض
 فى وصفها فى شرح آثارها (ص ١١٢ - ١١٤ من طعة دورى) .

(٣) ذكرها الإدريسي . وليس فى كتابه هذا الوصف الذى أورده ابن هبل الله .

- ومن ذلك صخرة سَبْتَة ^(١) . يقال إنها المعنية بقوله تعالى: ^(٢) "أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ". وهي مشهورة هناك.
- ومن ذلك هيكل الزهرة ^(٣) . بالأندلس ، في ذيل الجبل الآخذ بين طَلَيْطَلَة ^(٤) ووادي آش في شرقيه بشمال . مطلٌّ على البحر المحيط . وقد تقدّمت الإشارة إليه .
- ومن ذلك باب الصفر ^(٥) . في شرقي الأندلس يفصل بينه وبين الأرض الكبيرة ^(٦) . ذات الأُسُن العديدة من سكان الشمال . عمل الباب على 'تقب كان فتح في جبل حيث نَزَجَتْ من البحر الشامي طريقاً للأندلس إلى البر المتصل .
- وقد رأيتُ أن أعقب ذكر هذه الآثار، بما هو مماثلها أو أبلغ في الاعتبار، وهو : ^(٧)
- قصر العباس . وهو بين سنجار ونصيبين . وهو وإن لم يكن في القدم من نسبة مازكرنا، فإنه في العبرة كما أشرنا . حكى قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خلّكان

قصور العرب
ووصف الشعراء لها

(١) هي مدينة Gmta .

(٢) في الأصل : المني .

(٣) Port Vondre .

(٤) Tolède .

(٥) Guadix .

(٦) يشير إلى أحد أبواب (Puerta) حال الراس (Las Pyrénées) التي يسميها العرب حال

الأبواب وجمال البرّيات وحال الراس .

(٧) هذا التعبير يطلق في عرف جغرافي العرب وخصوصاً الأندلسيين على بلاد فرنسا خاصة وسائر أرض أورقة عامة .

(٨) في الأصل : مثلها .

(١) في تاريخه قال : مر أبو الربيع قرواش بن المقلد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلاً على بساتين ومياه كثيرة . فتأمله ، فإذا في حائط منه مكتوب :

”يا قصر عباس بن عمرو ، كيف فارقك ابن عمرك ؟

قد كنت تغتال الدهو * ، فكيف غالك ريب دهرك ؟

وها لمزك بل لجو * دك بل لمجدك بل لفخرك !

وكتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

(وهذا هو الأمير سيف الدولة بن حمدان) .

وتحت مكتوب :

(٢) ”يا قصر ، ضعضعك الزما * ن وحط من علياء فخرك !

ومح محاسن أسطير * شرفت بهن متون جذرك !

وها لكاتبها الكريم وقدره الموفى بقدرك !

وكتبه الغضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

(وهذا هو عمدة الدولة أس الأمير ناصر الدولة أحي سيف الدولة) .

وتحت مكتوب :

”يا قصر ، مافعل الأولى * ضربت قبايهم بعقرك ؟

(١) كتاب ”وفيات الاعيان“ في ترجمة ”المقلد“ صاحب الموصل (ج ٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ من

طبعة نولاق سنة ١٢٧٥) . وأظهر الترجمة الإنكليزية للبارون ديه سليين تحت اسم Mukallad .

(٢) قدرك (في آثار اللاد للقروبي ص ٣١٣ من طبعة مؤسسة) .

أخنى الزمانُ عليهم * وطواهمُ لطويلُ نَشْرِكْ^(١) !
وأها لقاصِرُ عُمرٍ من * يخالُ فيك، وطولُ عُمرِكَ !

❦

وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

(وهذا هو والد قرواش).

فكتب ولده قرواش تحته :

”بأقصر، ما صنع الكرا * مُ الساكونَ قديمَ عَصْرِكَ ؟
عاصرتهم فبددتهم * وشأوتهم طراً بصرك^(٢) !
ولقد أثار تعجبي * يا ابنَ المسيبِ رَقْمَ سَطْرِكَ !
وعلمتُ أني لأحقُّ * بك دائبٌ في قَفْوِ إثْرِكَ^(٣) !

وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعائة.

وعزم على هدمه، وقال : هذا مشؤوم، ثم تركه.

وباني هذا القصر العباس بن عمرو الغنوي من أهل تلّ سيّار، باني الرقة ورأس
عين من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان. وكان يتولى اليامة والبحرين.

(١) في ابن حلكان : وطواهمو بطويل نَشْرِكْ . وفي ياقوت والقزويني : وطواهمُ تطويل نَشْرِكْ .

(٢) في ابن حلكان :

عاصرتهم فبددتهم * ساوتهم طراً بصرك .

[وهذا البيت الثاني غير وارد في القزويني] .

(٣) في القزويني : أطال .

(٤) في ابن حلكان : ذائبٌ . [وهو تصحيف طعى] . وفي القزويني : تابع .

وسيره المعتضد لحرب القرامطة في عشرة آلاف فارس. قُتِلَ الجميع، وسلم وحده. (وعمر بن الصغار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب نراسان في حسين ألف فارس فأحذره وسلم الباقون). وكذلك قصر البصرة. وكان قبل أن تُنحطَّ البصرة منزلاً تنزله الأكَسرة في متصيدهاتهم، وتخرج إليه الأساورة في متزهااتهم. وتهتم حتى جَدَّه الجحاج، فعرف به، فقبل قصر الجحاج. وكان يعرف بقصر قُبَاد. وقال: قال أبو القزاف: قال الجحاج لحرير والفرزدق، وهو في قصره بالبصرة بالجزيرة: «إيتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية». فلبس الفرزدق الديباج والخز، وقعد في قبة. وشاور جرير دُهَاقَ بنى يربوع وشيوخهم، فقالوا: «ما لباس آبائنا إلا الحديد». فلبس درعا وتقلد سيفاً وتأبط رُحماً وركب فرساً، وأقبل في أربعين فارساً من بنى يربوع. وجاء الفرزدق في هيئته. فتقالوا: فقال جرير:

١٠

لَيْسَتْ سِلَاحِي، وَالْفَرْزَدَقُ لُعْبَةٌ . عَلَيْهِ وَشَاحَا حَلِيهِ وَخِلَاطُهُ .
أَعِدُّوا مَعَ الْخَزِّ الْمَلَابَ، فَإِنَّمَا * جَرِيرٌ لَكُمْ بَعْلٌ وَأَتَمُّ حَلَالُهُ !

(١) ثم رجعا. فوقف جرير في معزة بنى حصن، ووقف الفرزدق بالمربد. وقد أبرَّ جرير عليه.

١٥

وكذلك قصر الكوفة. وقد هُدم، فلم تبقى منه باقية.

وله حكاية مشهورة. ولهذا ذكرناه.

قال عبد الملك بن عُمَيْر: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِقَصْرِ الْكُوفَةِ، حِينَ جَاءَ بِرَأْسِ مُضْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ. فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَرَأَى أَنِّي قَدْ أَرْتَعِدْتُ فَقَالَ لِي: مَا لَكَ؟

قلت: أعينك بالله، يا أمير المؤمنين! كنتُ بهذا القصر، في هذا الموضع، مع عبيد الله
 ابن زياد، فرأيتُ رأس الحسين بين يديه. ثم كنتُ فيه مع المختار بن أبي عبيد،
 فرأيتُ رأس ابن زياد بين يديه. ثم كنتُ فيه مع مُصعب بن الزبير. فرأيتُ رأس
 المختار بين يديه. ثم ها أنا فيه معك، ورأس مصعب بين يديك. فقام عبد الملك من
 مقامه ذلك. وأمر بهدم ذلك الطاق.

١٨١

ولمناسبة هاتين الواقعتين، ذكرنا هذين القصرين، لما فيهما من العبرة لمن تفكر.
 فسبحان الله الباقي، وكل شيء هالك، الدائم، وما سواه ليس كذلك!

ومنها قصر هرقل. وهو بالشرف الأعلى الشامي. ويُعرف في زماننا بقصر شمس
 الملوك. ولم يبق منه اليوم إلا الجوسق والحمام. والجوسق الآن خاقاه للفقراء. ولم يزل
 منزلا للوك ومتزها لأهل البلد، لإشرافه [على] نهر بردى والوادي. ونزله السلطان
 صلاح الدين.

وحكى ابن ظافر قال: دخل أبو خالد بن صقير القيسراني^(١) على الأمير تاج الملوك^(٢)
 أبي سعيد نور بنجت^(٣)، أنابك طفتكين، صاحب دمشق، وبين يديه بركة فسيحة البناء،
 صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفا، وجر النسيم عليها مارق من أذياله وضا، وهو
 تارة يرشف رضاها، ويجمع ثيابها، وتارة يسبكها مبردا، ويحبكها مسردا. فأمره
 بوصفها، فقال:

(١) مدائع الدانة، ص ١٧٢.

(٢) » » : صغير.

(٣) » » : نوري بن.

أَوْ مَا تَرَى طَرْبَ النَّسِيمِ إِلَى الْغَدِيرِ إِذَا تَحَرَّكَ^(١)؟
 نَلَّ لَوْ رَأَيْتَ الْمَاءَ يَلْشَعُ عِبَ فِي جَوَانِبِهِ، لَسُرَّكَ!
 وَإِذَا الصَّبَا هَبَّتْ عَلَيْهِ، أَتَاكَ فِي ثَوْبٍ مُفَرَّكَ.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر، في ترجمة إسماعيل بن أبي هاشم. قال : قرأت بخط أبي الحسن رشيد بن نظيف، وأنبأني أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم. عنه : أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن علي بن محمد بن يحيى الدقاق : حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي : حدثنا إسماعيل بن أبي هاشم. قال : قرأت علي قصيد بدمشق لبني أمية :

لَيْتَ شِعْرِي ! مَا حَالُ أَهْلِكَ يَا قَصِيرُ وَأَيْنَ الَّذِينَ عَالَوْا بِنَا كَا ؟
 مَا لِأَرْبَابِكَ الْجَبَايِرِ الْأَمْلَاكِ شَادُوكَ ثُمَّ حَلُّوا سِوَا كَا ؟
 أَلِزُقْدٍ بَا فَضْرُفِكَ تَحَامَوْا . كَا أَلَا تُبْقِي وَلَسْتَ هَا كَا ؟
 لَيْتَ شِعْرِي ! وَلَيْتَنِي كُنْتُ أَذْرِي ! . مَا دَهَاكُمُ ، مَا فَصْرُ ، ثُمَّ دَهَا كَا ؟
 ومن حلقه . " هذا حوارٌ عجم :

أَبْهَا السَّائِلُ الْمُفَكِّرُ فَبِهِم ! * مَا إِلَى ذَا السُّؤَالِ - قُلْ لِي - دَعَا كَا ؟
 أَوْ مَا تَعْرِفُ الْمَوْتُ إِذَا حَلَّتْ دِيَارَا فَلَنْ تُرَاعِيَ هَلَا كَا !
 إِنَّ فِي نَفْسِكَ الضَّعِيفَةِ شُغْلًا فَأَعْتَبِرْ وَأَمْضِ فَلَمْتُونُ وَرَا كَا !

قال : وحدثني أبو الحسن بن الطحاوي : حدثني ابن أبي هاشم قال : قرأت
 بجلوان [مصر] علي قصير لعبد العزيز بن مروان :

(١) مدافع الدائه : أوما ترى طرب العدي * إلى الدسم إذا تحرك ؟

١٨٢

أَيْنَ رَبِّ الْقَصْرِ الَّذِي شِيدَ الْقَصْرُ، وَأَيْنَ الْعَيْدُ وَالْأَجْنَادُ ؟
أَيْنَ تِلْكَ الْجُمُوعُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَأَعْوَانُهُمْ وَذَاكَ السَّوَادُ ؟
أَيْنَ عَبْدُ الْعَزِيزِ، أَيْنَ ابْنُ مَرْوَا * نَ، وَأَيْنَ الْحِمَاةُ وَالْأَوْلَادُ ؟
مَالَنَا لَا نُحِبُّهُمْ وَنَرَاهُمْ ! * أَتُرَى، مَا الَّذِي دَعَاهُمْ، فَبَادُوا ؟

قال : وقرأت تحت : " هذا جواب عنهم :

أَيُّهَا السَّائِلُ الْمُفَكِّرُ فِيهِمْ : * كَيْفَ بَادَتْ جُمُوعُهُمْ وَالسَّوَادُ،
ثُمَّ فِي الْقَصْرِ وَالَّذِينَ بَنَوْهُ . . أَسَقًا، حِينَ فَارَقُوهُ وَبَادُوا،
أَيْنَ كَسَرِيٍّ وَتَبِعَ قَبْلَ مَرْوَا * نَ وَمِنْ قَبْلِ تَبِعَ شَتَادُ،
أَيْنَ نَمْرُودُ؟ أَيْنَ فِرْعَوْنُ مُوسَى * أَيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ثَمُودُ وَعَادُ ؟
كُلُّهُمْ فِي السَّرَابِ أَضْحَى رَهِينًا . . حِينَ لَمْ تُفْنِ عَنْهُمْ الْأَجْنَادُ !
إِنَّ فِي الْمَوْتِ يَا أُنْحَى لَكَ شُغْلًا * عَنْ سِوَاهُ، وَالْمَوْقِفِ الْمُبْعَادُ ! "

ومما ينسحب على ذيل ذلك، أنني نزلتُ في مسجد بُقَيْيَةِ السَّلَارِ، من اليرموك
بالشام (وكانت قديمًا منازل غَنَّانَ، ثم رملها قوم من آل بَازِ، ثم صارت إلى بني السَّلَارِ، وكانوا أمراء
بِلَاةَ، وسادة أهلها، ثم أبادهم الخدثان،) فقرأت على بعض جُذُرَانِ المسجد :

أَرَأَيْتَ أَيُّ مَنَازِلٍ وَدَبَارٍ * أَمَسَتْ خَلَاءَ مِنْ بَنِي السَّلَارِ،
الْعَامِرِينَ مُسَاجِدًا لِإِلَهِهِمْ * الْغَامِرِينَ نَدَى ذَوِي الْإِعْسَارِ؟

وقد كتبت آخر تحتها :

قَلْبِي الْمَشُوقُ إِلَى بَنِي السَّلَارِ * أَبَدًا يَقْلُبُ فَوْقَ جُذُودِ نَارِ!
قَوْمٌ لِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ أَحَبُّهُمْ، * حُسْنِي لَأَلِ عَهْدِ الْأَطْهَارِ!

فكبت تحتها :

١٨٢

لا تكثرن تشكر الآثار * وتغير الأوطان والأوطار!
 بأمن تعجب للفنية إذ خلت * من ساكنها من بني السلا!
 لا تعجبن فهم سلالة آدم * أكل المنون وعرضة الأقدار!
 إن تخلص منهم، فهي من قبل خلت * من آل غسان وآل يسار.
 لا تعجبن من العراق، فإنه * ما هذه الدنيا بدار قرار!
 جاؤوا على آثار غيرهم وقد * ذهبوا كما ذهبوا على الآثار!
 وسيلنا لما أتينا نعلم * كسبيلهم في الورد والإصدار!
 كل الذي حازوه عارية ولا * عجب إذا ردت المعار عواري!

قلت: ومن هذا النوع أني مررت بعد حين من الدهر بمعاهد كت آلها أول
 عمرى، والشيب، ما عارض عارضى ولا عذرى، وعقد الاجتماع منظوم، وأهلها أهلة
 وبجوم. فوجدتها خالية بعد أهلها، ظامية بعد علها ونهلها، قد أصبحت عارية من
 ريفها وظلها، عادمة لكثيرها وقليها. وقد كتب عليها بعض من ولىع :

١٨٢

هذه دارهم ومأثوا جميعا . هكذا هكذا يعادى الزمان!

فخركنى هذا البيت، لسكان ذلك البيت، وأيامنا نحن وساكنه الميت، وتذكرت
 ملك الأمام الماضيه، والعيشة الراضيه، ثم ما غرت الحوادث، وسدت من الأبواب
 والواعت، فقلت أرتجالا :

١٥

أين دهرٌ مضى لنا أول العُمُشِر وأين الزمانُ والإخوابُ؟
 حَدَّثَتْ بَعْدَنَا عَلَيْهِمُ أُمُورًا! * هَاتِ شَيْئًا مَا آغْتَالَهُ الْحَدَثَانُ؟
 ذَهَبَ الْكُلُّ فِي زَمَانٍ تَقْضَى، * كُلُّ شَيْءٍ يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ!
 مَا تَبَقِيَ لَنَا مِنَ الْكُلِّ إِلَّا * قَوْلُنَا لِلتَّذْكَارِ: كُنَّا وَكَانُوا!
 ثم أمرتُ مَنْ كَتَبَهَا تَحْتَ الْبَيْتِ وَأَنْصَرَفَتْ بِأَكْبَارٍ، وَشَكُوتُ لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ
 شَاكِيًا .

الديارات والحانات

١٨٣

الديارات المشهورة

وأما ما بلغنا ذكره من الديارات المشهورة الواردة في أشعار العرب وغيرهم،
أو كان قد دخلها أحد من الخلفاء والأمراء والأدباء والشعراء المشهورين،
أو ورد لذلك الدير ذكر في شعر قديم أو عصري .

دير الكلب

فنها دير الكلب^(١) وهو قوب معلّثا، في سفح جبل . والماء ينحدر عليه .
وقلايته مبنية بعضها فوق بعض، في صعود الجبل . فمظرها أحسن منظر . وينبوعه
ينصب عليه من أعلاه .

وفيه من الزيتون والرمان والآس والكرم والزعران والرجس شئ كثير .
ولرهبانه مزارع في السهل . وغلاته كثيرة .

قال الخالدي^(٢) : ولهذا الدير خاصية في برء غضة الكلب الكلب . وله عيد في وقت
من السنة . يخرج إليه خلق : من النصارى نساء ورجالاً للإقامة عندهم . وخلق من
المسلمين للنظر إليه والتزّه فيه . ويجتمع إليه أهل الرّفث والمجان، وتُسمع به الأغاني
وأأنواع الملاهي، وتُدبج به الذبائح، وتُشرب الخمر .

(١) يؤكّد هذا الصّسط ويؤيّد ما رواه ياقوت من أن "نحات الديا ثلاثة : دير الكلب، ودير الذهب .
وقلعه حلب" . (معجم البلدان ج ٤ ص ٨٣٩) . وأطرفه هاصيل أخرى على هذا الدير (ح ٢ ص ٦٩٠ ج ٤ ص ٢٩٩) . وكذلك في "أحسن التقاسيم" للشاري طبع ليدن (ص ١٤٦) .
(٢) هو أحد الخالديين الشاعرين المشهورين . ينسب إلى الخالدية، قرية قرب الموصل . كما هو خارج
لكتب سيف الدولة بمدوح المتنبي . ولها أشتعار وأخبار وتآليف بها كتاب "الهدايا والتعف" وفي خرافق
بالقاهرة سحان مه .

(٣) لعله عنده أفراد الصمير .

وحكى أن أخا لأبي السفاح الشاعر عضه كلب كلب، فحمله إلى هذا الدير .
فداوى به ، فبرئ . وأنشد له شعرا فيه ، لم أذكره .

دير أبون^(١) . وهو دير بين الجزيرة وثمانين . وهو دير جليل عند البصاري . وبه
جماعة من الرهبان . ويزعمون أنه قبر نوح عليه السلام ، وقد تقدم ما ذكرناه في أمر
قبره برك البقاع . والله أعلم أي بفعه صمته .

ولم صهرج لاء . زعموا أن له أمايب من صفر يجري فيها الماء من جبل
الجلودي إلى الصهرج .

وإلى جانبه ضيعة غاء كثيرة البسامين . يقال لها بزر مهران .

دير الزعفران^(٢) . وهو بالقرب من مغلنايا بجانب الفلجة النافذة إلى الحسنية . وهو
في لُف جبل تطل عليه قلعة أردشت^(٣) . وفيه نزل المعتضد لما حاصرها وأخذها .

وهو كثير الرهبان والعلاني . ولرهبانه يسار ونعم ومزارع وبساتين .

١٨٤

وفرش أرضه من زهر الزعفران . وفلايته بعضها من [فوق] بعض ، كباء دير
الكلب ، بأحسن وصف وأملح تكوين . وله سور يحيط به وشرابه مفضل في اللون
والرائحة والعتق . وماؤه سائح من ينبوع في جبله .

(١) أظن تفاصيل أخرى في ياقوت (ج ١ ص ٥٦٢ ح ٢ ص ٦٤٠) .

(٢) أظن الطبري (سلسلة III ص ٢١٤٤) ؛ وكامل أن الأثير (ج ٧ ص ٢٣٥ ح ١٢

ص ٢٩٣) ؛ وياقوت ح ٢ ص ٦٦٣ ح ٣ ص ٧٢٤) ؛ وخصوصا الشاشي (ورقة ١٨٢) .

ويسمى أيضا عمر الزعفران (أظن ياقوت ج ٣ ص ٧٢٤) .

(٣) في الأصل : أردشت . والصحيح عن ياقوت .

قال الخالدي: أجترتُ به في بعض السنين، وعامل الناحية سعيد بن إسحاق
فاحبسني عنده أبا ما للأنس . فعملتُ فيه عدة أشعار، منها :

وزَعْمَرَانِيَّةٍ فِي اللَّسُونِ وَالطَّيْبِ . طَيِّبَةِ الْخَمْرِ ذَكَاةُ الْجَلَايِبِ ،
تَوَتْ بِحَانَةِ عُمَرَ الزَّعْمَرَانِ عَلَى . مَرَّ الْمَوَاجِرُ فِيهِ وَالْأَهَاضِيبِ .
وَمَا الْغَطَارِفَةُ السُّبَّانُ إِن شَرِبُوا ، نَحْمَرَا بِأَبْلَجٍ مَن رُهْبَانِهِ الشَّيْبِ .
شَرِبَتْهَا مِنْ يَدَيِ حَوْرَاءَ مُقْلِنَهَا ، تُضْنِي الْقُلُوبَ بِتَبْعِيْدٍ وَتَقْرِبِ .
شَمْسٌ إِذَا طَلَعَتْ ، قَالَتْ حَسْبُنَا : . هَاقِدُ طَلَعَتْ ، فَيَا شَمْسَ الضُّحَى غَيْبِي !
وَنِمْتُ سُكْرًا ، وَنَامَتْ لِي مَعَارِفَةٌ : . فَلَا تَسْلُ عَنْ عِنَاقِ الظُّبَى وَالذَّبَبِ !

دير قنّ^(١) وهو ببغداد والمدائن .

دير قنّ

ودير العاقول^(٢) أسفل منها باثني عشر فرسخًا . وإلى جانبه قرية كبيرة . أخرجت

دير العاقول

- (١) أنظر الطبري (سلسلة III ص ٢١ و ١٩٦١ و ٥٩ A و ١٦٥) . ويكتب العيون
والحدائق (ج ٣ ص ١٩٦) . ومعجمنا . أسنعم للكرى (ص ٣٨١) ؛ والتدبير والإشراف للسعودي
(١٤٩) . وطبقات الأطباء لأن أن أصيصة (ص ٢٣٥) ؛ وآس الأثير (ج ٥ ص ٣١٠) ؛ وياقوت
(ج ١ ص ٧٣٩ و ج ٢ ص ٦٨٧ و ٧٠٠ و ج ٣ ص ٣٦٢ و ج ٤ ص ١٧٨ و ٨٤٦) ،
والمختصر الدول لأن المدي (ص ٢٨٥) ؛ وخصوصا الناشئ (روقة ١١٥) . ويكتوبه قنا .
(٢) أنظر الطبري (سلسلة III ص ١٠٠٢ و ١٨٩٣ و ١٩٤٨ و ١٩٦١) ؛ وأحسن التقاسيم
(ص ٥٣ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٣٤ و ١٣٥) . ومسالك الإصطخرى (ص ٨) . ومسالك آس حوقل
(ص ١٦٨ و ١٦٩ g) ؛ وآس حردادة (ص ٥٩) ، وجغرافية أني العدا (ص ٥٤ و ٢٩٥ و ٣٠٥) ؛
وآس الأثير (ج ٦ ص ٢٢٦ و ج ٧ ص ٢٠٠ و ٢٣٤ و ج ٨ ص ١٧٢ و ٤٧٤ و ج ٩ ص ١٦٥) ؛
وياقوت (ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٧٦ و ٦٨٧) . وى آس الأثير : دير العمول .
(٣) أمل الصواب : منها .

عثة من الكلاب والوزراء . وهو حسن الباء ، راكبٌ على دجلة ، وبات فيه الوزير
على بن مقلة ، ثم أصطبغ فيه . وقال

باتت يدي تجني ثمار الجُحاح * بديرقني من وجوه ملاح !
حتى تلا الراهب مزموره . وضخخ الأفق خلوق الصباح .
فهل قتي يسعدني عاقدا : ذيل غبوق بذيول أصطباح ؟
أطبعه في كل مايشتهى . كطاعة الریش لأمر الرياح .

وفيه يقول البحرى ، من قصيدة يمدح ابن الفياض الوزير ، وكان من ديرقني :

(١٨٥)

ما تقضى لبانه عند لُبني . والمعنى بالغانيات مبعني !
نزلوا رنوة العراق آرتيادا . أي أرض أشف دارا وأسنى ؟
بين دير العاقول مرتبّع أشرف محله إلى ديرقني ،
حيث بات الزيتون من فوقه النحل عليه ورق الحمام تقني .
ما المعالي إلا المكارم تزداد . دوا إلا مصانع المجد تقني !

قال الخالدي : وأنشدا أبو العباس بن أبي حالد الأحول : قال أنشدني كاتب

آبن طولون لنفسه :

إن عجزا كما نكوت وغبنا . أن ترى صاحبي في ديرقني !
حبذا روضه المديح ليلا . وهواه ذاك المسك رذنا !
قد جرى السلسيل بالمسك فيها . فحوته الدنان : دنا فدنا .
كم خلونا بحسرواني كسرى . وهو يسقى طورا وطورا يغني !
تحتنا فردة من الورد إلا . أنها من أنامل البدر تجني !

وحكى بحفظة البرمكى قال : كُنت بحضرة إسماعيل بن بلبل ، بواسطه أيام حرب
العلوى البصرى ، والموقف الماصريقاتله . فلما آنصرفت راقفتى البحرى ، وكان قد زار
آبن بلبل . فلما وصلنا إلى ديرقنى قال لى : ويحك يا بحفظة ! هذا ديرقنى ، وهو من الحسن
والطيب على ماترى ! وأنت أنت ! وطنبورك طنبورك ! فهل لك أن نقيم به اليوم ،
فنشرب ونطرب ، وننعم ونالعب ؟ فقلت : هم ! ولم يكن معنا نبيذ . فسألنا عمن
يقرب منا من العمال ، فكتب إليه البحرى :

يا آبن عيسى بن قرخان ، والفقر * س عيسى بن قرخان آفتخار !
فد حللنا بديرقنى وما نبينى قرى غير أن يكون عقار !
فأسقى من حيث كان يشرب كسرى * غضبة كلهم ظمأ حرار !
من كُبت بولت الشمس منها * ماتولته من سواها النار !
وجه إليها عشرين دنأ شرابا ، ومائة دجاجة ، وعشرين حملا ، وفاكهة . وعملت
فى الأبيات لحنا . فلم نزل نشرب عليه يوما وليلتنا . وأخذت فيها معنى فقلت :
وبات يسفيا جنانية * ضنت بها الشمس على النار !

دير العذارى . وهو بين سر من رأى وبغداد ، بجانب العلت على دجلة ،
فى موضع حسن . فيه رواهب عذارى . وكانت حوله حانات للخمارين وبساتين
ومنتزهات . لا يعدم من دخله أن يرى من رواهبه جوارى حسان الوجوه والقدود ،
والألحاظ والألماظ .

دير العذارى

(١) أطرم معجم ما استعجم (ص ٣٧٦) ؛ وآثار البلاد للقرزوبى (ص ٢٤٨) ؛ وياقوت (ج ٢

قال الخالدي: ولقد أجتزت به فرايته حسا، ورأيت في الحانات التي حوله خلقا يشربون على المَلأهى . وكان ذلك اليوم عيداً له . ورأيت في جُنَيْنَاتٍ لرواحبه جماعة يَلْقُظْنَ زهر العُصْفُر، ولا يَمَانِلُ حمرة خدودهن . ثم إن دجلة أهلكته بمدودها، حتى لم يبق منه أثر . ولحظته فيه أخبارٌ وأشعار . لأنه كان معاناه وماواه، وإليه ينجذب به هواه . وفيه يقول ابن المعتز :

أَيَا جِرَّةِ الْوَادِي عَلَى الْمَشْرِعِ الْعَذِبِ ! . سَفَاكَ حَيًّا حَتَّى التَّرَى مَيْتَ الْجَذِبِ !
وَحَسْبُكَ يَا دَيْرَ الْعَذَارَى قَلِيلُ مَا * يَحِثُّ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ طَيْبَةِ قَلْبِي !
كَدَبْتُ الْهَوَى إِنْ لَمْ أَقِفْ أَشْتَكِي الْهَوَى * إِلَيْكَ وَإِنْ طَالَ الْوُقُوفُ عَلَى صَحْفِي !
وَعُجْتُ بِهِ وَالصُّبْحُ يَنْتَهَبُ الدُّجَى * بِأَضْوَائِهِ، وَالنَّجْمُ يَرْكُضُ فِي الْغَرْبِ .
أَصَانِعَ اطِّرَافِ الدَّمُوعِ بِمُفْلَاةٍ * مُوقِرَةٍ بِالْدمعِ عَرَبًا عَلَى غَرْبِ .
وَهَلْ هِيَ إِلَّا حَاجَةٌ قُضِيَتْ لَهَا * وَلَوْ تَحْمَلْنَاهُ فِي طَاعَةِ الْحَبِّ ؟

قال الخالدي : وأنشدني بحظرة لنفسه :

قَالُوا : قَبِضُكَ مَقْشُورٌ بِأَثَارِ * مِنَ الْمُدَّامَةِ وَالرَّيْحَانِ وَالْقَارِ !
فَقُلْتُ : مَنْ كَانَ مَأْوَاهُ وَمَسْكَنُهُ . دَيْرَ الْعَذَارَى لَدَى حَائُوتِ نَحَارِ ،
وَسَادَهُ يَدُهُ وَالْأَرْضُ مَفْرَشُهُ . * لَا يَسْتَطِيعُ لُسْكِرُ حَلِّ أَزْرَارِ ،
لَمْ يُنْكِرِ النَّاسُ مِنْهُ أَنْ حُلَّتْهُ * خَضْرَاءُ كَالرُّوضِ أَوْ حُمْرَاءُ كَالنَّارِ !

(١) في الأصل : أهلكتها .

(٢) المعان المباءة والمنزل . (قاموس) .

وقال : وللصنوبرى فيه :

أقولُ لمُشَيِّهِ العَدْرَاءَ حُسْنًا : « علامَ رَعَيْتَ فى دَيْرِ العَدَارَى ؟
وما وَحَدَى أَعَارُ عليه ، لَكِنْ « جَمِيعُ العَالَمِينَ مَعِيَ غَيَارَى !

ولابن فيروز البصير فيه :

• وروصه لهُو قد جَنَّتْ ثَمَارَهَا « بَدِيرُ العَدَارَى بين رَوْضٍ وَأَنْهَارِ .
تَحَالُّ بِهَا وَجْهَ المُدِيرِ وَكُؤْسَهُ « هِلَالًا وَشَمْسًا بَيْنَ أَنْجَمِ نَوَارِ .
يَطُوفُ بِإِبْرَيقِ مُقَدَّى كَرَامَةٍ « عَلَيْنَا بِأَسْمَاعِ كَرَامِ وَأَبْصَارِ .
كَأَنَّا لَهُ زُغْبُ المِرَاحِ بِقُوَّتِهَا « بِمَثَلِ مُدَابِ التَّبَرِّ مِنْ شَطْرِ مَنَافِرِ .

قال الخالدي : وهذا حسن بديع .

• وحكى الجاحظ قال : زعم فتيان من تغلب أنهم أرادوا قطع الطريق على قفل ، بلغهم
أنه يمر بهم قريب دير العذارى . ثم جاءتهم العين بأن السلطان قد عُرِفَ بهم وأقبل
في طلبهم . قال : فاختمينا فى الدير ، فلما أَمِنَّا ، قال بعضنا لبعض : ما يمنعنا أن نأخذوا
الْقَسَّ فنشتدوه وثاقا ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبقار ، فإذا طلع
المجر تفرقا فى البلاد ؟ وكنا جماعة بعدد الراهبات اللواتى كنا نظنهن أبقارا ، فوجدناهن
كلهن ثيبات . وقد آفتضهن الْقَسُّ . فقال بعضنا :

١٥

ودَيْرُ العَدَارَى فَضُوحُ هُنَّ ، « وَعِنْدَ اللُّصُوصِ حَدِيثٌ عَجِيبُ .
خَلَوْنَا بِعَشْرِينَ دَيْرِيَّةً « وَنَيْلُ الرَوَاهِبِ شَيْءٌ غَرِيبُ .
إِذَا هُنَّ يَرْهَزْنَ رَهْزَ الظَّرَافِ ، « وَبَابُ المَدِينَةِ فَجٌّ رَحِيبُ .

لقد بات بالدير ليل التمام * نساء وساع ونيل صليب.
وللقس حر يهيص المواد * ووجد يدل عليه العجيب.
وقد كان غيرا لدى عانة * فصب على العير ليت غضوب.

وفيه يقول بعض القطاع أيضا، من كلمة له :

وألوط من راهب يدعى * بات النساء عليه حرام.
يحرم بيضاء ممكورة^(١) * ويغنيه في البضع عنها الغلام.
إذا مامشي غص من طرفه * وفي الدير بالليل مه عوام.
ودير العذارى فضوح هن * وعند اللصوص حديث تمام.

وقيل في راهبة فيه :

يا أيها القمر المنير الزاهر . المشرق الحسن المضيء الباهر !
أبلغ شيبتهك السلام، وهنأ * بالنوم، وأشهد لي بأنني ساهر !

دير الباعوث^(٢) . وهو على شاطئ الفرات، من جانبها الغربي . في موضع نزيه .
وكانت العمارة قليلة حوله . وله خفراء من الأعراب . وله مزارع ومباقل وجنات .

دير الباعوث

(١) المكمورة المستديرة الساقين حذتها . | أطر اللسان .

(٢) في الأصل بالعين المهملة . ولم يذكره الشافعي ، وأما ياقوت فقد سماه "دير باعوث" بالمعجمة وبدون أداة التعريف ، واقتصر على القول بأنه "دير كبير كثير الرهبان على شاطئ دجلة بين الموصل وحريرة أبي عمر" . (ج ٢ ص ٦٤٦) وفي شرح القاموس في مادتي (ب ع ث . ب ع ث) أن الباعوث عبد للصاري ويقال به باعوثا ، وأن الباعوث استسقاء الصاري وهو أسم سرياني ، وقيل هو بالعين المعجمة والهاء المقبوطة فوقها هظتان . | والجاري على ألسنة الشوام في هذه الأيام "الباعوث" لعبد مشهور عندهم يصاهي المعروف في مصر بأسم "شم السيم" .

١٨٩

وفى هيكله صورة دقيقة الصنعة عجيبة الحُسن، يقال إن لها مئين سنين، لم تتغير
أصباغها، ولا حالت ألوانها. قال المنبجى: آحترت بدير الباعوث هذا وأستحسنته
وأستطبتُه، فلولا الوطن لأستوطنتُه. ورأيت فى رُهبانه غلاما كما عُدَّ قد ترهبَ.
فخاطبته وإذا به أحلى الناس ألفاظا على لُغة فيه تجعل السين ثاء. فشديتُ سُمَارِيَّ^(١)
إلى حانق الدير. وأشتريت شرابا من الرهان. وبتُ هناك منادما لذلك الغلام.
فلما أردت الرحيل قال: أتصرف من عندنا وأنت شاعرٌ ولم تقل فىنا شيئا؟ فقلت:
بلى، والله قد قلتُ! وأنشدته:

با طِبَبَ لَيْلَةَ دِيرِمْزٍ بَاعُوثٍ! • فَسَفَاهَ رَبُّ الْعَرْشِ صِرْفَ غِيُوثٍ!^(٢)
وَمُورِدَ الْوَجَنَاتِ مِنْ رُهْبَانِهِ • هُوَ يَنْهَمُ كَالظَّلْجِ بَيْنَ لُيُوثٍ،
حَاوَلْتُ مِنْهُ قُبْلَةً فَأَجَانِي، * بِأَحْسَنَ ذَا التَّذْكِيرِ وَالنَّائِيثِ!
حَتَّى إِذَا مَا الرَّاحُ سَهْلٌ حَثَا * مِنْهُ الْعَسِيرَ بِرُطْلِهِ الْمَخْثُوثِ!
يَا بُنَى الرِّضَا وَبَاغَتْ قَاصِبَةُ الْمُنَى * مِنْهُ بَرَغْمَ رَقِيبِهِ الدَّيُوثِ!
وَلَقَدْ سَاكَنْتُ مَعَ النَّصَارَى كُلَّ مَا * سَلَكَوْهُ غَيْرَ الْقَوْلِ بِالتَّثْلِيثِ!

دير السوسى^(٣) - وهو فى الجانب الغربى لسُرٍّ من رأى. ومنه أرضها. فابتاعها
المتنصم من أهله.

دير السوسى

١٥

(١) السُّمَارِيَّة: هى سمية كانت تعمل فى العراق للبرهة والحلاعة، مثل الدهية فى وادى النيل. وقد
يُرد اسمها كثيرا فى كتب الأدب. ولكن الذى ذكره تاج العروس فى استدراكه هو السميرة فقط. وقال
بها صرب من العرب وقد استعمل آس فضل الله هذا اللفظ الأحرأثناء كلامه الا فى على دير شبنوى.

(٢) مر - مار = قديس (٣) فى ياقوت - صوب.

(٤) اقتصر ياقوت على نقل كلام اللادى أنه "دير مريم ساه رجل من أهل السوس وسكنه هو ورهائ
معهم". فسمى به. وهو سواحى سر من رأى، بالجانب الغربى. ثم أورد أبيات ابن المعتز فيه، حسبما جاءت
فى رواية آس فضل الله (أطهر معجم الأدباء ج ٢ ص ٦٧٢)، وأطهر البكرى فى مدحهم ما استنعم (ص ٣٧٨).

حكى أحمد بن أبي طاهر، قال: قصدت بُسرْمَنَ رأى رائداً بعض كبارها بشعر مدحته به، فقبلني وأجرل صلتى، ووهب لي علماً رومياً حسن الوجه، فسرتُ أريد بغداداً. فلما سرت نحو فرسخ، أخذتنا السحاب، فعدلت إلى دير السوسى لتقيم فيه إلى أن ينخف المطر. فأشئت القطر وجاء الليل. فقال الراهب الذى هو فيه: أنت العشة باثٌ هنا، وعندى شراب جيد، فتبيتُ تقصف ثم تبكر. فبتُ عنده. فأنحرج لى شرباً جيداً، ما رأيتُ أصفى منه ولا أعطر. وبات الغلام يسقيني، والراهب نديمى، حتى متُّ سكرًا. فلما أصبحت رحلتُ وقلتُ

سَقَى سُرْمَنَ رَى وَسُكَّانَهَا : وَدِيرًا لِسُوسِنَا الرَّاهِبَ !
فَقَدَيْتُ فِي دِيرِهِ لَيْلَةً . وَبَدَّرْتُ عَلَى غُصْنٍ صَاحِحِي !
غَزَالُ سَقَانِي حَتَّى الصَّبَا * جَ صَفَرَاءَ كَالذَّهَبِ الذَّائِبِ .
سَقَانِي الْمُدَامَةَ مَسْتَقِظًا * وَنِمْتُ وَنَامَ إِلَى جَانِي .
وَكُنْتُ هَنَاءً لِي الْوَيْلُ مِنْ * جَنَاحِهَا الَّذِي خَطَّه كَانِي !

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد فيه قول ابن المعتز:

بَالْيَالِي بِالْمَطِيرَةِ وَالْكَرَّ * خ وَدِيرِ السُّوسَى، بِاللَّهِ عُودِي !
كُنْتُ عِنْدِي أُنْمُوذَجَاتٍ مِنَ الْجَنَّةِ، لِكُنْهَا بِغَيْرِ خُلُودِ !
أَشْرَبُ الرَّاحَ وَهِيَ تَشْرَبُ عَقْلِي ، . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَ قَتْلُ الْوَلِيدِ .

دير عبدون^(١) - وهو بُسرْمَنَ رأى إلى جانب المطيرة. قال: وسمي دير عبدون لكثرة إمام عبدون - أنحى صاعدي [بن مخلد] - به. وكان عبدون نصرانياً.

(١) أظن الكرى في معجم ما أسمع (ص ٢٧٤)؛ وأظن ياغوت (ج ٢ ص ٦٧٨).

وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق الناصر . فاستوزره وبلغ معه المبالغ العظيمة .
وحكى البحتري أنه كان مع عبدون في هذا الدير في يوم فصيح ، ومعه ابن خرداذبة .
قال البحتري فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها ، وأولها :

لا جديدُ الصبي ولا ريمانه * راجع بعد ما تقضى زمانه !

فأمر لي بساقي ديار ، وثياب حر ، وشهري^(٢) بسرجه ولجامه ، وأخوه حينئذ مع
الموفق في قتال العلوي البصري . فسر بذلك وقال لي : يا أبا عباد ! قل في هذا
شعرا أتقده إلى ذي الوزارتين ، يعني أخاه ، وكان لقب بهذا . فقلت :

ليكتننك السرور والفرح ! * ولا بقتك الإبريق والقدح !

فتح وفصح قد وافيأك معا : فالتفتح قفري ، والفصح يفتح .

فأنعم سليم الأقطار تغتبق الصنها من دنها وتضططبح !

فإن أردت اجتراح سيثية ، * فماها السيئات تجرح !

وأقنا يوما إلى الليل . وخلع على ابن خرداذبة وحمله وأنصرفنا .

وأنشد الخالدي قول ابن المعتز فيه :

سقى الخزيرة ذات الظل والشجر * فدير عبدون هطال من المطر !

(١) هذه البيات إلى ها واردة في ياقوت مع اختلاف في اللفظ قليل ، وقد أورد فيه قصيدة لأن المعتز
ليست عند آر فصل الله (أطر معجم البلدان ج ٢ ص ٦٧٨) وقد ذكر ياقوت ديرا آخر بهذا الاسم
وقال انه "قرب جريرة آر عمر ، و بينهما دحلة ؛ وقد خرب الآن . وكان من أحسن مزارعها " .

(٢) الشهيرة بالكسر ضرب من اليادين وهو بين البرذون والمقرف من الحيسل أو بين الرمكة والعرس
العتيق وجمعه شبار ، (تاج) .

دِرَزَكِي^(١) . وهو قريب البليخ والفراة . في أتره البقاع ، بين بساتين وأنهار
وقلال وضياح .

وحكى عن الحسين بن يعقوب أنه قال : صرْتُ إلى الرُّها ، فبتُّ بها . وخرجت
قبل عيد الصليب بيوم . فإذا لدينا وجوهٌ حسانٌ من نصرانيات خرجن لعيدهنَّ ،
عليهنَّ جيّد الثياب وفاخر الجواهر ، وإذا روائح المسك والعنبر قد طُيِّبَ الهواء منها ،
وقد فُرش لمن على العَجَل وهو يُجَرِّهِنَّ ، وأخرى على الشَّهاري الخراسانية والبغلات
المصرية والحمر الفُره ، ومشاةٌ ، وفي خلال ذلك صبيانٌ ما رأيت أحسن منهم وجوها
وقدودا وثيابا . فتأملت منظرا لم أر أحسن منه قط . وإذا هم يطلبون دِرَزَكِي
لعيّدوا فيه .

قال الخالدي : وإلى جانبه قرية تعرف بالصالحية ذات قصور ودهر . وفيها
يقول بعض الشعراء :

قُصورُ الصالحيةِ كالعذارى * لَيْسَنَ حُلَيْينَ لِيَوْمِ عُرْسٍ .
تُقَنَّعُها الرِّياضُ بِكُلِّ نَوْرٍ . وتُضَحِّكُها مِطالِعُ كُلِّ شَمْسٍ .

(١) يكتنون أيضا : دِرَزَكَا . وأصل الطبري (سلسلة III ص ١٧٩٢) : وآس الأثير (ح ٥

ص ٢١٥) : ومعهم ما أستمع (ص ٣٧١ و ٣٧٧) ، وخصوصا ياقوت (ح ١ ص ٦٦٧ ، ح ٢

ص ٦٦٤ ، ح ٣ ص ٣٦٣ ، ح ٤ ص ٨٦٢ و ٩٩٤) : والشاشقي (ورقة ٩٥) .

(٢) في الأصل : مه .

وفيها قال الصنوبري :

إني طَـرِبْتُ إلى زِينُونِ بِطِيَّاسٍ ^(١) * فالصالحية ذات الورد والآس !
وَصَفُّ الرِّياضِ كَعَفَانِي أَنْ أُقِيمَ عَلَى * وَصِفِ الطُّلُولِ ، فهل في ذاك من بَاسٍ ؟
وقائل لي : أَفِقْ يَوْمًا ! فَقُلْتُ لَهُ ، * مِنْ سَكْرَةِ الْحُبِّ : أومن سكرة الكاس ؟
قل للذي لَامَ فيه : هل تَرَى كَلْفًا * بَامْلَحِ الرُّوضِ إِلَّا أَمْلَحَ النَّاسِ ؟

وفيها قال أيضا :

الصالحية مَوْطِنِي * أبدا ، وبطِيَّاسٍ قَرَارِي .
من فَوْقِ غُـدْرَانٍ تَفِيـِـضُ وَيَنُّ أَنْهَارِ جَوَارِي .
وَمَدَامَةٍ بُزِلَتْ فَأَشْرَبَ بِهِ فَتَلَّهَا فَتَلَ السَّوَارِ .
يَا لَأَتَمِّى مَا الْعَارُ عَا - رُكْ ! فَاَمْضِ ! عَنِّي الْعَارُ عَارِي !
لَحَفِي عَلَى مَلُوءَةِ الْأَصْدَاغِ مُسَبَّلَةِ الْإِزَارِ !
قَدْ قُضِّضَتْ بِالْيَاسَمِينِ وَتُحْمَتُ بِالْجُنَّارِ .

وفيها قال :

حَبَّذَا الْمَرْحَ ! حَبَّذَا الْعَمَرَ ! لَا بَلْ * حَبَّذَا الدَّيْرَ ! حَبَّذَا السُّرُوتَانِ !
قَدْ تَجَمَّلَى الرَّبِيعُ مِنْ حُلْلِ الزَّهْرِ وَصَاغَ الْحَمَامُ طِيبَ الْأَغَانِي .
زُبْنَتْ أَوْجُهُ الرِّياضِ فَاضْحَتْ * وَهِيَ تُرْمَى عَلَى الْوُجُوهِ الْحَسَانِ .

(١) في الاصل طيَّاس مالمون وقد ذكره ياقوت في حرف الباء .

(٢) لعلمها : المرح .

أخضر اللون كالزبرجد في أحمر صافي الأديم كالعقيان.
وبهار مثل الزناير محفو * ف بزهر الحيرى والحوذان.
سقياني بكل لوز من الرا * ح على كل هذه الألوان!

وفيه يقول الصنوبرى أيضا من قصيدة:

أراق سجاله بالرقسين * جنوبى صغوب الجانين ،
وأهدى للرصيف رصيف مزين * يعاوده طرير الطرين ،
تضاحكها القرات بكل فج * فتضحك عن نضار أولجين ،
كأن عناق نهري ديزكى * إذا اعتنقا عناق متيمين ،
أفاما كالسوارين ، استدارا ، على كفيه أو كالدملجين ،
ويأسفن العرات بحيث تهوى * هوى الطير بين الجلهتين ،
تطارد مقلات مذريات * على عجل تطارد عسكرين ،
ترانا واصلين كما عهدنا * وصالا لا تنقصه بين ،
ألا باصاحبي خذا عاننى * هواى ! سلمتما من صاحبين !
وكان اللهو عندى كإن أمى ، فصرنا بعد ذاك لعلتين !

وله أيضا من أخرى:

ياندبى أما تحس إلى القصف ، فهذا أوان يندو الحنين ،
ما ترى جانب المصلى وفد أشرف منه ظهوره والبطون ،
أسرجت في رياضه سرج القطر وطابت سهوله والحزون ،
إن آذار لم يذر تحت وجه الأرض شيئا أكنه كأنوث !

وَكَاثَ الْقُرَاتَ بَيْنَهُمَا عَيْشُنُ لَحْنٍ يَوْمُ فِيهَا السَّيْنُ،
 كَبُطُونِ الْحَيَاتِ أَوْ كُتُونِ السَّمَشْرِ قِيَاتِ، أَخْلَصَتْهَا الْقُبُونُ.
 كَمْ غَدَا نَحْوَ دِيرِ زَكِيٍّ مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ فَعَادَ وَهُوَ حَزِينُ!
 لَوْ عَلَى الدَّيرِ عُجَّتْ يَوْمًا، لَأَلْهَيْتُكَ فُنُونُ! وَأَطْرَبْتُكَ فُنُونُ!
 لَا تَمْنِي فِي صَاحِبِي قَدْ كَ مَهْلًا * لَا تَلْمِني . إِنْ الْمَلَامَ جُنُونُ!

ولأبي بكر المعوج فيه من فصيدة :

مَا تَرَى الدَّيرَ؟ مَا تَرَى أَسْفَلَ الدَّيْشِرِ، وَقَدْ صَارَ وَرْدَةً كَالْدَهَانِ؟
 لَوْ رَأَى النَّعْمَانُ، شَقَّ عَلَيْهِ . مَا يَرَى مِنْ شَقَائِقِ النَّعْمَانِ!



قال الخالدي عن الزهراوي، قال: كان بالموصل جارية مغنية، لُقِّبَتْ بالدَّيرِ. وكان
 لها ابن عم يعشقها . فطرقته يوما زائراً، فاحتجب عني، وعرف ان عده المغنية
 المعروفة بالدَّيرِ، وقد خلاها . فكتبت إليه .

قَدْ عَلِمْنَا بِأَنْ مَثَوَاكَ بِالْدَّيْشِرِ، فَعِيشَا فِي عِبْطَةٍ وَأَمَانِ!
 تَتَغَنَّى طَوْرًا وَتَسْمِيكَ طَوْرًا . وَتُلَاقِي لِلسُّوءَةِ السُّوءَاتِ .
 ثُمَّ أَنْسَدْتُ إِذْ سَمِعْتُ نَحِيرًا كَنَحِيرِ الرُّعُودِ فِي نَيْسَابِ:
 ”مَا تَرَى الدَّيرَ؟ مَا تَرَى أَسْفَلَ الدَّيْشِرِ، وَقَدْ صَارَ وَرْدَةً كَالْدَهَانِ.“

قال الخالدي: ”وهذا التضمين حسن، واقع في موقعه، متمكن في مكانه. وهكذا
 سبيل مثله أن يكون البيت المضمن كأنه من الشعر المضاف إليه“. قلت: بشرط نقله
 لمعنى آخر غير ما أراد به ناظمه، وإلا فترك التضمين أولى، إذا كان بمعنى الأول.

وقد ذكره أبو الفرج وقال: ومن ذكره هارون الرشيد . فقال في بعض عزوانة،
وقد خلف جارية كان يحبها هناك :

سلامٌ على النَّازِحِ المَعْتَرِبِ ! * نَجِيَّةٌ صَبَّ به مُكْتَنِبِ !
غزالٌ مرَاتِعُهُ بِالْبَلِيخِ * إلى دِيرِ زَنْجِي فَفَصْرُ الخَشَبِ !
أَيَّامَنْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ * بِتَخْلِيفِهِ طَائِعًا مَنْ أَحَبَّ !
سَاسْتُرًا، وَالسُّتْرُ مَنْ شِئْنِي ، * هُوَ مَنْ أَحَبَّ لِمَنْ لَا أَحْتُ .

قال : ويقال إنه قالها في ديرانية رأها في دير زنجي، وهوها .

دير القائم الأقصى^(١) - وهو على شاطئ الفرات، من جانبه العربي في طريق
الرَّقَّة. قال أبو الفرج : وقد رأيتُه ، وهو مَرْقُبٌ من المراقب التي كانت بين الروم
والفرس، على أطراف الحدود^(٢) .

وقال إسحاق الموصلي: لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة، مررنا بالقائم وعنده الدير.
فاستحسن الرشيد الموضع . وكان الوقت ربيعاً، وكانت تلك المروج مملوءة بالشفائق
والزهر . فشرب على ذلك ثلاثة أيام . ودخلتُ الدير أطوف فيه، فرأيتُ ديرانية،
حين نهد ثديها، عليها المسوح، مارأيتُ أحسن من وجهها وجسمها . وكان تلك
المسوح عليها حلي . فدعوتُ بنيذ وشربت على وجهها أقداحا . وفلت :

(١) سماء الطبري وياقوت دير القائم (أطراف الأول في سلسلة III ص ٦٧٠ والثاني في ج ٢ ص ٦٨٤)
ثم أظنهم ما استعجم (ص ٣٥٩) .

(٢) أورد ياقوت هذه البيانات دون ما يليها مع زيادة طبعة في التبريد المرقب وأتبعها بالآيات
الثلاثة دون قصتها وقال إنها "لعمد الله بن مالك المعلى، وقال الخالدي هو لإسحاق الموصلي" . (أطرافهم
البلدان ج ٢ ص ٦٨٤) . وأما في الشاشي الذي بأيدينا لم يرد فيه ذكر هذا الدير .

بَذِرِ الْقَائِمِ الْأَقْصَى * غَزَالُ شَادِنٍ أَحْوَى!
 بَرَى حَيٍّ لَهُ جِسْمِي * وَلَا يَذِرِي بِمَا أَلْقَى!
 وَأَنْتُمْ حُبُّهُ جَهْدِي * وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى!

ثم دعوت بالعود ، فغيت في الدير صوتا مليحا ظريفا . وما زلت أكره وأشرب
 وأنظر إليها ، وهي تصحك من فعلى حتى سكرت . فلما كان من الغد ، دخلت على
 الرشيد ، وأنا ميت من السكر . فقال لي : أين شربت ؟ فأخبرته القصة . فقال : طيب
 وحياتي ! ودعا بالشراب فشرب . فلما كان العشي ، قال : قم بنا حتى أتتروا ودخل إلى
 صاحبك هذه وأراها . فقممت معه وتلثم ودخل الدير فرآها وقال : مليحة والله ! وأمر
 من جاءه بكأس وخرّداً^(١) . وأحصرت عودي فغنيته الصوت الذي صنعته ثلاث
 مرات . وشرب عليه ثلاثة أرطال . ثم خرج وأمر لي بثلاثين ألف درهم . فقلت :
 ١٠ باسدي ، وصاحبة القصة ؟ أريد أن يبين عليها أترى . فأمرها بحمسة آلاف درهم ،
 وأمر بأن لا يؤخذ من مزارع ذلك الدير خراج . وأقطعهم إياه وجعل عليه عن
 الخراج عشرة دراهم في كل سنة ، تؤدى ببغداد .

دير حرقيا^(٢) - قال شريح الخراعي : آجرت بدير حرقيا . فبينا أنا أدور فيه ،
 إذا بسطرين مكتوبين على أسطوانة . فقرأتها ، فإذا هما :

رَبِّ أَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا * شَقِي طُولًا ، قَطَعْتُهُ بِأَنْتَحَابِ !
 وَبَعِيمٍ بَوَصِلٍ مَنْ كُنْتُ أَهْوَى * قَدْ تَبَدَّلْتُهُ بِئُوسِ الْعِتَابِ !

دير حرقيا



(١) الخرّذاي المر . وقد أهمله في الأصل والصواب اعماه (أنظر القاموس) .

(٢) أنظر البكري (ص ٣٧٨) ؛ وياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

تَسْبُونِي إِلَى الْجُنُونِ لِيُخَفُّوا . مَابَقَلِي مِنْ صَبَوةٍ وَأَكْتِثَابِ .
لَيْتَ بِي مَا دَعَوَهُ مِنْ قَقْدِ عَقْلِي . فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ طُولِ هَذَا الْعَذَابِ !

وتحتته مكتوب : "هَوَيْتُ مُنَعْتُ ، وَطُرِدْتُ وَشَرَّدْتُ . وَفُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَطَنِ ،
وَحُجِّيتُ عَنِ الْإِلَافِ وَالسَّكَنِ . وَحُبِسْتُ فِي هَذَا الدَّيْرِ [ظَلَمًا وَ] عَدَوَانًا ، وَصُفِّدْتُ
فِي الْحَدِيدِ زَمَانًا ،

وَأَتَى عَلَى مَا نَأْتِي وَأَصَابَنِي . لَدُونِ مِزَّةٍ بَاقٍ عَلَى الْحَدَنَانِ !
فَإِنْ تُعْقِبِ الْأَيَّامُ أَظْفَرَ يُفْقِي ! . وَإِنْ أَتَوَلَّى يَرِمُ بِي الرَّجَوَانِ !
فَكَمْ مَيِّتٍ هُمَا بَغِيضٌ وَحَسْرَةٌ . صَبُورٌ لَمَّا يَأْتِي بِهِ الْمَلَوَانِ ! "

فدعوتُ برقعة ، وكتبْتُ ذلك ، وسألتُ عن صاحبه ، فقالوا : رَجُلٌ هَوَى أَيْمَةَ
عَمِّ لَهُ . فَحَبَسَهُ عَمُّهُ فِي هَذَا الدَّيْرِ ، وَغَرِمَ عَلَى ذَلِكَ جَمْلَةً لِلْإِسْلَامِ خَوْفًا أَنْ تَفْتَضَحَ
أَيْمَتُهُ . ثُمَّ مَاتَ عَمُّهُ . فَوَرِثَهُ ، هُوَ وَأَيْمَتُهُ . وَجَاءَ أَهْلُهُ فَأَخْرَجُوهُ وَتَزَوَّجَ أَيْمَةُ عَمِّهِ .

دير مَاسَرَجَس^(٢) . قَالَ أَبُو الْمَرْحِ : لَمْ يَذْكُرْ أَيْ دِيَارَاتِهِ ؟ وَلَهُ عَتَّةٌ دِيَارَاب .
دِير مَاسَرَحَس^(٣) . مِنْهَا دِيرٌ بِأَزَاءِ الْبَرْكَانِ ، فِي ظَهْرِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا كَاذَه .

حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ - أَنَا وَأَبُو الْعَصْرِ الْبَصْرِيُّ ، مُوَلَّى بَنِي جُمَحٍ -
بَيْعَةَ مَاسَرَجَس . وَقَدْ رَكِبْنَا مَعَ الْمُعْتَصِمِ ، نَنْصِيده . فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَى جَارِيَةٍ كُنْتُ

(١) هذه البيانات كلها واردة في ياقوت مع زيادة قليلة في الألفاظ وقد وهم ما به في ضبط بعض
الكلمات (ج ٢ ص ٦٥٤) .
(٢) أنظر الكبرى (ص ٣٧٥) .
(٣) في الأصل بالإمال . وهو على إغماها ياقوت .

أهواها، وجعل هو ينظر إلى صورة في البيعة، استحسنها، حتى طال ذلك . ثم قال أبو النصر :

فَنَنَّا صُورَةً فِي بَيْعِهِ ! * فَتَنَ اللَّهُ الَّذِي صَوَّرَهَا !
زَادَهَا الْبَاقِشُ فِي تَحْسِينِهَا * فَضَلَ حُسْنِ ، إِنَّهُ نَصَرَهَا !
وَجْهَهَا لِأَشْكَ عِنْدِي فِتْنَةً * وَكَذَا هِيَ عِنْدَ مَنْ أَبْصَرَهَا !
أَنَا لِلْقَسِّ عَلَيْهَا حَاسِدٌ . * لَيْتَ غَيْرِي عَبَثًا كَسَرَهَا !

(١٩٧)

قال ، فقلت : له شتان ما بيننا ! أنا أهوى بشرا، وأنت تهوى صورة ! قال لي : هذا عبثٌ ، وأنت في جد .

قال حماد ، وعنى عبد الله بن العباس في هذا الشعر عاء حسنا ، سمعته منه . فنسبه إليه لكثرة شعره في امرأة كان يهواها .

١٠

دير الروم ^(١) - وهو بأرض بغداد . قال الشافعي : كان مدرك بن علي الشيباني يطرقه في الآحاد والأعياد . فنظر من فيه من المردان ، والوجوه الحسنان . وله فيه :

دير الروم سداد

وَحَوْهُ بَذِيرُ الرُّومِ قَدْ سَلَبَتْ عَقْلِي * فَاصْبَحْتُ فِي بُؤْسٍ شَدِيدٍ مِنَ الْخَبْلِ !
فَلَمْ تَرَ عَنِّي مَنَظَرًا مِثْلَ حُسْنِهِمْ * وَلَمْ تَرَ عَيْنٌ مُسْتَهَامًا بِهِمْ مِثْلِي !

١٥

وحكى عن جساس بن محمد قال : كان بدير الروم غلام من أولاد النصاري ، يقال له عمرو بن يوحنا . وكان من أحسن الناس صورة وأكلمهم خلفا . وكان مدرك بن علي يهواه . وكان من أقاصِلِ أهل الأدب . وكان له مجلس تجتمع فيه الأحداث لا غير .

(١) أطرافوت (ج ٢ ص ٦١٦ و ٦٦٢) .

فإن حضره ذولحية، قال له مدرك: إنه يفتح بك أن نحتلط بالأحداث، فقم في حفظ الله! فيقوم . وكان عمرو ممن يحضر مجلسه، فعشقه وهام به . فكتب إليه رقعة، وتركها في حجره . فقرأها فإذا فيها :

يخالس العلم التي . بك تم جمع جموعها!
إلا رثيت لمة . غرقت بفيض دموعها!
بني وبك حرمة . فالتة في تضامها!

فهر الأبيات، ووقف عليها من حصر . فاستحيا عمرو، فأنقطع عن الحضور . وغلب الأمر على مدرك، فترك مجلسه وتبعه . وقال فيه أشعارا، منها قوله :

بأمن يريد وصالنا ويرده . ماقد يحادر من كلام الناس!
صلى فإن سبقت إليك مقالة . منهم ، فعصب ما يغال براسي!

١٩٨

قال جساس : ثم نرج مدرك إلى الوسواس . فحضرته عائدا في جماعة من إخوانه، فقال: ألسن صديقكم القديم؟ فما بكم أحد يسعدني بالنظر إلى وجه عمرو؟ قال: فقصبا إليه، وقتلناه: يا عمرو إن كان قتل هذا الرجل دينا فإن إحياءه لمروءة. قال: فما فعل؟ فلما له: قد صار إلى حال ما نحسبك تلحقه. قال: فنهض معا. فلما دخلنا عليه، سلم عليه عمرو، وأخذ بيده. فقال: كيف تجدك باسيدي؟ فظفر إليه، ثم أغشى عليه، ثم أفاق وهو يقول :

أما في عافية إلا من السوق إلكا.
أيها العائد، ما بي . منك لا يخفى عليك!
لا تعد جسما وعد قلبا رهينا في يدبكا!
كيف لا يهلك من ير . محي بسهمي مقلنيكا؟

دير الرندورد

دير الرندورد^(١) - وهو بالجانب الشرقي من بغداد، وأرض ناحيته كلها فواكه وأترج وأعناب، وعنبها من أجود ما بمصر هناك، ولذا قال أبو نؤاس:

فسقى من كروم الرندورد ضحى . ماء العاقس في ظل العناقيد!

قال الشاشي: حكى عبدالواحد بن طرخان: قال خرجت إلى دير الرندورد في بعض أعياده متطرباً ومتزهاً، ومعنا لحظة في جماعة من إخواني . فقلنا موضعاً حسناً . وواقعنا هناك جماعة من طراف بغداد، لجميعهم معشوقات حسان الوجوه والغناء . فاقنا به أباماً في أطيب عيش . وقال لحظة فيه شعراً، ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معه وغنى فيه لحماً حسناً، وهو:

سَقِيَا وَرَعِيَا لدير الرندورد وما . يتجوى ويتج من رايح وريحان!
دبر تدور به الأقداح مُزَعَّة * من كف ساق مريض الطرف وسان!
والعود يتبعه ناي يوافقُه . والشدو يحكمه غصن من الباب!
والقوم فوضى ترى هذا يُقبل ذا . وذلك إنسان سوء فوق إنسان!
هذا ودجلة للرأين مُعْرَضَةٌ . والطير يدعو هديلاً بين أغصان!
تر وبحر فصيد البر مقرب . والبحر يسبح شطاه بجيتان!
ثم صعد لحماً وغنى فيه بشعره . . .

حلي! الصبوح! دنا الصباح! . فإن شماء ما تجدان راح!
فنبه فتية جبهوا قديماً * عواذلم بزجر فاستراحوا!

(١) أصريوت (ج ٢ ص ٦٦٠ و ٦٦٥ و ٩٥٢) .

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ صَدَدَتْ عَنِّي * وَأَعْرَضَتِ الْمُبْتَلَةُ الرِّدَاحُ .

وَقُلْنَ : مَضَتْ بِشْرُكَ الْبِلَالِ ! * قَقْلَتْ : نَعَمْ ، وَقَدْ رَثَ السَّلَاحُ !

دير دوماًليس^(١) ، وهو في باب الشماسية . شرق دجلة . قال الشائبتي : وموقعه

في هذا الوقت في طهر القرية التي بناها أحمد بن بويه الدلمى . وهو نزه كثير البساتين

والشجر . ويقربه أجرة قصب . وهو كبير أهل . وهو من البقاع المعمورة بالقصف .

وعبداه أحسن عبد . يجتمع بصارى بغداد فيه . وفيه يقول ابن حمدون القديم :

مَا يَرِدُ دُومَالِيسَ مَا أَحْسَنَكَ ! . وَيَا غَزَالَ الدَّيْرِ مَا أَفْتَنَكَ !

أَيْنَ سَكَنْتَ الدَّيْرُ فِي أَهْلِهِ . فَإِنَّ فِي وَسْطِ الْحَشَامَسَكَنْكَ !

دير سَمَّالُو^(٢) ، وهو بالجانب الشرقي من بغداد . على نهر المهدى . وهناك أُرْجِيه للـ

وحوله بساتين وأشجار ونخل . أهل بمن بطرقه من أهل الخلاعة . وفي عيد المصباح

لا يبقى أحد من البصاري ببغداد ، حتى يأتى إليه ، ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه

شعر ، منه :

وَلَرُبَّ يَوْمٍ فِي سَمَّالُوتَمَّ لِي * فِيهِ النَّعِيمُ وَغِيَّبَتْ أَحْرَانُهُ !

حَتَّى حَسِبْتُ لَنَا الْبِسَاطَ سَعِينَةً * وَالْبَيْتَ تَرْقُصُ حَوْلَنَا حَيْطَانُهُ !



قال خالد بن يزيد بن الكاتب : كَسْتُ بِدِيرِ سَمَّالُو . فَلَمْ أَسْعِرْ إِلَّا وَرَسُولَ إِبْرَاهِيمَ

ابن المهدى قد وافاني . فذهبت إليه . فإذا برجل أسود مشفراني قد عاص في القُرش ،

فاستجلسني . فجلست . فقال : أَنَشِدْنِي شَيْئاً مِنْ شَعْرِكَ ! فَأَنَشِدْتَهُ :

(١) في الأصل دوماًليس بواو بعد الدال . وفي ياقوت والشائبتي : دوماًليس ، بالراء بدل الواو (أظر الأول

في ج ٢ ص ٦٦٠ والثاني في ورقة ١) .

(٢) أظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٠ ج ٣ ص ٤١٦) ؛ والشائبتي (ورقة ٤) .

رَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي مَنظَرَيْنِ كَمَا رَأَتْ . مِنْ الْبَدْرِ وَالشَّمْسِ الْمُصِیْثَةِ بِالْأَرْضِ .
 عَشِيَّةَ حَيَاتِي سَوَرِدٍ كَأَنَّهُ . خُدُودٌ أُضِيفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ .
 وَمَا وَلَّنِي كَأَسَاكَانٍ رُضَايَا . دُمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مُقَلَّتِي عُغْضِي .
 وَوَلَّتْ ، وَفِعْلُ الشُّكْرِ فِي حَرَكَاتِهِ . مِنْ الرَّاحِ فِعْلُ الرِّيحِ بِالْغُصْنِ الْغَضِّ .
 فَرَحَفَ حَتَّى صَارَ فِي ثُلَى الْمُصَلَّى . ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي ! سُبِّهِ النَّاسُ الْخُدُودَ بِالْوَرْدِ ،
 وَشَبَّهَتْ أَنْتَ الْوَرْدَ بِالْخُدُودِ ! زِدْنِي ! فَأَنْسُدْتَهُ :

عَاتَلْتُ نَفْسِي فِي هَوَا * لَكِ ، فَلَمْ أَجِدْهَا نَقْبُلُ .
 وَأَجَبْتُ دَاعِيَهَا إِلَيْكَ ، وَلَمْ أَحِبَّ مَنْ يَعْدُلُ .
 لَا وَاللَّهِ جَعَلَ الْوُجُوهَ . هَلْ حُسْنٍ وَجْهَكَ تَهْتَلُ !
 لَا قُلْتُ : إِنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مِنَ النَّصَايِ أَجْمَلُ !
 فَرَحَفَ حَتَّى صَارَ حَارِجَ الْمُصَلَّى . ثُمَّ قَالَ : رَدْنِي ! فَأَنْسُدْتَهُ :

عَنْ حُجَيْيكَ سَرِيعًا قَاتِلِي . وَالْهَوَى إِنْ لَمْ يَصِلْنِي وَاصِلِي
 طَفِيرُ الْحُبِّ بَقْلِبٍ دَنِيفٍ . بَكَ وَالسُّفْمُ بِحَسْمٍ نَاحِلِ
 وَبَنَى الْعَاذِلُ لِي مِنْ رَحْمَتِي فُبَكَائِي مِنْ بُكَاءِ الْعَاذِلِ
 فَصَاحَ وَقَالَ : يَا بَلَدِي ! كَمْ لِي مَعَكَ مِنَ الْعَيْنِ ؟ قَالَ : سِتْمَانَةٌ وَخَمْسُونَ دِينَارًا ،
 قَالَ : أَقْسَمُهَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ .



وَحِكْيَ الشَّابِئِنِي لِحَالِدِ حِكَايَاتِ ، وَأَنْسُدْ لَهُ شَعْرًا ، مِنْهُ قَوْلُهُ :
 كَيْدُ الْمُسْتَهَامِ كَيْفَ تَذُوبُ * مَا تُقَايِسِي مِنَ الْعُيُونِ الْقُلُوبُ ؟
 يَا مَكَانَ الْهَوَى خَلَوْتَ مِنَ الصَّبْرِ ، مَا لِسُلُوفِكَ نَصِيبُ !

وقوله :

وَلَمْ أَذِرْ مَا جَهْدُ الْهَوَىٰ وَبَلَاؤُهُ * وَشِدَّتُهُ، حَتَّىٰ وَجَدْتُكَ فِي قَلْبِي !
أَطَاعَكَ طَرَفِي فِي فُؤَادِي، فَخَازَهُ * لَطَرَفِكَ حَتَّىٰ صِرْتُ فِي قَبْضَةِ الْحُبِّ !

دير الثعالب^(١) - وهو في الجانب الغربي من بغداد، بباب الحديد . وهو بمكان
منتزه لا يخلو من قاصد وطارق . ولا يتحلف أحد من النصاري عن عيده . فواطئه
معموره ، وبفاعه مشهوره . ولأبن دهقان فيه شعر ظريف . وهو من ولد إبراهيم بن
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وبُكِّنِي بأبي جعفر . وأنشد له بِمَحْظَةِ :

أَحِينَ قَطَعْتُ لَكَ الْوَاصِلِينَ * وَجُدْتُ عَلَيْكَ وَلَمْ أَجْهَلِ ،
عَدَرْتُ وَأَظْهَرْتُ لِي جَفْوَةً * وَجُرْتُ عَلَىٰ وَلَمْ تَعْدِلِ
أَأَطْمَعُ فِي آخِرٍ مِنْ هَوَاكَ * وَلَمْ تَرَعْ لِي حُرْمَةَ الْأَوَّلِ

دير مديان^(٢) - وهو على نهر كرخاً ببغداد . وكرخاً نهر يُسْقَى من الحنظل الكبير
ويتمر على العباسية ، وَيُسْقَى الكَرخُ ، وَيَصُبُّ فِي دِجْلَةٍ .

وكان قديماً عامراً يصبُّ الماء فيه ، ثم نصب بالبشوف^(٣) .

قال الشَّابُئِيُّ : وهذا الدير حسن عامر حوله البسايين . ويُفَصِّدُ للنتزه . ولأبن

الضحاك فيه شعر منه :

(١) أطر باقوت (ح ٢ ص ٦٥٠) ، والشَّابُئِيُّ (ورقة ٨) .

(٢) أطر باقوت (ح ٢ ص ٦٩٥) ؛ والشَّابُئِيُّ (ورقة ١٢) .

(٣) في الأصل : "ثم نصب بالسوق" . وقد صححت بمعونة باقوت فإنه يقول : وكان الماء فيه حارياً
ثم أقطعت حرَّيته بالسوق التي أمتعت في الفرات .

بادير مَذْبَانْ لَا عُرِّيْتَ مِنْ سَكْنِي ، * مَا هَجَّتْ مِنْ سِقَمٍ ! بادير مَدْيَانَا !
 هَلْ عِنْدَ فَسْكَ مِنْ عِلْمٍ فُبْخِرَنِي ؟ * أَمْ كَيْفَ يُسْعِدُ وَجْهَ الصَّبْرِ مَنْ خَانَا ؟
 سَقِيًّا وَرَعْبًا لَكَرْخَانَا وَسَاكِينَهَا * بَيْنَ الْجَنِينَةِ وَالرَّوْحَاءِ مَنْ كَانَا !

❦

دير أَشْمُونِي^(١) - وَأَشْمُونِي أَمْرَأَةٌ بَنَى الدَّيْرَ بِاسْمِهَا وَدُفِنَتْ فِيهِ . وَهُوَ يَقْطُرُ بُلًّا .

دير أشمون

- قال بَحْظَلَةُ : خَرَجْتُ فِي عَبْدٍ أَشْمُونِي فَلَمَّا وَصَلْتُ الشَّطْرَ ، مَدَدْتُ عَيْنِي لِأَنْظُرَ مَوْضِعَهُ
 حَالًا أَصْعَدَ إِلَيْهِ ، أَوْ رُجُلًا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، فَرَأَيْتُ قَبْنَتَيْنِ مِنْ أَحْسَنَ مَنْ رَأَيْتُ . فَقَدِمْتُ
 تُهْمِرَتْنِي نَحْوَهُمَا ، وَفَلْتُ : تَأْذِبُونَ لِي فِي الصُّعُودِ إِلَيْكُمَا ؟ فَقَالَتَا : بِالرَّحْبِ وَالسَّعَةِ !
 فَصَعَدْتُ ، وَفَلْتُ : يَا عَلَام ! طُنْبُورِي وَنَيْدِي . فَقَالَتَا : أَمَّا الطُّبُورُ فَتَنَمَّ ، وَأَمَّا الْبَيْدُ
 فَلَا . فَبَلَسْتُ مَعَ أَحْسَنِ السَّاسِ خَلْقًا وَأَخْلَافًا وَعِشْرَةً . فَأَحْدَثَ الطُّنْبُورُ وَغَنِيْتُ
 سُمَيْرِي :

١٠

سَمِيًّا لِأَشْمُونِي وَلَذَاتِهَا ، وَالْعَيْشُ فِيهَا بَيْنَ حَآئِهَا !

إِذِ اصْطَبَاحِي فِي بَسَائِنِهَا * وَإِذِ غُبُوفِي فِي دِنَارَاتِهَا !

فَشَرَبْنَا بِالْأَرْطَالِ ، وَطَابَ لَنَا الْوَقْتُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ .

- قال محمد بن المؤقل : كُنْتُ مَعَ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ فِي سُمَيْرِيَّةَ ، وَنَحْنُ سَائِرُونَ إِلَى أَشْمُونِي .
 فَسَمِعَ غَاءً مِنْ بَعْضِ نَلَكِ الْوَاهِي ، فَاسْتَحْسَنَهُ وَطَرِبَ لَهُ ، وَقَالَ لِي : أَتَحْسُنُ أَنْ
 تَرْفُصَ ؟ فَفَلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : فَفَمَ بِنَا نَرْقُصُ . فَقُلْتُ : فِي سُمَيْرِيَّةَ " أَخَافُ أَنْ نَفْرُو ،
 فَقَالَ : إِنْ غَرَقْنَا ، أَلَيْسَ نَكُونُ شُهَدَاءَ الطَّرِبِ ؟

١٥

دير سَابِر^(٢) - وَهُوَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ دِجْلَةِ بَيْنِ الْمَزْرَفَةِ وَالصَّالِحِيَّةِ ،

در سابر

(١) أَمَلُ يَاقُوتَ (ج ٢ ص ٦٤٣) ، وَالشَّاشِقُ (ورقة ١٨) .

(٢) أَمَلُ يَاقُوتَ (ج ٢ ص ٦٦٦) ، وَالشَّاشِقُ (ورقة ٢١) .

في بقعة كثرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمارين، معمورة بأهل الطرب .
والدبر حسن عامر، ولأبن الضحاك فيه :

وعَوَاتِي بِأَشْرَتْ بَيْنَ حَدَائِقِي * فَفَضَضْتُهُنَّ وَقَدْ غَيَّنَ صَحَايَا .
أَتَبَعْتُ وَخَزَةَ تِلْكَ وَخَزَةَ هَذِهِ * حَتَّى شَرِبْتُ دِمَاعَهُنَّ جِرَاحَا .
أَبْرَزْتُهُنَّ مِنَ الْحُسُودِ حَوَاسِرًا * وَتَرَكْتُ صَوْنَ حَرِيمَهُنَّ مُبَايَا .
فِي دَيْرٍ سَابِرٍ وَالصَّبَاحُ يَلُوحُ لِي * بِلِجْمَعَتٍ بَدْرًا وَالصَّبَاحُ وَرَاحَا .
وَمَنْعَمٍ نَازَعْتُ فَضْلَ وَشَاحِهِ * وَكَسَوْتُهُ مِنْ سَاعِدَتِي وَشَاحَا .
فَإِذْ هَبَّ بِظَنِّكَ كَيْفَ سِئْتِ فَإِنَّهُ * مِمَّا أَفْرَفْتُ لَذَازَهُ وَجِمَايَا .

(٢٧٩)

وأورد الشافعيّ فيه للحسين بن الضحاك أخباراً طرافاً، وأنشد له أشعاراً لطافاً .

١٠ منها :

أَمَّا نَاجَاكَ بِالْوَتْرِ الْعَصِيْبِجِ * وَأَنْ أَلِيكَ مِنْ قَلْبِ الْجَرِيحِ
فَلَيْكَ حِينَ نَهَجَرَهُ ضِرَارًا * مَنَنْتَ عَلَيْهِ مَالِقَتِلَ الْمَرِيحِ !
بُحْسَنُكَ كَانَ أَوَّلَ حُسْنٍ ظَنِّي * أَمَّا نَهَاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيحِ
أَلَا يَأْمُرُوهَ لَكَ يَنْتُ كَرَمٌ * هَلُمَّ إِلَى صَمِيغِهِ كُلُّ رُوحِ !
فَقَامَ عَلَى تَحَاذُلِ مُقْلَتَيْهِ * وَسَلَسَلَهَا كَأَوْدَاجِ الدِّيْبِجِ .
وَأَتْبَعَ سَكْرَةً سَلَفَتْ بِأُخْرَى * وَحَلَّى الصَّخْوَ لِحْزِ الشَّجِيحِ .

١٥

وحكى عنه قال : كما عهد المتوكل في يوم بوروز، والهدايا تعرض عليه فيها تماثيل
من عنبر . وكان شفيح الخادم واقفاً ، عليه قباء موزد، ورداء موزد، وهو فيهما

من أحسن الناس وجها . بفعل المتوكل يدفع إلى شفيح قطعة قطعة من ذلك العنبر ،
ويقول : ادفعها إلى حسين ، وأغمز يده . فيفعل ذلك . ثم كان آخر ما دفع إلى
وردة حمراء ، حيّاني بها . فقلت :

وكالوردة الحمراء حيّا بأحمر * من الورد ، يسعى في غلائل كالورد !
له عبثات عند كل تحية * بكفيه تستدعي الخلى إلى الوجد !
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة * تذكّرني ما قد نسيت من العهد !
سقى الله دهرًا لم آت فيه ليلة * من الدهر إلا من حبيب على وعد !
فأمره المتوكل أن يسقه ، وقال : قد أعطيناك أمينتك .

دير قوطا - وهو بالبردان ، على شاطئ دجلة .

دير قوطا

قال الشابشتي : وبه وبين بغداد بساكن متصلة ، ومنتزهات منتظمة ، كل ذلك
شجر وكروم كثيرة الطراو . قال : وهذا الدير يجمع أموالا كثيرة : من عمارته وكثره
فواكهه وما يطلبه أهل البطالة فيه . ولعبد الله بن العباس الربيعي فيه :

يادير قوطا ، لقد هيّجت لي طرّا * أزاح عن قلبي الأحران والكربا !
بشادنٍ ما رأيت غنى له شهبًا * في الناس ، لا عجمًا منهم ولا عربا .
والله ، لو سامني نفسي سمحتُ بها * وما بخلت عليه بالذي طلبا !
وأنشد الشابشتي له فيه قوله :

يا حبذا يومى بالدالية ! * نشرها فقصية صافية
مع كل قرمٍ متلف ماله * لم تبق في الدنيا له باقية
نخذ من الدنيا ولذاتها ، * فإئما نحن بها عارية !

(١)

دير جرجس - وهو بالمرزفة : أحد الأماكن المشهودة، والمواضع المقصودة .
ويخرج إليه من يتزهد من أهل بغداد في السميريات، لقربه وطيبه . وهو على شاطئ
دجلة ، والبساتين محدقة به ، والحانات مجاورة له ، وبه كل ما يحتاج إليه .
وأنشد الشابشتي فيه لأبي جفنة القرشي :

تَرَمَّ الصَّبْفُ بِمَدِّ عُجْمَتِهِ ۖ وَأَنْصَرَفَ الْبَرْدُ فِي أَزِقَتِهِ !
وَمِثْلُ لَوْنِ النَّجِيعِ صَافِيَةً ۖ تَذْهَبُ بِالْمَرْءِ فَوْقَ هِمَّتِهِ !
وَمَنْ وَفَى وَعْدَهُ بِزَوْرَتِهِ ۖ وَبِثُّ ، أَوْى لَهُ بِذِمَّتِهِ .
وَدِيرُ مَرْجَرِجِسٍ وَقَدْ نَمَحَ الشَّفَجُ عَلَيَا أَرْوَاحَ زَهْرَتِهِ .

وأنشد له فيه :

وَقَرَعْتُ صَافِيَةً بِمَاءِ سَحَابَةٍ ۖ فَتَحَنَّنَ حِينَ قَرَعْتُهَا سُرُورًا !
وَسَرَبْتُ ثُمَّ سَقَيْتُهُ فَكَأَنِّي ۖ سَبَبْتُ فَوْقَ لَمَّاتِهِ كَأُفُورًا !
وَفَقَى يُدِيرُ عَلَيْكَ فِي طَرَبَاتِهِ ۖ حَمْرًا تُؤَلَّدُ فِي الْعِظَامِ قُتُورًا .
مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا وَأُسْقِي صَاحِبِي ۖ حَتَّى رَأَيْتُ لِسَانَهُ مَكْسُورًا .

قال : وكتب منه النخعي إلى ابن المعتز في آخر شعبان .

يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، قَدْ شَمَّرَ شَعْبَانُ إِزَارَةً !
وَمَضَى يَسْعَى فَيَا لِحَقِّ إِنْسَانٍ عُبارَةً .
فَاغْدُ نَشْرَبْ صَفْوَةَ الدُّنْيَى ۖ وَنَسْلُبْهُ وَقَارَةً !

فلم يرد عليه جواباً ، ولا أفهمه فيه خطاباً .

(١) سماه ياقوت دير مرجس ، وأظهره في ح ٢ ص ٦٩٧ . وهو غير المعروف باسم "مرجس" .

دير الخوات^(١١) - وهو مُعْكَبَرًا . وهو دير كبير عامر . وأكثر سكانه نساءً مترهبات .
وعبداه الأحد الأول من الصوم .

دير الخوات

قال الشاشي^(١٢) : وتسمى ليلة الماشوش ، وهي ليلة يختلط فيها الرجال بالنساء ،
فلا يرّد أحد يده عن شيء . وأنشد فيه لمخضفة :

٥ وحانة بالعلث وسط السوق . نزلتها وصاري رفيق
على غلام من بني الحليق خفاء بالجام والإبريق
أما رأيت قطع العفيق !

دير باشهرا^(١٣) - وهو على شاطئ دجلة . نزه كثير البساتين . على طريق سر من رأى .
مرحلة المصعد والمحدرو . وفيه بقول أبو العباس :

دير باشهرا

١٠ نزلنا دير باشهرا على قسيه طهرا .
فسقانا ورقانا من الصافية العذرا .
فقالنا به الشمس وقبلنا به البدر .
وأحب لده الكاس ولكن قات سكرًا !

(٢٠٦)

دير مرمار^(١٤) - وهو سر من رأى . عند قطرة وصبف . حوله كروم وشجر .
وأنشد فيه الفصل بن العباس بن المأمون :

دير مرمار

١٥

(١) أهل ياقوت - (ج ٢ ص ٦٥٨) . والشاشي (ورقه ٣٧) .

(٢) وقد يكتبونه مائيرا . وأعطى ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٥) . والشاشي (ورقه ٣٢) .

(٣) سماه ياقوت : مرماري . وأعطاه (ج ٢ ص ٧٠٠) .

أَنْصَبْتُ فِي سُرٍّ مَنْ رَأَى خَيْلَ لَدَاتِي . وَنَلْتُ فِيهَا هَوًى نَفْسِي وَحَاجَاتِي !
عَمَرْتُ فِيهَا بِفَاعِ اللَّهِ هُوَ مَنْعِمُهَا : فِي الْقَفْصِ مَا يَبِينُ أَنْهَارُ وَجَنَات !
بَدِيرَ مَرَمَارٍ إِذْ تُنْحِي الصُّبُوحَ بِهِ . وَتُعْمَلُ الْكَاسُ فِيهِ بِالْعَشَبَات .
فَكَمْ بِهِ مِنْ غَزَالٍ شَادِنٍ لَيْسِي . يَصِيدُنَا بِاللَّحَاطِ الْبَابِلَات !

- ٥ وحكى الشافعي أن الفضل ذكر أنه خرج مع المعتز للصيد . قال : فانتقطعا عن
الموكب ، أنا وهو ويونس بن بغا . فشكا المعتز العطش ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن
في هذا الدير راها أعرفه ، وله مروءة حسنة . وفيه آلات جملة . فهل لنا أن نعدل
إليه ؟ فقال : أفعل ! فصرنا إليه ، فرحب بنا وقلعنا بأجل ملق . وحاءا بماء فشربنا .
وعرض علينا النزول عنده ، وقال : أما تبتدون عندنا ؟ فقال المعتز : أنزل بنا إليه .
١٠ فنزلنا عنده . فسألني الديراني عن المعتز ويونس . فقلت : قتيان من أبناء الحند . فقال :
بل مُقْلَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ الْحُورِ . قُلْتُ لَهُ : لَيْسَ هَذَا مِنْ دِيكَ وَاعْتِفَادِكَ . فقال : هو
الآن في ديني . فضحك المعتز . ثم جاءنا من الطعام بما يكون مثله في الديارات . وكان
من أنظف طعام في أنظف آنية . فأكلنا منه وغسلنا أيدينا . فقال لي المعتز : قل له ببنك
وبينه من تحب أن يكون معك من هذين ولا تفارقك . فقلت له . فقال : كلاهما .
١٥ فضحك المعتز حتى مال من الضحك . ولحفنا الموكب ، فارتاع ، فقال له المعتز : بحياتي
عليك لا تنقطع عما كانا به ، فإني لمن ثم موالي ولن ههنا صديق ! فزحنا ساعة . ثم أمر
له المعتز بخمسين ألف درهم . فقال : لا والله ، لا قبلتها إلا على شرط ! قال : ماهو ؟ قال :
أكون أمير المؤمنين في دعوتي مع من أراد . قال : ذلك إليك . فأتعدنا ليوم جئناه .
فلم يبق غاية ، وقام الموكب كله . وجاء بأولاد النصارى ، فخدموا أحسن خدمة .
٢٠ وسر المعتز سرورا ما رأته سر مثله قط . ووصله ذلك اليوم بمال كثير .

دير سرجيس

دير سرجيس^(١) - وهو بطيخاً بأذ^(٢) . بين الكوفة والقادسية، على حافة الطريق .
وكانت أرضه مخوفة بالخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكان بهذا أحد
البناع المعمورة، وتزده الدنيا التي تنتهج بها القلوب المسرورة .

قال الشافعي: وقد عمّ الآن آثارها، وهُدمت دياراتها .

قلت: وبلغني أن ديارها خربت، ولم يبق من رسومها إلا قباب حراب، وجرن على
قارعة الطريق في القمر البّسّاب .

قال الشافعي: وسميه الناس بمصرة أبي نواس . وله فيه :

قالوا: تسكّ بعد الحجّ! فلت لهم: أرجو الإله وأخشي طيغزنا إذا .
أخشي قُصيّب كرم أب يازعني^(٣) . فصل الخطام، إذا سرعت إعدادا .
فإن سَلِمْتُ - وما قلبي على نقي^(٤) . من السّلامة - لم أَسْلَمْ بيفدا إذا .
ما أعدّ الرشْد من قلب تصممه^(٥) . قُطِرْبُلٌ فُقُرَى بُنَا فكلوا إذا^(٦) .

(١) سماه الشافعي: دير سرجيس (ونظره في ورقة ١٠٢) ، وأما ياقوت فسمّا دير سرجيس ونكس
وقال لهما رحلان (ونظره في ح ٢ ص ٦٦٧ ، ح ٤ ص ٨٨٤) .

(٢) اسم مدينة مشهورة سبّاق ذكرها ومصر الشرح عاليا . وأصله في محلة "لغة العرب" التي يصدرها
اليوم في بغداد الفاصلان الأب أسناس الكرمل وكاطم الدحيلي فقد تصمت السنة الثانية منها شرحا وأما
على مؤسس هذه المدينة وأحاربه وتاريخ وقائعها وسقوطها | .

(٣) ياقوت: رأس .

(٤) « . هي .

(٥) في الأصل: هي . وأعتمد ما أورده ياقوت (أطرح ٣ ص ٥٧٠ ، ح ١ ص ٧٣٨) وهي
قرية على شاطئ دجلة من نواحي بغداد بينهما نحو مرسين وهي تحت كلوادي .

(٦) الأشهر كناية هذه الكلمة ساء في آخرها . ولكنهم يكتبونها بالألف المقصورة أيضا . وهي طسوح
قرب بغداد . وهي الآن حراب (واظر ياقوت في ح ٤ ص ٣٠١ وفي المواضع الأخرى التي أشار إليها
ههنا) .

وفيه بقول الحسين بن الضحاك :

أَخْوَىٰ هُبًّا لِلصُّبُوحِ صَبَاحًا ! هُبًّا وَلَا تَعْدَا الدِّيمَ رَوَاحًا !
 هل تَعْدِرَانِ بِدِيرِ سَرْجَسٍ صَاحِبًا . بِالصُّحُوفِ أَوْ رِيَانِ ذَاكَ جُبَاحًا
 إِنِّي أَعْدُكُمْ بِالْفَةِ بَيْنَا . أَنْ نَشْرَبَا بِقُرَى الْفُرَاتِ قَرَا حَا !
 يَا رَبِّ مَلْتَبِسِ الْجُفُونِ بِنُومَةٍ . نَهْنُهُ بِالرَّاحِ حِينَ أَرَا حَا !
 فَكَأَنَّ رَمَا الْكَاسِ حِينَ نَدَبْتُهُ . لِلْكَاسِ أَنْهَصَ فِي حَشَا جُبَا حَا .
 فَأَجَابَ يَعْثُرُ فِي فُصُولِ رِدَائِهِ . تَجَلَّاتٍ يَحْلُطُ بِالْعَنَارِ مَزَا حَا .
 فَهَكَتُ سَتْرَ مَحُونِهِ بِتَهْنِكِي . فِي كُلِّ مَلْهِيَةٍ وَبَحْتُ وَبَا حَا .

٢٨٨

ديارات الأساقف^(١) -

ديارات الأساقف

قال الشاشقي : هذه الديارات بالجف ، ظاهر الكوفة ، في أول الحيرة . وهي
 قباب وقصور ، تسمى ديارات الأساقف ، بحضرتها نهر يعرف بالتدير ، عن يمينه
 قصر أبي الخصيب ، وعن شماله السدير . والديارات بين ذلك .

قال : وقصر أبي الخصيب هذا ، من أحسن منزهات الدنيا ، مشرف على الجف
 والظهر كله . يصعد من خمسين مرفاه إلى سطح حسين ، ومجلس مشرف . ثم يصعد
 من خمسين مرفاه أخرى إلى سطح أقبج ومجلس عجيب الصنع . وهو منسوب
 إلى أبي الخصيب ، مولى أبي جعفر المصور .

وأشيد في هذه الديارات لعلي بن محمد بن جعفر العلوي قوله :

كَمْ وَقَفَ لَكَ بِالْخَوَرِ . نَقِي لَا تُوَاذِي بِالْمَوَافِ .

(١) أطلرها قوت (ح ٢ ص ٤٩٤ و ٦٤٢) . والشاشقي (ورقة ١٠٣) .

بينَ العِدْبِر إلى السِّدِّ . يَر إلى دِمَارَاتِ الأسَاقِفِ .
 قَدَارِحِ الرُّهَابِ في . أَطْمَارِ خَائِفَةِ وَخَائِفِ .
 دِمْنٌ كَانَ رِيَاصَهَا . يُكْسِنُ أَعْلَامَ الْمَطَارِفِ .
 وَكَأَنَّمَا غُدْرَانُهَا . فِيهَا عُشُورٌ فِي مَصَاحِفِ .
 وَكَأَنَّمَا أَوَارَهَا . تَهْتَزُّ بِالرَّيحِ الْعَوَاصِفِ .
 طُرُرُ الْوَصَائِفِ بِلَتَقِيْنَسِ بِهَا إِلَى طُرُرِ الْوَصَائِفِ .
 تَلْقَى أَوَائِلَهَا أَوَا . نَحْرَهَا بِالْوَانِ الزَّخَارِفِ .
 بِحَرِيَّةٍ سُنُونُهَا . بَرِيَّةٍ فِيهَا الْمَصَائِفِ .



دير زُرَّارَة - وهو بن الكوفة وخمَامُ أُعْيَى ، على يمين الحاج من بغداد . زُرَّه ،
 كثير الحانات والشراب . لا يخلو من بطلب الالهو واللعب ، ويؤثر البطالة والقصف .
 قال الشَّابُستِي : خرج بجي بن زياد ومطيع بن إلياس حاجين . فلما قربا من زُرَّارَة ،
 قال أحدهما لصاحبه : هل لك أن تقدم أُنْقَالَنَا ، ونمضي إلى زُرَّارَة ، ونشرب
 في ديرها لبُلْنَا ، ونترود من نحرها ، ونستوفي من مردها ما بكمينا إلى العودة ، ثم نلحق
 بأُنْقَالَا . فعلا . وسار اللاس ، وأقاما . ولم يزل ذلك دأبهما ، إلى أن عاد الحاج .
 خلفا رؤوسهما ، وربكا بعيرين ، ودخلا مع الحاج ، على أنهما قد حجا . وقال مُطِيع :

ألم تَرِنِي وَيَمَّحِي إِذْ حَجَجْنَا ، وَكَانَ الْحُجُّ مِنْ خَيْرِ التَّجَارِهِ ؟
 نَحْرَجَا طَالِبِي خَيْرٍ وَدِينٍ ، فَال بِنَا الطَّرِيقُ إِلَى زُرَّارِهِ !
 فَاتِ اللّاسُ فَدَغِمُوا وَحَجُّوا . وَأَبْنَا مُوقَرَّيْنِ مِنَ الْخَسَارِهِ !

عُمَرُ مَرْتُومَان - وهو بالأنبار ، على الفرات . وهو عُمَرُ كَبِيرٌ ، كثير القلايات

عمر مرتومان

والرهبان . عليه سور محكم البنيان ، كالحصن العظيم . والجامع ملاصقه . وله ظاهر حسن ، ولا سيما في أيام الربيع . لأن صحاريه وسائر أرضه تكون كاللؤلؤ : لكثرة ثواره ، وطرائف أزهاره . وتزله كل من آجتاز به من الخلفاء . وفيه يقول كُشاجمُ :

أغدُ يا صاحبي إلى الأتبار ، * نَشْرِبُ الرّاحَ في شَبَابِ النّهارِ !
وأعمرُ العُمُرَ بالّلاذَةِ والقَصْفِ وَحَثِ الكؤوسِ والأوتارِ !
فاغتنِمِ غَفْلَةَ الزّمانِ وبَادِرْ . - وأقترِضْ لَذَّةَ اللَّيْلِ القِصارِ !
لأَتَقَرَّطَ فإنها خَاسِ العَيْشِ وبَادِرْ تَوَادِرَ المِقْدَارِ !

وأسد الشايشتي له فيه يصف عودا في يد محسة :

جاءتْ نَعُودٌ كَأَنَّ نَفْثَتَهُ . صَوْتُ فِئَاةٍ تَشْكُو فِرَاقَ مِي !
دارتْ مَلَاوِيهِ فِيهِ وَأَخْتَلَفَتْ . مِثْلَ اخْتِلَافِ الكَفِّينِ شُبُكَنَا .
يا حُسْنَ صَوْنِيئِمَا ، كَأَنَّهُمَا . أُخْنَانِ فِي صَنْعَةٍ تَرَأْسَتَا !
وهو على ذَا نِوْبٍ إِنْ سَكَّتَتْ . عَمَّا ، وَعَمَّ تَوْبُ إِنْ سَكَّ !

دير الأبلق - وهو بالأهواز . وحكى المدايني ، قال : إنه أصطبغ في دير الأبلق في جماعة من أصحابه ، فلما سكر قال :

يَوْمِي بِذَرِّ الأَبْلَقِ المُرْدِ . مَا أَنْتَ إِلَّا جَنَّةُ الحُلْدِ !
به وأمسك له لم يزل . - يَحْوُزُ العَيْسَ أبو الهَيْدَى ،

عمر إتراعيل . والشاهد فيه ، مار ميخائيل .

قال ابن المستوفى : بينه وبين كفر عزي أقل من ميل . وهو عمار كبير وفيه رهبان كثيرة ، وله نهر يجري على بابه وكرم وشجر في شرفيه ، ورحى عامرة تطلحن فوق الكرم .

وبإزائه تلّ دير زارج، إذا صعد الزائر أيام الربيع أشرف على سائر بلدة حرة . وفيه من ألوان الزهر وأنواع الأقاحي والشقائق وصنوف النور والزهر (١)

يسر الساطرين وبقصر وصف الواصفين . وفي قلالي رهبانه جيئات حسان فيها آس مصر وشجر مريم وغير ذلك .

- ٥ قال : وحدثني محمد بن حمد الأصم ، قال : كنت بكهر عزي ، فتزحّت مع جماعة فبهم حيرُ لشمس موضعا نزاها نجلّاس فيه ونقصف . فأجمع رأينا على فصد دبر إتراعيل - وهو من كهر عزي على مل - في أيام الربيع ، ورأياه في نهاية الحسن بماحوله وفيه ، وهو مشرف على بلد حرة كله ، ورأياه وقصفا فيه أباما متناعة ، وقلتُ فيه هذه الأبيات :

- ١٠ عَمَرَا عُمَرَا نَزَاعِلَ الْقُصْفِ وَاللَّعِبِ !
بِمَبَانٍ دَوَى شَرَفٍ وَقَدَرٍ وَدَوَى لُبِّ .
سَوَا فِي كَهْر عَرَى تُزْ هَ تَبْعَثُ لِلشُّرْبِ !
فَوَاقُوا جَنَّةً مِنْ عُمَرَا نَزَاعِلَ عَنْ قُرْبِ .
وَمَدْحُفَ بَكْرَمٍ وَبِأَشْجَارٍ لَهُ عُلْبِ .
١٥ وَأَنْهَارٍ بِحَاكِ جَرٍ . يُهَا مَسْلُولَةُ الْقُصْبِ .
وَرَوْضٍ رَاصَهُ الْمُزْنُ فَاضِحِي وَهُوَ كَالْعُصْبِ .
رَأَوْهُ كَعْرُوسٍ جُشِلِيَتْ فِي حَالٍ قُشِبِ !
خَلُّوا مَسَهُ فِي مَتَرٍ لِي لَهْوٍ مُوَقِّ رَحْبِ .
وَدَارَتْ تُجِبُّ الْأَبْطَا * لِي مَجَّتْ بِحَلِي الشُّرْبِ ،

(١) كلمة ناقصة هنا سطا عليها المحلّد . ولعلها : "ما" أو نحو ذلك .

على أوجه أعمار * على قُصْبٍ على كُثْبٍ .

وما ظنك بالعطشا * نِ عد المكَرَع العذب

قال فاصبر ما بعد أمام، وكلما يؤد أن لا يزول منه : لطيه وحسيه .

قال ابن المستوفى : وليس بهذا الدير الآن شجر ولأما على بابه . وفيه بيعه حسنة

وقاه قديمة ورحاه باقية ، والماء الذي يدير ... (١) بعيد عن الدير ، وفي كل عيد من

أعياد النصراني يقام به سوق وتخرج إليه جماعة من إربل ، ويزوره خلق من النواحي

يكونون فيه مدة يومين أو أكثر وينصرفون عنه

دير باقوقا - ذكره ابن المسوق في تاريخ إربل ، قال : وهو إلى الآن باق ، وبه

رهبان كثيرة . ذكر الشمشاطي أنه وراء الزابي وله مزرعة إلى جانب دارى وفيها

بساتين وفيها تين أسود كبير . وبينه وبين الموصل سبعة فراسخ . وهو دبر كبير . وكان

أنشدني فيه أبو الحسين محمد بن ميمون الكاتب :

رَلْتُ بِدَيْرٍ بِأَفُوقًا وَبِهِ مِ الرُّهْبَانِ لِي خِذْتُ مَعَهُ .

فَالْحَصْنِ نَصَبَاءِ نَمُولِ . يَمْوُجُ بَعْبَرٍ مِنْهَا الذَّنِيمُ .

وَنَادَمَنِي بِرُهْبَانٍ مَلَايَ وَفِيهِمْ سَادِلٌ حَسَنٌ رَحِيمُ .

وَسِرْبَاعُهُ وَالْأَهْوَاءُ فِيهِ ، وَهَلْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ ؟

دير سعيد - وهو بالجانب الغربي من الموصل . مطَّلٌ على دجلة ، حسن البناء .

حوله قلال كثيرة ، حسنة العماره ، ظاهرة النصارة . في كل قلالية منها جيبات لرهبانه ،

(١) ها كلمة نافضة في الأصل مما سطا عليه المجلد . ولعلها الرجا .

(٢) أطر القروبي (ص ٢٤٨) ، دباقت (ج ٢ ص ٦٦٩) .

فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر. كثير النرجس. وهو يقارب تل باذع. وتراه في الربيع كالوثني الملمع، والحلى المرصع. وهو منسوب إلى سعيد بن عبد الملك أبو مروان. أصبح ما قيل في نسبته إليه أنه ربما كان يتعهده أبام إمارته بالموصل.

ويقال إن لثراه أثرا في دفع أذى العقارب، وإن ماءه إذا رُس في دار، قلت العقارب بها.

وحكى أن رهبانه أُلزموه في وفية بجاية، فقاموا بثلاثمائة ألف درهم. وللخالدي فيه شعر. مه :

أَلَا فَاسْتَرْزِفِي الرَّحْمَنَ حَيًّا وَسِرِّبِ الْكَاسَ نَحْوَ السُّكَّرِ سَيًّا !
فَأَيَّامُ الْمُحْمُومِ مُقَصَّصَاتُ * وَأَيَّامُ السُّرُورِ يَطِيرُ طَيًّا !
وله فيه :

سَمِعْتُ مُحَبَّتِي بِدِيرِ سَعِيدٍ * يَوْمَ عِيدٍ فِي حُسْنِهِ أَلْفَ عِيدٍ !
كَمْ قَتَاةٍ مِثْلَ الْمَاهِ، سَلَبْنَا . هَا صَلَبْنَا مِنْ بَيْنِ نَحْرِ وَجِيدٍ !
وَعَرِيرٍ مِثْلَ الْغَزَالِ حَلَلْنَا * عَقْدَ زُنَارِ خَصِرِهِ الْمَعْقُودِ !
وَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِمِنَاءِ الشَّهِيكِلِ الْمُوقِ الْبَدِيعِ الْمَشِيدِ .
وَالرَّوَابِي مَشْهَرَاتٌ كَفَلْنَا * نِ لَنَا فِي مُحَبَّرَاتِ الْبُرُودِ .
نَحْدُودُ مِثْلَ الشَّقَائِقِ فِي اللَّوْ * نِ تَلِيهَا شَقَائِقُ كَالْحُدُودِ .
وَإِذَا مَا الْمَزَارُ غَرَّدَ فِي الْقُصُوفِ، حَكَّتْهُ الْأَوْتَارُ فِي التَّفْرِيدِ .
مَنْ رَأَانَا - وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ صُرْعَى - * قَالَ : قَوْمٌ مَوْتَى بِفَسْرِ الْجُودِ !

وله فيه :

قَامَرَ بالنَّفْسِ فِي هَوَى قَرِيرٍ * وَنَالَ وَضَلَ الْبُذُورَ بِالْيَدِ.
وَأَفْتَضَّ أَبْكَارَ لَمُوهَ طَرَبًا * بَيْنَ عَشَايَا الْمَدَامِ وَالْبُكَرِ.
مَنْ لَمْ يَدْرِ فِي رَبِّي الْحَدَائِقَ مِنْ * دَيْرٍ سَعِيدٍ، رَحَاهُ لَمْ تَدْرِ.
مَسْرَّةٌ يَكُلُهَا بِلَا حَشَفٍ * وَلَذَّةٌ صَفُوهَا بِلَا كَدَرِ.
قَدْ ضَرَبَتْ خَيْمَةَ الْغَامِ لَنَا * وَرُشَّ حَيْشِ النِّسِيمِ بِالْمَطَرِ.
وَعِنْدَنَا عَاتِقَانِ حُمْرَاءُ كَالشَّمْسِ وَأُخْرَى صَفْرَاءُ كَالْقَمَرِ.
يَا نَارَكَ طَلَبَ يَوْمِهِ لَغْدٍ ! * تَبِيعَ عَيْنَ السُّرُورِ بِالْأَمْرِ

وقوله :

قَدْ طَمَحَ الْقَلْبُ بِالْهُمُومِ فَإِنْ * طُمْتُ بِكَأْسٍ، فَهَاتِيهَا تَطْلُعْ !
وَيُجْنَحُ لَيْلٍ تُرَى كَوَاكِبُهُ * وَهِيَ إِلَى الْغَرْبِ، كُلُّهَا جُنَحْ.
زَاكَ تَلْسَى سُرُورَ يَوْمِكَ فِي * دَيْرٍ سَعِيدٍ وَظِلُّهُ الْأَقْبَحْ !
عَلَى يَسَاطِئِ مِنَ الْبَيْتَسَجِ قَدْ أَلْشَقِيَ مِنْ الْوَرْدِ فَوْقَهُ مَطْرَحْ !
وَكَأْسٍ رَاجٍ يُدِيرُهَا قَرٌّ * لِحَاظُهُ فِي قُلُوبِنَا تَجْرَحْ !
قَدْ كَانَ فِيهَا مَضَى يُعْرَضُ بِالسُّوْضِلِ، وَلَكِنْ أَرَاهُ قَدْ صَرَّحْ !

وقوله :

فَكَمْ مِنْ رَوْحَةٍ وَالشَّمْسِ لَمْ تَدُبْ لِنَظْفِيلِ،
إِلَى دَيْرٍ سَعِيدٍ أَوْ * إِلَى دَيْرٍ خَائِبٍ !

يَسَافِي كَهَاهِ مُنْزِلِ أَدْمَاءِ عُطْبُوسٍ !
 تَرَى فِي وَجْهِهِ وَجْهَكَ لِلرَّفَّةِ مِنْ مِيلِ !
 فَأَجْرَاهَا كَخَلْعَالٍ . . مِنْ الْبَاقُوبِ مَفْتُولِ .
 سَرَبْنَاهَا عَلَى أَوْجَسِهِ حَوْرٍ كَالْتَمَائِلِ .
 إِذَا سَنَنْ تَمْنَطُفْنَ * جَمِيعًا بِالْخَلَاخِيلِ .

قال الخالدي : وأنشدني السري الرفاء لنفسه فيه :

وَقَلَالِي الدِيرِ الَّذِي آوَلَا النَّوَى لَمْ أَرِمَهَا بِقَلِي وَلَا مُعْقُوقِ .
 عَجْرَةُ الْحَيْطَانِ بَتَفْحِ طَبِيبِهَا ، فَكَأَنَّمَا مِنْبِئَةٌ بِحَلُوقِ !
 فَتَى أَزُورُ بَنَابِ مُشْرِفَةِ الدَّرَى ، فَأَرُودَ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعَبُوقِ "
 وَأَرَى الصَّوَامِعَ فِي عَوَارِبِ أَكْهَمَا ، مِثْلَ الْهَوَادِجِ فِي غَوَارِبِ نُوقِ ؟
 حُمْرٌ مِلُوحٌ حِلَالُهَا يَبِضُّ كَمَا فَصَلَّتْ بِالْكَافُورِ سَمَطَ عَقَبِقِ .

وحكى ابن المستوفى في تاريخ إربل ، في ترجمة أبي حفص عمر بن محمد بن الشحنة الموصلي "الحوى" ، أنه نقل من مجموع بخطه ، قال : كنت في يوم من أيام الربيع بدير في ظاهر الموصل ، يعرف بدير سعيد . وكان فيه راهب من الببل ، كست آوى إليه إذا جئت الدير . فأنفق في ذلك اليوم أنى خرجت من فلاينه إلى بستان الدير ومعى جماعة من الكأب ، كنت آنس بهم . ونحن على لدنا ، وإذا قد أتانا رجل ، جلوس وأن دفع يفتى ، ويقول هذا الصوت في الموضع الفلاني ، ليريبا أنه يعرف صنعة الغناء . فأبرمنى وأبرم الجماعة ، وأستقلناه . فسألني بعض الجماعة أن أقول فيه على طريق العبث شيئاً . فعملت في الحال :

ثَقِيلٌ يُصَمُّ السَّمْعَ مِنْ قُبْحِ صَوْتِهِ وَنَعْمَى لَهُ أَنْصَارُنَا وَالْبَصَائِرُ!
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ لَمْ تَزَلْ * مُزَلْزَلَةٌ بَطْنَانَهَا^(١) وَالْظُّوَاهِرُ!
تَفْنَى فَقَلْنَا: هَاتِفُ الْبَيْنِ قَدْ دَعَا * بِفَرْقَتِنَا أَوْ رَيْتُ دَهْرٍ مَبَادِرُ!
فَبَالَتْ أَنْ اللَّهَ لَمْ يَكُ خَالِفِي، * وَمَالَيْتَهُ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَارُ!

٥. الدِّيرُ الْأَعْلَى^(٢) - وهو بالموصل، في أعلى جبل، يُطَلَّ عَلَى دِجْلَةٍ. يضرب المثل به
في رقة الهواء، وحسن المُسْتَشْرِفِ تحته. والجزائر تتفرق خُلُجَانَهَا وَعُذْرَانَهَا بِإِزَائِهِ. ولم
تزل الولاية تخرج إليه للطف الهواء، والنظر إلى الماء. ويقال إنه ليس للنصارى دبر
مثله. وطهر عنده معادن الكبريت والمرقشبتا والفلططار وأشياء من هذه الأنواع.
ثم صامت النصارى حتى أَبْطَلَتْ، خوفا من تثبيل السلطان.
١٠. قال جعفر بن محمد الفقيه: آجَنَّا زَبَنًا مَعْضَ السَّيْنِ أَوْ الْحَسْبِ بْنِ أَبِي الْبَغْلِ،
فَتَزَلَّ عَلَيْهِ، وَخَرَجْتُ فِي عَدِّ يَوْمِ نَزُولِهِ إِلَيْهِ. بفعل نصف من طبب الهواء فيه
وطيب قراءة رهبانه أمرا عظيما. ثم أنشدني نفسه فيه شعرا:
وَلَسْتُ أَرْضَاهُ.

ومما قال الخالدي فيه:

١٥. وَأَسْتَشْرِفْتُ نَفْسِي إِلَى مُسْتَشْرِفٍ * لِلدَّبْرِ، مَا هَ بَجُسْنِهِ وَبِطِيْبِهِ.
مُتَفَرِّقٌ آذَى دَجْلَةٍ تَحْتَهُ * بِفَدِيرِهِ وَخَلِيجِهِ وَقَلْبِهِ.

(١) طر يجمع على أطر وطون وبطاد.

(٢) أطرا أيضا أن الأتية. (ح ٧ ص ١٣٩ و ١٨٦ و ٣٠١، ح ٨ ص ٤١٠ و ٤٦٤ و ٤٧٦)

(٤٧٧، ح ٩ ص ٤٦)؛ وخصوصا ياقوت (ح ٢ ص ٦٤٤)، والشاشي (ورقة ٧٥).

فَنِمْتُ بَيْنَ رِيَاضِهِ وَغِيَاضِهِ * وَسَكِرْتُ بَيْنَ شُرُوقِهِ وَغُرُوبِهِ .
 غَنَى الْجَمَالَ بِهِ فَرَزَادَ الثَّغْرِ مِنْ * تَفْضِيضِهِ ، وَالْحَدُّ مِنْ تَذْهِيْبِهِ .
 وَأَهْتَرَّ غَضَنُ الْبَانِ فِي زُنَارِهِ * وَأَضَاءَ جِدُّ الرِّيمِ تَحْتَ صَلِيْبِهِ .

وله :

فَتَكْتُ ! فَلَا تَأْخُذْ مَنْ فَتَكَ * بِمَا أَخَذَ الْجَهْلُ أَوْ مَا تَرَكَ !
 أَدْرِهَا ! أَلَسْتَ تَرَى الدِّيرَ فِي * بَدَائِعِ مَنْ حُلِّيَ لَمْ تُحْكَمْ
 وَبَيْنَ الْبُكُورِ وَبَيْنَ الْفُرُوبِ * وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْبِرْكِ ،
 عَاءٌ تُسَدُّ إِلَيْهِ الرِّجَالُ . * بَلَّغْنِي مُحَلُّ عَلَيْهِ التَّكْكُ !

دير مار مخايل^(١) - وهو على ميل من الموصل . يركب دجلة في بقعة حسنة .
 دِير مار مخايل^(٢) . وبه قَلَالِي كثيرة في غاية الظُّرْفِ ،
 ١٠ يُطْلَعُ عَلَى كُرومٍ وشَجَرٍ ، بَرَى بَحْرَى ، سُهْلَى جَلَى .
 مخفوفة بأنواع الشجر ، وأصناف الزهر . وله عبد يكون قبل الشعانين بأسبوع . تخرج
 إليه الصَّارِي بنسائهم وصبيانهم . ويمرُّ لهم فيه يوم وليلة ، تتجاوب فيه أَلحَانُ الأغاني
 وقراءة الرهايين .

وحكى أنه أُرْبِدَ به حمر بُرَى معص قَلَالِيَّة ، فأفضى الحمر إلى صندوق من حجر .
 فكشف ، فإذا فيه مَيِّتٌ لم يتغير من جسمه شيء ، وإذا شبابه صحبحة . وعند رأسه
 ١٥ صحبحة من صُفْرِ فيها كتابة قديمة لم يقموا على قراءتها ، ولكنهم علموا أن فيها ذكره .

(١) يسمى أيضا "دير مار مخايل" و "دير مار مخايل" و "دير ميخائيل" . وأنظر أيضا باهوت
 (ج ٢ ص ٦٩٣ و ٧٠٢ ح ٤ ص ٨٧٥) .

(٢) مفرد القلال قلة بالكسر وهي شه الصومعة كما في القاموس . ووقع في الأصل قلال بدون ياء وصوابه

وقصد المسلمون آتراحه منهم . ثم دارت النصارى حتى خُلِّيَ لهم ، فردوه إلى مكانه ، وعفوا أثره .

قال الخالدي : والذي يُظنُّ أنه كان ممن على دين المسيح عليه السلام ، وأنه هرب بدبه ، فمات في هذا الموضع ، ودُفن فيه .

قال : وبين هذا الدير وبين الموصل وادٍ يُعرف بوادي زمار ، عليه رابية تُعرف برابية العقاب ، تُشرف على دجلة والبساتين والجزائر والنهر ، وهي غاية في الربيع . وقال فيه :

أَلَسْتُ تَرَى التَّلَّ يُبْدِي لَنَا طَرَائِفَ مِنْ صُنْعِ آدَارِهِ
وَقَدْ نَقَطَ الزُّهْرُ خَذَ الثَّرَى * بِدِرْهِمِهِ وَبِدِينَارِهِ .
وَكُتِبَ فِي لَأَزُورْدَ الدُّجَى * يَزْتَجْفِرُهُ وَبِزَنْجَارِهِ .
فَلَا تَلْقَ كَأْسًا بِتَأْخِيرِهَا - وَلَا يَوْمَ لَهْوٍ بِإِنْفَارِهِ !

١٠

قال : وكان لحظة قد أنشدني لمسه في دير العَلْتِ قوله :

سَقَمًا وَرَعِيًّا لِدِيرِ الْعَلْتِ مِنْ وَطَنٍ ! لَا دِيرَ حَنَّةٍ مِنْ ذَاتِ الْأَكْرَاحِ !
أَبَامَ ، أَيَّامَ لَا أَصْنَى لِعَاذِلَةٍ ، وَلَا تَرُدُّ عَنِّي جَذْبَةَ الْإِلَاحِ !

فاستحسنتها ، وذكرتُ قول أبي نُوَاسٍ في دير حَنَّةَ ، وهي في عروضها وقافيتها ، فقلتُ :

فَحَاسِنُ الدَّيْرِ تَسِيحِي وَمِصْبَاحِي . وَحَمْرُهُ فِي الدُّجَى صُبْحِي وَمِصْبَاحِي !
تَبْسُطُ الْبَتَفَسَجَ تَبْسُطُ فِي . . . خُفُوفِ آسٍ وَخَيْرِيَّاتِ تَفَاجِ .

(٢١٥)

بدائع لا لدير العلت هُنْ ولا * لدير حنة من ذات الأكراج.
 حتى تخمر نمارى بمفرقي * وجبرت ملحي بالسكر ملاحي.
 أبا مخيال ، لا تعدم ضحي ودحي * سجال كل ملك الودق سحاج !
 فإن أقيم سوق إطراي ، فلا عجب ! * هذا بذاك إذا ما قام نواحي !

- ٥ قال : وكان في هذا الدير نمار ، يقال له الحارث ، ويكنى أبا الأسد ، معروف
 بجوده الشراب ، وكان المجان من أهل الموصل يقصدونه . وكان له ابن حسن الوجه ،
 مهفوف القوام ، خفيف الروح ، يقال له عبد المسبح ، يسقينا ومعنا مغز ملج
 الغناء ، غنايا في شعر حسان بن ثابت ، قوله :

أنظر حلي بيطي حلق هل . . تؤنس دون البقاء من أحد ؟

- ١٠ وهو صوت معروف في الأغاني . فاستحسناه ، وكان معنا كاتب ، له على
 اياد ، فقال لي : أحب أن تعمل في عروض هذا الشعر شعرا تذكر فيه يومنا .
 فقلت :

لا وجفون تنوس في العقيد * وحسن نغير يلوح كالبرد !
 لا كنت ممن يصبع أدمعه * بين الأثافي والتسوى والوتد !
 أحسن من وقفية على طلل * فقير وزجر العيرانة الأجد ،
 كأس مدام جلا المدير بها . أم الليالي وجدة الأبد .
 شربها شغلة بلا حرق * وتحتليها روحا بلا جسد !
 هل أحد نال مثل لذتنا . * بأبا مخيال لبلة الأحد ؟
 سقيا لما خور حارث ولما * خص به من محاسن جلد !

قلتُ له وأبْنُهُ يَطُوفُ بِهَا: «عُمُرُكَ فِينَا عِمَارَةُ الْبَلَدِ!
بَابِكَ ذَا فِي جَمَالِ صُورَتِهِ» صِرْتَ أَبَا الظُّبَى لَا أَبَا الْأَسَدِ.
هَاتِ أَسْقِنِيهَا إِنْ سَفَكَتَ دَمِي! «فَمَا بَقَتِي عَلَيْكَ مِنْ قَوْدٍ!

❦

فأقننا يومنا ذلك، وبتنا. فلما أصبحنا، أراد الكاتب الموصل أن يذهب. وكان
اليوم حسنا لركة غيبه، وملاحة صحوه. وكان للرجل غلام يحبّه، فأراد الركوب إلى
ديوانه، فأنشدته أبيات شعر فقلتها. فامر بحطّ سروح بغاله، وأخذنا في شائنا.
ومنها:

بُحْرَةٌ وَجْهٌ لَذَاكَ الْمَلَالِ وَفَتْرُهُ مُفْلَةٌ دَاكِ الْغَزَالِ!
صَلِّ الْيَوْمَ بِالْأَمْسِ، إِنِّي أَرَى: «لَهُ بِالْشُّعُودِ وَجُوهٌ أَتَّصَالِ.
هَوَاءٌ صَفَا، وَهَوَى مِثْلُهُ» نَحْمُرُ دَلَالٍ وَمَاءِ زُلَالِ.
وَعِمْ تَوْهْمُهُ كَالنَّوَى وَصَحْوُ حَقِيقَتِهِ كَالْحَالِ.
وَمِثْلُ الْيَوَاقِيتِ زَهْرُ الرُّبَى «وَقَطْرُ السُّدَى بَيْنَهَا كَاللَّآلِ.
إِذَا مَا دَنَتْ شَمْسُهُ لِلدُّبُو» لَهَا أَشْرَقُ تَوَارِهِ كَالذُّبَابِ.
وَذَا الدِّيرُ تَسْمَى بِغَزَلَانِهِ «شَعَائِبَتُهُ فِي صُوفِ الْجَمَالِ.
وَصَفْرَاءُ بَانِعُهَا خَاسِرٌ» وَلَوْ حَازَ عَنْ قَدَحِ بَيْتِ مَالِ.
أَيَا بَا مَخَايِلَ أَفْدَى ثَرَاكَ: بِقَيْسِي، وَمَالِي، وَعَمِّي، وَخَالِي!
فَكَمْ سَكْرَةٌ لِي قَلَّ الْأَذَا «بَيْنَ دَوَالِيهِهِ وَالْدَّوَالِي!
تَجُولُ خِيُولُ دَوَالِيهَا» فَذُمَّلًا مَا وَرَدَ ذَاكَ الْمَجَالِ.

وقوله فيه :

بِأَعْيَالٍ إِنْ حَاوَلْتُمَا طَلَسِي * فَأَنْتُمَا تَحِدَانِي ثُمَّ مَطْرُوحَا .
يَا صَاحِبَايَ هُوَ الْعُمَرُ الَّذِي جُمِعَتْ * فِيهِ الْمُنَى ، فَأَغْدُوا لِلدِّرْ أَوْ رُوحَا !
بَرٌّ وَبَحْرٌ بِهِ يَهْدِي نَسِيمُهُمَا * لِلرُّوحِ مَسْكَابُ الْمَاءِ الْوَرْدِ مَنْضُوحَا .
يَجْرُ صَيَّادُهُ الشُّوْطَ مُضْطَرِّبًا * حَيًّا ، وَقَانِصُهُ الْبَعْفُورَ مَذْبُوحَا .

وفيه يقول أبو حفص عمر بن الشَّحَنَّة الموصليّ النحويّ ، من قصيدة :

وَأَعْمِدْ إِلَى مَرِّ عَخَائِيلَ فَإِنَّهُ * مَحَاسِنًا لُسْرُورِ النَّفْسِ مِفْتَاحُ !
كَمْ فِيهِ مِنْ أَشْعَثٍ بَادٍ تُخَوِّبُهُ * تَهْفُو لَهُ نَفْسُهُ تِلْكَ الْأَكْزِيحُ !

وفيه يقول أيضا :

بِأَمْرِ عَخَائِيلَ ، وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى ، * سَقَيْتَ صَوْتَ سَحَائِبٍ وَتَوَارِقِ !
بِأَحْذَا تُوَارُ رَوْصِكَ إِذْ عَدَا * يَقْتَرِمْنَ دَمْعَ الْغَمَامِ الدَّافِقِ !
مَعَى خَلَعْتُ بِهِ الْعِذَارَ صَابِيًا * فِي غُنْجِ أَحْدَاقٍ وَزُهَيْرِ حَدَائِقِ !
أَيَّامَ أَجْرَى فِي مِيَادِنِ الصَّبَا * مُتَخَابِلًا جَرَى الْجَمُوحِ السَّابِقِ !

وسناني العصبديّان ، ابن شاة الله تعالى ، في ترجمته مع العجاة .

وبالله التوفيق !



دير متى

دير متى ^(١) - هو بالموصل، من الجانب الشرقي، على جبل شاخ، يعرف بجبل متى. يُشرف على رستاق يننوى والمرج، وهو حسن البناء، جيد الحصانة، وأكثر بيوته متقورة في الصخر، في نهاية الحسن والنظافة، ورهبانه لا يأكلون طعاماً، إلا جميعاً: في بيت للشتاء، وبيت للصيف.

ومتى جلس أحد في صحن هذا الدير، نظر إلى الموصل، وبنيهما سبعة فراسخ. وله عدة أبواب مفرطة في الكبر، وكلها من حديد مُصَمَّت. وبه صهرج عظيم يجتمع فيه ماء المطر، عمقه اثنا عشر ذراعاً؛ لكل شهر ذراعٌ من الماء، ويفتح هذا الصهرج من موضعين: في أعلاه وفي أسفله. فخرج ماؤه من أسدَن من صُفَر. وجملة أمره أنه عجيب عظيم في أمثاله.

وحوله من الأشجار ومن سائر الثمار. وفي حارحه مغارٌ في الحبل، فيها صناديق من صخر أطاق لموتاهم، ومتى أمتلأ نخرج رأس الدير مع رهبانه يهرعون أناجيلهم، ويجمعون العظام البالية منها، ثم يطرح في فجٍّ داخل هذا المغار.

قال: وبث ليلة فيه، مع بعض الرؤساء على شرب ولعب، فقلت:

فلاشكرن لدير متى ليلةً. مَزَقْتُ ظِلْمَتَهَا بِيَدِي مُشْرِفٍ!

حتى رأينا اللبل قَوْسَ ظَهْرِهِ. هَرَمٌ وَأَثَرُ فَيْدِ شَيْبِ الْمُقْرِفِ!

قال: وقرأتُ على باب دهليزه بيتين كُتِبَا، وهما:

مَادِيرَ مَتَى سَقَتْ أَطْلَالَكَ الدَّيْمُ! وَأَنْهَلْ فِيكَ عَلَى سُكَايِكَ النَّعْمُ!

فَا شَفْنِي غُلَّتِي مَاءً عَلَى ظَمَائٍ كَمَا شَفْنِي حَرَّ قَلْبِي مَأْوُكَ الشَّمُ!

(١) أطلأ أيضاً القروية (ص ٢٤٩)، وياقوت (ج ٢ ص ٦٩٤).

(٢) في الاصل: سبع.

دير الحنافس

دير الحنافس^(١) - وهو دبر صغير بالموصل، بالجانب الشرقي، على قلة جبل شامخ،
بشرف على أنهار بنبوى وصاعها .

وفيه طلسم طريف : يجمع له في وقت من السنة الحنافس الصغار اللواتي كالنمل،
حتى تسود حيطاه وبونه وسفوفه وأرصه، مدة ثلاثة أيام، ثم لا يوجد. ولهذا سُمي
دير الحنافس .

❦

قال الخالدي : وهذا معروف مشهور بالموصل . وإذا كانت تلك الأيام . أخرج
الرهبان أمتعتهم منه ، هربا منها .

قال . ولا أعرف فيه شعرا إلا ما قاله بعض بني عُروذ الشداني يرى أخاه ، مات
عده . فدفع إلى جاسه . ومنه :

١٠ قُرْبَكَ مَادَرَ الْحَسَائِسِ حُمْرُهُ ۖ بِهَا مَاجِدُ رَحْبِ الدَّرَاعِ كَرِيمُ !
طَوْتُ مِنْهُ قَدَامَ بَنِ مَرْهٍ فِي الرُّيْ ۖ هِلَالُ بَيْتِ اللَّيْلِ ، وَهُوَ بِهَيْمُ !
سَفَاكَ وَسَقَاهُ وَسَقَى صَرْبَجَهُ ۖ أَجَشُّ مِنَ الْغُرِّ الْعِدَابِ هَزِيمُ !
فَادَرُ أَحْسِنُ مَا اسْطَعْتَ حَوَارَهُ ، ۖ فَإِنِّي عَادِي عَيْكَ ، وَهُوَ مُقِيمُ !

قال : فناء بني عُروذ جميعا تروح عليه وعلى . وتاهم بهده الأبيات إلى اليوم ؛
وإذا رأت أحباؤهم به ، نَحَرُوا عليه وأقاموا مأتم .

١٥

دير باعربا - وهو بين الموصل والحديثة ، على شاطئ دجلة ، من الجانب الغربي .
بإزاء حرائر كنبره الشجر . فلما حلب من سَع . وهو جليل عند النصاري ، وفيه قبور
يعظمونها . وسأؤد عجب . وارتفاع حائط هككه نحو المائة ذراع . ماحوله بناء
يسده . وله مزارع . وفيه بيب صياغة ينزله من يخناز عليه .

دربا

(١) أنظر أيضا لـ (ص ٢٤٧) . وبقوت (ج ٢ ص ٦٥٨) . والشاشي (ورقة ١٣٢) .

قال الشبظمي : لما أنحدر سيف الدولة إلى العراق ، نزل دير باعربا ، وصرب مصر به على شاطئ دجلة ، ونغذى ونام . فلما كان وقت العصر دخل الدبر ، وصعد سطحه . فرأى منظرًا حسبا ، من بره وبحره وعلو مسترفه . فاستدعى شرابا ، ودعا سقاره العواد ، فضاءه . وكان معه من الدماء أبو اسحق اليسرى . ثم أسدعاني ، وسقارة يغني بشعر غث في وزن بارد . فأمرني بأن أعمل في عروصه ، فهاب بعد مئة ، اكبه لا ينجى .
فنه الحسن :

شرفاً ما دير عرباء ومحدداً بهما غنى مدى الدهر وتعمراً !
سنرى ما لك هذا ماء وردي ، وري صحتك ذا مسكاً وعبر .
إد على سطحك سبف الدولة القبر ثم الذي فاب الوري عزاً ومصحراً .
والذي إن سار في العسكر فرداً فهو في إقدامه ألف عسكر !



دير القيارة^(١) - وهو فوق دير باعربا ، على جانب دجلة العربي . نُسب إلى عبيد فيه ومعدن ، يستخرج منه القير . ونحته حمة عظيمه ، بمصده من به علته أعب الأطباء ، بفقيم به خمسة أيام . مسننعا في مائها ، فبراً من علته . وبسفي من القيرين وبسط التشج ، ويزيل الأورام الجاسية والراح الغلظه ، وبلحم الجراحات .

قال الخالدي . وسهل من مصدها ، أن يظل نهاره في مائها ، وياوي ليله هكل دبرها . وبدهه رهبانه بالطسوث . بنسبي بإذن الله .

وفه عبون بحرح . بها النط والقير . فنصل من السلطان بالوف دراهم في كل سنة . ومرافق هذا الدير كثيرة .
قلت : وسلم بذلك في موضعه .

دير بارقانا

دير بارقانا - وهو فوق الحديشة، على جانب دجلة الشرقى . ركب الماء ،
فى موضع نزه حسن . وناؤه محكم . وفلاؤه كثيرة الشجر والزهر . وله بساتين ومباقل .
وبقال إنه ليس فى سمك دجلة أسمن من سمك بصاد من شاطئه .

قال الخباز البلدى : آجرتُ به ، فرأيت من حسنه وبصارة شجره ، مادعاني إلى
المقام به والفصف فيه . وسألت رهبانه عن الشرب . فدلوني على راهب منهم .
فرأيناه طرهما ، وفلايته ملحفة ، وشرابه صافيا جدا . فأبعتُ منه . وأفتت عنده نهاري
وليلي . وملت :

أَلَا سَقَمًا إِرْقَه بَارِقَانَا . وَهَبَكِلَه الْمَشِيدَ وَالْقَلَالَى !
فَكَمْ مِنْ سَدْفَةٍ مَا كَرُبُهَا . مُعْصَرَةٌ كَمَثَلِ دَمِ الْغَزَالِ !
فَكَمْ عَامَتْ غُصَّاقِي أَعْتَدَالِ . بِهِ . وَلَمْتُ بِدِرَا فِي كَمَالِ !
وَحَادَ بِمَا أَحَاوِلُ مِنْهُ سَكْرًا . وَكَانَ مِمَّا نَبِي طَيْفِ الْخَالِ !

دير أبى يوسف^(٢) - وهو قريب من بلد^(٣) . بينه وبينها نحو فرسخ . على شاطئ
دجلة . وه وضعه حسن معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين ، مغروس الرُّبَى
بالنرجس . وهيكله حسن البناء . وهه عجائب من بدائع التصوير . ولرهبانه جِدَّةٌ ونعم .

دير أبى يوسف



(١) المقصود بها اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت طلوع الفجر إلى أول الإسماعيل . ويقولون أنه
سده أى فى سبه من الليل . ولها معان أخرى ذكرها فى تاج العروس أيضا . ولكن ما أحترته هو الذى
يعبه المقام .

(٢) أطرأ بها ياقوت (ح ٢ ص ٦٤١) .
(٣) اسم علم لمدينة مشهورة بالعراق . وتسمى لَطَّ واسمها بالعربية شبرا نادا (عن ياقوت) وتسمى بلد
الخطب (عن أبى العدا) .

ولا بُعِوزَه كُلُّ يَوْمٍ قَافِلَةٌ تَحْطُّ عِنْدَه لِتَأْخُذَ نَحْرًا . وَالْحِجَانُ تَقْصِدُه لِتَتَرَه فِيهِ بِطْنَايِرِهِمْ
وَعِبْدَانِهِمْ وَسَائِرَ مَلَاهِيهِمْ .

قال الخالدي : خرجت في بعض السنين إلى بلده مع كاتب لبعض أمراءنا .
وأحببت الشرب في دبر أبي يوسف ، فكتبته إليه .

بدير أبي يوسف حمرة . تريد على قلب البارو !
وترجمته كنسيم الحبيب عند محب له وامق !
ما ذا ترى فيه قبل استماع . همائم ناقوسه اللاطي
لتقنص بكرا خلوقه .. تحبر عن حكمة الخالق !

فعل . وأما به ثلاثة أيام في ألد عيش ، وأصغى وقت . ثم آنحدرنا منه .

١٠ دبر الشياطين - وهو بالمرب من أوصل (لله على قلبه من الحل على دجلة) .
في موضع حسن . وهو أوه رفيق لطيف ، وقلالبه عامرة كثيرة الأنجار . وأرصه
كثيرة الرإص . وله سور يحيط به ، ومشترف على سطح هيكله يشرف على دجلة
والجبل .

وفيه بول السرى الرفاء :

١٥ عصي الرساد فقد ماداه من حين . وراكص النني في تلك الميادين !
ماحن شيطانه العاق إلى بلده . إلا ليتقرب من دبر الشياطين !
وفتية زهر الآداب بينهم أبهى وأنضر من زهر البسائين !
مشوا إلى الراح مشى الرخ وأنصرفوا ، والشكر يمشي بهم مشى المرازين !

حتى إذا أُنطق الساقوس بينهم . مُزِينُ الخَصِرُ رُومِيُ القرايين ،
 حَتَّى أَقْداحَها يَبْضُ السَّوَالِفُ فِي . حُمْرِ الغلائِلِ فِي خُصْرِ الرُّبَاحِينِ .
 كَأَنَّها وَبِياضُ الماءِ بَهْرَعُها . وَرَدُّ بَصَاحِئِهِ أَوْرَاقُ نَسِيرِينِ .

دير مر سرجس ^(١) - وهو فوق بلد بثلاثة فراسخ ، على قُلة جبل عال . يبين للناظر
 من عدة فراسخ .

دير مر سرجس

قال الخالدي : وعلى بابه شجرة لا يعرف أحد ما هي : لا يسقط ورقها عند سقوط
 ورق الشجر ، ولها ثمرة تسبه اللوز . وفي جبله من الزراير تنبت عظيم . لا يفارقه
 صفا ولا شتاء ، لا يهدر على صيد نبت منها . وفي شعاب جبله أفاج كثيرة ، تمتع من
 صيد طيره ليلا .

قال : وفي أوديه حصي على شكل اللوز لا نادره .
 قلت : ولعل هذه الشجرة هي التي ذكرها ابن وحشية ، وقال إنها في الدنيا واحدة
 لا ثاني لها .

وحكى الخالدي ، قال : حدثنا الخزاز البلدي ، قال . نقلد بلدينا رجل من آل القرات ،
 وكان أديبا شاعرا . فأسحصى ، فما كنت أفارقه . فرأى يوما هذا الدير وسألني
 عنه . فوصفته له . فأحبت النظر إليه . فخرج وحملي معه . وكان ذلك في شتاء متصل
 المطر . فلما جئناه ، رأينا في جبله من الغدران ما ملأ أفوايفه . فلما صعدنا سطح
 الهبكل . فكر ساعة ثم ألسدني نفسه :

وهكلى تَبْرُز الدنبا لِشَرْفِهِ . حَتَّى يُعَايِنَ مِنْهَا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
 كَأَن صَبِيٍّ بَا مًا طَوَّلَ لَيْلِهِمَا : يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهِ الْفَلَا

(١) هو حلاف الذي سماه ياقوت "دير ما سرجيس" (ج ٢ ص ٦٩٣) ومثله البكري (ص ٣٧٤) .

دير صُباعي^(١) - وهو على شاطئ دجلة الشرفي، فوق تكريت قليل . وهو كثير الرهبان . وله مزارع وجُيَّات . ولرهبانه يسار وغني . وفيه يقول بعض لصوص بني شيان :

ألا ماربَّ سَلِّمْ دَيْرُ صُباعا ، وِرْدُ رُهبانِ هَبْكِلِه أَجْتَماعا !
فَكَمْ جِئناه أَمْواما سِغابا ، ورُحْنا مِه أَحْباءِ سِباعا !
فأَلَلْصُفْ ما أَمْرِي نَيْذا .. أَلَدَّ طَلّا وأَحْسَه شُعا !
إِعْمَتَه وَمِئْنَه عِلْبا ، عَمْرَنا وَحَرْبا الضَّعا !

عمر الزعفران

عمر الزعفران^(٢) - وهو على رأس جبل مطل على نصيبين ودار ربيعة من جانب ، وعلى طور عبيد وفردى وبعض ديار بكر من جانب آخر ، وبه كثير من الزعفران . وهو عجيب الساء ، كثير الرهبان . وفيه جئات لهم حسنة نصره مملوءة بسُجَر السدى والفسق والاوز العرك والزنون والطعم . وماؤه من صهاريج يجمع فيها ماء السماء . والصهاريج مملوءة في صخور . والتلح به ممكن . ولما نزل المتقي نصيبين أسمعته ماءه وأخاره على مائها وماء دجلة .

قال الخالدي : ولهذا الدير سبوت للضبافة في علو المسكل . والاسور نسور عجيب ، وعابه أبواب من حديد مُصَمَّت . قال : وشعر زعفرانه فاتق . ومنه ومن العسل أكثر يسار رهبانه . قال : وكان الأمير أبو الراكب يجرح إليه ، وأخرج معه . ففقيم به على شرب وسرور . وأمرني أن أعمل فيه شعرا . فقلت :

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٣) .

(٢) أنظر الكلام على دير الزعفران فيما تقدم من الصفحات .

عَطَلْتُ دَارِسَهُ الْمَغَانِي . وَعَمَرْتُ عُمَرَ الزُّعْفَرَانِ ،
وَأَقَمْتُ فِي غُرْفٍ لَدَيْهِ كَأَنَّهَا غُرْفُ الْجَنَانِ .
وَتَرَى قَائِمًا مُقَدِّمَةً بَأْسَ خُسْرَوَانِي .
وَمُعَانِي ظَنِّي وَبَدِي * رُدْجَةً وَقَضِيبُ بَانِ .
وَالرَّاحُ أَحْصَنُ جَنَّةٍ لَكَ فِي مُقَارَعَةِ الزَّمَانِ .
لَا تَأْمَنُ صُرُوفَهُ : * فَالْدَهْرُ لَيْسَ بِدِي أَمَانِ

قال : وأسدنى البعاً لبعه في هذا الدير :

صَفَحْتُ لَهَا الدَّهْرَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ . وَعَدَدْتُ يَوْمَ الدِّيرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ .
وَصَبَحْتُ عُمَرَ الزُّعْفَرَانِ بِصَجِهِ . أَعَاشَتْ سُرُورَ الْقَلْبِ بَعْدَ مَمَاتِهِ .
وَأَهْيَفَ فَانَحَرْتُ الرِّبَاضَ بِجُنْسِهِ * فَادْعَنَ صُفْرًا وَصَفْرًا لِصِمَاتِهِ .
فَلَمَّا دَجَا اللَّيْلُ أَسْنَعَادَ سَا الصُّحَى * بَرَّاجَ نَأْتٍ بِاللَّيْلِ عَنْ ظُلُمَاتِهِ .
وَنَمَّ إِلْبَاسُ دَنُهَا بِصَيَانِهَا * فَكَانَ كَقَلْبٍ ضَافٍ عَنْ خَطَرَاتِهِ .
وَحَزَفِي مَعَهُ ، نَحَلْتُ صَلِيبَهُ * لِسِتْدَةٍ مَانَتْخَاشٍ بَعْضَ وُشَاتِهِ !
وفيه يقول مُضَعَّبٌ ، الْكَاتِبُ :



وَقَانِلٍ قَالَ لِي : أَقْصِرْ ! فَقُلْتُ لَهُ : * أَمَا تَرَانِي بِحَثِّ الْمُرْدِ مَشْفُولا ؟
لَا أَعَشَى الْأَبْيَضَ الْمَنْفُوخَ مِنْ سَمَنِ * لِكِنِّي أَعَشَى الشَّمْرَ الْمَهَازِيلَا !
فَقَالَ لِي : أَنْبَ مَجْنُونٌ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : * لَا تُكْثِرَنَّ عَلَيَّ الْقَالَ وَالْقِيلَا !
إِنِّي أَمْرٌ أَرْكَبُ الْمُهْرَ الْمُضْطَرَفِي * يَوْمَ الرَّهَانِ ، فَدَعْنِي وَأَرْكَبِ الْفِيلَا !
وكذلك قال :

دَيْتُ أَمْشِي عَلَى الْكَفَّيْنِ الْمُسَّهِ * كَشِي مُسْتَرِيقٍ لِلْسَّمْعِ أَسْرَارَا !

فتر يمشق في قوطاسه قلبي * واللبل ملق على الآفاق أستارا!
فقال لما أجملي عن عينه وسن * وقد رأى نكة حلت وأزرارا:
بارافد الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرق أسحارا!

دير بار بيثا - وهو بنسوى، بأرض الموصل، على نهر الخازر، وبه بيت ضيافة.^(١)
وله عند المصاري قدر جليل.

قال الخالدي: رأيت في بعض السنين، وكان به راهب يقال له كور يال، من عبادة
المصاري فأصافنا أحسن صافة وأكرمنا أتم إكرام، بالطعام الكثير، والشراب العبق
الواسع، وعلف الدواب. وأكثر، فعظم في عني، وعانبه على الإسراف في فعله. فقال:
هذا والله رسمنا مع كل من ينزل بنا!

قال: وهذا الدير الذي قيل عنده عبيد الله بن زياد، قتله إبراهيم بن الأشتر، على
هذا النهر، وأنفذ رأسه إلى المختار في خبر يطول، ليس هذا موضعه.

دير حنظلة^(٢) - وهو بالحيرة، على نحو فرسخ منها، إلى المشرق. وموضعه حسن،
لما به من جينات رهبانه وأشجارهم، وما يلبسه الربيع من الرماض.
وأنسد الخالدي فيه لغيره شعرا، منه:

طرفتك سغدي بين شطى بارو! * مهي العدا لطيها من طارو!
يادير حنظلة المهبج لي الموى! * هل تسطيع صلاح قلب العائني



(١) هريين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل * يصب في دجلة.

(٢) أنظر "الأعلى" (ج ٩ ص ١٠٣ و ١٠٤)، والبكري (ص ٣٦٠) وحصوما ياقوت (ج ٢

ص ٦٥٥ وآخرى ص ٦٥٦ أيضا).

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني، وأنشد لبعض الشعراء فيه رجاء منه :
 ساحه الحيرة دبر حنظلّه . عليه أدبال السرور مُنبَلّه .
 أحييت فيه ليلة مُقبَلّه . وكأنا بين الندامى مُعمَلّه .
 والراح فيها مثل نار مُشعلّه .

دير الحائل^(١) - وهو قديم الباء، غربي دجلة، في عرص حربي . على الحد بين
 آخر السواد وبين أول أرض تكريت . وفيه كانت الحروب بين عبد الملك بن مروان
 ومُصعب بن الزبير . فقال ابن قيس الرقيات :

لهدأورث المِصرَين حِراودِلّة * قُبلَ بدبر الحائلِلق مُصِيم !
 فما نلتُ في الله بَكرُنُ وائِل * ولا صدقتُ عِند اللّقاءِ بِميم !
 وحكى أنه كان له علام أمرد صراني من أهل الجبهة . قال له عنبر بن إليا الصّري :
 وكان بعُصمه بكر بن خارجة ، وفيه يقول من شعره :
 أحرى ! مُت قَلَمك من هُمومي ! * وأرسدني إلى وجه الطّريني !
 فقد صافّت على جهات أمرى * وأنت المسجارُ من المِصقي !
 وفيه يقول يبين يحصرى منهما قوله :

زبّارُهُ في حَضره مَعقُودُ * كأنّه من كَيْدى مَقْدُودُ .
 قال أبو الفرج : وكان دَعِل يستحسسه ويقول : ليت هدين البتين لي بمائة بيت
 من شعري !

(١) Catholicon . وأطّر معلومات أخرى على هذا الدير الطبري (سلسلة II ص ٨٠٦ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣) . وآس الأثير (ج ٤ ص ٢٦٨) ؛ ومروح الذهب (ج ٥ ص ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٣) . وتاريخ العقوى (ج ٢ ص ٣١٧) . والكزى (ص ٣٦٧ و ٣٧١) . وخصوصا
 يافوت (ج ٢ ص ٦٥٠ و ٦٥٩) ؛ والشابشي (ورقة ٩) .

وفيه يقول محمد بن أبي أمية :

(٢٢٥)

رَأَيْتُكَ حَلَيْتِي دِينَ وَدُنْيَا : * حَيَاةَ لِلصَّجِيعِ وَلِلْفَرِينِ .
بَدَأَ لِي بَعْدَ مَا سَبَقْتُ يَمِينِي * بِهَجْرِكَ أَنْ أَكْفُرَ عَنِ يَمِينِي .

دير مريحنأ^(٢١) - وهو إلى جانب تكريت ، على دجلة . عامر بالقلايات والرهبان .
مطروق ، مقصود . منزل لكل مسافر . وبه ضيافة فائمة على أقدار الناس . وله مزارع
وتسعة وغللات كثيرة . وهو للنسطورية . وعلى بابه صومعة عبدون الراهب ، وكان من
الملوكبة . بناها فعرفت به . وفي هذا الدبر يقول عمرو بن عبد الملك الوراق :

أَرَى قَلْبِي قَدْ حَنَّ - إِلَى دَيْرٍ مَرَى حَنَّ !
إِلَى غِيْطَانِهِ الْمَبِج * إِلَى رُكْنِهِ الْغَنَّا !
إِلَى أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْ قَدَسَ أَوْ غَنَّا !
فَلَمَّا أَبْلَجَ الصُّبْحُ * بَزَلْنَا يَسَا دَمًا !
فَلَمَّا دَارَبَ الْكَاسُ * أَدْرَمَا يَسَا لَحًا !
فَلَمَّا هَجَعَ السَّمَاءُ * رَمْنَا فَعَاثَمًا !

قال الشاذلي : وكان عمرو هذا من الخلفاء الظرفاء المنهمكين في اللهو والنطرح

في الديارات . ومما أنشد له في الحجون قوله :

أَتُهَا السَّائِلُ عَنِّي - لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ .
أَمَا إِنْسَانٌ مُرِيبٌ - أَشْتَهِي نَيْلَ الْمَلَاخِ .

(١) في الأصل : لا . [وصححت بما يقتضيه السياق ، لأن الشاعر يقول انه بداه أن تكلم عن يمينه

بد أن أقسم بهر صاحبه] .

(٢) أنظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٧٠١) .

عمر أخويشا

عُمَرُ أَخْوَيْشَا^(١) - (وأخويشا بالسريانية الحبش).

قال الشاشي: وهذا العُمَرُ بِاسْعَرْدَ، من ديار بكر. وهذا العُمَرُ مَطْلٌ عَلَى أَرْزَنَ.
وهو كبير حبل، فيه أربعمائة راهب في فلاليهم. وحوله بساتين وكروم. وهو في نهاية
العمارة والتزهم وحسن الموقع وكثرة العواكه والخمر. ومنه يُحْمَلُ الخمر إلى اللُدُنْ.
وبه ربه عن عظممة ندر ثلاثة أرحاء. وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم. وبه أنواع
المُطَرِّين. وأنشد فيه اللبادي:

وَفِتْنَانِ كَهْمُكَ مِنْ أَنَاسٍ * خِفَافٍ فِي الْغَدَاةِ فِي الرِّوَاكِ.
هَضَّتْ بِهِمْ، وَسِترَ اللَّيْلِ مُلْتَقًى * وَصَوْتُ الصَّبْحِ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ.
تُؤْمُّ بِدِيرِ أَخْوَيْشَا غَزَالًا * غَرِيبَ الْحُسْنِ كَالْقَمَرِ الْيَاسِجِ.
فَسَاعَفْنَا الرَّمَانُ مِمَّا أَرْدَا، فَأَبْنَا بِالْفَلَاحِ وَبِالنَّجَاحِ!



عمر عسكر

عُمَرُ عَسْكَرٍ^(٢) - وهو أسفل من واسط، في الجانب الشرقي، في الهربة المعروفة
ببرخوى وبه كرسى المطران. وهو عُمَرُ كبير، كثير العلامات بْبَاحٍ عليها. ويحيط
به بساتين كثيرة وغللات واسعة.

وفيه بقول محمد بن حازم الباهلي، وكان قد قصده أيام مقام الحسن بن سهل

بواسط:

١٥

(١) سمى له الشاشي وياقوت "أخويشا" بالخط الممثلة. وأعطوا أيضا كلامه الثاني باسمه في (ج ٢

ص ٦٤١)، والأول في (ورقة ٨٦).

(٢) في ياقوت "عسكر" وقد ذكره أيضا في أسماء البلاد وأشار إلى هذا العُمَر.

(٣) » » رحونية.

بُعْمِرَ عَسْكَرَ طَابَ اللَّهُ وَالطَّرْبُ . والباذكاراُ والأذوارُ والتَّخَبُ !
وفتيهٌ بذلوا للكأس أنفُسَهُمْ . وأوجبوا الرضيع الكأس ما يَجِبُ .
فلم يزل في رِيَاضِ العُمُرِ نَعْمُهَا . قَصُفاً ونَعْمُهَا اللذاتُ والطربُ .
والدهرُ قد طُرِفَتْ عَمَّا نَوَاطِرُهُ * فاستُرِعْنَا الأحداثُ والنُّوبُ .
قال الشاشني : وأنشدني من ملبح شعره قوله :

صِلْ نَمْرَةً بِجَمَارٍ * وَصِلْ نَحْمَارًا بِجَمْرٍ !
وخذُ بحظك منها * كأساً إلى حيث تَدْرِي !
قال : فقلتُ له : إلى أنْ . ويحك ! فقال إلى النار ، ما أحق !
وأنشد له :

حَدَّدَا مَجْلِسًا لِمَهْدِ الشَّابِ . وَأَرْعَا حُرْمَةَ الصِّبَا والتَّصَابِي !
بِكُحُولٍ إِذَا اسْتَقَرَّتْ حُمَا السُّكَّاسِ لَمْ يَنْطِقُوا بِعَبْرِ الصَّوَابِ .
مَارَسُوا شِدَّةَ الزَّمَانِ فَلَانُوا * وَأَسْتَفَادُوا مَحَاسِنَ الْآدَابِ .
فاسْقِيَانِي إِذَا تَجَاوَيْتِ الْأَوَّ . مَارْكَاسًا لِإِدَّةِ الشَّيْبَابِ !

٢٧
دير الأسكون

دير الأسكون^(١) - ذكر مُصَنِّفُ دِيَارَاتِ الحَيْرَةِ ، أَنَّهُ رَاكِبٌ لِلنَّجَفِ . قَالَ :
وهو أنزه دياراتها ، وفيه قلالٌ وهياكل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم . وهو
حصن منيع . له سورٌ عالٍ . وبابٌ من حديد . ومنه يهبط إلى غدير الحيرة . وأرضه
رَضْرَاضٌ ورمل أبيض . وله مشرعةٌ يقابل الحيرة ، لها درج إذا انقطع النهر كان منها
شرب أهل الحيرة . قال : وإليه تجتمع النصارى في أعيادهم وفي كل يوم جمعة بعد

(١) سماه ياقوت "دير أسكون" وأنظر كلامه عليه (ج ٢ ص ٦٤٣ و ٦٨٧) .

صلاة الجمعة . فإذا كان يومُ الشعانين ، أتوه من كل ناحية ، مع شماميسهم بصلبهم وأعلامهم . فإذا استتموا فيه وفي القصر الأبيض والعلالي المدانية ، خرج أسقفهم بهم إلى مكان يعرف بفضيات الشعانين (وهي فِباب على ميل من ناحية طريق الشام) فأقام بهم فيها يومهم ذلك إلى آخره . ولكل منهم يومئذ شأن يُغنيه .

درجة

٥ دير حنة^(١) - هو بالحيرة ، من بلاء نوح . هكذا نقلته ولا أعرف من هو .

وإلى جانبه قائم . حكى أحمد بن عمر الكوفي ، قال : كان بالكوفة رجل أديب صنف الحلال ، مهما وقع في يده من شئ ، أتى به دير حنة فيشرب منه حتى يسكر . ثم يصرف إلى أهله . ويقول : يُعجبني من الغراب نُكُورُهُ في طلب الرزق . وربما بات به . ويقول :

١٠ نَطَاوَلَ لِبُكَ بِالرَّابِوَةِ . وَكَانَ الْمَيْتُ بِهَا عَافِيَةً .
وَمِنْ تَحْتِ رَأْسِكَ آجِرَةٌ . وَجَنَّبُكَ مُلَقٌّ عَلَى بَارِيَةٍ .
وَدَلِكْ خَبْرٌ مِنَ الْإِنْصِرَافِ . فَحُكِّمْ بِكَ بَنُو الزَّانِيَةِ .
وَتَصَيِّحُ إِتْمَارِهِنَ الشُّجُورِ . وَإِقَامَتَيْلًا عَلَى سَاقِيَةٍ .

قال : فوحد والله بعد أمام فتيلًا على ساقية ! وهو القائل :

١٥ مَالِدَةُ الْعَيْسِ عِنْدِي عَيْرٌ وَاحِدٌ . هِيَ الْبُكُورُ إِلَى بَعْضِ الْمَوَاحِيرِ .
لِحَامِلِ الدُّكْرِ مَا هُوَ بِوَاتِقِهِ . سَهْلُ الْعِبَادِ مِنَ الْقُرَى الْمَدَائِيرِ .
حَتَّى يَحُلَّ عَلَى دِيرِ ابْنِ كَافِرٍ . مِنْ الصَّارِي بَيْعِ الْخَمْرِ مَشْهُورِ .
كَأَنَّمَا عَقَدَ الزُّنَارَ فَوْقَ نَقَا . وَأَعْتَمَّ فَوْقَ دُبْحَى الظُّلُمَاءِ بِالنُّورِ .



١ (١) وأطرا أيضا ما رواه عنه ياقوت (ج ١ ص ٣٤٥ - ج ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) :

والكبرى (ص ٣٧٣) .

وفيه قال الثرواني :

يومي بهيكلٍ دِيحَنَةٍ لم يَزَلْ * غُرَّ السَّحاب تجودفه وتمرَعُ .
متجوشنٌ طورًا وطورًا شاهراً * بيض السُّبوف وتارةً يتدرَعُ .
وكذلك قال فيه بكر بن خارج الكوفي^(١) :

أَلَا سُبَى الحَوْرَقِ من مَحَلٍّ . طارِفِ الرُّوضِ مَعْشوقِ أَيْوٍ !
أَمْتُ بَدِيرِ حَنَنِهِ زَمَانَا . بُسْكَرٍ في الصُّبُوحِ وى الغُبُوفِ .
ومنا لابسٌ إكليلَ زهري . ومغصبُ السَّوَالِفِ بالخَلُوفِ .
كَأَنَّ رِيَّاصَهُ حُسَا وَنُورَا . سَحَابٌ ذُهِبَتْ بَسَنَا البرُوفِ .
كَأَنَّ تَفَاطَرَ الأشجارِ فيه . إِذَا غَسَقَ الظَّلَامُ ، قِطَارُ بُوُقِ .
وما ذا سُنَّتَ من دُرِّ الأَقَاحِي هَالِكٍ وَمِنْ يَوَاقِبِ التَّسْقِيقِ .

وقد ذكر دير حمة أبو المرحج الأصفهاني وقال : ذكره أبو نواس في شعره ، يعني في قوله :

ناديَ رَحْمَةً من ذاب الأَكْبَرُاجُ ! . من يَصْحُحُ عَنكَ فإني استُ بالصاحي .
بِعَادِهِ كُلُّ جُفُوفٍ بِعَارِفِهِ^(٢) . من الدِّهَانِ عِلْمُهُ تَخْفُ أَمْسَاجِ .
في فِتْنَةٍ لم يَدَّعِ منهم تَخَوُّفُهُمْ * وَقُوعَ مَا حَدَرُوهُ عَيْرَ أَشْبَاجِ .
لا يَدْلِفُونَ إلى ماء بَانِيَةٍ . إِلَّا أَعْتَرَفَا من العُذْرَانِ بِالرَّاجِ .

(١) انظر أحاده وأتعاره في الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٧ و ٨٨) . وليست فيها الأبيات التي أوردها

آن من فصل الله ها .

(٢) باقوت : معارقه .

قال : والأكيراح بلدٌ نَزِهٌ كثيرُ البساتين والرياض والمياه . قال : وبالْحِيرة أيضا موضعٌ يقال له الأكيراح فيه دير . والأكيراح قِبَابٌ صفار يسكنها الرهبان . يقال للواحد منها الكِرْحُ .

دير عبد المسيح ^(١) - وهو بطريرك فينيقية ! شدة عبد المسيح بن عمرو بن بَقِيلَة . وقال إنه عمر دهرًا طويلًا . ولحق خالد بن الوليد ، حين فتح الحيرة . وله معه خبر طويل . وحكى بعض أهل الكلام ، قال : قرأتُ على حائطه مكتوبًا :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ ضِدًّا . وَلَا تُبْجَى مِنَ الدَّهْرِ الْخُلُودُ !

وَلَا يُبْجَى مِنَ الْآحَالِ أَرْضٌ . بَحُلُّهَا وَلَا قَصْرٌ مَسْدُ !

وحكى آخر قال : فرأيتُ على حائطه أيضًا :

هَيْدَى مَارِلُ أَقْوَامٍ عَيْهَدُهُمْ . فِي خَفِصِ عَيْشٍ خَصِيبٍ ، أَلِهَ خَطَرُ !

دَارَتْ عَلَيْهِمْ ضُرُوفُ الدَّهْرِ فَاسْقَلُوا . إِلَى الْقُبُورِ ، فَلَا عَيْشٌ وَلَا أَثَرُ !

وقد ذكره الأصمعيّ ، في أخبار لاحاحه فيها . وقال : وكان عبد المسيح قد بنى دبرًا في بقعة بالحيرة يقال لها الجرعة . كان يترهب فيه حتى مات . ثم حرب الدبر ، وظهر فيه أَرَحٌ مفود من حمارذ . وطنوا فيه كنزًا ، فمتحوه . فاذا سرر رخام ، عليه رجل ميت . وهد رأسه لوح فيه مكتوب :

حَاتَّ الدَّهْرُ اسْطَظَرَهُ حَيًّا . وَنَلَتْ مِنَ الْمُنَى فَوْقَ الْمَزِيدِ .

وَكَدَتْ أَنْالٌ فِي الشَّرَفِ الثَّرَامَا . وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ .

(١) أنط أيضا - (ج ٢ ص ٦٥١ ، ٦١١) .

دير الحريق^(١) - هو بالحيرة . ساه النعمان بن المنذر على ولده كان له ، عُدِيَ عليه
واحرق فيه . وإلى جانبه قبة تعرف بقبة السُنْبِي^(٢) ، و [قبة] تعرف به غُصْب . وهما
راهبان سبا إليهما . وهما بديعتا الباء .

وفي الدبر وفيهما نقول الثرواني :

دير الحريق وقُصَّة السُنْبِي . مَغْنَى لِحِلْف مُدَامِيهِ وَفُسُوفِ
وَطَنُ امْرِئِهِ شَرِيفٌ بَدْمَعَتِي . وَلِرَحْلَتِي عَنْهُ عَصَصْتُ بِرَبِي

حكى حمزة بن أبي سلامه ، قال : كان الثرواني جاري بالكوفة وكان كثير الإلمام
بالدبارة ، فما كُنِي في يوم شعاعين وقال لي : أعزم بنا اليوم على الشرب في دبر
الرب ، لأنه يوم سبقصده فيه خلق . ولي به صديق من رهبان طربف ، ملح
الغلاة ، جدد الشراب ، فهلُم ! نزه أعننا فيما نراه من الجوارى والغلمان ، ثم عدل إلى
قلاية صديقا فشرب على سطحها المشرف على الرماض . فخرجنا فرأينا من النساء
والوصائف والولدان في الحلي والحلل مالم أر مثله قط . فلم يزل يعث وبتعرض ،
وببيل ويعانق - وكان معروفا بذلك - فما أحد سكر عليه فعله ، إلى بعد الظهر . ثم أتيا
قلاية صديقه الراهب ، فلفه بالإكرام والترجب . فدخلوا قلايته . فما رأيا أنظف
من آلاتها ، ولا أنصر من بستانها . ثم قدم لنا شيئا من طعامه ، فاصصا منه . ثم صعدنا
سطحها . وجلسا ننظر إلى منظر يبهج حسنا وحالا : من رماض وغدران وطير
يصقر . ونحن نسرب حتى ثُمنا . ونمنا هناك . وعدونا على الكوفة . فقلت له : نترك

(١) أطل ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

(٢) في الأصل بالمعجمة في هذا وفي الآتي بعده . والتصحيح من ياقوت فقد ذكره في باب السين .

المهملة ، وكذلك المحمد (في الفاموس) . ٢٠

هذا اليوم مع حسه، عاطلا من حلى شعرك^١ فقال: لا والله! ولقد عملت في ليلتي هذه، هذه الأسات، ثم أنشدني:

خرجنا في سَعَايِنِ النَّصَارَى . وَشَيْعِنَا صَلِيبَ الْخَالِئِينَ .
وَلَمْ أَرْ مَطَرًا أَحْلَى بَعِي . مِنْ الْمُتَقَبَّاتِ عَلَى الطَّرِيقِ .
حَمَلُ الْخُوصِ وَالزَّيْتُونِ حَتَّى . بَلَّغَنَ بِهِ إِلَى دِيرِ الْحَرِيقِ .
أَكَلْنَا مِنْ مَالِ الْخَطَابِ عِنْفًا . وَأَصْمَرْنَا لَهْنًا عَلَى الْقُسُوفِ .

دير ابن مرعوق^(٢) - وهو بالحيرة، قريب من دير الحريق . في أنزه القاع، زهرا ورهيق هواء وتدقيق ماء . ودسوق إله الترواني من بغداد، فقال .

دِيرُ الْحَرِيقِ وَسِعَهُ الْمَرْعُوقُ^(٣) . بَيْنَ الْعَدِيدِ وَقُبَّهِ الشَّنَقِ .
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الصَّرَاةِ وَطَبِهَا . عَدَّ الصَّاحِ وَمِنْ دُجَى الطَّرِيقِ .
نَاصِحًا! فَاحْتَبِ الْمَلَامَ أَمَا تَرَى . سَمِعَا مَلَامَكَ لِي، وَأَنْتَ صَدِيقُ^(٤)
وَعَدَّ دَكْرَهُ أَبُو الْفَرَحِ، وَأَنَسَدَ لِلتَّرَوَانِي فِيهِ وَفِي دِرْفَانِيُونَ هُوَلَهُ .

قُلْتُ لَهُ وَالْأَحْشَاءُ حَانِيَةً . فِي لَبْلَةِ الْمَضْجَعِ أَوَّلَ السَّحْرِ:
هَلْ لَكَ فِي مَارِ فَابُونٍ وَفِي دِيرِ ابْنِ مَرْعُوقٍ عَيْرٌ مَمَصِيرٌ^(٥)
فَقَصَّ هَذَا السَّبْمُ مِنْ طَرَفِ النَّسَامِ وَدَرَّ النَّدَى عَلَى الشَّجَرِ .
وَنَسَأَلُ الْأَرْضَ عَنْ بَسَاشَتِهَا . وَعَهْدِهَا بِالرَّبِيعِ وَالْمَطَرِ .

(١) في الأصل: حلا .

(٢) سماه ياقوت "دير المرعوق" وأظهر كلامه عليه في (ج ٢ ص ٧٠١) .

(٣) في الأصل: ربيع .

(٤) في ياقوت يقتضيه وريح الندی عن المذمر .

قال : ودير فاثيون أسفل الجحف ، ودير آبن مزعوى محذاء قصر عبد المسح ،
بأعلى الجحف . وفيه بقول الترواني :

تَقَرُّ مُضِلَّ عَيْنِكَ لِي وَصَلِي ، . وَفَعَلْتَ لِي مُمِيراً بِالْجُودِ
تُسَكِّنِي ، وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا . هَوَى بَيْنَ الْعَطْفِ وَالصَّدُودِ !

وفال أيضا :

كُرَّ الشَّرَابُ عَلَى نَسْوَانٍ مَصْطَبِحَ . . قَدْ هَبَّ يَسْرِبُهَا وَالدَّبْكُ لَمْ يَصِحْ .
وَاللِّبْلُ فِي عَسْكَرٍ جَمَّ نَوَارِقُهُ . . مِنْ النُّجُومِ وَصَوُّ الصَّحَى لَمْ يُلْجِ .
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا أَنْ تُبَاكِرَهَا . . صَهَاءً تُثَلِّمُ هَمَّ النَّعْسِ بِالْفَرَجِ .
حَتَّى يَظُلَّ الدِّيُّ قَدْ بَابَ بَشْرِبُهَا . . وَلَا بَرَّاحَ بِهِ يَخَالُ كَالْمَرْجِ .

دير آرت مريم - هو بالحيرة ، من بناء المنذر . وهما ديران مقابلان ، وبنيهما
مدرجته الخانح وطريق السائلة إلى القادسية . وهما منرفان على الجحف . ومن أراد
الخوَرَقَ عدل عن جادتهما ، ذات اليسار . ومن شعر الترواني فهما :

(٣٣١)

دَعِ الْأَمَامَ فَعَلْ مَا أَرَادَتْ . . إِذَا حَادَتْ بُدْمَانٍ وَكَاسِ !
وَمَارِ مَرِيَمَ وَالصَّحْبُ فِيهِ . . حَدَّثَانِ مِنْ وَرْدٍ وَأَسِ .
وَطَبِي فِي لَوَاحِظِ مُقَاتِبِهِ . . نَعَّاسٌ مِنْ مَوْرِ لَا نَعَّاسِ .
وَحِلٌّ لَا يَحُولُ عَنِ النَّصَابِي . . دَكُورٍ لِلْمَوْدَةِ عَيْرٍ نَاسِي .

(١) سماء ياقوت والكوي "دير فثيون" . وأصل كلام الأول عليه (ج ٢ ص ٦٨٣) . والثاني
(ص ٣٨٠) .

(٢) في الأصل : ع .

(٣) أصل ياقوت (ج ٢ ص ٦٩٢) . والكوي (ص ٣٧١) .

وَمُخْتَصِصٍ لَطُورٍ فَصِيحٍ * نَفْتَنِي بِسَعْرِ أَبِي نُوَّاسٍ .

وما اللدائن إلا أن تَرَايَ صَرِيحًا يَنْبُاطُ بِطَيْيَةِ وَكَاسٍ !

وفدد كره أبو العرج وقال : كان قَسٌّ يقال له يحيى بن حِمَارٍ ، ويقال له بوشع ،

تألفه الغناد ويدُربون على سطحه وفي فلاته ، على قراءة الصاري وضرب الوافيس .

وفه قال بكر بن خارجة ، أو غيره :

يَتَنَا مَارَبَ مَرَبٍ ! * سَمِيًّا لِمَارَبِ مَرَبٍ !

وَلَفَسَهَا يَحْيَى الْمُهَنِّمِ بَعْدَ نَوْمِ الثَّوَمِ !

وَالْمُوشَعِ وَلِخَمَرِهِ * حَمْرَاءَ مَثَلِ الْعَدَمِ !

وَلِيَتَّبِعُهُ حَقْوًا بِهِ * يَتَصُّونَ آوَمَ الْأَوَمِ !

يَسْقِيهِمْ طَيُّ أَعْنُ لَطِيفُ عُلَى الْمُعَصَمِ !

رَمَى بَعْدَهُ الْفَلَوُ * بَ كِمِثْلِ رَمَى الْأَسْمَمِ !

قَلَّايَةَ الْقَسِّ - وهي بالحيرة ، في موضع حس . وكان الْقَسُّ الذي تنسب إليه

قلاية القس

من ملاح الصاري . وكان داسكا ، ثم صار فاتكا . وفه قبل :

قَلَّايَةَ الْقَسِّ ! مَالِي عَنْكَ مُصْطَبِرٌ ! * وَمَنْ إِلَى مَنْ لَحَاهُ فَيَكِ يَعْتَدِرُ

فَكَمْ لَدَيْكَ نَسِيمٌ ذَبْلُهُ عَرِيقٌ * وَكَمْ لَدَيْكَ هَوَاءٌ جَبُّهُ عَطِيرٌ !

وَتَرَبَةٌ وَعِاءٌ : ذِي يَزُولُ بِهَا سَفَمُ السَّفِيمِ ، وَذَا يُجَالِي بِهِ الْبَصَرُ !

وَمَاءٌ مُزِيلٌ تَكْفُّ الرِّيحُ بَصْفَلَهُ . وَكَلَّمَرَابَا بِلَى الْأَوْشَالِ وَالْقَدَرِ .

وفدد كره أبو المرح وقال :

حَلِيلِي مِنْ يَمٍّ وَغَحْلٍ ، هُدَيْتُنَا ! * أَصِيبَا بَحْثَ الْكَاسِ بَوْمِي إِلَى أَمْسِي !

١٣٣

وإب أتما حيتاني نحيّة ، فلا نعدوا ريثان قلاية القس !
إذا ما به حيتاني ، فأخلوا ، حبيد دوي بالخلوف وبالورس !
وإن قلتما : لا بد من شرب دائر ، ولم تغدرا في مطال ولا حبس ،
من فهو حيرة رهيبة ، عنفة خميس أو زبد على خمس ،
نجر على قرع المزاح إرارها ، ونعتال منه في مصبغه العرس !

دير حنة الكبير^(١) - قال الخالدي : هو بالحيرة في الأكيراح ، غير دير حنة الذي
قدمنا ذكره . يقال إنه بني حين نهب الحيرة ، وكان من أنزه الديرة ، أكثره إسانيه
وندفى مباحه .

حكي محطة عن بعض أهل الحيرة ، قال : أجاز بنا عمر بن مروح الرحجي^(٢) ،
مصرفا من الحج . فتلباه وأعظماه ، وسرا معه . فلما أجاز بدير حنة ، سأله
عن مقامه به . فقال : من ذا الذي يقول :

نادير حنه من داب الأكيراح !

فقال له الحسين بن هشام الحيري : هذا لأبي نواس . أفتحب أن أسندك
لشاعرنا الثرواني شيئا يهرب من هذا المعنى ، في هذا الدير ؟ قال : قل . فأنسده :

(١) أطر ياقوت (ج ١ ص ٣٤٥ - ج ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) . وقال ياقوت إنه لا بدري
أن كان الدير الذي بالأكيراح هو من الذي بالحيرة . ومن البكري على أنها آثان (وأطر تفاصيله
في ص ٣٧٣) .

(٢) في الأصل : دي

(٣) كان هو وأبوه من أعاد الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل ، مثل الودراء ودوي الفواور
الجليلة (أطر الأمان ج ٩ ص ١١٤ - ج ١٩ ص ١٤١) . وأطر معجم اللغات ج ٢ ص ٧٧٠

على الرِّيحان والراح . وأيام الأَكْبَرِاج
 وإبريق كَطِيرِ الما . . . في لَجَّةِ صَحْصَاج .
 سلامٌ يُسَكِّرُ الصَّاحِي . وما فيه فَنِّي صَاح !
 ومَنْ لِي بِهِ السَّلَو . ه عن وَحْه آبن وَصَّاح
 عزالٌ صَبَّحَ من قَسَنِهِ أَدَانٍ وأرواج !
 إذا راحَ إلى البَعَثِ في أثواب أَمْسَاج ،
 ففِي كَفِّهِ إِمْسَادِي . . . وفي كَفِّهِ إِمْلَاحِي !

قال : فاستحسن الأبيات وأمر كاتباً معه بكتبتها . وجامع على الحسين بن هشام .
 وأجازه .

①٢٢

- وَحكى مَحْظَه قال : زُرْتُ إِبْرَاهِيمَ بنَ المَدْبَرِ ، وَكانَ بالكُوفَةِ ، فَأَكرَمَنِي وَأَسَ بِي .
 وَأَقَمْتَ عِندَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، بَخْرَى نَوما دَكرَ دَرَجَتِهِ ، فَقالَ آبنُ المَدْبَرِ : وَاللّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ
 أَنْ أَرَاهُ وَأُسْرِبَ فِيهِ ، فَقَدْ ذُكِرَ لِي حُسْنُهُ ! فَأَينَ هُوَ مِنَ الحَيْرَةِ ؟ فَدَلَّهَ إِسْمَاعِيلُ بنَ
 الحُسَيْنِ العَلَوِيَّ عَلَيهِ وَقالَ لَهُ : فِي هَذِهِ الأَيَّامِ يَبْنِي أَنْ تُقَصِّدَ . لِأَنَّها أَمَامُ رَبيعٍ وَرِياضِ
 . . . نَعْمَ الرِّهْرِ . وَالعدْرانِ . وَالنَّادِيَةِ بِمَرْبِهِ ، فَلمَ بَعْدَ أَعْرَابِيَا فَصْبَحَا بِطَيْرِ إِلَيَّا ، وَنَحْنُ فِيهِ ،
 فَبَهْدِي إِلَيَّا بَيْضَ نَعامٍ ، وَبَنَحْنِي لَنَا الكَماةَ . فَمَعْتَمِدَ آبنُ المَدْبَرِ إِلَيَّ عَلِمَاتِهِ بِإِعْدَادِ ما يُنْجِاجُ
 إِلَيْهِ . وَحَرَجَ وَخَرَجَتْ حَتَّى وَاقِبَاءَهُ . فَاذا هُوَ حَسَنُ السَّاءِ ، وَالرَّياضُ مَحْدَفَةٌ بِهِ ، وَنَهْرُ
 الحَيْرَةِ الَّذِي هَالَهُ الْغَدِيرُ بِهَرَبٍ مِنْهُ . فَضَرَبْتُ لِي حِمِيَّ عِندَهُ . وَخَرَجَ إِلَيَّا رَهْبَانَهُ ،
 وَحَمَلُوا إِلَيَّا مِمَّا عِنْدَهُم مِنَ التَّحَفِ وَاللُّطْفِ . فَأَكَلْنَا وَجَلَسْنَا نَشْرَبُ . وَغَيْتَهُ بِشَعْرِ
 ابْنِ نَواَسِ الْمَفْتَمِ . فَبَيَّنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ أَجْتَازَ بِنا عَلامٌ حَسَنٌ ، عَارِضُهُ كَأَنَّهُ بَدْرٌ عَلَى

غصن، معه مصحف من مصاحف البصري، كامل العفل، ساحر الفخط واللفظ .
فشرب ابن المدبر على وجهه رطلا، وسقاه قَدْحًا . وأستأذنه الغلام في الهوض، وقال :
معي مصحف لا تتم للربان صلاةٌ إلا بحضوره . وهذا وقت صلاتهم، وقد صربوا
الناقوس منذ ساعة . وأخذ عليه العهد في الرجوع إليه وأمر له بمائة دينار . وعملتُ
٥ شعرا صنعت فيه صوتا . فما زال صوته طولَ مقامه . وهو :

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ بِنَا مُسِرَّعًا * يَسْعَى إِلَى الدَّيْرِ بِأَسْفَارِهِ !
خَدَمْتُ رَبَّ الدَّيْرِ مِنْ أَجَلِهِ * حَتَّى كَأَنِّي بَعْضُ أَخْبَارِهِ .
حَدَرَنِي السَّارَ وَلَمْ يَذِّرْهُ * فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ مِنْ نَارِهِ .
حَيْرَنِي تَفْسِيرُ أَجْمَانِهِ * وَحُلُّ عَفْدِي عَقْدُ زُنَّارِهِ .

١٢٥

وأقمنا مكاننا ثلاثة أيام، ثم عدا إلى الكوفة وقد عملتُ في تلك الأيام وغيت فيه :

وَبِالْحَيَرَةِ لِي يَوْمٌ ، وَ يَوْمٌ بِالْأَكْبَرِاجِ !
إِذَا عَزَّ بِا الْمَاءُ * مَرَجْنَا الرَّاحَ بِالرَّاحِ !

وحكى الربيع عن بعض أهل الحيرة قال : كان في دير حته نمار يقال له مرعبدا ،
موصوف بجودة الخمر ونظافة الآنية وملاحنة الحانة . فحكي مرعبدا قال :
١٥ ماشعرتُ يوما وقد فتحتُ حاويتي وجلست إلى جانب الحبكل ، إلا بثلاثة فوارس
قد أقبلوا من طريق السماوة في البر، حتى وقفوا على ، وهم ملتزمون بمائم الخنز وعليهم
حُلُّ القصب . فسلموا على وأسمر أحدهم وقال : أنت مرعبدا ، وهذا دير حته "
قلت : نعم . قال : قد وصفت لنا بجودة الشراب والنظافة ، فأسقني رطلا . فبادرتُ
ففسلت يدي ثم تقرت الدنان ونظرتُ أصفها فبزلته . فشرب ، ومسح يده وفمه

بالمندبل . ثم قال : آسفنى آخر : ففسلتُ يدى وتركْتُ ذلك الدنَّ وذلك القدحَ
والمندبل ونفرت دنا آخر . فلما رصيتُ صفاءه ، بزلتُ منه رطلا فى قدح ، وأخذت
مديلا جديدا . فناولته إياه فشرب كلاؤل . ثم قال : آسفنى رطلا آخر . فسقيته
فى غير ذلك القدح وغير ذلك المندبل . فشرب ومسح فمه ويده . وقال لى : بارك
الله فىك ! فما أطيبَ شرابك وأنظفَكَ وأحسنَ أدنك ! وما كان دأبى أن أشرب
أكثر من ثلاثة أرتال . فلما رأيت نظافتك دعتنى نفسى إلى شرب راع ، فهاهنا !
فناولته إياه على ملك السبيل . فشرب وقال : لولا أسبابُ تمتع من بيتك لكان حبيا
إلى جلوسى يومى هذا فيه . وولتُ منصرفا فى الطريق الذى بدا منه . ورمى إلى أحد
الراكين اللذين كانا معه بكيس . فقلت وحق النصرانية ! لا قبلته حتى أعرف
الرجل . فقال : هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ! وصمت له ، فأقبل من دمشق
حتى شرب من شرابك ورأى ديرك والحيرة . ثم أنصرف . فخلات الكيس فإذا هو
أربعمائة دينار .



دير هند^(١) - (وهى بنت العمان بن المنذر) بياه لها أبوها لتتعبد فيه . فلما فرغ

دير هند

- (١) أطر الكرى (ص ٣٦٢) ؛ وياقوت (ح ٢ ص ٧٠٧) . "واللذان" للهمدان (ص ١٨٣) .
وآس العبرى (ص ١٧٢) . "رضح الطيب" (ح ١ ص ٣٢٩) . وهناك ديارات أخرى تأسم هند بمصبا
يسمى هند الكرى ومصبا . هند بنت العمان ومصبا بهند الأقدم ومصبا بنى هند . وأطر الصاصل عليها
فى الأمان (ح ٢ ص ٣٣ و ٣٤ ، ج ٨ ص ٦٤) ؛ والطبرى (سلسلة I ص ٢٤٩٤ ، سلسلة II
ص ٦١٩ و ٦٢٠ و ١٨٨٢ و ١٩٠٣) . وآس الأثير (ح ٤ ص ١٨١ ، ح ٥ ص ٢٤٧) ؛
"والكامل" للرد (ص ٢٦٦) ؛ وآبن الأثير (ج ١ ص ٣١٥) . وهناك دير آخر تأسم هند فى دمشق
(ياقوت ح ٢ ص ٧١٠) . وقد تختلط هذه الاسماء بمصبا ، ولكن اليامات والمواطن التى أوردتها هنا
تسمح تمام التمييز لمن يريد البحث عنها واستقصاءها .

منه، خرجت من قصر أبيها تُريده . فأقامت في الطريق سنة تنزل المضارب في نُزهِ
وصيد . والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرسخ . وشق له بشر بن مروان نهرا من
الفرات . ولم يزل النهر يجري حتى حرب الدير .

وحكى أن النعمان كان يصلى به ويتقرب فيه، وأنه علّق في هيكله خمسمائة قنديل
من ذهب وفضة . وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبانٍ وما شاكلهما من
الأدهان، ويوقد فيه من العود الهندي والعنبر شيئا يحلّ عن الوصف .

وفيا حكى الكلبي أن النعمان دخله في بعض أعياده، فرأى امرأة تأخذ قربانا،
أخذت بقلبه . فدعا الراهب الذي قربها وسأله عنها . فقال : هي امرأة حكّم بن عمرو
الحمي . فلما أنصرف النعمان دعا عدى بن زيد ، كاتبه . وأوقفه على الخبر وقال له :
كيف الحيلة ؟ فقال له : إذا كان بكرّة عدٍ وحصر الناس الداب، فابدأ به في الإذن
وأجلسه معك على سريرك . ففعل النعمان ذلك وأذن للناس بعده . فجعلوا يتعجبون .
وأنصرفوا . فقال النعمان لعدى بن زيد : قد فعلت ما أشرت به ، فمّة ؟ قال : إذا
أصبحت فأكسه وأحمّله . ففعل . ثم قال : اجعل حوائج العرب إليه . ففعل . ثم
قال النعمان لعدى بن زيد : قد طال هذا ! قال : إذا أصبحت ، فإن عندك عشر
نسوة ، فطلق أغضهنّ إليك . ثم فل له : قد طابت نصي لك بما لم تطب به لولد
ولأخ . قد طلقت لك فلانة ، فتروّجها . ففعل ذلك . وخرج وهو لابس من حُلل
النعمان ، ولديه ماحمله عليه . فجلس وحكم بين العرب ، وعدى بن زيد بالباب جالس .

(١) هذه الحكاية رواها أيضا في كتاب المحاسن والاصداد المسوّب المحاط (ص ٣٠٩ طبع ليدن) .

وهناك تعبير في بعض الألفاظ .

فقال له الخمي : ما أدري ما أكفي به الملك . فعل معي وفعل . فقال له عدي :
ما أقدرك على مكافأته ! قال : وما هو . قال : طلق أمراك كما طلق لك أمراك .
قال : قد فعلت . فأنفذها إلى العمان . وفي ذلك يقول الشاعر :

عَلَّقَهَا حَرَّةً حَوْرَاءَ مَاعِمَةٍ • كَأَنَّهَا الْبَدْرُ فِي دَاخٍ مِنَ الظُّلَمِ .

• مافي البرية من أننى تُعَادِلُهَا • إِلَّا الَّتِي أَخَذَ النُّعْمَانُ مِنْ حَكَمٍ !

وقد ذكره أبو الفرج وقال : هند بنت النعمان صاحبة هذا الدير، هي الحُرَّة .
وهي التي دخلت على خالد بن الوليد . وآخر أمرها معه أنه أمر لها بمال ومعونة
وكسوه . فقالت : مالي إليه حاجة . لي عبدان يزرعان مزرعة لي ، أتقوت بها ما يميسك
رمقي . وقد اعتددت بقولك فعلا وعرضك نقدا . فأسمع مني دعاء أدعو به لك ، كما
ندعو به لأملاكنا : شكرُكَ يَدُّ أَتَفَتَرْتُ بِهِ غَنًى ، وَلَا مَلِكُكَ بِدَّ اسْتَغْنَتْ بِهِ فَقْرٌ ،
وأصاب الله بمعروفك مواضعه !

قال : وهذا الدير بقارب دير بي عبد الله بن دارم بالكوفة ، مما يلي الخندق .
وحكى الشافعي أن الحجاج قدم الكوفة فبلغه أن بين الحيرة والكوفة دير هند بنت
العمان ، وهي متمكة من عفلها ورأيها ، فانظر إليها فإنها نقيصة . فركب ، والباسُ معه ،
حتى أتى الدير ، ففيل لها : هذا الأمير الحجاج بالباب : فأطلعت من ناحية الدير ،
فقال لها : يا هند ! ما أعجب ما رأييت ! قالت : خروج منلى إلى مثلك . لا تغترن
يا حجاج بالدنيا ، فإما أصبحنا ونحن كما قال اللبنة لأبي :

رَأَيْتُكَ مِنْ تَعَقُّدٍ لَهُ حُلٌّ ذِمَّةٌ • مِنْ الْبَاسِ ، يَا مَنْ سَرَجُهُ حَيْثَا أَرَنْقِي !

ولم نُمِسْ إِلَّا وَنَحْنُ أَذَلُّ النَّاسِ • وَقَلَّ إِيَّاءُ امْتِلَاءٍ إِلَّا أَنْكَفَا • فَانْصَرَفَ الْحَجَّاجُ

مُغْضِبًا. وأرسل إليها مَنْ يخرجها من الدير، ويستأديها الخراج. فَأُخْرِجَتْ، ومعها ثلاث جوارٍ من أهلها. فقالت إحداهنّ:

١٢٨

خارجاتٌ يُسَقَّنَ من ديرهنّ * مُعلاتٌ بِذِلَّةٍ وهوابٍ!

لَيْتَ شِعْرِي! أَوَّلُ الحَشْرِ هذا * أم عا الدَّهْرُ غَيْرَ الصِّبَا

فشدّ فتى من أهل الكوفة على فرسه. فاستنقذهنّ من رُسُل الحاج. وتغيّب. فلعلّ الحاج شعرها وفعل الفتى. فقال: إن أنا، فهو آمن، وإن طعنا به، قتلناه! فاتاه. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: المغيرة، فوصله وخلّاه.

وكان سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق، أتى هنداً، إلى ديرها. فخرجت إليه وعرض عليها نفسه في حوائجها. فقالت: سأحييك بتحية كانت ملوكنا تُحيّا بها «شكرتك يدُ آفتقرت بعد غنى، ولا مستك يدُ أسنغت بعد فقر، ولا جعل الله لك إلى لثيم حاجة، ولا نزع عن كريم نعمة إلا جعلك سبباً لردّها عليه!» قال: ثم جاءها المغيرة، لما ولّاه معاوية الكوفة. فاستأذن عليها. فقيل لها: الأمير على الباب! فقالت: قولوا له: من أولاد جبلة بن الأيهم أنت؟ فقال: لا. قالت: أفمن أولاد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا. قالت: فمن أنت؟ فقال: المغيرة بن شعبة الثقفي. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُك خاطباً. قالت: والصليب! ما جئتُني رغبة في مال، ولا شغفاً بجمال. ولكن أردت أن تقول: نكحتُ ابنة النعمان. وإلا فأى نخر في اجتماع شيخ أعور وعجوز عمياء؟ اذهب! فبعث إليها فقال: كيف كان أمركم؟ قالت: سأختصر لك الجواب. أمسينا وليس في العرب أحدٌ إلّا وهو يرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس في الأرض أحدٌ إلّا ونحن نرغب إليه ونرهبه. قال:

فما كان أبوك يقول في تقيف^٥ قالت : آختم به رجلا، أحدهما ينمينا إلى إباد
والآخر ينمينا إلى بكر بن هوازن . فقضى بها للإبادى ، وقال :

إِنَّ تَقِيفًا لَمْ تُكُنْ هَوَازِنَا * وَلَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا!

قال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن ، فليقل أبوك ماشاء!

٢٣٩

دير اللج^(١) - وهو بالحيرة . مما بناه النعمان بن المنذر . وهو من أنزه دياراتها وأحسنها
بناء : لما يطيف به من البسانين . وكان النعمان يأتيه يتعبد فيه . ويستشفى به في مرضه .
وفيه قيل :

دي اللج

يَالَيْتِي أَطِيبُ بِهَا لَيْلَةً ، * لَوْلَمْ يَكُنْ قَصْرُهَا الطَّيْبُ !
بِتَنَا مَدِيرُ اللِّجِّ فِي حَانِيَةِ * شَرَابُهَا فِي الْكَاسِ مَكْجُوبُ .
يُذِيرُهَا ظَنِّي هَصِيمُ الْحَسَا * يَجْبَهُ الشُّبَّانُ وَالشَّيْبُ .
حَتَّى إِذَا مَا انْخَمَرُ مَالَتْ بِنَا * جَرَتْ أُمُورٌ وَأَعَاجِيبُ .
فَمَا تَرَى ظِلَّكَ فِي شَادِنٍ * بَاتَ إِلَى جَانِبِهِ ذَيْبُ .

١٠

وقد ذكره أبو الفرج ، فقال : كان النعمان يركب في كل أحد إليه ، وفي كل عيد .
معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومن يادمه من أهل دينه . عليهم حلل الديباج
المذهبة . وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب . وفي أوساطهم الزناير المحلاة بالذهب المفصصة
بالجوهر . وبين أيديهم أعلام فوقها صلمان الذهب . وإذا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ . آنصرفت
إلى مُسْتَشْرِفِهِ عَلَى النَّجْبِ . فيشرب فيه بفيه يومه إلى أن يُمَسَّى . وخلق ووصل
وحمل . وكان ذلك أحسن . منظر وأشرفه . وأنشد فيه قول الشاعر :

١٥

(١) أطرا أيضا ياقوت (ح ٢ ص ٦٩١) . والبكري (ص ٣٦٦) .

سقى الله دير اللج خيرا فإنه * على بُعد منى إلى حبيب!
قريب إلى قلبي بعيد مكانه ، + وكم من بعيد الدار وهو قريب!

دير بنى علقمة ^(١) - وهو دير بناه علقمة بن عدي الحمصي ، بالجيرة ، وفيه يقول
عدي بن زيد ، وفيه غناء :

نادمت في الدير بني علقما * عاطيتهم مشمولة عندما!
كأن ريح المسك في كأسها - إذا مزجها بماء السماء!

دير هند الأقدم ^(٢) - وهي هند الكبرى بنت الحرث بن عمرو بن حجر ، الملك ،
أم عمرو بن المنذر ، الملك .

وحكى محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي عن أبيه قال : دخلت مع يحيى
ابن خالد ، لما خرجنا مع الرشيد ، إلى الجيرة . وقد قصدها ليتها بها ويرى آثار
آل المنذر . فدخل دير هند الأكبر . وهو على طرف النجف : فرأى في جانب
حائطه شيئا مكتوبا . فدعا بسلم فأحصر . وأمر بعض أصحابه أن يصعد إليه ،
فيفراه . فاذا فيه مكتوب :

إن نبي المنذر عام أنقضوا * بحيث شاد البيعة الراهب ،
تفتح بالمسك ذفارهم * وعنبر بقطبه الفاطب .
والقر والكتان أثوابهم * لم تحلب الصوف لم جالب .

(١) سماه ياقوت والكرى "دير علقمة" وأظهر كلام الأول عليه (ح ٢ ص ٦٨١) ، والثاني

(ص ٣٦١) .

(٢) أظهر الكبرى (ص ٣٦٤) . وسماه ياقوت "دير هند الكبرى" (ح ٢ ص ٧٠٩) .

وَالْعِزَّ وَالْمُلْكَ لَمْ رَاهُ * وَقَهْوَةً نَاجُودُهَا سَاكِبُ .
 أَتَّخَعُوا وَمَا يَرْجُوهُمْ طَالِبُ * خَيْرًا وَلَا يَرْهَبُهُمْ رَاهِبُ .
 كَانْتَهُمْ كَانُوا بِهَا لُغَةً * سَارَ إِلَى بَيْنِهَا رَاكِبُ .
 وَأَصْبَحُوا فِي طَبَقَاتِ الثَّرَى * بَعْدَ نَعِيمٍ لَمْ رَاتِبُ .
 شَرُّ الْقَابَا مَن تَرَى مِنْهُمْ : قُلْ . وَذَلَّ جَدُّه خَائِبُ !

فبكى الرشيد، حتى جرت دموعه على لحيته . وقال : هذه سبيل الدنيا وأهلها !
 وأنصرف عن وجهه ذلك .

قبة السنيق^(١) - وهي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاج . وإزائها قباب
 يقال لها السكورة، جميعها للمصاري . وعد السعانيين بها تزه . يخرج فيه المصاري
 من السكورة إلى القبة في أحسن زى، عليهم الصلبان وبأيديهم المحامر . والقسوس
 والشمامسة على نغم واحد، متفق في الألحان، إلى أن يقضوا بغيتهم . ثم يعودون
 على هيتهم .

قبة السنيق

دير إسحاق^(٢) - وهو من جنس وسامية . في موضع حسن تزه، على نهر جاري .
 وحوله كروم ومزارع، إلى جاب ضيعة صغيرة، يقال لها جذر . وهي التي ذكرها
 الأخطل في قوله :

دير إسحاق

* عَتَقْتَهَا جَنْصُ أَوْجَدُر *

(١) أورده في الأصل بالشير المعجمة . (وأطرت تصحيحاً عن ياقوت في صفحة ٣١٥ المقدمة أثناء الكلام على (دير الحريق) .

(٢) في الأصل : نهم .

(٣) أطرا ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) .

وفيه قال أبو عبد الرحمن الهاشمي الساماني، من أهل سَلْيَةِ :

وَإِنِّي أَخَاكَ تَجِدُهُ خَيْرَ رَفِيقٍ ، * إِن كُنْتَ لَسْتَ عَنِ الصَّبَا بِمُصِيقٍ !
وَإِذَا مَرَرْتَ بِدِيرِ إِسْحَاقِ فَقُلْ : * جَادَتِكَ غَيْرُ سَحَابٍ وَبُرُوقٍ !
دِيرٌ يُسَبِّهُ مَاؤُهُ بِهَوَائِهِ * وَهُوَ أَوْهُ بِلَطَافِهِ الْمُعْشُوقِ .

وكتب أبو عبد الرحمن إلى أخيه من دير إسحاق :

أَمَا طَرَبْتَ لِهَذَا الْعَارِضِ الطَّرِبَ * أَمَا رَأَيْتَ الصَّبَا وَالْجَوْفَ فِي لَعِبٍ ؟
تَعَانَقَا فَكَأَنَّ الْمَطَرَ بَيْنَهُمَا * مِنْ فُضْيَةٍ ، وَكَأَنَّ الزَّهَرَ مِنْ ذَهَبٍ .
وَنَحْنُ فِي دِيرِ إِسْحَاقٍ وَجُلُوسًا * يَشْكُو مَغْنَمُكَ ، فَاحْضَرُهُ وَلَا تَغِبْ .
لِيَجْعَلَ الْيَوْمَ عَدُوًّا فِي مَلَاَحِنِهِ * وَيَقْلِبَ الْهَمَّ بِالْأُدْوَارِ فِي الْقُلُوبِ .

وقال فيه :

سَلَامٌ عَلَى لَيْلَةٍ بِالْأَدْوِيرِ : تَقَضَّتْ كَرَاهِيَهُ فِي الْحُلُمِ !
أَتَانَنِي فِي طَيْلَسَانِ الضِّيَاءِ * وَلَمْ تَقْنَعْ نُورَ الظُّلَمِ .
يَعَارِضُ فِيهَا أَبْنَسَامُ الْبُرُوقِ * بُرُوقُ دِمَائٍ بِهَا تَبْتَسِمُ .
وَصَفَرَاءُ لَمْ تُبْقِ إِلَّا النَحِيْفَ مِنْهَا اللَّيَالِي وَطَوَّلُ الْقِدَمِ ،
تَمَزَّزْتُهَا فِي ثِيَابِ الدُّجَى * إِلَى أَنْ تَجْلِيَ الدُّجَى لِلْهَرَمِ .
نَزَلْنَا بِهَا وَسَطَ مَكْسُوءَةٍ * مَطَارِفَ مِنْ نَسْجِ أَيْدِي الدِّيمِ .
سَقَانِي ابْنُ قَسِيمٍهَا كَأَسْهَى * عَلَى زُورَةٍ مِنْ حَبِيبِ أَلَمِ .

وقال فيه :

٢٤٢

أَنْظَمَ رِياضَ الدِيرِ مِنْ صَوْبِ ما طَرِ ، وَلَمْ أَقْرِ صَيْفَ اللَّيْلِ أَجْمَانَ سَاهِرٍ
 وَقُلْتُ : سَقَى الصَّحْرَاءَ بَيْنَ عَوَاقِصِ ، ذَوَائِبِهَا فِي سَفْحِهِ وَنَوَاشِرِ !
 رَجِمْتُ بِأَطْفَالِ الْعَرُوسِ يَضُمُّهَا ، إِذَا مَا آتَيْتُ خَمَّ الشَّعْبِيقِ الْمَاحِزِ .
 وَكَمْ قُلْتُ لِلْسَّائِي ، وَقَدْ مَحَّ الدُّيُ ، بِوَاطِرِهَا : قُمْ هَاتِيهَا لِاتِّشَاظِرِ !
 يَحْتَجُّ إِلَى الدَّيْرِ اسْتِنَايَ كَأَنَّمَا ، بِرُيْنِ الصَّبَا بِهِ بِمَوْقِعِ نَاطِرِي .

دير ميماس - وهو بين دمشق وحمص على نهر ميماس ، وإليه نُسب ، وهو
 في رباط وبساتين ، وعليه طواحين رومانية . ويزعم رهبانه أن به شاهدا من
 الحوار بين .

دير ميماس

١٠ وحكى العسقلاني أنه كان لملك الحق غلام يهودي ، وكان شديد الوحده به ، فخذعه
 قوم ومضوا به إلى دير ميماس ، وسقوه بيدها . فباع ذلك الملك ، ففلق . وقال :

قُلْ لِمَصِيحِ الْكَشْحِ مَمَّاسِ : إِرْتَفَعَ الْعَهْدُ مِنَ الدَّاسِ !

مَاطَا قَةِ الْآسِ الَّتِي لَمْ تَمُدَّ إِلَّا أَذَلْتُ قُصْبَ الْآسِ !

وَبَقِيَ الْكَاسُ وَتَرَاهَا ، وَحَتْفُ امثالِكَ فِي الْكَاسِ !

١٥ فِي دِيرِ مِمَّاسِ ، وَمُنْعَدَّ مَا بَيْنَ مُغِيثِكَ وَمِمَّاسِ !

لَا بَاسَ مَوْلَانِي عَلَى أَنَّهَا - نِهَائِيَةُ الْمَكْرُوهِ وَالْبَاسِ !

فَالَهُ وَدَعْ عَمَّا أَحَادِيثِهِمْ ، سَبُصْبِجِ الذَّاكِرُ كَالنَّاسِ !

وحكى ان ابا نواس، لما دخل حص مارا بها، دعاه قتي من ادبائها الى دير ميماس .
ودعاه معه اشجع السلمي . فجلسوا يشربون ، وأبو نواس يشدهم ، له ولغيره . فقال اشجع :

صَبَحْتُ وَجَهَ الصَّبَاحِ بِالكَاسِ * وَلَمْ تُعَفِّنِي مِفَالَةَ اللَّاسِ .

وَنَحْنُ عِنْدَ المُدَّامِ أَرْبَعَةٌ * أَكْرَمُ صَحْبٍ وَخَيْرُ جُلَّاسِ .

نَدِيرُ خِصْيَةٍ مُعْتَقَةٍ - عَلَى نَسِيمِ النَّسِيرِ وَالْآسِ .

وَلَمْ يَزَلْ مُطَرِّبًا وَمُنْشِدًا * أَوْ نُوَاسٍ فِي دِيرِ مِيَّاسِ .

٢٤٢

دير محلي^(٢) - وهو بساحل جيحان ، قريب المصيصة .

وحكى أبو نصر الجوى أن أبا خالد ، الكاتب ، أجاز بهذا الدبر ، ومعه ابن أبي زرعة
الدمسقي الشاعر . قال : فرأينا من حسن رماضه ، وتدفق مائه ، وطيب هوائه ، ونضرة
أشجاره ، منظرًا حسا . فقال ابن أبي زرعة : لهد حُظِرَ علينا أن نتجاوز هذا الموضع
ولا نشرب فيه حتى نموت سكرًا . فقلت له : ويحك ! أما مبادر في مهم . فقال :
ما فذا لك أهم من هذا . وثني رجله ، ونزل عن دابته . فترلنا ، ثم أتانا الرهبان بتحايا الورد
والباسمين والنفاح . وأنرحوا إلينا شرابا عتيقا ، في نهاية الصفاء والرقعة ، فأبتعناه منهم .
وأفما بومنا هناك في أعم عيش وأحسه . فلما أصبحنا ، غدوآ ، فأنشدني أبو زرعة
لنفسه :

دَبْرُ مُحَلِّيٍّ مَحَلَّةُ الطَّرِبِ - وَصَحْبُهُ صَحْبُ رَوْضَةِ الْأَدَبِ .

وَالْمَاءُ وَالخمرُ فِيهِ فَدُسِيكَ - لِلصَّفْوِ مِنْ فِضَّةٍ وَمِنْ ذَهَبِ .

(١) في الأصل : ولم رد مطرنا ومنشدنا .

(٢) سماه ياقوت "دير المحلي" وأظن كلامه عليه (ح ٢ ص ٦٩٥) .

لا ودموعُ العمام روقِ ذَا * وتلك لم تُعْتَصِرْ مِنَ الْعَيْبِ .
وورْدُهُ فِي الْغُصُونِ تَمْنِي * حُسْنًا وَنَفَاحَهُ يَبْرَحُ بِي .
فَلَا تَلْمُنِي إِذَا حَلْتُ إِلَى * حَانَاتِهِ مَا حَيِّتُ مُنْقَلَى .
رَصِيْتُ أَنْ أُغْتَدِي بِلَا نَسَبٍ * وَيَغْتَدِي وَهُوَ قَدْ حَوَى نَسَبِي .

٥ دِير مار مروثا^(١) - وهو دير صغير، بظاهر حلب، في سفح جبل جَوْشَن، على نهر العُرجان.

وكان سيف الدولة محسبا إلى أهله . وقلما مرَّ به إلا نزل، ووهب لأهله هبة كيرة . وكان يقول: رأيت أبي في اليوم يُوصِلُنِي بِهِ .

وله بساتين قليلة ومباقل . وفيه نرجس وبنفسج وزعران .

١٠ ويعرف بالبيعتين، لأن فيه مسكنين: للرجال والنساء .

قال الخالدي وإياه عنى الصوبرى بقوله :

مَا بَالُ أَعْلَى قَوِّقٍ يَبْشُرُ مِنْ * وَشِي الرِّبْعِ الْجَدِيدِ مَا أَذْرَحُ
كَأَنَّمَا أَحْتَرِبُ الْغُصُوصُ لَهُ * بَيْنَ عَقِيقِي وَبَيْنَ فَيَزُورُخُ .
أَمَا تَرَى الْيَعْتَنِينِ أَفْرِدَتَا * بِمُفْرَدِ الْأُخُوتِ وَالْمُزَوَّجِ
أَثَوَابَهُ الْمَزُنُ كَيْفَ مَا أَصَلَتْ .. وَبَارَهُ الْبَرْقُ كَيْفَ مَا أَجَّجَ .

١٥

١٥ دِير الرِّصَافَةِ^(٢) - هو بالشام، قريب رُصَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وموضعه حَسَنٌ .

دير الرصافة

وفيه قيل :

(١) - اه يا قوت التأييث "مارت مروثا" أي القديسة ماروثة . وأطرح كلامه عليه (ح ٢ ص ٦٩١) .

(٢) أطرح الكرى (ص ٣٧٩) . وأطرح يا قوت (ح ٢ ص ٦٦١) .

نراك جَزِعتَ يا دِيرَ الرُّصَافَةِ . غَدَاهُ تَحَوَّلَتْ عَنكَ الْخِلَافَةُ !

فَلَا تَخْرُجْ وَتُدْرِي الدَّمْعُ حُزْنَآ ، فَإِنَّ لِكُلِّ مُجْتَمِعِينَ آفَهُ !

وَحَكِيَ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ مَرَّ بِهِ ، وَفَاتَ فِيهِ . فَلَمَّا رَحَلَ عَنْهُ ، قَالَ :

لَيْسَ إِلَّا دَيْرَ الرُّصَافَةِ دَيْرٌ . فِيهِ مَا تَسْتَهِي الثُّوَسُ وَتَهْوَى .

بُتُّهُ لَيْلَةً فَقَضَيْتُ أُوطَا . رَأَى وَيَوْمًا مَلَأْتُ قُطْرِيَهُ لَهْوًا .

وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو الْمَرْحِ وَقَالَ : إِنَّ أَبْنَ حَمْدُونَ حَكِيَ أَنَّ الْمُتَوَكَّلَ لَمَّا أَتَى دِمَشْقَ ،

رَكِبَ يَوْمًا إِلَى رُصَافَةِ هِشَامَ ، يَزُورُ دُورَهُ وَقُصُورَهُ . ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى الدَّبْرَ ، وَهُوَ مِنْ بَنَاءِ

الرُّومِ ، حَسَنُ الْبَنَاءِ ، بَنَى مَزَارِعَ وَأَنْهَارَ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَدُورُ ، إِذْ بَصُرَ بَرَقَةً قَدْ أَصْفَتْ

فِي صَدْرِهِ . فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تَقْلَعَ وَيُؤْتَى بِهَا . فَقُلِعَتْ وَإِذَا فِيهَا :

أَمَّا مَنَزِلًا بِالدَّبْرِ أَضْحَحَ خَالِيًا ! . تَلَاعَتْ فِيهِ شِمَالٌ وَدُورُ !

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْكُنْ بَيْضَ أَوَانِسٍ . وَلَمْ تَبْحَثْ فِي فِائِكَ حُورُ .

وَأَبْنَاءُ أَمْلَاحٍ عَبَانِمُ سَادَةٌ . أَصَاغِرُهُمْ عَدُّ الْأَمَامِ كَسِيرُ .

إِذَا لَبَسُوا أَذْرَاعَهُمْ فَصَرَاغُمُ . وَإِنْ لَبَسُوا تِيَجَانَهُمْ فُدُورُ .

إِلَى هِشَامَ بِالرُّصَافَةِ فَاطِرُ . وَفِيكَ آبُهُ مَادِبُرُ وَهُوَ أَمِيرُ

إِذِ الْعَيْشُ غَضُّ وَالْخِلَافَةُ لَدَنَةٌ . وَأَنْتَ طَرِيرٌ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ .

(١) فِي الْأَصْلِ . سَرَك . (يَدُونَ قَطْ) . وَقَدْ صَحَّحَتْ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ ، فَقَدَّرَ الْإِمْلَاحُ .

(٢) أَيْ مَسْجُودٌ إِلَى عَبْدِ شَمْسٍ . وَفِي يَاقُوتَ . عَبَانِمُ وَهُوَ نَصِيبٌ .

(٣) فِي يَاقُوتَ صَغِيرُهُمْ . وَهُوَ أَدَبٌ

وروصك فَيَانُ يَذُوبُ نَضَارَةً * وعيش بني مروان فبك يَضِيرُ.
رُوَيْدَكَ إِنْ الْيَوْمَ يَتَّبِعُهُ غَدٌ . وَإِنْ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ!

فلما فرأها المتوكل ، أرباع ونظير . وقال أعوذ بالله من شرِّ أقداره ! ثم دعا بالديرياني وقال . مَنْ كَتَبَ هَذَا " قال : والله لأدري . لأني منذ نزل أمير المؤمنين هنا . لا أملك من أمور هذا الدبر شيئاً . يدخله الجحد والشاكزية . وغاية قدرتي أني .
مؤاري قلايى . فهم نصرب عقمه وإخرا ب الدير . فلم يزل به المصح بن حاقان حتى كَفَّ . ثم طهر أن الذي كتبها رجلٌ من ولد رَوْح بن زُبَاع ، صاحب عبد الملك ، وأمه مولاة لهشام .

دير حطورا - هو في شرقي طرابلس ، في جانب الوادي . الذي أسفل من
طبرية والحدث .

وهو بباء في سَفْحِ الجبل . من ذلك الجانب ، قُبالة الطريق السالك إلى طرابلس .
وهو حصين جداً . لا يسلك إليه إلا من طريق واحد . وظهر الجبل الذي له ممنع .

دير البسات^(١) - وهو دِيرٌ أبيضُ الباء ، مشرفٌ على أرض طرابلس . له دِكرٌ .

حكى أن الطيبي - أتاه في يومٍ شُعِشعت شمسُهُ ، وأثرِعت كؤوسُهُ . وكان الفصل
ربيعاً قد استطل في البسات ، وطُلَّ الحسن تلك البسات . وفيهِنَّ كلُّ عذراء تدهش
المتحصراً ، وتحير المتخيراً . وكان قد صحبه غلامٌ ذو عذارٍ أخصب به البلد الساحل ،

(١) ذكر المقيري ديرين للباب بالهاهرة وهما غير هذا الذي ذكره ابن فضل الله ها . (أنظر "الخطوط")

وقذف موج الخلد منه العبر إلى الساحل . وطامت عليه قطائع المدام ، وأمن شائع الملام ، وتقلب بين غلامه وعلام . فقال :

دير البسات الرُّهر أنت المني ! . وأنت من دُون الأُماني المرام !
لم أنس يوما فك أذهبهُ . بالله بل ذهبُهُ بالمُدام !
وحن في غِرَّه أبا مينا . والعيش مثل الطُف حلوا الفام .
والدُّوح ما جفَّت له زهرهُ . والروض طفل ما جفاه الغام .
وبينا خود كشمس الصُّحى . وأغيد قد فاء بدر التمام .
لولا نباتُ الشَّعر في خذه * لم تدرِ أيُّ الأعيدين العلام .

دير كفتون - وهو ببلاد طرابلس . مبنى على جبل . وهو دير كبير . وبناؤه
بالحجر والكلس ، في نهاية الحوذة . وبه ماء حار . وله حوض كبير مملوء من شجر
البارنج . يُحمل بآرنجه إلى طرابلس ، يباع بها . ويرتقى بئمه الرهبان . وله مُستَشرفٌ مطلُّ
على البلاد والمزارع . ومنه مكانٌ يشرف على البحر .
ولهذا الدير صيِّتُ جائلٌ وسمعةٌ مذكورة . وبه رهبان كثيرون العدد . والنصارى
نقصده ، ونحمل إليه الدُّورة . وبقصده كثير من أهل البطالة والاهو ، للمرج به
والتنزه فيه .

وفيه يقول الطَّبِّي :

أدير كفتون نكفي كلَّ نائبةٍ من الهُوم وتلقى كلَّ سراءٍ !
من كلِّ خَصراءٍ في الأشجار مائسةٍ . وكلِّ صُهباءٍ في الكاسات حمراء .
حلالٌ في دير كفتون فلا عجب . إذ مُتُّ سُكرا بنجمرٍ وخَصراء !



(١) دير القاروس - على جانب اللاذقية ، من شمالها . وهو في أرض مستوية .
وساؤه مربع . وهو حسن البقعة .

وفيه بقول أبو علي حسن بن علي الغزّي :

لم أنس في القاروس يوماً أبيضاً * مثل الجين يزيه فرغ الدجى !
في ظل هبكله المشيد وقد بدأ * للعين معفود السكينة أبلجا .
واللاذقية دونه في شاطئ بلوره قد زين القير وزجا .
ولدى من رهانه متمسك * أضفى امرط جماله مترجاً .
أحوى أغش إذا تردد صوته في مسمع رذا احتجاج ذوى الحجى .
لا شيء أطف من سمائه إذا حث النسمول ولغظه قد جلعط .
فله واليوم الذي فضيه .. معه بكائي لا لربيع قد سجا .

(٢) دير فيق - وهو في طهر فيق ، بنها وبين بحيرة طبرية . في لطف جبل يتصل
بالعربة . معور في الحجر . وهو عامر بمن فيه ومن برد عليه . والبصاري نفصده وتعظمه .

قال السابقي : ويزعم أنه أول دير عمل وأن المسيح (عليه السلام) كان
يأوي إلى ذلك الموضع الذي عمل به هذا الدير . ويجلس إلى ذلك الحجر . وكل من
دخل من البصاري ذلك الموضع ، كسر من ذلك الحجر : تبركا به . وعمل في هذا الدير
موضع على اسم المسيح ، (عليه السلام) .

(١) أنظر "فروج البلدان" للبلادري (ص ٣٥٧) .

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٨٤) .

قال: ولأبي نواس فصيده، يذكر فيها هذا الدبر ويحاطب فيها علاما نصرانيا كان

يهواه . منها :

بعمودية الدين العسوي ، - تَمَرُ طَبْلِيْطُهَا ، بِالْحَالِيِ !
تُحَجِّلُ فاصداً ماسرِحسان - فَدِيرَ الثَّوْبِ هَارٍ فَدِيرَ رِيقِ !
وبالصُّلْبِ الجَلِيْنِ وقد نَدَبُ . وبالزَّنَّارِ في الخَصْرِ الدَّفْعِ !
وبالحُسْنِ المَرْكَبِ فيكَ إِلا رِحْتَ نَحْيِرِي وَجُفُوفَ رِيقِ !
أما والقُرْبِ من بعد التَّنَائِي ، يَمِينُ فَيَ لَعَاتِلِهِ غَنَسِ !
لقد أصبحت رِيَّةَ كُلِّ نَكَرٍ - وعبدًا مع حَمَائِكَ والعَمَوى !

(٢٧)

دير الطور^(١) - والطور حل مسنديره، منسج الأسفل، لا يعلم به شيء من الحال،
وليس له إلا طريق واحد، بين طبرية والخلون، مشرف على العور والمرح وطبرية.
تزيه، وفيه عين بئع بماء غرر، والدير في الصلة، منى بالحجر، وحوله كروم كثيرة،
يعتصرونها، ويعرف بدبر التجلي، لأنهم برعهم أن عيسى تحلى به لتلاوته، بعد أن
رفع حتى أراهم نفسه وعرفوه.

وللهاهل بن يموب بن المزرع فيه .

مضيتُ إلى الطَّوْرِ في فَيْئِهِ - سِرَّاجُ التَّهَوُّضِ إلى ما أَحَبُّ .
كِرَامِ الجُدُودِ، حِسانِ الوجوه ، - كَهُولِ العَمُولِ، سَبَابِ اللَّعْبِ .

(١) ذكره ياقوت باسم دير طور سينا (ج ٢ ص ٦٧٥) . وهو بالشام . وهو غير المشهور فدمنا وحدنا
في شبه جزيرة الطور باسم دير الطور (المعروف الآن باسم دير طور سينا) الذي سبأ في الكلام علىه باسم كنيسته
| ودير | الطور في ص ٣٧٢ .

فأى زمانٍ بهم لم يُسرَّ * وأى مكابٍ هم لم يطبَّ؟
 أنحُ الرِّكَّابَ على ديره * وقضيتُ من حقه ما يجب.
 وأنزلتهم وسَطَ أعتابه * وأسقيتهم من عصير العِيب.
 وأحصرتهم قَرًا مُشرقًا * تَمَلُّ العُصُونُ به في الكُثُف.
 نَحُّ الكُؤُوسِ مأهراجِه * ومرسومِ أرمانِه بالعِجَب.
 وما بين دالك حديثُ بَرَوٍ * وحوصُّ لهم في قُوتِ الآدَب.
 فيا طيبَ دا العيش لو لم يزل * ويا حَسَّ دا السعد لو لم تَغِب!

وأُسد له الشاستى في نحو من مثل هذا الأرب، وقد دعا نوار الربع إلى سرب
 آسة العيب:

١٠. قد أباى لى الرماض من الزهر عريب الصنوف والألواب .
 وبدا السرحس المنعج زرو . من جئون الكافور بالزعفران .
 وقف الطل في المحار منها . ثم ما ست فأنهل مثل الجمال .
 بأعلام أسقى فقد صحك الوقنت وقد تم طيب هذا الرمان !
 أدب منى الدنان ! ضَّ الأبارسقى ! أستحث الكؤوس ! صف القاني !
 ١٥. باير الوقت وأعني فرص العيشش ولا تكذب فالعمر قاب !

وكذلك أنسد له قوله :

زمانُ الرماض زمانُ أنيق * وعيش الخلاعة عيش رقيق !
 بهار بهير به عيرة * على ترجيس وشقي شقيق .

مَدَاهِنُ يَجْلَنَ طَلَّ السَّيِّئُ + فَهَاتِيكَ يَسْرُ وَهْدِي عَمِيقُ !
فَبَا دِرْبَا حَادَنَاتِ الزَّمَانِ * فَوَجْهَ الْحَوَادِثِ وَجْهَ صَبِيقُ !

وقوله في مثله :

قَدْ قُدِّمَتْ لِّلرَّوَرِ أَثْقَالُ + وَحَتَّ شَهْرَ الصَّامِ سُؤَالُ .
وَأَمَّلَ اللَّيْلُ لَابِسًا حُلَلًا * مِسْكَنَةً مَاهِنًا أَدْبَالُ .
وَأَهْتَرَّ غَوْدٌ وَحَنٌّ مِنْ طَرَبٍ * شَوْقٌ وَعَنَّتْ بِالرَّاحِ أَرْطَالُ .
فَاغْتَنِمُوا فُرْصَةَ الزَّمَانِ وَلَا * تُفَرِّطُوا فَاَلزَّمَانُ مُغَالُ !

دير المصلبة - وهو بظاهر مدينة القدس الشريف ، في سامها غرب . وهو دير رومى قديم الساء ، بالحجر والكس . تحكم الصسعة ، موقق البقعة . في بحيره من أشجار الربون والكروم وشجر الين ، بإراء قرية ، تنجوى على الدير بمرسوم السلطان .

وهذا الدير دخلت إليه ورأيه . وفيه صور نوابه في عابه من محاسن التصوير . وساسب المقادر . وصعدت إلى سطحه ، فرأيت له حسن مشرف وسعه فضاء . ورهبانه من الكرج .

وقد كان أحد هذا الدير ، وجعل مسجدا للمسلمين ، وأعلن فيه بالأذان وأقيمت الصلاة . ثم أعيد ديرا للنصارى . وضرب فيه بالنافوس وأظهرت فيه كلمة الكفر . وتوصل إلى هذا بكتاب أحصر من ملك الكرج ، وأعانه عليه قوم آخرون .

ورأيت عند الحافظ العلامة أبى سعيد العلأى وعد سائر العلماء والصالحاء بلاد القدس ، من إعادته إلى النصارى ، ما هو هدى عيونهم إلى أن ينخل ، وشجى خلوقهم إلى أن يسترد .

وعلى الله نذر إِب وصلب بدي إلى هذا لأرددتها حتى يرثي! ولهذا المقصد،
نشهد الله العظيم، فعصده.

بدر المونب

وحدسي رهامه أن على درهم وقوفاً في بلادهم، منها خبول سائمة نعمل أثمان
ساحها إليهم، وأنه نحي، منها في كل - سه قدر جليل، وأنها تفتح في مصالح الدبر
وأس السبيل.

نوف الدبر

وفه بقول أبو علي حسن الغري:

يا حسن أماناً قطع هبشة
بالدبر حب السب والرتن!
دبر المصالبه الرفع بأوه
تقدي عبر زايه دارين!
في طل هككه وأشراب الدمي
مجلوة والمسرمر المسوب،
ومزرب إذا تلوا إحصاءهم
وعطوا خمائم وعصوب،
عزلان وحره هم وبين جموعهم
لأسود بسه إن عرطن عرب،
زغوا القلابس والمسوخ فرخرقت
من عن غرر السموس وجون،
وسعوا بكساب المدام وما ذروا
أن للكنؤوس الدائر جيون،
فقصيت بنهم زماناً لم بزل
عندي إليه تسوق وحيب،
لك المارل قد سفتح مدامي
لامصر فاطبة ولا خيروت!

١٠

١٥

دير السيق^(١) - ولي الباب المقدس، على نثر عال، مشرف على القور، عور أريحا،
يطل على تلك البساتن الخضر ومجرى الشريعة، وبه رهبان ظراف أكياس.

دير السيق

(١) ذكره ابن أن أصحة في "بيوت الأمان" (ج ٢ ص ٢١٥).

ولا بأنهم إلا قاصدٌ لهم أو ماز في مزارع الغور، تحتهم وفوقهم الطريق الآخذة
إلى الكثيب الأحمر، وقبر موسى عليه السلام في القبة التي بناها عليه الملك الظاهر
بيبرس.



وفي هذا الدير ومشتريه، وأطلال قلالته وغرفته، قلتُ:

أرى حُسَّ دبر السَّيق يزدادُ كلما . نظرتُ إليه والفضاءُ به تَصْرُ!
بَوَّةٌ عَلَى تَجْدٍ عَلَى الْقَوْرِ مُشْرِفٌ . كَنَحِبِ مَلِكٍ تَحَهُ بِسَطِّ خُصْرُ.
وَأَسْرَفَ فِي سُودِ الْقَمَامِ كَأَنَّمَا . تَسْفَى لِلْعَن حَلَايَسِهِ الْعَجْرُ.
وَعَامَ عَلَى طَوْدٍ عَلَى كَأَنَّمَا . مَصَائِيحُهُ نَحْتِ الدَّجَى الْأَنْعَمِ الزُّهْرُ.
وَزَفَّتْ إِلَيْهِ السَّمْسُ مِنْ حَنْبِ خَدْرِهَا . وَبَاعَاهُ حُجَّحُ اللَّسْلِ فِي أَقْفِهِ الدَّرُ.
وَأَلْفَ إِلَيْهِ الرِّيحَ فَصَلَ عَيْنَهَا . وَأَخْنَى عَلَيْهَا لَا تُسَلُّ لَهُ عُذْرُ.
وَلَوْ كَانَتْ كَاللَّسْرِ نِي هَانَ أَرْيَاؤُهُ . وَلَكِنَّهُ فَدَحُطَّ مِنْ ذَوْبِهِ النَّسْرُ.
عَلَا نَهْرَ رِيحًا وَالْمَجَرَّةُ فَوْقَهُ . مِنْ مَوْفِهِ نَهْرٌ وَمِنْ تَحْتِهِ نَهْرُ.

دير الدِّوَاكِيْس - سرقى القدس، وهو دبر حُسَّ الساء، له من الأمصارى سمعه
وَذِكْرُ، وَلَا أَعْرِفُ بَانَهُ، وَلَا وَفَعْتُ لَهُ عَلَى أَسْمِ، وَلَا عَلَى السَّبَبِ الَّذِي تُنَمِّي بِهِ هَذَا
الْأَسْمِ، عِبْرَانُ لَهُ وَقَعًا يَعُودُ مِنْهُ عَلَى الرِّهَانِ السَّكَاكِ حَامِلٌ فَائِدَةٍ وَبَعْدُ.

وفد مررتُ به غيرَ مرَّةٍ في أسفارِي، وخرج إلى رهبانه عسور ما عاينهم .
وفيه قلتُ :

كثرة مروي
المؤلف به

أُنِجْ بَابِلَ عَلَى دِيرِ الدَّوَاكِيسِ - وَأَبِصْتَ إِلَى قُرْعِ هَاتِيكَ النِّوَابِيسِ !
 وَأَحْبِسْ مَعَ الْعِيسِيِّ الرِّكْبَ فِي طَرَبِ * طَوَّلَ الزَّمَانَ وَلَا رَحْلَ مَعَ الْعِيسِ !
 وَأَنْظُرْ مَعَ الصُّنْحِ هَاتِيكَ الشَّمُوسَ صُحِّي * وَخَلَّ عَكَرَ بَاطِلِ النِّوَابِيسِ !
 وَأَسَأْ مِنْ الدَّيْرِ خَمْرًا كُلَّهَا دَهَبُ * يَخْلَا مُدَّكَ فِي حَرْبِ الْمَقَالِيسِ !
 وَحَلَّ كُلَّ نَحِيحٍ كَيْتَ نَعْنَعَةٍ ! * فَكَّرَ تَرَالِكَيْسَ فِي الْإِنْفَاقِ لِلدَّيْكِيسِ !
 وَأَنْتُمْ وَلَدَّ بِمَا فَصَّدَتْ مِنْ وَطَرٍ * وَطَرُ سُرُورًا إِلَى تِلْكَ الطَّوَاوِيسِ !
 وَقُلْتُ :

دَرِّ الدَّوَاكِيسِ أُمُّ رِبْسِ الطَّوَاوِيسِ " أُمُّ الشَّمُوسِ سَنَا تِلْكَ الشَّمَاكِيسِ "
 هَاوِي الْمَنَاسِبَ لَكِنْ بَعْدَ أَوْتِيهِمْ مِنْهُ نَعْدُونَ فِي حَرْبِ الْمَقَالِيسِ !
 ١٠ فَانْزِلْ بِهِ وَأَفِيمْ بِمَا تُرِيدُ وَقُلْ إِمْلَا كُؤُوسِي وَفَرِّغْ عِنْدَهَا كَيْسِي !
 وَأَفْدَحْ زِيَادَ سُرُورٍ مِنْ مَدَامِيهِ فَهَذِهِ الدَّارُ مِنْ تِلْكَ الْمَقَالِيسِ !

دِيرُ رَمَانِينَ - قَالَ الْخَالِدِيُّ - هُوَ بِالسَّامِ . وَلَا أُدْرِي فِي أَيِّ نَاحِيَةٍ هُوَ مِنْهَا .
 وَلَكِنْ قُلْ إِنَّهُ كَبِيرُ حَسَنٍ عَامِرٍ . وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 قَالَ : نَحَرْتُ فِي بَعْضِ أَسْمَارِي إِلَى السَّامِ . فَدَخَلْتُ أَنْطَاكِيَّةً . فَبَدَأْتُ أَنَا فِي بَعْضِ
 ١٥ أَسْمَائِي . إِذْ قَصَّ عَلَيَّ طَرِيقَ مَنْ يَطَارِفُهَا . وَلَمْ يَكَلِّمْنِي حَتَّى أَتَيْتُ دَارًا فِيهَا تَرَاتُ
 وَحَدَّثَلِ . وَإِذَا مِسْحَاةٌ وَزَيْبَلٌ . فَقَالَ : أَنْفَلْ هَذَا مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا . بِشِيرِ
 فِي ذَلِكَ بَيْدِهِ . وَتَرَكَنِي وَمَضَى . فَتَمَاصَرْتُ فِي نَفْسِي وَخَنَقْتُ الْعَبْرَةَ وَفَعَدْتُ .

فلم أعمل شيئا . وكان أعلى على باب الدار حين . حتى . ثم عاد إلى بعد ساعة .
 وكان يوما شديد الحر . وادأ هو عريان ، مُتَشَحِّحٌ بِسَبِيئَةٍ يَبِينُ مِنْهَا جَمْعُ بَدَنِهِ . فلما
 رأى التراب والجندل بحالهما ، قض على وجمع يده وضرب بها لغدي ، صربة أفرح
 بها قلبي . فقلت : ثكلك أمك ، ماعمر ! ما هذا الاستخذاء للعلاج " وأقض عليه
 فاطرحه تحتي وأخذ المسحاه . فأصرب بها رأسه ، صربة فلقت بها دماغه .
 فمات . وبادرت هاربا من المدبنة . وسرت من يومى وليلى ، فصبحت ديرا ،
 فدخلته . فلما رأى راهبه قال : أصف أنت " قلت : نعم . وكنت قد أعنت ،
 فاصطجعت نائما ماشاء الله . ثم أيقظني الراهب وقال : من أين أنت " فلت :
 من مكة . فصعد نظره وصوبه . ثم قال : ما اسمك " فلت : عمر . فانخرج كتابا
 عنده ونظر فيه ، وأعاد في مراتب . ثم وثب فقبل رأسي . فقلت : ما حملك على
 هذا " فقال : هل طهر عندك رجل بذكر أنه نبي "

وفد كان وقع لي نبي من حبر النبي ، صلى الله عليه وسلم . فقلت : قد سمعت بعض
 الاسيد كرم ما سالت عنه . فقال : أعلم أنك وحق المسيح ستملك أكر الأرض . ونخرج
 حرقا من الشام . وبعث عليها . فأكبت لي أماما ، ولد بري . فقلت : يا هذا ! ما أدري
 ما أقول . فقال : هو ما أقوله لك ، وأنت هو لا محالة . فقلت : أنحب منه وأدفع قوله ،
 وهو نبي على في سؤاله ذلك . فلما أطل . قلت : ما تريد " فقال : كتابك . وأنا في نطفة
 من آدم ، فكبت له ما أملاه على من ترك الخراج والوصاة به . ولفه مع كتابه ذلك .
 وأكرم مثواي . وبكرت غدا من عنده . فأسرح لي حماره وقال أركبها . فإنك ما تمر
 بدبر ، فيراها راهبه إلا أكرمك . وإذا بلغت آحردير لي فليدك . فخلقها عند سكرانه .
 وزودني وأنصرف .

فقال إن عمر لما نرح إلى بيت المقدس، لقبه الراهب، وهو شيخ كبير، بكتابه
ودكره الأمر. فقال عمر: هذا كتبه في الجاهلية، وقد أتى الله بالإسلام. ولا يحل
لي تضيق في المسلمين. ولكي أقطعك على خراجك بما فيه مصلحة لك ورفعك لك.
فقال: قد رصبت. فقاطعه على ما فيه رفع به.

• قال الخالدي: وقال إن الرهبان يوارثون الكتاب إلى وفاء هذا، وإن الولاية
تُمنّيه لهم.

دير هرقل^(١) - قال الخالدي: هو بالشام. ولا أدري في قرب أي مدينة هو.

وفد ذكره دعل بن علي حين هجا أبا عماد، كاتب المأمون، فقال:

وكأنه من دير هرقل مقل^(١) - حتى يتجر سلاسل الأفياد

وَحَكِي الْمُبَرَّدُ قَالَ دَحَلْتُ دِيرَ هِرْقَلٍ^(١). وَسَأَلْتُ رَهْبَانَهُ: هَلْ فِيهِ مَجْمُوعٌ طَيِّبُ الْكَلَامِ.
فَصَحَّحْتُ لَهُ مَا وَصَّيْتُ بِهِ^(٢) قَالُوا: هَاهُنَا. وَأَوْمَأُوا^(٣) إِلَى إِبْوَانٍ مَرْتَمِعٍ فِي الدَّيْرِ. وَقَالُوا: هُمْ
هَآكِ. فَإِنْ أَحْبَبْتَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِمْ فَأَمِصْ وَلَا تَذُدْ مِنْ أَحَدٍ. فَفَعَلْتُ. وَرَأَيْتُ مَرَاتِبَهُمْ
عَلَى قَدَرِ بِلَايَاهُمْ. وَكَانَ مَعِيَ وَقْتُ دُنُوقِ مَهْمِ الْمَوَلَى عَلَى أُمُورِهِمْ. فَلَمَّا رَأَوْهُ مَعِيَ
آمَنُوا. وَرَأَيْتُ شَحَا مَهْمِ عَلَى حَصْبٍ طَلْفٍ. وَوُجَّهَةٌ إِلَى الصَّلَاةِ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ الصَّلَاةَ.

١٥ (١) في ياقوت هرقل بالراي المعجم. قال وأصله حريق مقل إلى هرقل. والذي في نسخة الأصل عدا
أراء المهمة. واعتمدت رواية ياقوت لأب ورن الشعر التالي فتعني السكون. (وأظهر كلامه عليه
في ح ٢ ص ٥٤٢ و ٧٠٦).

(٢) في الأصل وأومئ. وربما يكون أراد الراهب أو رئيس الرهبان.

(٣) في الأصل. قال. (وأظهر الحاشية السابقة).

فأوزته إلى غيره . فقال : سبحان الله ! أين السلام ؟ من ترى المجنون ؟ أنا أم أنت ؟
 فاستحييتُ منه وسلمت . فقال : لو كنتَ بدأتُ ، لأوجبتُ عليما حسن الرد . على أنا
 نعتذر لك أن للداخل على القوم دهشة . اجلس ، أعزك الله عدا . وأوأم إلى موضع
 من حصره فقصه ، كأنه يُوسع لي . وعزمتُ على الدتو منه ، فمعنى فمهم . فوفقتُ
 أسنجلبُ مخاطبه . فسألي . فقال : من أين أنت ؟ قلتُ : من البصرة . قال : أعرف
 المازني ؟ قلتُ : نعم . قال : أتعرف الذي يقول فيه :

وفيتي من مازن * ساد أهل البصرة .
 أمه معروفة * وأبوه مكره .

قلت : لا أعرفه . قال : أعرف علاماً قد نع في هذا العصر ، معه دين . وله حفظ .
 وقد برز في الحياء وصار يحلف صاحبه في محاسنه ، يعرف بالمتد . قلتُ : أنا عن
 الخبر به . قال : فهل أنشدك من عثات شعره ؟ قلتُ : لا أعرفه قال شعرا . قال :
 بلى ، هو القائل :

حذا ماء العنيفة يد يربي العائبات !
 بهما بابت لحمي * ودمي أي نائ !
 أيها الطالب شيئاً * من لديد الشهوات :
 كل ماء الورد ثماً * ح الخدود الباعبات !

قلتُ : أما تستحي من إنساد مثل هذا الشعر في الدبر ؟ فقال : سبحان الله . هل
 تستحي أن تُشَد مثل هذا ، حول الكعبة ، دَع عك هذا . إني سمعتُ الناس يقولون
 في نسبهِ . ثم لم يزل بي حتى عرفني . ثم قال : أحوجتني إلى الاعتذار إليك . ثم قام إلى

لصاحبي . فرأيت العبد في رجله قد شئت إلى خشة في الأرض . فاهنت عائلته .
ثم قال لي : يا أبا العباس ! ضن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع . فليس بتهماً
لك كل وقت مصادفه مثلي على مثل هذه الحالة الجميلة ! أنت المبرّد ! أنت المبرّد !
وجعل يصفق . وقد أنهلت عشاء ونغيرت حلته ، فبادرتُ مسرعاً ، وخرجتُ .

دبر يونس^(١) - حكى رجل من أهل أطاكة قال : حدثني أبي قال . زلتُ مع
المصل بن إسماعيل بن صالح بن عبد الله بن العباس في دبر يونس ، ونحن خارجون
إلى ناحية الرملة . فرأى فيه جارية حساء ، إبهة أقس كان فيه . خدمته مدة مقامه
ثلاثة أيام ، وجاءته بشراب صافٍ عتيق . فلما أراد الانصراف أعطاه عشرة دنانير
ورحل . وقال في طريقه :

١٠ عليك سلام الله مادّ من قتي مُهَجِّجِهِ سُوقٌ إِلَيْكَ طَوِيلُ !
ولا زال من نوى السما كهنٍ وائل عليك مما روى نراك هَطُولُ !
تعلّق منها برهه بعد رده سحابٌ بأحجار الرماض كِبِيلُ !
بدا لي أرساد معه كأن منظر ها لعبون الناظرين جميلُ .
كأنّ البروق الواصب نحوّه صفايح تشرى السماء بجولُ .
١٥ ألا ربّ ليلٍ حالِكٍ ود صدعته وليس معي عتر الحسام حليلُ .
ومنه دليّة أوقدت منها الصُحى مصاسح ما بنحو لمن قبيلُ .
تعلّمني بالراح هفء عاده يُحال عليها للقلوب كِبِيلُ .

(٢٤٤)

نحول المسام منهن إذا غدت . ملاحظها من القلوب تجول .
أما أبنة قس الدير فلي مدله . عليك وجسمي مدتعدت عليل !
وفه يقول أبو شاس :

نادير نويس جادت سرحك الدبم . حتى ترى ماطراً بالبور ييقسم !
لم يسف في ناجر ماء على طمبا . كما شفى حر قلبي ماؤك السيم .
ولم يحلك محزون به سقم . إلا تحلل عه ذلك السقم .
أستغفر الله كم لي فيك ذو غنج . جرى على به في ريعك الفلم .
وهول أيضا :

لا تعدل عن أبنة الكرم . بأي فيها صحة الجسم !
لو لم تكن في شربها قرع . إلا الحطص من بد الهم !
وهول أيضا أبو شاس :

أعاذل ماعلى مثلى سبيل . وعندك في المدامة مستحيل !
البس مطيني حقوى علام . ورحل أمامي كأس شمول !
إذا كانت ببات الكرم شرى . وجملة وجهى الوحة الجميل .
أمت بذبن عاقسة الليالي . وهان على ماقل العنول !
١٥

دير بصرى . هو بالشام . وقبل هو الذي كان فيه بجيرا . الراهب .

(٢٥٥)

حكى المازنى ، قال : نزلت بدير بصرى . فرأيت في رهبانه فصاحه . وهم عرب
منصرة من طي . من بنى الصادر . أفصح من رأيت . فقلت لهم : ما لي لا أرى فيكم

شاعرا، مع فصاحتكم“ فقالوا . والله! ما فسا رجل ينطق بالشعر، إلا أمة لنا كبيرة
السن . فقلت : جنّوني بها . بخافت . فاستندتُها . فأنشدني لنفسها :

أبا رُقّة من آل بَصْرَى تَحَلَّتْ . نَوْمُ الْحِمَى لُقَيْتٍ مِنْ رُقّةٍ رُشْدَا!
إِذَا مَا بَلَّغْتُمْ سَالِمِينَ بَلَّغُوا . تَحْمَةُ مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنَّ لَا يَرَى تَحْدَا.
وَقُولُوا : تَرْكَا الصَّادِرَى مَجَلًّا . نَكَلِ هَوَى مِنْ حُكْمٍ مُضْمَرٍ وَجَدَا.
وَبَالَيْتَ سَعْرَى هَلْ أَرَى جَانِبَ الْحِمَى . وَفَدَّ أَنْبَتُ أَجْرَاعُهُ بَقَلًا جَعَدَا!
وَهَلْ أَرِدْتُ الدَّهْرَ مَاءً وَفِيعِهِ . كَانَ الصَّبَا تُسْدِي عَلَى مَنْبِهِ بُرْدَا
فَوَهَتْ لَهَا ذُرْبُهُمَا . وَتُتِي دَبْرَهُمْ وَأَكْرَمُوا صِبَا فَنِي .

دير الخنّان - وهو دبر ببلاد أدرعاب منى بالمحاره السود . على شَرْزٍ من
الأرض . بُسُوفٍ عَلَى بَرَكَةِ الْغَوَارِ وَهُوَ مِنَ السَّاءِ الرَّوْمِيِّ الْعَدَمِ .

أَنْتَبَ عَلَيْهِ فِي أَسْفَارِي عِبْرَ مَرَّةٍ . وَرَأَيْتُ مَرَّةً بِهِ عَلَامًا قَدْ خَرَجَ مِنْ كَيْسِهِ ،
كَأَنَّهُ الظُّبْيُ الْكَائِسُ . فقلت :

يَا دَبْرَ عَزَّةٍ فِي رَبِّي الْخَنَانِ . دَرَّتْ عَلَيْكَ الشُّجْبُ بِالْهَمَلِ!
وَسَقَنَّا كُلَّ عَمَامَةٍ هَنَاءٍ . نَحْوُ مَوَاطِرِهَا عَلَى الْكُتُبَانِ!
لَمْ أَنْسَ فِي اللَّذَابِ سَاعَةَ مَعْرِلٍ . بَرْنَاكَ هَوَى سَمَائِحِ الْعُدْرَانِ!
وَالصَّحْخُ نَحْنُ مَلَاءَهُ مَرْمُومُهُ . نَسَرْتُ عَلَيْهِ عِمَائِبَ الْأَلْوَانِ .
وَهَنَّا كُلَّ كَيْجِيلٍ طَرِيفٍ فَاتٍ . نَعَزَى أَوْ أَحَظَّهُ إِلَى الْغَزْلَانِ .
مَرْمَسِحَى كَأَنَّ حَيْسَهُ . مَدْرُ الدُّجَى فِي الصَّفِّ مِنْ شُعْبَانِ .
فِي وَحْتِهِ خَنِيٌّ وَرَدَّ أَحْمَرٍ . قَدْ سَبَّحُوهُ بِأَخْصَرِ الرِّيحَانِ .

دير الخنّان

رواية المؤلف

أستعد به

ماشد زُفَّاراً له في يمينه إلا وحل عزائم الرُّهَّان!

يَسْبِي السَّمُولَ ولا كرهه بغره سَكْرَى بها وطرفه النَّان!

دير صليبا - ويعرف بدير السائمه . وهو بدمشق . مطلق على الغوطه . ويليه
من أبوابها باب الفراديس .

نزل دونه خالد بن الوليد أيام محاصره دمشق .

وهو في موضع نزهة كثير البسائين . وبناؤه حسن عجب .

والى جانبه دبر للنساء . فنه رهبان ورواهب . وإياه أراد جرير بقوله :

إذا نذرت بالديرين أرفقى . صوب الدجاج وقرع بالواقيس .

قال الخالدي . ومما يدل على أنه إلى باب الفراديس . قول جرير في هذا الشعر :

ففات للركب إذا حدَّ الحظ بهم : . ما نعد بترين من باب الفراديس !

وأسد منه قول الآخر . وهو :

بادير باب الفراديس المهجلى . بلا بلا بفلاليه وأنجاره !

لوعشتُ نسعين عاماً فيك مصطحاً لما قضى منك فلي بعض أوطاره !

وحكى أن الوليد بن ربد كان كبير المقام في هذا الدبر . يخرج إليه . ومعه حرمه .

أسنحساناً له . وأنه كان يجلس في أيام مقامه فيه في صحبه كل يوم ساءة من النهار .

ثم ما كل ويسرب في مواضع منه : طيبة حسنة .

وحكى الخالدي عن أحد من كان يباهيه . أنه دعا يوماً بطعامه . وأمرني بالعداء

معه . وحضر ندماؤه . وكان فيهم حينئذٍ المعني . فمحن على المائدة . إذ قال له :

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٤ - ج ٥ ص ٢٠) . وقد ذكر ديرا الحراسمه "دير صليبا"

(ج ٢ ص ٦٧٤) .

بأُحْيَى ! عَنَبَى البَارِحَةَ فِي آخِرِ الْمَجَاسِ - وَفَدَ أَحَدَ الشَّرَابِ مَتَى - بِشِعْرِ صَاحِبِكُمْ ،
عَسَى بَنُ زَيْدٍ ، فَلَمْ أَسْكِلِ الطَّرِبَ ، لِأَجْلِ سَكْرِي . فَأَعَدَهُ عَلَى السَّاعَةِ . قَالَ :
فَأَحَدُ حَيٍّ رِفَاقَهُ وَوَقَعَ عَلَيْهَا وَعَنَى :

بِالَّتِي أَوْفَدَى الْبَارَا ! إِنْ مِنْ تَهَوَّيْنِ قَدْ حَارَا !
رُبَّ بَارِيٍّ أَرْمَقَهَا تَقْصَمُ الْهِنْدِيُّ وَالْعَارَا !
عِنْدَهَا طَيِّبٌ يُؤَخِّجُهَا - عَاقِدٌ فِي الْحَضَرِ زَارَا !

(٢٥٧)

قال : فطرب طرباً عظيماً ، وأحد رفاقه ، وفام وترك العداء ، وجعل يقر عليها مع
حُبٍّ . وأخذ كلٌّ مَنْ عَلَى الْمَائِدَةِ رِفَاقَهُ ، وجعلوا يقرّون عليها مثله . ومضى
يطلب باب الدهليز ، وحُبِّسَ والدماء حوله . والحاجب قد جلس ينظر جلوسه .
وقد حصر وجوه العرب . فلما رآه الحاجب عَلَى ملك الحال ، صاح بالناس : الْحَرَمَ !
الْحَرَمَ ! آصِرِفُوا ! آصِرِفُوا ! نَخْرَحُوا . فقال له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وفودُ العرب
ينتظر جلوسك . وأنت مخرج إليهم عَلَى ملك الحال ! فقال : ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ ! أَدْخُلْ .
ودعاه برطلي . تخلف أنه ماداقه قط . فقال : والله ! لنسربنَّ معي حتى أسكر .
ولم يزل يسقيه . حتى مات سكرًا وآصِرِفَ محمولًا .

قلت : وهذا الدبر اليوم لا عين له ولا أثر ، وإنما صار دوراً وأبسه ومساجد
ومدافن . وهي بها حبه محله حمام النحاس . والله أعلم .
وبهذه المحلة دارى إلى بنيتها ومساكني . وهنئها !

الاراق
المؤات بدمش

دير بوناً^(١) - وهو بحاف غوطة دمشق. ابس بكبر. ولا رهانه بكبر. ولكنه
في رباح مشرفة، وأنهار مدقعة. وقال إنه من أقدم ديرة البصاري. بُني بعد
المسح (عليه السلام) بعلبل.

وأجناز به الوليد بن يزيد. فرأى حسه وطسه. فأقام فيه أياماً في تحرق ومحون.
وقال فيه :

حَدَا نُونًا بِدِرْتُونًا حَتَّ نُسْقِي بِرَاحِهِ وَنَعْنِي!
وَأَسْهَبَا نَالِاسَ فَمَا تَقُولُو . ن إِذَا حُبُّرُوا نَمَا قَدَفَعَلْنَا!

قلت: وهذا الدبر اليوم لا وجود له. وقد أقربت الأرض منه من رشم وطال. وهو ضئ
وحادث كل دبر بعده جَلَل.

دير سمعان^(٢) - قال الخالدي: هو ببواحي دمشق. الغرب من الغوطة. على
قطعة من الحل. نطل عليها. وحوله بسابن وأنهار. وموصعه حسن جداً. وهو من
بكار الديرة. وعده دُفَى عمر بن عبد العزيز. بظاهره.

قلت: وهذا علط من الخالدي. وهكذا ذكره أبو العرج. وعلط أيضاً. بأن هذا

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٩).

(٢) أن Sami Simeon . وأنظر القادي (سلسلة II من ١٣٦٠ و ١٣٦٢ و ١٣٧١) :
"العمارة والحدائق" (ج ٣ ص ٦٣) و "التاريخ والإيراق" (ج ١ ص ٣١٩) . "الذهب"
له (ج ٢ ص ٦٧١ - ج ٣ ص ١٣٩) و "المعروف" (ص ١٣١) و "المعروف" (ج ٢
ص ٣٦٨ و ٣٧٠) و "أن الأثير" (ج ٥ ص ٤٢) و "الكبرى" (ص ٧٥٣) و "ياقوت" (ج ٢ ص ٦٧١ -
ج ٣ ص ١٣٩) . وأنظر أيضاً "مختصر الدول" لأن المعري (ص ١٩٨).

الدير في قرية تعرف بالبحره، من قبلى معزة العمان، وبه قبر عمر بن عبد العزيز، مشهور لا سكر، وايس نسمع بدمشق لهذا الدير اسسه، ولا يعرف لمكانه في عوطنه حصراء ولا بابسه.

عُدا إلى ما ذكره الخالدي، قال:ذكروا أنه دخله حرر في يوم عبده، فرأى النساء والصبيان يصلون الصلوات ويسجدون لها، فقال:

رَأَيْتُ بِدْرِ سَمْعَانَ صَالِيًا تُقَلِّه النَّسَوَادِئُ وَالظُّلَاءُ.
تَعْظُمُهُ السُّسُوسُ وَتَحْتَوِيهِ فَتَرْتَشِفُهُ وَيَحْتَفُّهَا السَّكَاءُ.
فَقُلْتُ لَهُمْ: «هَلْ عِثْرُ عَوْدٍ تَمْلِكُهُ أَعْوِجَاحُ وَأَسْوَاءُ»

وذكر أن الواسد بن يزيد نرح منزها منه، فأقام بصطيج ويعتق معه ندماءه ومعتوه، فخرج يوما، عب سحاب، فمطر في صحن الدير عذرا ماء، فاستحسها، وهرل على اكبرها وأكبرها ماء، وقال: والله! لا أرح حتى أشرب هذا كله، مراجاجا لكاسي، وسرب حتى نام، فقال بعض أصحابه لبعض: انش أقام حتى نفى العذير، طال علينا مقامنا، فعملوا يحملون ماءه بالليل وصبوه في الرمال، فخرج بعد يومين أو ثلاثة، فمطر إليه وقد فني ماءه، فقال: أما أبو العباس! وأمر بالرجل إلى دمشق، ومما سمعته من والدي، لأحمد بن هلال، في صفة دير سمعان، مما مدح السيد الرضى لعمر بن عبد العزيز.

مَا آتَى عِدَّ الْعُرَرِ أَوْ بَكَتِ الْعَيْنُ قَتَى مِنْ أَمِّ بَيْتٍ، ابْكِيكَ!
أَنْتَ تَزْهَى عَنِ السَّبِّ وَالسُّنَمِ! فَلَوْ يُمَكِّنُ الْجَزَا، لِحَزِينِكَ!
فَبِرَّ سَمْعَانَ، لَا عَدْلَكَ الْغَوَادِي! - حَيْرُ مَيْتٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَيْتُكَ!

وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تسبب في إبطال السب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأثمت في الخطبة، موضع السب، "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون".

وقد ذكر أبو الفرج أن صاحب دير سيمان دخل على عمر بن عبد العزيز بفكاكة يطرفه بها في مرصده، فقبلها منه، وأمر له بدراهم. فابى أن يأخذها. فزال حتى أخذها. وقال: يا أمير المؤمنين! إنما هي من ثمر نجرنا. فقال عمر (رحمه الله) وإن كان من ثمر شجركم! ثم قال: يا صاحب دير سيمان! إني ميت من مرضي هذا. فحزن وبكى. ثم قال له عمر: بعني موضع قبري من أرضك، سنة، فإذا جاء الحول، فانتفع به. وهذا الذي حكاه أبو العرج مؤكدا لهولاء.

(٢٥٩)

دير مران^(١) - وهو بالعرب من دمشق، على تل في سفع قاسيون وبأوه بالخص الأبيض. وأكثر فرشه بالللاط الملون. وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني. وقلائه دائرة به. وأشجاره متراكبة. وماؤه يتدفق.

دير مران

وحكى عن المبرد أنه قال: وابئت الشام - وأنا حدث في جماعه أحداث - لا كتب الحديث وألقى أهل العلم. فأجرت بدير مران. فأحببت النظر إليه.

(١) أطر الطبري (سلسلة II ص ١٢٧٠ و ١٧٩٢) و "الأغاني" (ج ٦ ص ١٩٥ و ج ٧ ص ٥٥ و ج ١٦ ص ٣٣) و "العيون والحدائق" (ج ٣ ص ١٢ و ١٣٧)؛ واليعقوبي (ج ٢ ص ٢٧٢ و ٣٤٩)؛ والكثير (ص ٣٦٢)؛ وآمن الأثير (ج ٣ ص ٣٨١ و ج ٥ ص ٢١٥ و ج ٦ ص ٣٧٦)؛ وجصمصا باقوت (ج ٢ ص ٤٠٧ و ٦٩٦ و ج ٣ ص ٥٥٥ و ٧٧٧ و ج ٤ ص ٤٨٠ و ٦٠٤).

فصعدناه، فرأيت منظرا حسنا . وإذا في بعض بيوتِه كهْلٌ مشدودٌ حسن الوجه
عليه أثر النعمة . فدنونا منه وسألنا عليه فردّ السلام . وقال : من أين أنتم ، يا فتيان ؟
قلنا : من أهل العراق . قال : بآبي ! ما الذي أقدمكم هذا البلد الغليظ هواؤه ، الثقيل
ماؤه ، الجمّاء أهله . قلنا : طلبُ الحديث والأدب . فقال : حبّذا ! أنشدوني
أم أنشدكم ؟ قلنا : بل أنشدنا . فقال :

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي كَبَدُ : لَا اسْتَطِيعُ أَبْتُ مَا أَجَدُ !
روحاني : رُوحٌ تَسْمَمُهَا : بِلَدٍّ وَأُخْرَى حَازَهَا بِلَدُّ !
وأرى المَقْبِعةَ لَيْسَ يَمُوعُهَا * صِرُّ لَيْسَ يَصُونُهَا جَلْدُ !
وأظنّ عَائِتي كَشَاهِدَتِي : بِمَكَانِهَا تَجِدُ الَّذِي أَجَدُ !

ثم أغميَ عليه . فافاف فصاح بنا فقال : أنشدوني أم أنشدكم ؟ قلنا : بل أنشدنا .
فقال :

لَمَّا أَحَاوَا قُبَيْلَ الصَّبْحِ عِيَرَهُمْ * وَرَحَّلُوا، فَتَنَادَتْ بِالْمَوْىِ الْإِبِلُ .
وَأَبْرَزَتْ مِنْ خِلَالِ السَّجَفِ نَاطِرَهَا : بَرَّئُوا إِلَى وَدَمْعِ الْعَيْنِ مِنْهُمْ !
فَوَدَّعَتْ بِسَائِ حَمَلُهُ عَنَمٌ ، * قَقَلَتْ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ ! يَا جَمَلُ :
وَبَلَى مِنْ الْبَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِي وَبَهَا * مِنْ يَارِجِ الْوَجْدِ ! حَلَّ الْبَيْنَ فَارْتَحَلُوا !
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَقْضِ مَوَدَّتَهُمْ ! * فَلَيْتَ شِعْرِي ، لَطَوَّلَ الْعَهْدَ مَا فَعَلُوا !

فقال له قتي من الحُجَّان الذين كانوا معي : ماتوا . قال فاموت ؟ فقال له : مُتٌ .
فتمطى وتمدد . وما برحما حتى دفناه .

وللصوريّ فيه، من شعر يقوله :

أمرٌ بديرٍ مُرَّانٍ فَأَحْيَا * وَأَجْعَلُ بَيْتَ لَهْوَى بَيْتَ لَهْبَا .
صَفَتْ دُنْيَا دِمَشْقَ لِمُصْطَفِيهَا . * فَلَيْسَ يُرِيدُ غَيْرَ دِمَشْقَ دُنْيَا !
مُظْلَلَةٌ فَوَاكِهِنَّ أَبْهَى * وَأَنْضُرُ فِي وَاطِرِنَا وَأَهْيَا !
فَإِنْ نَفَاحَةً لَمْ تَعُدْ خَدَا ، * وَمِنْ رُمَانَةٍ لَمْ تَعُدْ ثَدْبَا !

وقد ذكره أبو العرج وقال : هو على تَلْعَةٍ مُشْرِفَةٌ عَلَى زَعْفَرَانٍ وَرَبَاضٍ حَسَانٍ . نَزَلَهُ الرُّشِيدُ وَشَرِبَ فِيهِ . وَنَزَلَهُ الْمَأْمُونُ بَعْدَهُ . وَكَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ مَعَ الرُّشِيدِ ، لَمَّا نَزَلَهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ فِيهِ شِعْرًا ، فَقَالَ :

بَادِرِ مُرَّانَ ، لَا تُعَرِّبْتَ مِنْ سَكْنٍ ! * قَدْ فَجَّحَتْ لِي حَزَنًا ، بَادِرِ مُرَّانَا !
حُثِّ الْمَدَامُ فَإِنَّ الْكَاسَ مُتَرَعَّةً * مِمَّا يَهِيْجُ دَوَاعِيَ الشَّوْقِ أَحْيَانَا !
وَأَمَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ ، فَغَنَّى فِيهِ لَحْنًا .

وَحَكَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصَّلِيِّ أَنَّهُ قَالَ : مَرَّ الرُّشِيدُ بِدِيرِ مُرَّانَ فَاسْتَحْسَنَهُ وَنَزَلَهُ . وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِطَعَامٍ خَفِيفٍ . فَأَتَتْ بِهِ ، فَأَكَلَ ، وَأَتَتْ بِالشَّرَابِ وَالنَّدْمَاءِ وَالْمَغْنَنِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الدَّيْرِ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ هَرِمٌ . فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، وَأَسَأَذَنَهُ فِي أَنْ بَأْتِيَهُ بِشَيْءٍ مِنْ طَعَامِ الدِّيَارَاتِ . فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَاهُ بِأَطْعَمَةٍ نَظَافٍ ، وَإِدَامٍ فِي نِهَاجَةِ الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ . فَأَكَلَ مِنْهَا أَكْثَرَ أَكْلٍ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ ، بِخَاسٍ مَعَهُ يَحْتَدِثُهُ ، وَهُوَ يَشْرَبُ . إِلَى أَنْ جَرَى ذِكْرُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ الرُّشِيدُ : هَلْ نَزَلَ بِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . نَزَلَ بِي الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَأَخُوهُ الْغَمَرُ . فَجَلَسَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَكَلَا وَشَرَبَا وَغَنَيَا . فَلَمَّا دَبَّ فِيهِمَا السُّكْرُ ، وَثَبَ الْوَلِيدُ إِلَى ذَلِكَ الْجُرْنِ فَمَلَأَهُ وَشَرَبَهُ ، وَمَلَأَهُ

٢٦١

وسق أخاه، الغمر . فما زالا ينعاطيانه، حتى سكر، وملاه لى دراهم . ففطار إليه
الرشيد، فإذا هو عظيم لا يقدر على أن يقبله، ولا يقدر على أن يشرب إلاه . فقال :
أبى بنو أمية إلا أن يسبقوا إلى اللذات سبفا لا يجاريهم أحد فيه . ثم أمر برفع
النبيد، وركب من وقته .

قلب : والناس في اختلاف : أين كان دير مرّان . من فائل إنه كان بمشارق
السّمح، نواحي برزة . والأكثر على أنه كان بمغاربة ، وأن مكانه الآن المدرسة
المعظمة ، وأما الذي كان بمشارق السّمح . فهو دير السائمة المسمى دير صليبا . وقد
ذكرناه .

دير صيدايا

دير صيدنايا - وهما اثنتان : أحدهما ينصده البصاري بالزيارة . هو في ديمة
القربة . والآخر على بُعد منها، مشرف على الجبل، شمالها بسوق . وهو دير مار شربين
ويُقصد للتره . من بناء الروم بالحجر الجليل الأبيض . وهو دير كبير . وفي طاهره
عين ماء سارحة . وفيه كوى وطاقت تُشرف على غوطة دمشق وما يليها، من قلبها
وشرقها . وفيها ما يطل على بواطن ما وراء نية العُقاب . ويمتد النظر من طاقاته الشمالية
إلى ما أخذ شمالا عن بعلبك .

وأما الذي في الهرية^(١)، فمن بناء الروم بالحجر الأبيض أيضا . ويُعرف بدير السيده .
وله بستان . وبه ماء جارٍ، في بركة تُحمل به . وعليه أوقاف كثيرة . وله مغلّات واسعة .
وتأتيه بذور وافرة . وطوائف البصاري، من الفرنج . تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة .

(١) في الأصل . "و في قرية صيدايا دير" . وقد كتبت المؤلف فوق الكلمتين الأولى كلمتي . "أما

الذي" لتصحح السياق المتقدم . ولكه فاته أن يصرح على تلك الكلمات الأربع .

وكنْتُ أراهم يسألون السلطان في أن يُمَكِّنهم من زيارته . وإذا كَتَبَ لهم زيارة
قُسامَة ولم يَكُتُبْ معها صيدنايا، يُعاودون السؤال في كُتُبها لهم . ولهم فيها مُعْتَقَدٌ .
والنصارى تَزْعُمُ أنَّ بها صُنْدا يقَطُرُ منه ماءٌ، يأخذونه للتبرك . ويدْعُونَهُ في أوَانٍ
لِطَافٍ من الزُّجاج ، ويكسونها من فاخر الثياب . ولهم فيه أقوالٌ كثيرة . وسمعتُ
نصرانية ، كانت معروفةً ببنهم بالعلم ، تقول : إن ذلك الماء إذا أُخِذَ على اسم شخصٍ ،
وعُلِقَ في بيته ثم أزداد مقداره عده عما أخذه ، دَلٌّ على زيادة ماله وجاهه ؛ وإذا
نَقَصَ ، دَلٌّ على نقص ماله وجاهه وفُرب أوَان موته .

ورأيتُ هذا الماء ، وله دُهْنِيَّةٌ تُسَبِّهُ النَّيْرَحَ أو الزيت الصافي ، وليس هما .
وجاء مرةً كُتِبَ ريدفرس وكتب الأذفونس^(١) على أيدي رسلهم . ومما سألوا
فيها تمكين رُسُلِهِم من التوجه إلى صيدنايا للتبرك بها . فأجاب السلطان سؤالهم وحمل
الرسَل على خبل البريد إليها .
ومما قلته فيه .

في جانب الدَّيْرِ لنا مَنَزِلٌ * وَمَنْهَلٌ عَدْتُ بِهِ تَهَلُّ .
وشادِنٌ قد جاءنا أَحَوْرٌ * في كَفِّهِ كَأْسٌ لَهُ تُشْعَلُّ .
وروصةٌ تُشْرِفُ أنهارها * قد شَقَّها في وَسْطِها جَدْوَلٌ .
ومُطَرِبٌ تُطَرِّبُ الحانُهُ : كأنه إسْحاقُ أو زَلْزَلٌ .
قد دُوكَ الرِّاحَ ففى دَنِّها * شَهْدٌ وفي الطَّعْمِ بها فُلُفْلٌ .
واوى بها في الكاسِ لِكِنِّها * عَدْرَاءُ مِنْ خُطَّابِها تَحْجَلُّ .

(١) أي ملك فرنسا : Re de France

(٢) أي ملك إسبانيا Alphonse وأسمه عد الاسبايين Edefonse ٢٠

دير شق معلولا - وهو ساطن حُصّة عسال . وهو ساء رومي بالمجر الأبيض .
معلق يسقيف . وبها صدع فيه ماء ينقط ، نحو الذي يصيدنا با . ويأخذه النصارى
للتبرك ، معفدين فيه نحو اعتقادهم في الآخر . وإنما الاسم للذي يصيدنا با .

دير شق معلولا

دير بلوذان - وبهاؤه فديم بديع الحسن . وافر الغلة ، كثير الكرم والفواكه
والماء الجاري . نقرية بلوذان . وهي محاذية لكرم عامر ، تطل من مشرفها على جبة
الزبداتي ، ببلاد دمشق . وبه رغبان نظاف ، وغلمان من أبناء النصارى ظراف .

دير بلوذان

مررت عليه ، ونزلت إليه . ورأيت به علاما فوق الظبي حسنا ، وبشبه البدر
أو أسنى . بحصر بحيل ، وطرف كحل . قد قطع الرار بين خصره وردفه ، وبعث
السحر بين جفنه وطرفه . ثم ما كان بأعجل مما أستتر بدره ، ولاح ثم خفي بخره .
فقلت فيه :

مرور المؤلف عليه

١٠

حبذا الدير من بلوذان دارا ، أي دير به وأي نصارى !
فيهم كل أحور الطرف أحوى ، فأنى الحس في حياء العذارى !
وغلام رأته كلال ، ما بدا للعبث حتى توارى !
نصوام إذا تمايل نسوا ، ما فالحاظ مفليته سكارى !
ما حل الخصر حل عقد أصطبارى ، عندما سد خط الزمار !
قبل رؤاه ما رأيت عزالا ، بات يسقي من مرشقه العقارا !

شعره فيه

١٥

دير نجران^(١) - وهو بالنين . وتسميه العرب كعبة نجران . وهو لنى الحارث بن
كعب . وسبأى ذكره في موضعه .

دير نجران

(١) أنصر الكوى (ص ٣٧٦) ؛ وأطروا قوت (ح ٢ ص ٧٠٣) .

وقال إن بباءه أعجب بباء وأحسسه . على نحو عمارة عُمدان ، القصر المشهور . كان
محجوجا . وبه الراهبان اللذان ذكرهما بعض شعراء العرب ، في قوله :
أياراهيَّ نَجْرانَ ، ما فعلتَ هـذُ ؟ . أقامت على عهدى ، وأتى لها عهدُ
إذا بعد المشتاق ، رثت حباله . * وما كلُّ مُشتاقٍ يُغيِّرُه البعدُ !
ولطدين البيين غمَاءَ حَسَنَ .

وقد ذكره أبو الفرج الاصبهاني وقال : إنه كان لآل عبد المَدَّان ، سادة
بى الحارث . قال : وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمن نصارى ، ينارون في البيع
وزبنا وحس بنائها : آل المدر بالحيرة ، وغسان بالشام ، وبنو الحارث بن كعب
بنجران . فتكون دباراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والرماض والعُدْران ، الشامحة
البناء . ويعملون آلاتها من الذهب والفضة ، وستورها من الديباج . ويعملون في حيطانها
الفسافس ، وفي سفوفها الذهب . وكان بنو الحارث على ذلك ، إلى أن جاء الإسلام
وفي كعبتهم هذه قال الأعشى :

وكعبة نَجْرانَ حَتَمَ عَلَيْكَ حَتَّى تُنَاجِي بِأَبْوَابِهَا !
تُرور يَزِيدَ وَعَبْدَ الْمَسِيحِ * وَقَيْسًا ، وَهُمْ خَيْرُ أَرْبَابِهَا !
إِذَا الْحَبْرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ * وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَايِهَا ،
وَشَاهِدُنَا الْجُلَّ وَالْيَاسِمِينَ * وَالْمُسْمِعَاتِ بِفُصَّائِهَا ،
وَبَرِيطًا مَعْمَلُ دَائِبٍ ، * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَرَى بِهَا ؟

(١) غلط طابع الأعراف حرف هذا الشطر (ح ١٠ ص ١٤٢) .

(٢) أى الورد .

(٣) في الأصل : تَقَعَّى ها .

(٤) في الأصل : سِرْبَطًا .

قال: وفي هذا الشعر غناء حسن أخذته جمحظة عن بنان.

ولهذا الدير أخبار كثيرة، ليس هذا مكانها.

بيعة أبي هور^(١) - وهي بسر باقوس. عامرة برهبانها، مثرية بغضة قناديلها وذهب صلبانها. كثيرة القلالي، مذهبة بالوقود جُنع الليالي. ولها أعياد مقصودة الأوقات، منتظرة الميقات.

بيعة أبي هور

حكى الشافعي أن به - على ما ذكره أهله - أعجوبة. وهي أنه من كانت به خازير وقصد هذه البيعة للعاجلة، أخذه رئيسها وأضجعه. وجاءه بخنزير وأرسله على موضع العلة. فليحس الخنزير موضع الوجع جميعه، وما كل الخنازير التي فيه، لا يتعدى ذلك إلى الموضع الصحيح. فإذا نظف الموضع، دثر عليه من رماد خنزير فعل مثل فعل الأول من قبل، ومن زيت قنديل البيعة فيبراً. ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيذبح، ويحرق، ويعد رماده لمثل هذه الحالة.

٢٦٩

وقال: وهو إلى الآن كذلك، كما ذكره. قال: ولهذه البيعة دخل عظيم من يبرأ من هذه العلة. وفيه خلق من النصارى.

دير يحسن^(٢) - وهو بسنهور، من أعمال مصر. وهو عامر برهبانه، ناضر بسكانه.

دير يحسن

قال الشافعي: وقد ذكره بعض المتقدمين أنه إذا كان يوم عبده، أخرج الرئيس

(١) وتسمى دير أبي هور، ودير سر باقوس. أنظر كلام ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١)، والشافعي

(ورقة ١٣٤)، والقروبي (ص ١٣١).

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٧١٠).

الذي في الدير الشاهد في تابوته . ويسير البابوت على وجه الأرض ، فلا يقدر أحدٌ
يُمسكه ولا يَحْبِسُهُ ، حتى يَرَدَ البحرَ فيغطس فيه ، ويرجعُ إلى مكانه .
وقال : كذلك قول المتقدمين على أنه على هذه الحالة .

تخيل للؤلؤ .

قلت : وهذه حكاية مكنوبة ، لاصحة لها .

وإِنَّمَا الذي بلغني ، وأنا بمصرَ تلك المَدَدَ الطويلة ، أنه إذا كان أو أنْ نَحْرُكُ الليل ،
يُخْرَجُ تابوتٌ ، يقال إن فيه إصبع الشهيد ، وبرمى في البحر . وذلك لوفيت معلوم ،
يسمونه عبد الشهيد . ويكون الذي يرميه بعضُ أعراء كبراء العِط . عادةٌ كب
أسمعها ، لا تنقبز . ويظنُّ العِط أن رمى الإصبع سببُ الزيادة . وإِنَّمَا هو بمشدنة
الله وقدرته .

دير مريحنا^{١١} - وهو على شاطئ بركة الحبس . قريب البحر ، إلى جانب بسابن
الوزير . وهي التي أسأ بعضها تمم بن المعز وأنسا به مجلسا على عمود . وقرب هذا الدير
عينٌ ذهبت بها الرمال .

قال الشافعي : وهذا الموضع من معادن اللبب والشرب والطرب ، نَرَهُ في أمام
الليل ، وزبادة البحر ، وامتلاء البركة . وكذلك هو في أمام الررع . لا تكاد يحلو من
المتنهرين . وقد ذكرته الشعراء . وفيه قال أبو عاصم :

٢٦٥

يَاطِيبَ أَيَّامٍ سَفَحَتْ مَعَ الصَّبَا - طَوَّعَ الهَوَى فيها بَسْفِجَ الْمُنْظَرِ !
فَالْبِرْكَهُ الْغَنَاءُ فَالْدِيرُ الَّذِي - هَدَاهَا قَرِطَ صَبَابِي وَتَفَكَّرِي !
فَأَحْسَنْ كَوُوسَكَ يَا عَلَامُ وَأَعِينِي - فَلَمَدَسِكْرَتُ وَنَحْرُطَرَفِكَ مُسْكِرِي !

وأرى السرى في السماء كأنها . تاح فصل جانباه محوهر!
فاشرب على حسن الرماض وغني . وأنظر إلى الساي الأغنى الأخور!
فلعل أنام الحياة قليلة . ولعلني قدرت ما لم يقدر!

دير نهيا^(١) - ونها بالحيرة، وديرها هدا من أطيبها موضعاً، وأجلها موقفاً، عامر
برهبانه وسكانه .

وله في السل منظر عجب، لأن الماء يحيط به من جميع جهاته، ويزبد في حسن
مترهانه . فإذا بصرف الماء أظهرت أرضه غرائث الثوار، ومخائب الزهور المشرقة
الأوار . وله حليج بساب أنساب أرقم، وعليه شطوط كأنها بالدياج ترقم .

وقال السابني: وهو متصبّد ممّتع . وأسد فيه لابن البصري :

أَتَنَسَّطُ لِلشُّرْبِ بِاسِيدِي ، فيومك هذا دفيقُ الدُّرُوزِ
فَعِنْدِي لَكَ الْيَوْمَ مَشْوِيَتَانِ . سرقنهما من دحاح العجوز!
أَنَشَطُ عِنْدِي عَلَى نَفْتَبِ ، عَلَى أَوَزَتَيْنِ ، عَلَى قَطَرِ مَيْزِ
وَبَصِصِ نَهْيَا وَدِيًّا لَهَا . به مبيتُ الورد والمرحوز
وَنَشْرَبُ فِيهَا بِرِطْلٍ وَجَامٍ . وطاسٍ وكأسٍ وكوبٍ وكوز!
فَعِنْدِي حَشْفُ رَخِيمِ الدَّلَالِ . نَسَا فِي السَّيِّمِ وَلُبْسُ الْخُزُوزِ!

(١) أنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠٤) ، وياقوت (ج ٢ ص ٧٠٤) ، والشاشي (ورقة ١٢٩) .

وأنظر أيضاً أبو صالح الأرمي في تاريخه "أخبار من نواحي مصر وإقطاعها" الذي طبعه المشرق الامكليزي
إيفت Davall ورجعه إلى الانكليزية - بمدينة اكسفورد سنة ١٨٩٥ (ص ٧٧ - ٨١) .

(٢) وفي الشاشي . اماس بر السرى . وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠٢) ، وآس أي أصيعة (ج ٢

ص ٨٩) ، وياقوت (ج ٢ ص ٦٨٥) ، والشاشي (ورقة ١٢٤) .

دِير الْقَصِير^(١) - هو في أعلى الجبل ، على سطح قُبَّة من بلاد الْفَنَح^(٢) . وهو
حسن البناء ، تَزُهُ البقعة . وله بئر مقورة في الحجر .
وفي أعلاه غرفة بناها ثمارويه بن طولون ، نُظِّل من كل جهة . وكان كثير
الْفُشْيَان لهذا الدير .



والطريق إليه من جهة مِصْرَ صَعْبٌ ، ومن قبله سَهْلٌ .
وإلى جانبه صَوْمَعَةٌ ، لا تحلوه من حَيْسٍ .
وإلى جانبه قرية تُعرف سُهران . يقال إن أم موسى (عليه السلام) منها ألقته
في التابوت ، في البحر .

وبها دير آخر يعرف بدير شهران . وهو المعروف الآن بِسُهران^(٣) .
فال السابسي : ودير القصير أحد الديارات المقصودة ، والمتنزهات المطروقة :
لحسن موقعه وإشرافه على مِصْرَ وأعمالها . وفيه بهول محمد بن عاصم المصري :
إِنَّ دَبْرَ الْقَصِيرِ هَاجَ أَدْكَارِي : لَمْ يَأْتِهَا الْحِسانُ الْقِصَارِ !
وَكَأَنِّي إِذْ زُرْتُهُ عَدَّ هَجْرِي : لَمْ يَكُنْ مِنْ مَسَايِلِ وَدِيَارِي .
إِذْ صُعُودِي عَلَى الْجُمَادِ إِلَيْهِ . وَأُنْحَادِي فِي الْمُنَشَّاتِ الْجَوَارِي .

(١) صلبه ها في الأمل (بالفتح كأمير) . وفي ياقوت القَصِير . (بالضمير) . وقد عاد الخواب فيما
سيجي من الأساب فصطه بالتصغير . وعلى ذلك صطها الشاشي . وأطار أيضا ما ذكره أبو صالح الأرمي
(ص ٦٢ و ٦٥) .

(٢) الذي في الشاشي هو " في أعلى الجبل على سطح في قلته " أما قول ابن فضل الله " سطح قبة من
بلاد الفتح " فهو من عنده . ولعل هالك يحريها من الماسح . فهي لا أدري ما يريد . قوله " بلاد الفتح " ها .
(٣) هذه البيانات قلها ابن فضل الله عن الشاشي مختصار .

منزلاً لستُ مُحَصِّباً ما بقلبي . ولتسنى فيه من الأوطار!
 منزلاً من علوه كسماء . والمصاييح حوله كالدرارى!
 كم شربنا على التصاوير فيه * بصغار محثوثة وبكار!
 صورة من مصوِّر فيه طَلَّتْ * فتنة للقلوب والأبصار!
 لا وحسن العَبْنين والشفقة اللآلئ منها وخدّها الجللنارى!
 لا تحلّفتُ عن مزارى ديراً * هي فيه، ولو مأي بي مزارى!
 فسقى الله أرض حُلوان فالنجسد فدير القصير صوب العُشار!
 كم تنبّهتُ من لذّاة نومي * بنعيم الرّهان في الأسفار!
 والواقيس صائحات تنادى: . حىّ بأئمّة على الأنسكار!^(١)

- ١٠ وقال ابن ظافر: مضيتُ أنا والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين (بغنى ابن مجاور)
 والفاضى الأعز المؤيد في جماعة من أصحابنا إلى الدير المعروف بالقصير إشاراً لنظر^(٢)
 تلك الآثار، فلما تترها في حسن منظرة^(٣) نعاطيا العمل^(٤) فيه على عادة الشعراء الذين^(٥)
 قطعوا طريق الأعمار، بطروق الأعمار، وضيعوا العيى والعقار، في تحصيل العيى
 والعقار . فقال الشهاب :

(١) هذه القصيدة في كتاب الشاشى تتألف من ٢٧ بيتاً . وقد ترك أس فصل الله بها ١٥ بيتاً .

(٢) في مدائع الدائنه صفحة ١٢١ : الأعرب المؤيد رحمه الله .

(٣) في مدائع الدائنه ريادة . وقصيا الوطرس بطره .

(٤) في مدائع الدائنه : القول .

(٥) في مدائع الدائنه . حرباً على عادة حلعاء اللعاء، وطرفاء الادباء، ومُحَنّان الشعراء، الذين نذوا الوفار

المراء، قطعوا طريق الأعمار بطروق الاعمار .

سنى الله يومى بذير القصير * قصير العزالي طوبل الذبول !
 محلل إذا لاح لى لم أقف * بصحبي على حومل فاللدخول .
 فقلت :

فكم فيه من قمرى دجى * على غصن فى كتيب مهيل !
 رود صحيح وطريف سقيم * وروح خفيف وردف ثميل !
 فقال الأعز :

قطعت به العيش مع فية * صباح الوجوه كرام الأصول !
 بكل كريم قصير المرا * يحاز المعالي بباع طوبل !
 فقال الشهاب :

إذا قسه سل سيف المدام ، فكم من سليل وكم من قتيل !
 فقال الأعز :

وكم من خليع كريم العمال ، يُحدّد بالحدود غيظ البحيل !
 فقلت :

يوافيه ذا ذهب جامد ، فبقيه فى ذائب للشمول !
 ثم صنع الشهاب :

على عمر القصير قطعت عمرى * وصنت خلاعتى وأزلت وقرى !

(١) بالأصل صفحة ٢٦٦ : محلا . وقد اعتمدنا على البدائع .

(٢) لى ، غير موحودة بالأصل . وأحد ماها عن البدائع .

(٣) والبدائع : ملحط صحيح وجهر سقيم .

(٤) زاد فى البدائع : على غير هذا الروى والورن فقال .

(٥) فى البدائع : قصرت [وهى أحسن] .

فقال الأعز :

ولم أسمع لعمرك قول زبد^(١) . إذا ما لامني أو قول عمرو!

قلت :

ظفرتنا فسه من شفهِ وكأس . بمشروبين : من ربي ونحر!

فقال الشهاب :

ودافعا يمين الرأي^(٢) فيه . بمظروبين : من نحر وحصر!

فقال الأعز :

كسوت به الكؤوس البيض حمرا . من الفميص أشتريناها بصمرا!

قلت :

وظلت بمازني للهواتلو . بهز البيض به عاق سمر!

١٠

دير شعرا^(٤) - هو في حدود طرا، من صواحي القاهرة القبلية، في لحف الجبل الأحمر، المعروف بالقطم . وبنائه بالحجر واللبن . وعليه نخل . وبه جائع من الرهبان . وهو من دبارات العاقبة .

دير شعرا

حكى أن السراح الوراء مر عليه، فنزل به . فرأى به جماعة من أودائه على راح
تقدح لهم أقداحها، وتهدى إليهم أفراحها . وكان السراج قد طمئت فيلته من

١٥



(١) في الدائع : لعمرى .

(٢) » » : الدين .

(٣) أى القمص .

(٤) أطلرأبسا في خطط المقرئ (ج ٢ ص ٥٠١) ، وأطلر ما أورده أبو صالح الأرمي

شُعْلَةُ ذَلِكَ اللَّهَبِ، وَنَكَرَتْ قَافِيَتُهُ صُفْرَةَ ذَلِكَ الذَّهَبِ . فَأَتَاهَا السَّاقِ فَرَدَّهَا ،
وَوَاصَلَتْهُ فِي الْكَاسِ فَصَدَّهَا . هَذَا حِينَ نَكَسَ الْكَبِيرُ صُعْدَتَهُ، وَأَعَدَّ الْعَمْرُ مَدَّتَهُ .
وَذَكَرَ يُجْلِسَاتِهَا فَقَدْ إِخْوَانَهُ، وَدَهَابَ زَمَانَهُ . فَلَامَهُ مِنْ حَصْرِ إِدْ صَدِّ الْكَاسِ،
وَقَالَ : أَمَّا لَكَ أَسْوَةٌ بِهَؤُلَاءِ الْجُلَاسِ ؟ فَقَالَ :

عَجِبَ السَّاقِ لِرَدِّي الْفَدْحَا . وَلَا أُمِرُ فِي النَّصَايِ فَدْحَا !
وَأَنَا نَا يُحِبُّ كَايِسِهِ ، حَيْثُ جِئْنَا دِيرَ شَعْرَانَ صَحِي .
قُلْتُ : يَا قِرَّةَ عَيْنِي رُبَّمَا . غُصَّ طَرْفٌ بَعْدَ مَا قَدْ طَمَعَا !
لَمْ أَكُنْ أَوَّلَ وَلَهَانٍ سَلَا . لَا وَلَا أَوَّلَ تَشْوَايِ صَحَا !
أَشْرَبُ الرِّاحَ أَرْجَى فَرَحًا . فَيُتَبَّحُ الْخَطُّ مِنْهَا تَرْحَا !
سَوْءٌ حَظِّي لَوْ رَمَى الصَّبْحَ دَجَا . أَوْ رَمَى لَيْلَ عِدَارٍ وَصَحَا !
وَنَحْمُولُ مُنْطِقٍ بِالشَّتْمِ لِي ، مَنْ أَرَى دَهْرِي لَهُ مُتَمَدِّحَا ؟
زَادَ فِي سَبِّي إِلَى أَنْ خَلُّهُ . نَسْهَدُ اللَّهَ بِهِ قَدْ سَبَّجَا !
أَمَا مَا ذَنَّبِي لِحَالِ اللَّهِ أَمْرًا . لَأَمْ فِي التَّوْبَةِ مِثْلِي وَلَحَا !
يَا نَدْبِي أَنْتَ لِلرَّاحِ فَدَغْنِي . أَنْزَحُ الدَّمْعَ إِلَى أَرْبِ مُرَحَا !
هِيَ أَوْفَاتٌ وَكُلُّ آخِذٌ . مِنْ صَمَا أَوْفَاتِهِ مَا سَمَحَا !

حُكِيَ أَنَّ السَّرَاجَ الْوَرَّاقَ وَأَبَا الْحُسَيْنِ الْجَوَّارَ نَحَرَا فِي عَهْدِ صَاهِبِهِمَا، وَالشَّيْبَانَ
أَعْقَدَ حُبَّاهُمَا، يَرِيدَانِ التَّرَهُّةَ . فَوَجَدَا غُلَامًا زَاوِيًا، يُتَمَنَّى مِنْهُ الْإِقْدَامُ، وَيَجْمَعُ فِيهِ
الْفَصْنُ وَالْوَرَفَاءُ . يَتَلَقَّتْ بِصَفْحَةِ الْقَمَرِ الْمِيرَ، وَيُطْرَبُ كَأَنَّمَا زَمُرُهُ مِمَّا أَوْقَى آلَ

داود من المرامير . فلفتهاه إليهما لأمر ، وظناً أنه سنلينه لهما الخمر . فأتيا به دير
شعران ، وصعدا إليه ، فوجدا راهبا يصدع حُبَّهُ الفؤاد ، ويطلعُ قره ولا شئ
احس منه في ذلك السواد . فراد سرورُهما بحصول الزامر والراهب ، وأيضا ببلوع
المأرب . فلما حيت فبهما سورةُ الحمّا ، وطن كل منهما أنه قد حُصل له فراشه
وتبها . فظن الزامر والراهب لمرادهما فزكاهما ومضيا قبلَ النوم ، وتركاهما وكلُّ واحد
منهما يشكو حجيجا لايام . فقال السراح :

في فحّا لم تقع الطائرُ : * لا راهبُ الدبر ولا الرامرُ !

فقال أبو الحسين الجزار :

فَسَعْدًا ليس له أوّلُ ، . ونَحْسًا ليس له آخِرُ !

فقال السراح :

فالقلبُ في إرهما هائمُ .

فقال الخوار :

والقلبُ من أجلهما حائرُ !

وحكى أن السراج الوزا كان يغتنى راهبا بدير شعران وافر العقل ، كامل
الفضل . فخرج إليه في جماعة من أهل الأدب وشعبانُ قد بقى على أقل من نصفه ،
وبدره قد أحد بفهمه إلى خالصه . وشهر رمضان قد آن له أن تغلّ فيه شياطينُ
الأنام ، وتحتّم فيه على الأفواه بالصيام . فالتوا الراهب وقد لبس مسحه وساح ، وعزل
الدرهما هبت منه رائحة راح . فلما رأوا أن دين رمضان قد حان حلول أجله ،
وأن وجه الدبر الوقاح مادت فيه من الخمر حمرة تجلّه ، خافوا أن يأتى الصيام ، وما

تسرع سوى قنديل يحوره الذي بان . ولا ملك مدام يأتي منه أوائل وردي في أوانر
شعبان . فندب السراج إليه راهبا من شباب الدبر ليدبعه ، وكتب معه :

أبلغ العاقل الرنس السلاما ، شق عن زهره الصاح كما !
قل له : أيها الحكيم الذي في . دين عيسى قد برهن الأحكاما !
كم رقبك كالملال إلى أن . لحث للناظرين بدرا تما !
يا أبا الملة المسيحية أرحم . معشرا مذ طعنت عنهم بنامي !
فطموا من رضاع كأس الحيا . وهي أنكى للمرصعين فطاما !
واستحلوا وضع الصليب عن الرا . ووي من بعد تحله أعواما !
عبدوا راحة النفوس من الرا . ج ، فدارك بالأنفس الأجساما !
وأطالوا حبس المدام في الدن * ونكفي حبس المدامة عاما !
ودعا الديك للصنوح فهبوا . كالحبب لا يعون الملاما !
فأسعهم من سلافه نظرد المسم * ونحبل لهم بذاك أهياما !
وعنى فائل بقول لحظي . ونصبني : أطلت في ذا الكلاما !
كدت المدعي وأحر شعبا . ن سادتي الصمام الصباما !

١٥ دير البغل^(١) . هو سمالي دبر شعران . وبناؤه مثل سائه في لحف جبل المقطم . دير المل
وعليه نحل . وبه جماع من الرهان العاقه .

قالوا : وسمي بدير البغل لأنه كان به بغل لسقي الماء ، يعود هذا وألقه . وكانوا إذا
أطلقوه ، أتى مورد الماء ، وهالك من يملأ عليه . فإذا حمله أتى الدير بالماء .

(١) انظر ما أورده أبو صالح الأرمي (ص ٦٣) .

خرج إليه السراج الوزاق مع أبي المفضل بن العسال في جماعة من أهله . وأقاموا
 به أياما في لهو ، يجزون أعطاف الزهو . وكان بالدير غلام لا يتعداه أمل المقترح ،
 ولا يحاكي دوائر عبونه إلا الرحس المصيح . فآله السراج الوزاق وهو إلى وصل
 منه محتاح . فلما عادوا ، قال السراج يذكر أمامه وبمدح أما المفضل ، ويذكر شيئا
 كان عليه به قد تفضل :

- أَحَاكَ من عارِصٍ في حده لاحا . رِيحَانَةٌ جاورَتْ من رِيحه راحا .
 وما كَفاه الشَّدَا المِسْكِي بِنَهْمَا . حَتَّى حَلَا من حَضِيْب الخَلْدِ تُفَاحَا .
 عَنِي رَأْتُهُ بدير البَعْلِ في مَلَا . قد قام فيهم مع الأَشْحَارِ نَوَاحَا .
 مفرطٌ رَكَ السُّدْمَان من بَاه . صَرَغِي وقد حَثَّ أحداقا وأفداحا .
 عَاطِيَه كَأَسْهَا والشَّهْبُ مَا جَعَحَتْ . إلى مَغَارِيهَا والذِّيكُ مَا صَاحَا .
 وَالْجَمُّ حَيْرَانٌ أولا ما رَفَعْتُ لَهُ . من كَأَسْهَا نَحْتُ جُنْحِ اللَّيْلِ مِضْبَاحَا .
 حَتَّى إِذَا أَدَبَ الصَّهْبُ خُطُوَتَهُ . وَرَحَلْتُ يَدُهُ عَنِ رَاحِهِ الرَاحَا .
 وَبَاتَ طَوْرِي فلم أَزْدَدْ عَلَى قُبَلٍ * إِذْ لَا أَيْتُ لبَابِ العَارِ قُتَّاحَا .
 أَغَالِبُ النَّفْسَ عَمَّا نَسِيَتْ كَرَمًا . جِدًّا فَلَا تُحَسِّبْنِي ثُمَّ مَزَاحَا .
 وَفَدَّ يَرْوُكُ لَعَطَى الحُلُولِ لَاسِيَا * إِذَا لَقِيتُ بَنِي العَسَالِ مَذَاحَا .
 النُّومُ جَادُوا ولم أَسْأَلْ ، وَهُمْ مَخُّوا * وَمَا غَشِيَهُمْ وَاللَّهِ مُنْطَاحَا !
 وَشَادَ مَجْدُهُمْ بَيْتًا بَيْتَ لَهُ * طَرَفَ المَجَرَّةِ مِمَّا طَالَ طَمَاحَا !
 من كُلِّ أَزْهَرٍ لَوْلَا في تَطْلُعِهِ . مَطَالَعُ الصُّبْحِ ! زَادَ الصُّبْحُ إِضْبَاحَا ،

تَحْبِثُهُمْ نَحْوَ دِيرِ الْبَقْلِ مُطْلَبًا * صِهَاءُ جَرَتْ بِطَوْفِ اللَّيْلِ فَأَنْزَاحًا .
أَبَا الْمُفَضَّلِ ، لَمْ أَبْلُغْ مَدَاكَ وَلَوْ + طَارَحْتُ فِي مَذْهَبِ الشَّعْرِ الطَّرِمَاحَا !
إِنْ رُمْتَ إِحْفَاءَ مَا تُعْطَى فَهَذَا نَطَقُ النَّمْعِ رُفُ عَكَ بِمَا تُخْفَى وَقَدْ بَاحَا !
لَا تَبْغِ لِلْجُودِ كَثَامًا فَتُظْلِمَهُ * إِيَّا رَأْيَا سِيمَ الْجُودِ قَنَاحَا !

٥ دِير طَمُويَه^(١) - وَيُعرف المكانُ الآنُ بِطَمُوهَ، وهو في الجانب الغربي، بإزاء
در طمويه
حُلُوان . والدير رَاكِبٌ عَلَى البحر . نَحَفٌ بِهِ الكروم والبساتين والأشجار . وهو
عامر الأوطان . أهل بالرهبان . وحين تحصر الأرض يكون بين سِاطِئِينَ من البحر
والزرع .

قال الشاشي : وهو من المتنزهات المذكورة، والمواقع الموصوفة . وأنشد فيه
١٠ لَأَبْنِ عَاصِمٍ هُوَلَهُ :

وَأَشْرَبَ بِطَمُويَهٍ مِنْ صَهْبَاءَ صَافِيَهٍ * نَزَرِي بِجَمْرِ فَرَى هَيْبٍ وَعَابَايَ !
عَلَى رِياضٍ مِنَ النُّوَارِ زَاهِيَهٍ * تَجْرِي الْجَدَاوِلُ مِنْهَا بَيْنَ جَنَابِ !
مَازِلَا كُنْتُ مَسْخُوفًا بِهَا كَلِمًا * وَكُنْتُ قَدِمًا مَوَاحِرِي وَحَانَانِي ،
إِذْ لَا أزال مُلَحًّا بِالصَّبُوحِ عَلَى + صَرَبِ النَوَافِسِ صَبًّا بِالْديَارِابِ .

(٧٦)

١٥ (١) وأحضر أيضا في حطط المقرري (ح ٢ ص ٥٠٤) ، وياقوت (ح ٢ ص ٦٧٤) ، الشاشي
(ورقة ١٣١) وأحضر أيضا ما أورده أبو صالح الأرمي (ص ٨٥) .

(٢) في الأصل : تروى . وفي الشاشي : ررى . هكذا بغير نقط .

(٣) هذه رواية الشاشي . والذي في آس فصل الله "إني وإن كنت" وقد وصلت الرجوع إلى روايه
الشاشي لأن آس فصل الله أحزله من هذه القصيدة ثلاثة أبيات ، ولأن خبر هذه الجملة الشرطية التي مال
إليها لم يرد . ٢٠

كيسة الطور

كنيسة الطور^(١) - قال الشافعي: وهذا الطور هو طور سينا، الذي صَعَقَ عليه موسى، عليه السلام. والكنيسة في أعلى الجبل. مبنيةً بحجر أسود. عرض حصه سبعة أذرع. وله ثلاثة أبواب من الحديد. وفي غربته باب لطيف. وقدامه حجرٌ ثَقْبٌ. إذا أرادوا رفعه رفعوه، وإذا قصدهم منعَلَب أرسلوه، فأَنطبق. فلا يعرف أحدٌ مكانَ الباب. وداحلها عينُ ماء، وخارجها عينٌ أخرى. هـ

قال: «رغم المصارى أن بها من أنواع النار الحديدة التي كانت بيت المقدس: يَقْدُونَ^(٢) منها في كل عشية السراح. وهي بيضاء صعيقة الحز، لأُتَحْرِق. ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها.

وهو عامر الرهائن. فلا يحلو من أحد من أهل البطالات للتفرج فيه والتشرك - على رأيهم - به. ١٠

وهو من الدمارات الموصوفة والأماكن المقصودة. وممن وصفه أبو عاصم. قال فيه:

باراهبَ الدَّيرِ، ماداً الضوءَ والنورَ فقد أصاء بما في دَيْرِكَ الطُّورِ؛

هل حَلَّتِ الشمسُ به دُونَ أبرحِها أو غَيَّبَ البدرُ عنه فهو مسوَرُ؟

فقال: ما حلَّه شمسٌ ولا قمرٌ. لكن نُفِّرَب فيه اليومَ فويرا! ١٥

(١) وأطار المقرئ (ح ٢ ص ٥١٠). والشافعي (ورقه ١٢٢) «وإفوت (ح ٢ ص ٦٧٥

و ٦٧٦)، والفريسي (ص ١٣١). وكلهم يسمي هذه الكيسة مأمم "دير الطور" وشمع أبو عاصم الوارد في المتن يشهد بهذه التسمية. وهو غير طور سينا الذي سبق الكلام عليه مأمم دير الطور.

(٢) صوابه يوقدون لأن "وقد" لازم ويتعدى بالهمزة. وقد جاء بعد سطر على الصحة.

دير طُسرًا^(١) - وموقعه قبليّ القرافة ومصر. يلي بركة الحبش وبساتين الوزير. دير طسرا
يقصده أهل مصر للفرجة والتنزه. ويؤتى إليه على ظهر البرّ والنيل. وله إشرافٌ على
النيل. ولا يخلو من قَصْفٍ وشرب. ولأمرءاء الديار المصرية إليه إفضاء في الفضاء
ومنتهى الركوب. وفيه أقولُ :

يوم طُسرًا وديرِها * وما أتى من خيرِها !
وأبيض من يومها * وأحمر من مئيرِها !
مُدَامَةً تَسْرَى بنا * مُجِدَّةً في سَيرِها ؟
لم أنس هَيْفَ نَحْلُها * ويومنا في حَيرِها ،
وأكلنا من حُوتِها * ووَحِشِها وطَيرِها !
هذا إلى فاتنة * مَلِيحَةٍ في دَيرِها .
فلا تَقُلْ لي : غيرُها . * ما أَرَى في غَيرِها !

• شعر المؤلف فيه

(١٧٢)

(١) وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠١) .

(١) الديارات السبع

الديارات السبع

وهي في الوجه البحرى ، وهو سُفلى ديار مصر . ممتدَّة غرباً على حانب البرَّة
الفاطمة بين بلاد الحيرة والقُوم .

مرزبا على بعضا في الصحبة الشرقية الناصرية . وهي في رمال مُتقطعة ، وسباخ
مالحة ، وَرَارٍ مُعْطِشَة ، وقفارٍ مُهْلِكَة . وسرب سكاكها من جفارات لهم . وهم
في ثابة من قَشَف العيش وسَطَف القُوب .

مرور المؤلف
على بعضا في
أيام السلطان
السام

ويجِلُّ النصارى إليهم حلائل الذور والمرايس ، ونخصم بكرائم التَّحَف .
وتتخذ كتبة الفسط وخدم السلطان منهم خاصة ، أبادى معهم ، لكونوا لهم ملحقاً
من الدولة ، إذا حارب عليهم ضرؤفها .
ولم أعلم فيها أحباراً فأذكرها ولا أشعاراً فأطريف بها . وإما ذكرتها لشهرة أسمها
وسعد صيتها .

الدير الأبيض (٣) - وهو دبر جليل البناء ، أبيض كما سُمِّي . عليه رونق . قد بُني

الدير الأبيض

(١) هي المشهورة التي بوادى المطرون . وقد ردتها في سنة ١٨٩٤ ميلاده .

(٢) في الأصل مهم .

(٣) وعرف بدير "نوشوده" . وأنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١) ، وقد أعصر على القول بأنه
في الصعيد وأنه يقال له "دير الأبيض" . وقد ذكر أن بالرها ديرا آخر بهذا الاسم في حل مظل على تلك
المدسة | المعروفة الآن باسم أورها | وأن ناقوسه مئى صرب يسمع بها ، وأنظر أيضا ما أورده أبو صالح
الأرمي (ص ١٠٤ إلى ١٠٦) . وقد سماه "دير نوشوده" وقال إنه ناحيم ، على حل يسمى أدر به .

بالبحر الأبيض، وزين في أبيته، ووُسع في قدر أقيته . وهو غرقى السل، في طرف
الحاجر المِطْل على المزدرع، فيما يقابل إنعيم . وله إشراف على سائط تلك الزروع .
وسوارح تلك المواشي . وبإزائه نخلٌ خاص به .

ويجري من الببل خليج طويل المدى ، كأنه السيف النقي من الصدى ؛ ينهى
إلى مَلَقَةٍ منسعة، وبركة فيها أمداد المياه مجتمعة، شرقي الديرة . فمصل بينهما الطريق .
و يطل على هذه المَلَقَة رابطةٌ علية، قد تكونت من فضلات التُّرَج المحفورة والجسور
المستجدة .

لأبرئ مثل نزهته في زمن الشتاء والربيع : يتضحك في جساته الثوار، وتحضر
فيه سُفَاق الزروع، وتكثر فيه مصابد الطير، ويكون من الحسن في غاية تملأ البصر،
وتزيد على الخمر . ومرربا به صحة السلطان وزلنا على ملك الرابسة . وأسرفت على
البركة وفيها فاربت بصاد فيه السمك . ومثرت الأطلال مُزَيَّنَةُ التُّرَك (١) وحيا
الجيل . فسُئِلْتُ أن أعمل في مثل هذا شيئا، على رسم ما قال في الدبارات، فقلت :



أرحوره طوبى له
لأنه فيه

- ١ يوم لنا بالدبر، دبر الأبيض . قد آنصني وطبسه لم بهصني .
- ٢ قد جثته في العسكر المصور . فغلل الأنواب كالمحصور .
- ٣ ونزل الرهبان بالدموس . فله إلى قواره الدموس .
- ٤ وأطلعت نحوى هالك رابسة . تناهت على الوهاد آية .
- ٥ قد خضعت من جانبيها الوهد . كأنها فوق الصدور نهت .

(١) يظهر أنه سقط كلام من الأصل . فان كلمة "مرية" حات في آخر الصفحة . وكلمة "الترك" حات
في أول الصفحة التالية . وربما كانت الجملة هكذا ومثرت الأطلال مرية "أنا" . الترك وحاد الجيل .

- ٦ كَأَنَّمَا تَطْلُبُ مِنِّي الْمَائِي - هَذَا وَقَدْ وُلِّيَ زَمَانُ الْمَشْتَى .
- ٧ وَلِلرَّبِّعِ مُسَدُّ أُنَى أَعْيُدَال - وَلِلنَّسِيمِ بَيْتُهُ أَعْتِلَالُ .
- ٨ وَالشَّمْسُ قَدْ دَتَّ بِهَا السَّعَامُ - وَالْيَوْمُ لَمْ يَبْقَ لَهُ مُفَامُ .
- ٩ وَاللُّبْلُ قَدْ هَبَّأَ صَفَّ عَنكَرِهِ * وَأَنَّمَا مَعْرِوْفُهُ فِي مُنْكَرِهِ .
- ١٠ وَالْحَوْثُ فِي رَدَائِهِ الْمُصْنَدِل - وَالْأَرْضُ تُذَكِّي بِأَسْعَالِ الْمُنْدِل .
- ١١ وَتُجْمَرُ الشَّعْبِقُ فِيهَا مُوقَدُ - وَتُسْعَلُ التَّهَارُ فِيهَا يُوقَدُ .
- ١٢ وَزَهْرُ الْفَوَلِ أَدْعَى بِالْحَقِّ - شَبِيهَ أَذْنَابِ الدَّجَاجِ الْبُلْبُ .
- ١٣ وَزَهْرُ الْكَثَّانِ كَالْبَقَسَج - وَمِثْلُهُ لَوْلَا دَكِي الْأَرْجُ ،
- ١٤ تَبْدُو عَلَى أَعْطَافِهِ التَّرَافَةُ - ذُو هَبِيبٍ فِي شَكْلِهِ ظَرَافَةُ .
- ١٥ كَأَنَّهُ فِي مَائِهِ الْمَتْرَج - زَرْحَدُ رُضْعٍ بِالْمَعْرُوزِج .
- ١٦ وَسَائِرُ الزَّرْعِ يَسْفَاقُ حُصْرُ - وَبَعْضُهَا لَهَا طِرَازُ نَهْرُ .
- ١٧ وَالنَّحْلُ حَوْلَ الدِّيرِ كَالْعِرَائِسِ - تَجْلُوهُ فِي فَاحِرِ الْمَلَاسِ .
- ١٨ كَأَنَّهُ مَسْتَمِرًّا فِي هِمَّةٍ - صَفٌّ وَفَوْفٌ حَوْلَهُ فِي الْخِدْمَةِ .
- ١٩ وَثُمَّ مِنْ بَاقِي مَدُودِ النَّبِيلِ - مَاءٌ شَبِيهُ الصَّارِمِ الصَّقِيلِ .
- ٢٠ وَأَنْفٌ إِلَيْهِ خُلْجٌ مُعْرِفُهُ - وَأَجْمَعَتْ جَمْعُهَا فِي مَلَفَتِهِ : ١٥
- ٢١ دَائِرُهُ قَنُورَاءَ مِثْلِ الْأَفْقِ - تَأْوِي بِهَا حَيَاتَانُهَا فِي نَفْسِي .
- ٢٢ صَافِيهِ كَمِثْلِ عَيْنِ الدَّبِكِ - فِي عَابَةِ الصَّغَالِ وَالْمَرْبِكِ .
- ٢٣ فَدَوَلَتْ فِيهَا الرِّمَاحُ بِالطَّرَرِ - فَشَوَّشَتْهَا ثُمَّ سَالَتْ كَالْفَرَرِ .
- ٢٤ فَسَبِجَةُ الْأَرْحَاءِ كَالْمِيدَانِ - تُشَقُّهَا سَوَابِجُ الْحَيَتَانِ .

- ٢٥ فيها من الأسماء أشتات تُرى . تأخذ من أنواعهن العنبراً .
- ٢٦ فيها من اللطى والبني . آكل كالطيب الحني .
- ٢٧ والبركة الميحاء فيها قارب . وفيه صار للشاك صارب .
- ٢٨ يحسرى به فاربه على نس . وهو به في الماء يارى القبس .
- ٢٩ كأنما أجرى به جوادا . أسرع في الرخص واما دى .
- ٣٠ كأنه إذا أراد المركب . صل من الحيات برى عفرابا .
- ٣١ يسير الجبان وسط الماء . كأنها الحوم في السماء .
- ٣٢ باتي إليها بأصايل الخدع . لأجل ما تأخذ منها ويدع .
- ٣٣ ولم يزل محقه في الحركة . حتى أنه تلقى عليها السكة .
- ٣٤ وكل ما يربذه يصيد . بازرعها أن لك الحصيد .
- ٣٥ وعزى لي سرب مها حاذر . أحسانها نهم ما نحاذر .
- ٣٦ أفسار ترك فوق شهب الخيل . وبنها أدم صاى الذبل .
- ٣٧ بحث حتى صرب فوق الهضبة . وعابت عساى لك الحلبة .
- ٣٨ ويالها من حله لا تلحق . كفو وراعاها الرياح السبق !
- ٣٩ كأنها أفتق حوى أفسارا . قد طلعاوا في أفتقها نهارا .
- ٤٠ من تسلي خافان وجنس الترك . قد عودوا الحاطهم بالعين .
- ٤١ كم فيهم من ساحر الأجنان . قبسى حد طرفه تماني !
- ٤٢ لله إن جرد أسياف الحدق . وبدد الدماء في الخد ألحق !
- ٤٣ فيها سلاح للعناى خلوا . ما برزوا للعين حتى عشفوا .

- ٤٤ ومِيدُ الْأَغْصَانِ ثُمَّ تَسْتَقِ . طَوْرًا تُخْلِ ثُمَّ طَوْرًا تَعْنِقُ .
- ٤٥ أَغْصَانُ بَابٍ أَمْ هُمْ عِرْلَانُ . أَوِ الشُّمُوسُ بَلْ هُمْ الْوِلْدَانُ .
- ٤٦ قَدْ رَكُّوا صَوَائِنَ السَّوَابِقِ * وَأَفْتَرَقُوا لَكِنْ فَوَادَ الْعَاشِقِ .
- ٤٧ مِنْهُمْ قَتَى يَسْتَرْ كَالرَّدْنِيِّ * مَنْ لِي مِنْهُ لَوْ قَصَّيْتُ دَبْنِي " .
- ٤٨ قَدْ أَسْرَجَ النِّعَامَ بِالْهَلَالِ . مُطَهَّمًا فِي صِبْغَةِ اللَّبَالِ .
- ٤٩ تَقْرُقُ شَطْرِي وَحِيهِ نَغْرَةٌ : كَأَبَةٍ فِي وَسْطِهَا مَسَرَّةٌ .
- ٥٠ أَدْهَمَ مِنْهُ فِي السَّابِقِ قَدْ بَدَّرَ . لَيْلٌ وَلَكِنْ فَوْقَ عِظَمِيهِ قَرَرُ .
- ٥١ مُكَلَّلُ الصَّدْعِ رَحِمُ الدَّلِّ . أَرِيدُ مِنْهُ لِلْهَوَى مُعَلَّى .
- ٥٢ لَهُ مِنَ الْعُذْبِ حُصُونٌ مُطَبَّعَةٌ . وَأَقْبَى مِنَ الْعُنُونِ الضَّيِّقَةُ .
- ٥٣ لَمْ أَرِ مِثْلَ نَعْرِهِ إِذْ صَحَّكَ . لَعْدَ حَكَاةِ الْبَرْقِ لَكِنْ مَا حَكَى .
- ٥٤ بَدَّرَ وَلَا تَقْضُحْ لِي أَسْمَاؤُهُ . ذُو تَرْفٍ نَكَادٍ يَجْرِي مَائُوهُ .
- ٥٥ مَالِي وَهَالِ الْوَرَاكِ أَوْ لَلَا كُتُوسٍ . إِذَا حَلَّ لِي سَدَ الْقَدَاءِ الْأَطْلِسُ !
- ٥٦ وَمَا مِنْ نِسَابِهِ الْمُجَرَّدُ . كَأَنَّهُ مِنْ رِصْفِهِ تُقَدُّ .
- ٥٧ وَيَا أَتَنَى إِنْ قَصَّيْتُ نَحَا . دَعْنِي أَمُوتُ فِي هَوَاهُ حَمَا !
- ٥٨ أَهْوَيْتُ بِدَمْعٍ مَقْلَى الصَّبِّ . وَهَدَّ بَعَثْتُ صَيِّبًا نَضِي !
- ٥٩ مَا الْمَوْتُ فِي هَوَادٍ إِلَّا نَحَا . أَوْهَتْ عِشْقَانِيهِ كُنْتُ أَحْيَا !
- ٦٠ لَمَّا أَنَانِي مِنْ بَعْدٍ وَوَقَفْتُ . قُبْتُ لَهُ لَلْتَمَّ أَفْدَامُ وَكَفْتُ .
- ٦١ وَكَانَ قَدْ حَانَ غُرُوبُ الشَّمْسِ . وَطَلَعَ الْبَسْدُ كَثِيلُ التُّرْسِ .
- ٦٢ وَظَلَّتْ أُلْهِيهِ مَا شَفَالَ السَّمَرُ . لَعَلَّ لِلَّذِي فَعَلْنَاهُ ثَمَرُ .

- ٦٣ وقلتُ هذا مَنَزِلٌ نَزَبُهُ * ليس له فيما هُنا شَبِيهُ.
- ٦٤ يا مَرَحِبًا شَرَفْتَ هذا المَوْضِعَا * وجئنا والسر في وقبِ معَا!
- ٦٥ فلو نَزَّاه هَاك أَوْ هُنَا * نَعَمْ فُتْرِكَ السُّرُورُ وَالْهَمَا.
- ٦٦ فَأَنْزِلْ بِنَاوَأَقْعُدْ فَرِيرًا سَاعَةً * وَلَا تَحْتَفِ مِنْ فَاصِحِ الشَّاعَةِ.
- ٦٧ فَلَا نَ لِي جَانِبُهُ ثُمَّ أَبْتَسَمَ * وَفَاحَ لِي طِبْبُ رِضَاهُ وَنَسَمَ.
- ٦٨ وَقَالَ لِي أَقِمْ حَوَالَيْنَا الْحَرَسَ * يَا نَحْطُ لِي كَالسُّمَمِ عَنْ ظَهْرِ الْعَرَسِ.
- ٦٩ فَنَاتُ: مَا تَعْمَلُ فِي ذَا إِنْ مَسَكَ * هذا لِمَا وَجَبَتْ مِنْ هَذَا السَّمَكِ.
- ٧٠ وَتُوفِدُ النَّارَ لَهُ لُفْلُ * وَمَنْ أَتَى مُزَاجِمَا فِي الْمَقْلِي.
- ٧١ وَنَا كُلَّ السُّسْلُورِ وَالشُّبُوطَا * وَالْعَرَحَ وَالْمَسْلُوحَ وَالْمُسْمُوطَا.
- ٧٢ هَذَا وَمَا نَضُمُ أَكْبَافُ الشُّعْرَ * وَمَا تَكُونُ مِمَّهْ أَلْطَافُ السُّعْرَ.
- ٧٣ فَقَالَ لِي: دُونَكَ مَا تُرِيدُ! * فَكَانَ عِصْدِي بِاللَّهَاءِ عِيدُ.
- ٧٤ هَذَا وَكُنَّا قَدْ أَمَرْنَا الطَّاهِي * بِأَحَدِ لَكَ الْجِلَّةِ الزَّوَاهِي.
- ٧٥ فَأَنْقَرِ الْجَمِيعَ بِالتَّظْفِيرِ * وَزَانَهَا فِي الْوَضْعِ وَالتَّصْفِيرِ.
- ٧٦ وَحَطَّ عَنْ أَجْسَامِهَا الْجَوَاشِنَا * وَأَظْهَرَ الْجَمَالَ وَالْمَحَاسِنَا.
- ٧٧ وَأَقْنَدَحَ النَّارَ مِنَ الزَّيَادِ * مِثْلَ أَصْطِكَ الْبَرِّي فِي الْعِمَادِ.
- ٧٨ بِطَيْرٍ مِنْ جَانِبِهَا شَرَّارُ * هَلْ مِمَّهْ لِلرَّمَاةِ انْتِشَارُ.
- ٧٩ يُورِثُ الْمَوْقِدَ جُلَّ نَارِ * كَانَتْهَا شُبَّتْ بِجُلَّارِ.
- ٨٠ وَبَعْدَ هَذَا صَفِّ الْمَقَالِي * وَكُنَّا نُحِبُّ ذَاكَ الْفَالِي.
- ٨١ وَسَكَبَ الدَّهَانَ فِي الطَّنْجِيرِ * كَشَلِّ بِسِطِ الْعُلَى فِي الْعَدِيرِ.

- ٨٢ ثُمَّ قَلَىٰ فِي الطَّاجِنِ الْأَسْمَاكَ . لَوْلَا قَلِيلٌ ، لَقَلَى السَّمَاءَ .
- ٨٣ وَنَضَّدَ الصُّحُورَ ثُمَّ صَفَّأ . سِبَائِكًا مِنَ النُّضَارِ قَدْ صَفَّأ .
- ٨٤ أَعَادَهَا بَعْدَ الثَّلْجِ عَسَحَدًا . صَفَّرَ أَلْوَانًا لَهَا وَوَرَدًا .
- ٨٥ وَجَاءَ بِالْمِلْحِ وَبِالْأَبْزَارِ . سَكَّارِجًا تَرُوقُ لِلْأَبْصَارِ .
- ٨٦ مَصْفُوفَةٌ لَنَا عَلَى مَقْدَارٍ . كَثَرَهُمْ صُفٌّ إِلَى دِينَارٍ .
- ٨٧ وَصَبَّ مِنْ أَطْيَابِ الْأَصْلَاصِ ^(١) . حَفَائِثًا مَسْدُودَةَ الْعِمَاصِ .
- ٨٨ مِنْ حَامِضٍ مُطَيَّبٍ وَمُرٍّ . وَغَيْرِ ذَا مِنْ كُلِّ حَمِضٍ يَحْزِي .
- ٨٩ وَنَضَّدَ الْبُهُولَ فِي الْأَطْبَافِ . مِثْلَ الْحَرِيرِ لُفٍّ فِي الْأَوْرَاقِ .
- ٩٠ وَوَضَعَ الْبِكَاحَ وَالرَّقَاقَا . حَتَّى اسْتَدَارَ حَوْلَهَا نِطَاقَا .
- ٩١ وَجَاءَ بِالْفُقَاعِ وَالْمَشْرُوبِ . يَهُيمُ فِي الْكِيزَانِ بِالْوُثُوبِ .
- ٩٢ وَمِنْهُ فِي إِيَّانِهِ مَسْكُوتٌ . كَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ مَصْصُوتٌ .
- ٩٣ وَقَرَّوْا الْحُلُوءَ مِلَّةَ الْحَامِ . كَمِثْلِ قُرْصِ الشَّمْسِ بِالْتِمَامِ .
- ٩٤ فَغَامَ لِي وَزُنُّ شُرُورِي وَقَسَطُ . لِأَنَّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ قَدْ آنَسَطُ .
- ٩٥ وَمَذَّ عَدَى يَدَهُ ثُمَّ أَكَلُ . ثُمَّ تَقَلَّبَا بِمَنْهَبِ الْقَبْلِ .
- ٩٦ فَكَمْ أَصَبْنَا مِنْهُ مَا أَرَدْنَا . وَلَوْ نَشَاءُ بَعْدَ هَذَا زِدْنَا !
- ٩٧ ثُمَّ أَدَمَّا حَمَدْنَا وَالشُّكْرَا . وَهُوَ بِمَا جَادَ عَلَيْنَا أَدْرَى .
- ٩٨ ثُمَّ أَنَا الطَّسْتُ وَالنَّفْسُورُ . كَأَنَّهُ سَعْبٌ مَجْبُورُ .
- ٩٩ ثُمَّ نَلَاهُ الطَّيْبُ وَالْمَسْدِلُ . يَا حَبِيبَا مَا حَسَّهِ الرِّسُولُ .



(١) جمع صلصة . (معرفة عن اللاتينية والطلاية Salvia وعد المرسيى Sameo) .

- (١)
- ١٠٠ حتى إذا ما نزل السلطان . وأشتغل الغوغاء والغلمان .
- ١٠١ وبام كل مسنكا في الحميم . ونكر الآفاق جلباب الظلم .
- ١٠٢ وأمن الراهب والقسيس . وأنشق عن موتاهم الباووس .
- ١٠٣ وأوقدوا في البيعة المدبلا . ورجعوا المزمار والإنجيلا .
- ١٠٤ وزيتوا الهيكل بالقرباب . وصففوا الشموع والقناني .
- ١٠٥ وسكبوا الصباء في الإبريق . صمراء أو حمراء كالعقيق .
- ١٠٦ وصبها في الكاس مثل اللهب . ممتدة مثل شريط الذهب .
- ١٠٧ يسعى بها مقرطق مزر . ينسبه الغزال الحشف أخوى أحور .
- ١٠٨ من فتنة داموا على الإنجيل . من لي بهم لو أنهم من جيلي .
- ١٠٩ وبعضهم دب له عذار . كأنه من صده اعتذار .
- ١١٠ وفيهم ذاك الغزال النافر . خليفة الملاح وهو الظافر .
- ١١١ لما بدا منه الصباح السافر . تسر اللبل قفيل الكافر .
- ١١٢ أو نبت مسيس عليها مسح . كالليل قد أقل فيه الصبح .
- ١١٣ بمصم فيه دلأل وترف . كأنه من ماء خديها اعترف .
- ١١٤ فانتة من الأطباء العين . قد ناصبت يديها يدني .
- ١١٥ ماذا أقول في بدع صنعها . والبدر في الظلمات حشود رعها .
- ١١٦ غص رطيب دب فيه الراح . ومن جنى خدودها التفاح .
- ١١٧ آفة كل مسلم وكافر . وفننة في أول وآخر .

- ١١٨ ياما جرى منها واما يتحري ، ميا ومنها من بُكا وهجرا !
 ١١٩ قَدْ حَدَثَ عَنَّا عِبُونُ النَّاسِ * ثُرْتُ بِهِ فِي غَمَلَةِ الْحُرَّاسِ .
 ١٢٠ وَقُلْتُ ، قُمْ حَتَّى زَوْحَ فِي النَّعْسِ ، فِي حُلْسِي ، فَاطِيبُ الْعَيْشِ الْخُلْسِ !
 ١٢١ فَالَّذِي رَفَدَ آذَنَ لَهُ أَنْ يُفْتَحَا * وَكَانَ قَدْ أَغْلَقَ عَمْدًا مِنْ صُحَى .
 ١٢٢ فَمَا إِلَيْهِ تَحْبِ سِتْرِ اللَّيْلِ نَوَازِعًا نَزِيحِي عَلَى سُهْلٍ .
 ١٢٣ وَفَدَ عَلَاهُ بَكْلَهُ الْمِدْلُ * كَأَنَّهُ لِرَأْسِهِ إِكْبَلُ .
 ١٢٤ وَثُمَّ فِي الدِّيرَانِ صَدِيقُ مِنْهُمْكَ فِي الشُّكْرِ لَا يُفِيقُ .
 ١٢٥ لَكِنَّهُ لَخَوْفُهُ قَدْ كَانَا * مَا تَرِبَ الصَّهْبَاءُ حَتَّى الْآمَا .
 ١٢٦ وَعَدَهُ جَمِيعُ مَا نَظَّلُوهُ * وَصَوْتُ أَوْنَارٍ لَهُ تُطْرِبُهُ .
 ١٢٧ وَهُوَ إِذَا تَبَطَّ السَّلَافَهُ * لَمْ نَسْتَطِعْ مَلْبَعَهُ حِلَافَهُ .
 ١٢٨ لِأَنَّهُ عَرَّفَ كُلَّ رَاهِبِهِ * بِمَكْرِهِ أَنَّ الْجَبَاهُ دَاهِبِهِ .
 ١٢٩ وَكُلُّ مَا نَزِيدُ مِنْهُ يَحْصُلُ * وَفَقَّ الْمُنَى مَسَارِعًا يَسْتَعْجَلُ .
 ١٣٠ فَانْهَضُ وَفَمُّ وَطَبُّ وَلَا نُؤَيَّ * وَأَقْتُلُ بِمَا شِئْتُ سِوَى الْجَنَى !
 ١٣١ فَمِنْ بَا أَنْهَضُ وَدَعِ الْعَدَالَا ! * كَمْ دَا الْقُعُودُ هَكَذَا كَسَالَى !
 ١٣٢ لِنَغْنِمِ الصَّعْتَةَ وَالْفَرَاعَا * وَنَشْرَبَ الْعُمَرَانَا مَا آتَسَاعَا !
 ١٣٣ وَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى نَزَلْ * شَابِاشِرِي ! صَدْتُ الْغَزَالَ بِالْفَزَلِ !
 ١٣٤ خَدَعْنَاهُ فَاطَّاعَ لِي الْفُلَامُ * وَكَانَ مَا فَدَ كَانَ ، وَالسَّلَامُ !
 ١٣٥ وَبِثْ مَسْرُورًا بِدَاكَ الْحَشْفِ * وَفَوْقَ مَا وَصَفْتُ مِنْهُ الْخَفْفِ .
 ١٣٦ وَكَانَ لِي غُلِيمٌ طَرِبُفُ * حُلُوُ الْكَلَامِ فَكَهُ خَمِيفُ .

- ١٣٧ جميع ما يقوله مجنون * ما كان مثله ولا يكون.
 ١٣٨ حديثه ليس عليه من حرج * لسا به العال وقد سمي قرح.
 ١٣٩ قلت له : كأي ممن ندم * لأجل ذلك الطي لما أن طيم.
 ١٤٠ ويحك لم أطعمت هذا السمك ! . فعال : لولاه لما كان أمك !
 ١٤١ جعلته لصبده كالفع : لأجل ذا أبصرته مسترخي.
 ١٤٢ يا ساطر البلاد أنت المم * فعل ما لا تستطيع الأسهم !
 ١٤٣ لاشك قد أنصت علم السحر . وصدت صيد البر بعد البحر
 ومما قلته فيه :

وبالدير يوم أبيض لي كاسيه . وقد طلعت من جانب الدبر أمار .
 وقد حليت في الكأس صها مزة . تكشف منها في الدجبة أسنار .
 وبالدير ديرانبته برزت لها . فسم لها فيها حديث وأسمار .
 جلتها كأ الطور جانب كاسها * وإلا زبي دارين من دونها دار .
 وقلت :

ولم أنس بالدير وما لنا . وعيش السرور به يذهب !
 ففصص أبقاره بالجلين . ومرة أصاله بالذهب !
 وكأس المدام علينا يطوف . بحمراء صادية كالذهب .
 يطوف بها من باب الفس . من باحة الكف ليستهب .
 مبنة بين رهاها . لألحاطها في حناها رهب .
 مسيحية طلعت في المسوح . كصبيح أطل وإسل دهب .

وقد غاب عما عيان الرقيب وجاد الزمان عما قد وهب.
فرشفت اللى خلست بيديا . وعص الخدود لدينا نهب.

دير ريفنة^(١) - وهو يصعد مصر، فوق سيوط، لا بعيد. على الجبل الغربي
المطل على ريفه.

وهناك عدة دياراب، المشهور أكبرها. والبقية كالتلالى.

وهو من الأبناء القديمة المحكمة. ولأهله رزق من أطبان تزرع وتستغل.
جارية بتواقيع السلاطين. ثابتة في حساب الدواوين. وهو دير مدكور. وله أخبار.
وفيه حكايات وأشعار.

يُحكى أن شاعرا مغربيا، يُعرف بابن الحداد، مر به وهو مُصعد إلى قوص،
ليُحج من جهة عيذاب، في البحر. فرأى ديرانية آسمها بويره. كأما أدكاها
في قلبه نظرها، وشبها في جوانحه من حدودها المحمرة نصرها. وألقى عسدا عصا
سمره. وألقى عسدا متبهي ما يؤمل من ظفيره. وترك الحج كانه ما تعنى له من أفضى^(٢)
بلاده. ولا نوى^(٣) إليه السرى رحلته وزاده. وقال فيها :

ورأت خصى من بويرة كآسمها . نارا تُصل، وكل نار تُرشد!

والماء أب. ولا يصح لفايص! . والنار أنب، وفي الحسا توقد!

(١) سماه أبو صاح الأرمي "دير ريفنة وأدرنكة" وأظهر كلامه عليه (ص ٩٤ و ١١٣). وقد ذكر
المقرئ ديارات كثيرة أمام أدرنكة (ج ٢ ص ٦٠٥).

(٢) أنب في الأصل امعة "إلا" بين المطورى الموصفين. وتاليه يكون الصمير غاندا على الدير الذى
يدور عليه الكلام. أما على عدم الرادة فغاندا على الحج.

ولما طال مُقامه ، وقفت عليه وسالت عن سبب إقامته فقص عليها الخبر ، ونص العبر . وأعلمها أنه إنما أتى ليحج^(١) ، فلما رآها أفام ، وطلب ما يعالج به السقام . فعامت غير متباطيه ، ووثبت كالظبية العاطيه . وظنت أنه لم يصب ، وأنه مذ لها شره ونصب . فلما رأى ما رآب من شعورها ، وإعراض ظيتها الأدماء وسرعة نفورها ، أسال عبرته ، ووالى حسرته . ثم قال :

حديثك ما أحلى ! فزیدی وحدتی * عن الرشا المررد الجمال المثلث^(٢) !
ولا تسامی دكره ، فالدكر مؤنسی * وإن بعث الأشواق من كل مبعث .
أحقا وقد صرحت ما بي أنه * تبسم كاللاهي بنا المتعبت ؟
وأقسم بالإنجيل إني لكاذب * وناهيك دمي من حيق وحنث !

ورآها يوما بين صواحبا ، كما أطلعت ليلة القمر بين كواكبها . فلما دما منها للحديث تحت ، وبخلت عليه بكلامها ونحنت ، فقال :

وبين المسيحيات لي شامية^(٣) * بعيد على الصب الحيفي أن تدنو !
مثلثة قد وحد الله حسنها * فتني من قلبي بها الوجد والحزن !
فطى الخمار الجون حسن كائنا * تجع فيه البدر والليل والدجن !
وفي معقد الزنار عقد صباي * فمن تحته دغص ومن فوقه غصن !

ثم إنه صارت لآزاه إلا احتجبت ، وهيات للشموس أن حجت . فزاد بها بلباله ، وعظم آختباله . فلما كان يوم عيد من أعياد الصاري ، طلعت تلك الدمي ،

(١) في الأصل : وأعله .

(٢) في الأصل " شعورها " بالسين المهملة . ولا معنى لها على الاطلاق . لذلك صححت بالشين المعجمة ليكون المعنى انه رأى انها تطرأ له شرا .

(٣) صبطها في الأصل بمنع اللام . والصواب الكسر ، لأنه يشير الى الديرانية التي تقول بالثلاث . ينهد بذلك البيت الثاني من القصيدة التالية . وقد وردت كلمة " مثلثة " في الأصل مكسورة اللام .

كأنهم السما ، وبرزت تلك الديرانية في أترابها ، وخرجت كالصباح المسمر من وراء
حجابها . فوقف عليهن وقال :

عَسَاكَ بِحَقِّ عِيَاكَ مُرِيحُهُ فَلَسِي الشَاكِي !

وإنَّ الحسن قد ولا : كِ إِحْيَائِي وَإِهْلَاكِي !

وَأَوْلَعِي بَصْلَانِ . وَرُهْبَانِ وَنَسَاكِ !

ولم آبِ الكائن عن . هَوَى فَيْهَسْ . لَوْلَاكِ !

فهل تدرين ما تقصى ^(١) . على عَيْنِي عِيَاكَ ؟

وما يدركه من نَارٍ . هَلْ بِي بَوْرِكَ الدَاكِي ؟

تَحْبَبْتُ سَاكِ عَنْ بَصْرِي . وَفَوَى الشَّمْسِ سِجَاكِ ؟

وَفِي الْعُضْنِ الرُّطْبِي وَفِي السَّقَا الْمَرْخُ عِطْفَاكِ !

وعند الروص حدائك . وفي زِيَّاه زِيَّاكِ !

(٢٨٢)

وكانت سوى هذه الدار حانات بمواضع شتى . لها أحجار ، وفيها أشعار ،

وأمنهرها ما تذكره هنا ولحقه من الديارة بأمثاله ، ونصيفه منها إلى أشكاله . وهي :

حانة الطائف - كانت في الحاهلية . وكان حمارها يُسَمَّى آبن بَجْرَه . وكانت

قُرْبَى وسائر العرب بقصده . فقتل في حانه . وبتار منه وتمحل إلى أوطانها ،

وبورد أجباهها موافرا إليه لتصير ما عطانها . وفي آبن بَجْرَه هول أبو ذؤيب :

فلو أن ما عند آبن بَجْرَه عندها * من الخمر لم تبطل لَهَا فِي بِنَاطِلِ ! ^(٢)

فلمك التي لا يذهب الدهر حُبها * ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل! ^(١)
 وإن حديثاً منك لو تبدلية ^(٢) . جنى السحل في البان عود مطايل! ^(٣)
 مطايل أبكار حديث تناجها ^(٤) . يشاب بماء مثل ماء المقاصل! ^(٥)
 لعمري! لأنت البيت أكرم أهله ^(٦) * وأجلس في أيبائه بالأصائل! ^(٧)

حانة بن قريظة - وكان نحرها في حوار سلام بن مشكم . وكان عرباً مبيعاً . حانة بن قريظة
 ولما أنصرف أبو سفيان بن حرب من غزوة السويق ، نزل على ابن مشكم . فأكرمه
 وأحتبسه عنده ثلاثة أيام . وبعث إلى جاره النحر ، فابتاع كل ما في حانوته ، وسفاد
 أما سفيان ومن معه من قريش . فقال أبو سفيان :



(١) وفي المتن : "لا تعله ما أرزمت أم حائل" . والإدراج صوت نحره النافق من حلقها لا يفتح به
 فاها . أورده المسان في مادة (ر ر م) . والحائل ولد النافق ساه تلقية بدا كان أثنى . وأنها أم حائل .
 كذا فسره صاحب المسان في مادة (ح و ل) وكذلك أورده الميداني في مجمع الأمثال .

(٢) جمع عائد . وهي النافق الحديثة الناح .

(٣) * مطايل . وهي النافق الصغيرة الأطفال | والمراد أن ليس الأنكار أطيب | .

(٤) * بمقل . وهو مقطع السيل في الحبل . | والمراد طيب هذا الماء لأنه جرى في رصاص | .
 | ومعنى البيت أن حديث المحبوبة — لو سمحت به — هو الشهد ممروحا بأطيب الألدن وأصنى المياه | .

(٥) وردت في الأصل بكسر التاء إشارة إلى المحبوبة . ولكنها بالفتح في الديوان الذي نخط المرحوم
 الامام محمود الشقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية (رقم ٦ ش . أدب) . وهو الصواب لأن الشاعر
 انتقل إلى الكلام على بيت محبته . ومن العبد على مثل أنى ذريب أن يعمل محبته بيتا يخلص منه
 بالأصائل ويكرم أهله .

(٦) قد نقل ابن فضل الله هذه الأبيات عن أبي ذريب . وقدم فيها وأنزله وحده . وهي واردة
 على ترتيبها المستقيم في ديوان الشاعر (رقم ٦ ش . أدب) . فالأول والثاني هما آخر القصيدة . وبين
 الرابع والخامس هنا بيتان أعطاهما ابن فضل الله .

(٧) من جمهور العلماء على أنه بتشديد اللام . ولكن بعضهم قال فيه بالتشديد والتخفيف .

سَلَامِي وَرَوَانِي كُتِبَتْ مُدَامَةً ١١ عَلَى ظَمِي مَنِي ، سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ !
تَحْيِرُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا ١٢ لِحَلِيفٍ ١٣ فَلَمْ أُغْنِ وَلَمْ أَتَزِدْ ١٤ !

حانة هجر - وتُعرف بحانة ريمان ، وهي مذكورة . وقال فيها الراعي التميمي :

حانة هجر

وَصَهْبَاءُ مِنْ حَاوِيَتِ رِيْمَانَ قَدَعَدَا ١٥ عَلَى وَلَمْ يَطْرُبْهَا الشَّرْقُ صَايِحُ ،
تَصَرَّعْنَا الْيَوْمَ كَأْسَ رِيوَةٍ ١٦ وَبَرْدُ الْعَشَايَا وَالْقِيَانُ الصَّوَادِحُ .
وَبِنَا عَلَى الْأَنْمَاطِ ، وَالْبَيْضُ كَالْدُمَى ١٧ تَصِيءُ لَنَا لَبَانَيْنُ الْمَصَابِحُ .
إِذَا نَحْنُ أَتَرَفْنَا الْخَوَائِي ، عَلْنَا ١٨ مَعَ اللَّيْلِ مَلْتُومٌ مِنَ الْفَارِ طَالِحُ .

(١) رواية ابن هشام "على عمل" . وهي التي يعيها سياق الواقعة .

(٢) في الأصل : تحيره أهل . ويمكن قراءتها "تحيرته أهل" ويكون المعنى تحيرته من أهل المدينة الخ .
أما الرواية القديمة الصحيحة التي أوردها ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن أبي عمير . فهي : "إني تحيرت
المدينة" . وهذه الرواية يؤيد صحتها وصدقها أبو در الحشبي في شرحه لها الذي طبعه صديق العلامة الدكتور
روبل الألساني في مطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١١ م) فقد قال الشارح ص ٢١٠
ما نصه "قوله إني تحيرت المدينة واحدا . أراد من المدينة حذف حرف الجر وأوصل الفعل" .

(٣) في الأصل : سواء . وفي الأعدى : سواء . وكلتا الروايتين لا يستقيم بها المعنى بل يكون
في التركيب تصعق واضطراب وتمكك وإرتباك . لذلك احتوت رواية ابن هشام وهي غاية في الوضوح والبيان .

(٤) رواية ابن هشام : فلم أئدم ولم أنلوم . وأظهر الأبيات كماله على اختلاف الروايات وتصارفها
في الأعدى (ج ٦ ص ٩٩ طبع بولاق) وفي سيرة ابن هشام (ص ٥٤٤ طبع حوتهم) . وقد أورد
ابن هصّل الله البيت الثاني في مكان الأول وجعل الأول في محل الثاني .

(٥) أي لم ينظر شرور الشمس .

(٦) الصباح ساقى الصبح . قل في اللسان (ج ٣ ص ٣٣٤ ص ١٩) واصطاح القوم شربوا الصبح
وصبحه يصبحه صبحا وصحه : سقاء الصبح . وفي معجم اللدان "صايح" (ج ٢ ص ٨٨٩ طبع ليبسك) .
وهو علف .

(٧) أهمل وضع القط في الأصل . ولعل المعنى أن الكأس الروية ورد العشايا والقيان كل هذه
تصرأى تنق عن تلك الصبها .

(٨) في الأصل : كأس روي | بكسرتين تحت الحرف الأخير |

حانات الحيرة - وهي أربع حانات :

حانة عَوْن - وكان عَوْنٌ ظرفاً، طيبَ الشراب، نظيف الثياب . وكان فتیان الكوفة يشربون في حابوته ، ولا يختارون عليه أحدا . وشرب عنده ليلة أبو الهندي الشاعر ، حتى طلع الفجر وصاحت الديوك ، على أنه يصبح يوم شك . ففيل إنه من رمضان . فقال :

شربت الخمر في رمَضانَ حتى : رأيتُ البدرَ للشعرى شربكا !
فقال أنى : الديوكُ مَادِبَاتُ ! * فقلتُ له : وما يُدْرِى الديوكُ ؟

حانة دَوْمَة - وعن أبي عبيدة قال : مرَّ الأقيشر بجُمَّارة في الحيرة ، فقال لها دومة . فزَلَّ عندها ، وأَسْتَرَى منها شرابا . ثم قال : لها جَوْدَى لى الشراب حتى أَجَوَّدَ لكِ المديح . ففعلتُ . فأنسأ يقول :

أَلَا بَادَوْمَ ، دام لكِ العَم ! : وأسمرُ ملءُ كهكٍ مستقيمُ ،
شديدُ الأَمرِ يَبِيضُ جانباه : يُحَسُّ كأنه رجلٌ سقيمُ ،
يُرَوِّبه الشرابُ فَبَزَدَ به . وَيُفْخُ فيه شيطانُ رَحِيم !

(٢٨٥)

قال : فظنَّت الخُمارة أن هذا مدح . فُسِّرَتْ به وزادته في الشرب . وقالت : ما قال

في أحد أحسن من هذا .

حانة جابر - قال ابن الصَّلصال : كان أبو نُوَّاسَ يأتي الكوفة ، يزورنى . وكان

يأتى بيت نمار بالحيرة ، فقال له جابر : لطيف الحِلقة ، نظيف الثياب ، نظيف الآلة ، يُعَتِّقُ الشراب سبَن . فقدم علينا مرَّةً ، وقد نهاه الأمين عن الشراب . فسأل غنى ، فقبل : هو بالحيرة . فوافانى ، وفي يدي شيء من شراب جابر ، عجيب الحسن والرائحة .

فقال لى : يا أبا جعفر، لا يجمع هذا والهَمُّ فى صدرٍ واحدٍ ! قال : وكان شديد العُجب بضرب الطُّنور^(١) . وكان إذا جاءنى جمعتُ له ضُرَّاب الطَّايير . وكانت الكوفة معدنهم . وكان يسكر فى الليلة الواحدة سَكَراتٍ . فوجهتُ بجمع له منهم جماعة ، وأحضرتُه شيئاً من ذلك الشراب . فقال لى : ألم تعلم ما حدث على ؟ قلت : وما هو ؟ قال : نهانى أمير المؤمنين عن الشراب وتوعدنى عليه !

ثم أنشدنى قصيدته التى فيها :

أيها الرائيح باللَّومِ، لوماً * لا أذوق المدامَ إلَّا شَمِماً !

إلى أن انتهى إلى قوله :

فَكَأْنِي وما أَحْسَرُ منها قَعْدِي بِخَسْرِ التَّحْكِمَا .^(٢)

كَلَّ عِزِّ حَمَلِ السَّلَاحِ إِلَى الحَرِّ بِ فَاوصى المِطِيقَ أن لا يبعيا .

فقلتُ له : أقمُ معاً كما حكيتَ من نَقْلِ الصَّعْدِيَّةِ . قال : أفعلُ . وصرنا إلى حانة حارٍ . فقلتُ شعراً ذكرتُ فيه ما قاله لى وأنشدته إياه . وهو قولى :

عَبَبْتُ عَلَيْكَ مَحَاسِنُ الحَرِّ أَمْ عَرَّتْكَ بَوَائِبُ الدَّهْرِ

(١) الطُّنُور والطَّايير من آلات الطرب ، دو غنى طويل وستة أوتار ، معزف تنبور (أصله دُفَّة برد أى

لِبه الحَمَل . سُمى به على التشبيه) . وقد انتقل هذا الاسم إلى سائر الألعاب على بعض تنوع فى الآلة .

(٢) أورد هذا البيت فى " نواح المروس " فى مادة (ق ح د) ويستمد من كلامه أن القعدة قوم من الخوارج قعدوا عن بصرة الإمام على بن أبى طالب . وأن الذى يرى رأيهم يسمى " قَعْدِيّاً " . وهم يرون التحكيم حقاً ، لكنهم قعدوا عن الخروج على الناس . والبيت فىمى يابى أن يشرب الخمر ، وهو يستحسن شربها لغيره

(٣) أى كما يعمل القعدية من الاقتصاد على تحسين الشرب ومدح الخمر بأوصافها التى تلدها للشاربين .



فَصَرَفْتَ وَجْهَكَ عَنْ مَعْتَقَةٍ . تَمَزُّعَنْ دُرٍّ وَعَنْ شَذْرِ .
 يَسْعَى بِهَا ذُو غُنَّةٍ غَنَجٌ . مَتَكَيَّلُ اللَّحَظَاتِ بِالسَّحْرِ .
 وَنَسِيتَ قَوْلَكَ حِينَ تَمَزُّجُهَا . قَتَرْتُكَ مِثْلَ كَوَاكِكِ النَّسْرِ :
 "لَا تَحْسَبَنَّ عُقَارَ حَابِيَةٍ . وَالْهَمُّ يَحْتَمِلَانِ فِي صَدْرٍ !" (١)

فقال : هاتيا وكذا وكذا من أتم الأمين ! ومدَّ يده ، فأخذ القَدَحَ وشرب معا . ثم
 شَخَّصَ إلى الأمين . فقال له : ابن كَتَّ " قال : عند صدقي الكُوفَى . وحدثه الحديث .
 قال : فما صنعت ، حين أنشدك الشعر " قال : شربت ، والله ! يا أُمير المؤمنين . قال :
 أحسنت وأجملت ، فأشخصُ حتى تحمل إلى صدِّيقك هذا . فقدم إلى خملتي إليه . فلم
 أزل معه حتى قُتِلَ .

١٠ حانة شهلاء . وكانت يهودية من أهل الخبرة . وحكى أن الأقبشير كان بالفها ،
 وكان يشرب في دارها . بغاءه سُرْطَى فدق الباب ، فقال : آسفني وأنت آمن . فقال :
 والله ! ما آمنك . وهذا النقب في الباب ، فأما أمميك منه . فوضع له أنبوب قَصَبٍ
 في النقب . فصب فيه الببذ من داخل ، والشُرْطَى شرب من خارج . فقال الأقبشير :

سَالِ الشَّرْطَى أَنْ تَسْقِيَهُ . فَسَقِيَاهُ أَنْبُوبِ الْهَصَبِ .
 إِنَّمَا لِفَتْحَتَا خَابِيَةٍ ، فَإِذَا مَا مَزِيحَتْ كَانَ الْعَجَبُ .
 لَنْ أَصْفُرُ صَافٍ طَعْمُهُ . تَرِغُ الْبَاسُورُ مِنْ عَجَبِ الذَّنْبِ .
 إِنَّمَا تَشْرَبُ مِنْ أُمُودِيَا . فَاسْأَلُوا الشَّرْطَى . مَا هَذَا الْغَصَبُ "

(١) في الأصل الشرع كسر الاء . ولعله محزوف .

حانات العراق - ومن أربع حانات :

حانة طيزنآباد^(١) - وكان نهارها سرجس . وحكى سليمان بن بونجت قال :
 حججت وأستصحت أبا نواس ، بعد امتناع منه ونقار . وشرط على أن أتقدم معه
 الحاج إلى القادسية . فنقيم نسرب بطيزنآباد . فنزل على نهار كان بألفه ، فشرب يومه
 وليته . ثم أنبئه بهول :

حانة طيزنآباد

ونهار انحت إليه ليلًا * فلا نص قد وين من السفار .
 فزجم ، والكري في مقلتيه . كحمور شكا ألم النمار :
 "أين لي كيف صرت إلى حريمي ، ولون الليل ملتبس بهار" .
 فقام إلى العقار فسد فاهًا . فعاد الليل مسود الإزار .



ثم جلس يشرب . فلم يزل كذلك حتى ورد عليا أوائل الحاج . وحجوا . ثم عادوا .
 فرحلنا معهم إلى بغداد ، على أننا كنا حجاجا معهم .

حانة قطربل - وكان نهارها ابن أذبن .

حانة قطربل

حكى أبو السبل البرجمي قال : آجتمعت بأبي نواس في الوبنجتية . فسلمت
 عليه . وسأله عن خبره ، وتحتشا طويلا . ثم قال : أنسأدني حتى تمضي إلى موضع
 طب . قلت : أين هو ؟ قال : قطربل . فقلت : صاقت الدنيا حتى نسافر ؟ فقال
 لي : إن هالك نهارا طريقا ، ليفا ، مساعدا ، عده شراب عتيق وعلمان صباح . فأمص

(١) طيزنآباد موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على حافة الحاج . كان من أمره المواضع
 مخمولا بالكرم والشجر والحامات والمعاصر . وكان أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة . وهو الآن حراب ،
 ولم يبق له إلا أثر قباب يسمونها "قباب أبي نواس" . ويقال إن معنى اسمها عمارة الصير . (أنظر ياقوت
 في الحرة الثالث من معجم البلدان) .

بما، فضيئت حتى أتى حانة نحر، فقال لي: أتعرفه؟ قلب: لا، قال: هذا ابن أذين الذي أقول فيه:

إِسْقِنِي يَا ابْنَ أَذِينَ . مِنْ شَرَابِ الزَّرْحُونِ^(١) !
إِسْقِنِي حَتَّى تَرَى بِي * جَنَّةَ غَيْرِ جُودِ !
عُتِقْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى * هِيَ فِي رِقَّةِ دِنِّي !
وَلَسَا سَائِي عَلَيْهِ * جُبَّةٌ مِنْ يَاسَمِينِ^(٢) !

قال: فأقنا عده ثلاثة أيام، في أثره موضع ومع أكليس حادم، ثم أنصرفا.

حانة الشط - قال حمد بن حمدون: كان الواثق يحب المَوَاحِبِ، وما هيل فيها، وما غنى به في ذكرها، فعند حانئ: إحداهما في دار الحرم، والأخرى على الشط. وأمر بأن تُحار له نحر نظف، جميل المنظر، حادق بأمر السراب، ولا يكون إلا نصرانيا من أهل قُطْرُبَل. فأني بصراقي، له آبان بطنان ملبحان وآبان بهده الصفة. فجعلهم الواثق في الحانئين، وصم إليهم حَدا وعِلْما وحواري رومته. وأحدم النساء حانة الحرم، والرجال حانة الشط. وعل إليهما طرائف السرب، وفرشهما من فرش الخلقة، وعلق عليهما السور، وجعل فيهما الأواني المذهبة واللبان المدهونة. فكانتا أحسن مَطَرٍ وأهأه.

فلما فرغ منهما، أمر بإحصار المغنين والجلساء، ولم يدع أحدا يصلح من صُرَاب الطباير إلا أحضره. وحصرنا، ونرح الخمار، هو وأولاده معه، عليهم الأفيه المسهمة، وفي أوساطهم الرانير المحلاة، ومعهم علمان يحملون المكايل والكيران

(١) كلمة فارسية مركبة من "زَرْد" أي الذهب ومن "شُون" أي النور.

(٢) في رواية: يَدِي. والسياق يعبر هذه.

(٣) هو المشدوم المعروف. وأصل اللفظ مصري قدم "أشني" ثم انتقل إلى الفارسية والعربية فاللهجة الأرامية فالتركية فالكردية فالرومية فالأرمية فساثر اللغات الإمبريحية.

والمبارل في الصواني . وأخرجت لك الدنان المذهبة . وقد طينت رؤوسها تطيبا
نظيفا ، يعنى منه الطيب . فأقيمت يازاء المجلس الذى كان فيه جالسا ، فزلت ، كما
فعل في الحانات وجعل يثني بالأمودحات ، فبذوقها ويعرض ذلك على الحلساء .
وحنار كل منهم ما يستهيه . فاحد دنا . ويحىء إلى الخمار و نكال منه بمكال في إنائه ،
كما تفعل في المواخير . ويعود إلى موضعه فيجلس . ويوضع على رأس الحضور كالبل
الآس وما أشبهه من الراحي . فكان أحسن يوم رأيته .

فسرب الواثق شرنا كثيرا وأمر للحمار بألف دينار ، ولزوجته بألف دينار ، ولكل
واحد من أولاده بخمسة ديار . ولم يبرح أحداً منا إلا بجائزة سنبة .

وحكى الحسين بن الصحاك في حكاية له أن الواثق قال له : هل لك في حاة
السط ؟ قال : فعلت إى والله ! بأمر المؤمنين . فقام إليها فشرب هناك وطرب .
وما نرك أحدا من الجلساء والمعنبين والحشم ، إلا أمر له بصلاة . وكان من الأنام التى
سارت أخبارها ، ود كرت في الآفاق .

فلما كان من العدا ، عدوت عليه فقال : أسيدنى باحسين شبتا . إن كسب قلته
في يومنا هذا الماضى . فأسده :

باحاة السط فدا كرميت منوانا . عودى بيوم سرور كالدى كانا !

(١) جمع . ل . وهو المنصب أى الآلة التى تنصب بها الدنان وإميل ليسيل ما فيها . ويسمى هذه الآلة
أبدا . (١) أسوب . (٢) بارل . (٣) صبور . (٤) مزيون | تعريبا لكلمة يونانية | . والمبرل الذى
يحب بصدده فتحة من الخشب . وهو معروف عند أهل هذا الشار . ويسمى عند الفرنسيين .
Cannelle و Canette و Camille . وهذه الأسماء الثلاثة الإفريقية هى أيضا مستعملة في اللغة الفرنسية
سند الخواصين سمس معنى المبرل في الاصطلاح الطبى العربى . و Cannelle هى الأكثر استعمالا عند
الكترامين الفرنسيين .

وقد ورد المؤلف لفظة « البرل » في استخراج الحمر من الدنان (أطروص ٢٦٦ ص ٩٠ و ص ٣٠٩ ص ١١١
ص ٣٢١ ص ١٩٠ و ص ٣٢٢ ص ٢٠) .

[لَا تُفْقِدُوا دُعَابَ الْإِمَامِ وَلَا طَيْبَ الْبَطَالَةِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا.^(١)
وَلَا تَحَالُمَا فِي غَيْرِ فَاحِشِيَةٍ إِذَا تُطَرَّبْنَا الطُّنُورُ أَحْسَانًا.^(٢)
وَسَلْسَلَ الرَّطْلَ عَمْرُوثَ عَمِّ بَالِ الشَّنْقَبِ فَالْحَسَقَ أَحْرَامًا وَأَوْلَانَا.
سَقِيًّا لِعَيْشِكَ مِنْ عَيْشٍ خُصِّصَتْ بِهِ ذُؤَنَ الدَّسَاكِيرِ لَذَاتِ دُنْبَانَا!
قَالَ: فَأَمَرَ لِي الْوَاتِقَ بِصَلَاةٍ سَنَةِ مُحَدَّدَةٍ، وَاسْتَحْسَنَ الشَّعْرَ، وَأَمَرَ أَنْ تُعْنَى فَعَهُ.

حانة خويث - وتُعرف بحانة بَزِيع، وهو خادم الموكل.

حانة خويث

وكانت عزيزة لا يعرض لها أصحاب المعاوين، وكانت حسة الساء، ومؤزده مسقنة^(٣)
بالساح. وإلى جانبها سِتَانُ نَرَةٍ حَسَنٍ لَبَزِيع. وكان يتخذ فيها آلة الشراب.
وكان فيها حمار يهودي، لا يبيع إلا شرابا مخارا سراً، لا يبعه أحدا من العامة
والوضعاء. وكانت حانته لثرة الخاصة والسراء من الناس. وكانت موصوفة بالحسن
واللطافة.

(٢٨٩)

وفيها يقول عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن الرمات (وكان قد دناهُ بَزِيع
الهاء، ومعهما حتى الخادم، وكان نهاية في الحسن، وحسن الفناء).

سَهَابًا بَرِيعٌ وَالسَّمَاءُ مُشْرِقٌ وَنَحْمُ السُّرْمَا فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ،
كُنْهَاتُكَ كَانِ الْمِسْكَ حَشْوُ كُؤُوسِهَا هِيَ السَّمْلُ نَحْوُهَا بِمَقْرُوقٍ.
سُلَافَةٌ كَرِيمٌ أَحْلَصَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا يَبْصَى لَهَا اللَّيْلُ الْهَيْمُ وَيُشْرِقُ.

(١) قلنا هذا البيت عن الأنان (ح ٦ ص ١٩٧ طبع بولاق) ليصبح المعنى ويستقيم سياق البيت بعده.

(٢) في الأصل: إذ لا تحالما (ولا معنى له مع هذا التحريف ولذلك صححنا عن الأنان).

(٣) أي الذين يطالون المعونة، أي الصراث والحراج.

(٤) اسم الساق المدكور قلم.

وقلت لِحَنِّي : هَلُمَّ فَعَنِّي ! . «أَرِقْتُ، وما هذا الشَّهادُ الْمُؤَرَّقُ؟»
فَعَنِّي غِماءَ حَرِّكَ الْقَلْبِ حُسْنُهُ . وَلَمَّا بِحَرِّكَ الشَّرَابِ الْمُصَفَّقُ !

حانة سجستان

حانة سِجِسْتَان - حُكِيَ أَنَّ أَمَّا الْهِنْدِي، لَمَّا ضُرِبَ عَلَيْهِ الْبَعْثُ إِلَى سِجِسْتَان،
كَانَ بِلَزْمِهَا وَبِشُرْبِ عَمْدِهَا مَعَ نَدِيمٍ لَهُ . فَشَرِبَا يَوْمًا حَتَّى سَكِرَا وَنَامَا . فَلَمَّا هَتَّ هَوَاءُ
الْأَسْحَرِ . أَنَّه أَبُو الْهِنْدِي، وَالزُّرْقُ مَطْرُوحٌ . فَدَبَّقَ فِيهِ سَطْرَ الشَّرَابِ . فَأَقَامَهُ
وَصَبَّ مِنْهُ فِي كَأْسٍ . وَجَاءَ إِلَى نَدِيمِهِ فَحَرَّكَهُ وَقَالَ :

تَصَنَّحَ بَوَاجِهُ الرَّاحِ وَالطَّائِرِ السَّعِيدِ - كُنْمَتًا وَنَعْدَ الْمَرْجِ فِي صِفَةِ الْوَرْدِ !
تَصَلَّمَا زِقُ أَزْتُ كَكَانَهُ * صَرِيحٌ مِنَ السُّودَانِ دُو شَعِيرِ جَعْدِ .
وَلَمَّا حَلَلْنَا رَأْسَهُ مِنْ رِمَاطِهِ * وَفَاضَ دَمًا كَالْمِسْكِ أَوْ غَبِيرِ الْهِنْدِ ،
وَحَدَّاهُ فِي بَعْضِ الرُّوَايَا كَكَانَهُ - أَخُو قِرَّةٍ بَهْتَرٍ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ .
أَخُو قِرَّةٍ يَسِدِي لِمَا وَحَهُ صَمْحِي * كَلَوْنٍ رَفِيقِ الْجِلْدِ مِنْ وَلَدِ السِّنْدِ .
حانات الشام - وهي آندان :

حانة مراد

حانة عَرَّاز - وَكَانَتْ سَلَّ عَرَّاز .

حُكِيَ إِسْحَقُ . قَالَ : كَسْتُ مَعَ الرَّسِيدِ . حِينَ نَحَرَحُ إِلَى الرَّقَّةِ . فَدَخَلَ يَوْمًا شَرِبَ
مَعَ الْإِسَاءِ . وَخَرَجْتُ وَهْ صَبْتُ إِلَيْهِ . فَتَزَلْتُ عِنْدَ نَحَارِهِ هَاكِ . لَهَا زَوْجٌ قَسٌّ . وَلَهَا
مِنْ بَنَاتٍ . لَمْ أَرْ مِثْلَهَا قَطُّ حَمَالًا . وَلَا مِثْلَ بَنَاتِهَا . وَأَخْرَجْتُ إِلَى شَرَابٍ لَمْ أَرْ مِثْلَ حُسْنِهِ
وَطَبَّ رِيحِهِ وَطَعْمِهِ . فَأَجْلَسَنِي فِي بَيْتٍ مَرشُوشٍ فِيهِ رَيْحَانٌ غَضٌّ . وَأَخْرَجْتُ
بَيْنَهَا نَعْدُنِي كَأَنَّهَا خُوطُ بَابٍ ، أَوْ جِدَلِ عِيسَى : لَمْ أَرْ أَحْسَنَ مِنْهَا قَدًّا ، وَلَا أَسْهَلَ

(٢٩٩)

خدا، ولا اشرف وجها، ولا أبدع طرفا، ولا أحسن كلاما، ولا أتم نماما. واقمت
عندها ثلاثا، والرشيد يطلبني، فلا بقدر على. ثم أنصرفت. فذهبت في رسله إليه.
فدخلت عليه، وهو عصبان. فلما رأيته، خَطَرْتُ في منبتى ورفضت (وكانت
في رأسي فضلة قوية من السكر) وعييت في شعير فلة في بيت الخماره صنعت
فيه. وهو:

إِنِّي عَلَى بَالْتَل، بَلْ عَزَّازِي، عِدْ ظَنِّي مِنَ الطَّبَّاءِ الْخَوَازِي
شَادَنُ يَسْكُ الشَّامُ وَفِيهِ مَعَ سُكْلِ الْعِرَاقِ ظَرْفُ الْمَجَازِي.
بِالْقَوْمِ لَيْتَ قَسَّ أَصَابْتُ، مَكَ صَفْوَا الْهَوَىٰ وَاسْتَبْجَازِي!
حَلَمْتُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُخَيِّرَ الْوَعْدَ، وَلَيْسَتْ تَهْتُمُ بِالْإِنْجَازِ!

١٠ قال: واللحن في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى. قال إسحق: فسكن عصبه.
ثم قال لي: ويحك! أين كنت؟ فأخبرته فصحك وقال: عذراً، والله! وإن مثل
هذا لطيب، إذا آتفق. أعد عناقك! فأعدته. فأعجب به، وأمرني أن أعنه
لبلتى كلها، أعينه أبدا، ولا أعني أنا ولا غيري سواء. وأمر المفتين بأخذه.
وما زلت أعنه ويشرب عليه إلى الغداه. ثم أنصرفت. فصلت ونمت. وما
١٥ أسقررت جباً حتى وافاني رسول الرشيد، يأمرني بالحضور. فركبت ومضيت.
فلما دخلت إذا أنا بابر جامع يتمتع على دكان في الدار، لعبه الببذ والسكر
عليه. فقال لي: أندري لم دعيها؟ قلت: لا. قال: بصرايتك الرانيه،
عليك وعليها لعنه الله! فضحك. فلما حرج إليها الرشيد، أخبره بالمصه.

فصحك وقال : صدق . أعيده جمعاً ، ولا بعنوا غيره . فإني آشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتُموني . فغنيته جميعاً يوماً ما كلّهُ ، حتّى نام في موضعه ، سُكراً . ثم أنصرونا .

حانة هُشيمَة - وكانت بدمس . وكانت تحمّد الوليد بن يزيد في شرايه وتولّى اتّحاده له . وكان يقال إنه لم يرَ أعرف منها به ، ولا أنطف آلةً وصعته ، ولا ألبق في الخدمه .

وقد ذكرها يزيد في شعره إذ قال :

فدَسِرْ بنا وَحَنَ الرَّمَارَه ، فاسقني بأبدنيّ بالمرقاره !
من سراب كأنه دم حنيف عَقْنُهُ هَسْمَةُ الحماره .
إِسْفِي ! إِسْفِي ! فَإِنَّ دُنُوبِي قد أَحَاطَتْ بِمَا كَفَّارَه !

وَعَمَّرْتُ حَتَّى أَدْرِكَ الرِّشْدَ وَمَاتَ فِي أَبَامِهِ . مات يومَ مات الكسائي (١)
[البحوى] والعلما [س بن الأحنف الشاعر . فصل] المأمون عليهم .

وها قد ذكرنا ما اتصل سا علمه ، ووقع إلينا حره ، وبه تم الفصل السادس . وهو آخر فصول الباب الأوّل من القسم الأوّل .

ولله الحمد وبه التوفيق !

(١) هذا سبط المجلد ، هو المصنّف الذي توجّه إلى على كماله وحروف فاعله ، هذا تراجمه البوقى من حروفها على رواية (أ) (ج ٥ ص ٤٦) . ونظر فيه طريف الرواية بمناسبة صلاة المأمون عليهم .

تصويبات و تصحيحات لما وقع في نسخة الأم لما وقع أثناء الطبع

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣٩	٢	أورد النسخ "العجاجة" من أسماء الفبار . والصواب "العجاج" . أما العجاجة فهي الإبل الكثيرة العظيمة . وهذا وذلك عن كتب اللغة .
٥٤	٩	في الأصل "حاقولي" . ولعله يريد "خاقوني" . وانظر "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" للدمشق المعروف بشيخ الربوة .
٥٨	٦	"باش بالقي" . معناه عند الترك "المدائن الخمس" . وعلى ذلك جرى اليونان في قولهم Pentapole (أى المدائن الخمس) في تسمية إحدى المدائن الشهيرة بناحية رقة ، وهي التي اختزل العرب اسمها فجعلوه "أنطابلس" .
		أل بالقي . معناه بالتركية "المدينة الحمراء" لأن أل معناه الأحمر . وهي باكين ماصمة الصين .
٦٢	٦	جبل "قَمَيْقَعَان" يسمى الآن "الجبل الهندي" . وبه مدرسة عربية في موضع مستثنى صغير ، كان للترك قبل الحرب العظمى .
٦٦	١٣	القرينة وسياق الكلام يوجيان تغيير كلمة "البحر" بكلمة "الجبل" . ذلك لأن المؤلف لم يذكر قط بحرا مشبا بتفصيل "الراويل" . وإنما ذكر (في ص ٤٨ س ٥ و ٦) جبلا بهذه الصفة ، وهو الذي يرجع إليه الكلام .
٦٨	٥	الكلام على البحرين يقتضى التثنية . ولذلك يجب إصلاح "منها" الواردة في الأم بـ "منهما" .
٧١	١٩، ٢٩	Trismégiste] ومعناه عند العرب "المثلث بالنبوة والحكمة والملك" . واللفظ اليوناني يدل على المثلث والكبرياء .

صفحة	سطر	تصويسات وتصحيحات
٧٧	١٠	الأنخر . (نصم صفتح) .
٧٨	٢١	Pont-Euxin
٨٢	١	الأردن (نصم أوله وثالثه وسكون ثابيه وتشديد رابعه) .
٨٣	٨	الدهاك (بالكاف في آخره لا فاللام) . كما في ص ٦ ص ٢٢٩
٨٤	٢	البثم (نصم فتشديد) حبال مشهور بتركستان .
٨٥	٥	أشار المؤلف الى مدينة «أوقر» في الصين . هكذا كتبها السامح بهذا الرسم في نسخة الأم . وفي نسخة آياصوفيا . وأكبر طي أنه يشير الى مدينة «لوقين» التي وصفها ابن فضل الله . هذه المدينة في الجزء الثاني من «مسالك الأنصار» (ص ٣٣٦ فتوعرافية) فقال . «ومدينة لوقين» . وهي مدينة حسنة على صفة حور عذب . تدخله المراكب . وهذه آخر حد بحر الهند من جهة الشرق» . وقال ابن خردادبه . «لوقين وهي أول مراقي الصين ...» وكثيرا من العرب استعملوا «مراقي» (بالقاف) مثل اللادري والكري والادريسي وابن حمر وابن خلدون . كما أشار اليه دوري في «مكتبة المعجمات العربية» وأما أصيب عليه المبريري (ج ٢ ص ١٤٠) وإن كان هو أيضا استعملها فالفاء في صيغة المفرد (مرفأ) عند إيراده الحملة . نصبا في مكان آخر (ج ١ ص ١٤٠) ولا تسك أنهم استعملوا «مراقي» في مقالة قولنا الآن «إيسكه» عن (Scala) أي «سلم» و«مرقاة» . وقد سه المطردى الى تصحيح الماء قافا كما أشار اليه دوحويه في «فتوح البلدان» للبلادري .
٩٢	١٩	المرة . وردت في الأصل براء . مهملة . وتكون معنى المثل أنه شرب المثر . وإذا أعجمها الحرف فيكون أنه شرب المرة أي الخمر فيها حوصة . وفي أسف لعدم تمكني من مراجعته نسخة صحيفة من كتاب ابن عساكر .
٩٨	١٥	«الأساطيم» الواردة في نسخة الأم . هي بلا شك من أوهام السامح . وربما صح لنا . . . الاستشهاد بالمثل العربي «أساء سمعا فأساء حانة» ويريد عليه «وأساء سخانة» . وربما كان نصم . يعنى عليه «الأساطين» فسممها ميم في آخرها . فكتبها كذلك . والمقام يعين

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		« الأساطين » جمع أسطوانة . وانظر « الإعلام بأعلام بلد الله الحرام » (ص ٨٦ و ٥٣) و « أحبار مكة للاررق » (ص ١٦٤) ، كلاهما طبع العلامة وسنعمله الألمانى . ولما كان الكلام يدور على السوارى والأعمدان ، فلا معنى . طلبنا فى هذا المقام للاسطام الذى يدل فقط على المسار المحددة المقطوعة يُحَرِّكُ بها البار ، أو الخديعة التى تكون فى طرف السهم حيث يعلق الحجر الذى يرمى به المحقق (انظر عن الاسطام العاموس وشرحه ، ومفاتيح العلوم) .
١٠٢	٢	وَكَسَوْنَا ... الَّذِي ...
١٠٧	٣	أسطوانة (بضم أوله) .
١٣٦	١٢	أَبَى (بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد آخره) .
١٤١	٥	الصحره والأعمده . والحائط أى أن الحائط هو أول كلام حديد .
١٤١	١٩	التحريح الطلى الذى فى هذا السطر سير صواب مى . ولذلك يجب حذره . وكلمة « انبذارية » وربما تكون انبذارية — وان كدت سميت كثيرا ونحتت طويلا لمعرفة أصلها على غير طائل — تدل على نطاق من الرحام السارر . ونعصه . متصل بالمعص الآخر على دائرة الحدران الاربعه . كما شاهدته سمى حيا رب الحرم المقدسى لأجل تعميم بعض البيانات الواردة فى هذا الكتاب . وأحصاها الانبذارية هذه . وما قصيت الوطرها فيما يتعلق بهذه الكلمة . شئى سوى امتناع الطر تركها وحملها . وكانت رحلتى الى وسطين لهذا الغرض فى شهر يونيو سنة ١٩٢٣
١٥٧	١٧١	قال ان فصل فى نسخة الأم أثناء كلامه على السود الشمالى للسجد الأفصى ان المدرسة الكريمة « جارت ما أمامها » الاروقة خانطين عربية وشرقيه « . وقد صححت « جارت » « حاورت » لأنه محال أن تكون المحارة من الشرق الى الغرب معا . وقد سميت على لفظ الأصل فى الحاشية . لكى راجعت فيما بعد نسخة آياصوفيا ، فرأت فيها « حازت » . فالحاء

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
		المهملة والراى . ولعل هذا هو الاقرب للصواب ، اذا جعلنا « الدال » بدلا من « الراى » . فتكون المدرسة « محاذية » لما امامها من الأروقة ، شرقا وغربا .
١٥٨	٧	وبنجدّه (بالحاء المعجمة) .
١٦١	١٧	يُنَزَّلُ (بضم فسكون فتفتح) .
١٧٥	١٤	سكان ر أرتبك (هكذا بالناء المفردة التحتية فى الأصل) . صوابه سكان [أوسمان] ر أرتقى ر يلعازى . ولعل اسم أبيه كان فى أول الأمر « أرتيك » ثم عرّوه فقالوا « أرتق » . يجب التصحيح .
١٨٤	٩	جران الكروم . هكذا ورد فى نسخة الأم عند الكلام على ساء قبة مسعد دمشق . فقد أشار المؤلف الى أنهم حمروا لأركانها حتى بلعوا الماء ثم ألغوا على الماء جران الكروم . ولكن جران لا معنى لها .
		وفى وردت « جراز » فى كتاب « مطالع البدر » أثناء كلامه على هذا الموضع ، فى المسحة المطبوعة وفى أخرى مخطوطة « بنجراننى الزكية » .
		ولا ينبغى المعنى مطلقا مع كل هذه التصحيحات والتعريفات . فرجعت الى « المخصص » فراءت فيه « دجران » و « حفان » فى ذاب الكلام على الكرم . ولكن « دجران » تدل على الخشب الذى يُنجد تعريشة للكروم ؛ وأما « حفان » فهى قصبان الكرم همه أى « عقل الصب » على ما يقول العامة الآن فى مصر .
		فارتضيت هذه الكلمة الأخيرة . لأن هذه العصا من شأها حس الماء وطعمه ، فتكنمه وتمنع صوده الى أساس لباء الذى ينام فوقها . على أى ، مع ذلك ، سميت لتحقيق هذه الكلمة من نسخة معتدلة لار عساكره . ولكن على غير طائل ، لعدم وجود أثر صحيح لها بغرائى مصر . فاضطرت لمراجعة الطبعة التى مسخها بعضهم وشووها وحلط كلامه بكلام مؤلفها وبزمنها ما بتر ، ووصلت به البُرْءة على العلم وعلى الأمانة ، بل عدم التهذيب الى إبرازها للناس بهذه الهابة مع نعتها بـ « تهذيب تاريخ ابن عساكر » . فوجدت الكلمة التى نحن بصدددها « جفان » . فحمدت الله على عدم

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		وصول التشويه والتحريف والتصحيف والمسح والمط إلى هذه الكلمة كما وصل إلى غيرها مما لا يعد ولا يحصى . وعلى ذلك يجب تصحيح كلمة "جران" بكلمة "جفان" .
١٨٩	٣	بينها (بدلا من) بينهما الموحوده بصيغة المثى ونسحة الأم [اللهم إلا أن يقال أن "بينها" هي للفصل بين "الاقاء المقودة" من جهة وبين "العمد" من جهة أخرى . وفيه تعسف] .
٢١٣	١٢	بصنعة القوط . [وبمثل ذلك يصح الهامش]
٢١٦	٦	لم يعد [هذا الضغط أفضل]
٢١٧	١٣	المعنى (بضم الميم) لا فتحها . نسبة إلى معين الدين ، من حالات الدواين الوردية والصلاحية) .
٢١٧	١٤	سرية "تنتى" بالساحل من أعمال الرملة . هكذا ورد اسمها في الأصل بالناء المتناة الدوقية وبصيغة المثى للمسهول . والصحيح أنه بالياء آخر الحروف "تنتى" . وهي في عصرنا هذا من أعمال غزة . وقال ياقوت إنه بُنيت قرب الرملة فيه قبر حماني ، يقول بعضهم هو قبر أبي هريرة ، وبعضهم يقول قبر عبد الله بن أبي سرح .
		أما "تنتى" فهي على ما ياقوت بلدة بحوران من أعمال دمشق . قال الالبانة : فلا زال قبر بين تُنتى وحامم " سلبه من الوسمى حُود ووايل وبيت حُوداء وعوفا مسورا " سأهدى له من خير ما قال قائل
		والبيت الأول وحده رواه المخصص (ح ١٥ ص ١٩٣ عما أشده سيويه ، ولكنه جعل "طل" بدل "حود" . وهو أفضل .
٢١٨	١	في الأصل : "وقيل إن مدينة دقيانوس ويقال إن مدينة دقيانوس هي طليطلة" .
		تحيت أن الكلام فيه تكرر . لعلك حذف الجملة الأولى ، أثناء الطبع ، وبهت على ذلك في الحاشية .
		بيد أنا إذا وصفا "لها" بدل "إن" الأولى لاستقام الكلام تماما . إذ يكون على هذه الصورة : "وقيل أنها مدينة دقيانوس ، ويقال أن مدينة دقيانوس هي طليطلة" .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		<p>وذلك لأن بعض المؤرخين يقولون إن أبسس (أفسس) Ephesus هي مدينة دقيانوس ، مضطهد أصحاب الكهف ، ومنصهم يقول إنها مُلبطة بالأندلس .</p> <p>ولمحقق هذا الكتاب بحث واسع باللغة الفرنسية عن "الكهف والرقيم" من الوحيين التاريخي والجغرافي . وعن جميع الاماكن التي زعم أهلها إلهما بها .</p>
٢١٨	١١	<p>قرية "إربيل" تعرف في أيامنا هذه باسم "إربد" ، الدال المهمة في آخره . وهي الآن من أعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأردن العربي . وكانت في أيام الحكومة العثمانية عاصمة لقضاء عجلون . وبها مسجد وسراي (سنة ١٨٨٤) . وساحتها طيب ، ولها مستشرف بديع على الصحراء ، يمتد شرقا لعاية مادية الشام ويطلّ من الجنوب والجنوب الشرق على جبل عجلون بمآاته التي يتكاثف فيها شجر اللوط العتيق . وفي ساحتها حوص يملأه المطر . فيستق منه أهلها ، على طول السنة . وهي قائمة على موقع المدينة القديمة "أربلا" (Arbela) . وسكانها قبل الحرب العامة رهاء . ١٣٠٠ نسمة . وهم الآن أكثر عددا .</p> <p>وإسمها قبلها الأتراك "إربد" ، الدال المهمة للتخمين بها وبين مدينة "إربل" الشهيرة (Erbil, Arbil, Arbellen) بأرض الموصل . كما فعلوا في حمص التي طرأ على العرب مسموها "خميس" ، وكما فعلوا بمدينة نصيبين بولاية حلب مسموها "زيب" ، تمييزا لها عن نصيبين التي بالعراق .</p>
٢١٨	١٦	<p>سيلون . تعرف الآن عند أهل فلسطين باسم "سيلة الظهر" .</p>
٢١٩	١١	<p>كفر برك (بالاء الموحدة) . لا كما وردت في نسخة الأم بالثناء المعوقية : "كفر تربك" . وهي قرية فلسطين .</p>
٢٢٣	١١	<p>سُوبَل وهو أيضا "شُوبَل" الذي تسميه التوراة "توبال قاين" .</p>
٢٢٣	١٥	<p>منوشهر وهو "موجهر" عند الفرس والترك . وليس منوشهر (بالثناء) كما في نسخة الأم .</p>

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٢٢٤	٦٤٣	أورد الناصح اسم ملك العرب مرتين متواليتين هكذا : سوراسف [سبب مهمل في أوله موقها صفة] . وصحته على ما يسميه العرب "سوراسب" وأما العرب فيسمونه : سوراسب .
٢٢٦	٢٠	روى المؤلف عن الكرى الابداسى ان للصائبة بيتا مخزان في باب الرقة يعرف بمعلنيشا .
		فرايب الرجوع الى علم صديق العلامة الفاضل الأب أسستاس الكرملى . المعروف بالتحقيق والتدقيق في مثل هذه الموضوعات . فتكرم وأعادنى بما بهه :
		كله مصحفة من "معلنيشا" . وهذه نسخة من الإرمية ... ونقرأ (بنت علوانا) أى هيكل الاصنام . وقد أكد لي بعض علماء الصائبة الحاليين ان هذا الهيكل وارد ذكره في كتبه باسم "معلنيشا" . ويعنى أيضا محل الصحية أو المحترقة وبيت الصم الأعلى . اه .
٢٢٩	٥	في الأصل "السند" سور . والواحد حذف هذا الحرف لتكون الإشارة الى "السند" أى سداحوج وماحوج . وذلك ما اختتمه الموقع الجعراى . لأن بلاد الخطا في شمال الصين ، وأما السند فهو شرق الهند . وشتان ما بينهما ! فلا يمكن أن يكون صم الخطا المصحوح اليه الذى في نهاية الشرق المتشامل . فريانا من بلاد السند . يؤكد ذلك ما أورده المؤلف نفسه في ص ٤٧ س ١٦
٢٢٩	٩	الغزيرة يشير إلى بلاد العرب .
٢٢٩	١١	أرض الأوزير . هكذا ورد في نسخة الأم . وقد أكرت من البحث عن هذا الأوزير ، فلم أهنأ اليه . وعسى انه محرف عن الغدير ، لهر هنا لك تكلم عليه المؤلف (ص ٢٨٥ س ١١ و ص ٢٨٦ س ١) .
٢٣١	٧	مدينة جرش . هكذا صطلها في نسخة الأم بصم الميم . وهو غير صواب ، اللهم إلا فيما يتعلق ببلد ماين . أما الذى نحن بصده وهو المدينة الأثرية التى يتكلم عنها المؤلف ، والتى هي الآن تابعة لأمارة الشرق العربى فيما وراء الأردن . ، فهي جرش (منتهج أوله وثانيه) ولا يرال أهل تلك الجهات يطلقون بالاسم على هذا الوجه ، لافرق في ذلك بين الخاصة والعامة .
		(*) رسم الاب الفاضل حروف هذه الكلمة بالالة الإرمية ، وقد اضطرت لاهمالها ، مع الاسف الشديد ، لعدم وجود شئ منها في دور الطباعة بمصر .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٢٣٤	٧	في الأصل . "وتثنى تثنى" . أهل الناحية الثانية في صدر الكلمة الأولى . فيحب التصحيح هكذا . "وتثنى تثنى" .
٢٤٤	٧	أسراب (بالسين المهملة) جمع "سرب" للقناة في جوف الأرض . ووضع النقط في نسخة الأم فوق الشين المعجمة غلط .
٢٤٥	١١	Centa
٢٤٥	١٣	Port-Vendres
٢٤٨	١١	رواية "القناصر" : وَشَا كُرُجْ وجلاجله . [والكُرُجْ : الحل . والوشى : معروف]
٢٥٤	١٧	وكانا . (لا : كانوا)
٢٥٨	١١	في الأصل : "وجه إليها عشرين دنا شرايا ومائة دجاجة وعشرين حملا وباح مأكهة"
<p>فأزلا — كلمة "إليها" يجب جعلها "إلينا" كما يحتمل السياق . لأن الكلام عن رحلين ، أحدهما حقة وهو الحاكم للقصة والمتمم للرواية عن نفسه وصاحبه .</p> <p>وثانيا — كلمة "باح" عليها في نسخة الأم قطعة من المداد جعلتني أتخيل أن المؤلف ضرب عليها بالقلم . فذلك أهملتها في الطبع ، لا سيما وأني لم أفهم لها معنى وقتئذ . لكن الأمانة أوجبت على المراجعة عنها والتدقيق فيها . وقد وجدت أن صاحب القاموس أشار في مادة (ب ح) إلى أن "الْبَيْج" هي "الفرائر السود" أي البلواتي والركائب . فتكون المأكهة حيث من التواشيف أي من نوع "سُقل" . ويكون ابن فصل الله قد أراد الرجوع عن جمع الجمع (باح) لعدم وروده ، فصر على الكلمة ثم منها عن وضع الكلمة الواردة في كتب الفقه ؛ أو يكون أراد أن يضع بدلها كلمة "أطباقي" وهي التي استعملها هو في ترجمة الأمر بأحكام الله ، إذ من برجل من أهل مصر</p>		

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		واقف على بستان له فاستسقاء . فلما شرب ، قال الرجل : أطمعنى يا أمير المؤمنين . وطلب منه الدول عليه ، وقدم له وبلغته أشياء كثيرة تجل عن الوصف ، منها مائة طبق فأكهه . هذا واستعمال الأطباق للمأكلة معهود أيضا في بغداد . فقد روى المؤرخون وأهل الأدب أن عبد الملك بن صالح أهدى لهارون الرشيد فأكهه في أطباق حيزران ، وسماها في كتابه إلى الخليفة ، «أطباق القضاء» احتشاما من تسمية الشيء باسمه . لأن أم الرشيد كان اسمها الحيزران (انظر مطالع البدور ج ٢ ص ٣٦) .
		على أن كتاب بغداد قد استعملوا الكلمة التي نحن بصدد ها . وقد ورد في كتاب الموشى (طبع ليدن ، ص ٩٤) ما نصه «والنبانيج المصعدة بأنواع الرياحين» ووردت في نسخة أخرى : الببانيج . وعدى أنها مصحفة عن نبايح و نبايح
١٤	٢٦٦	العُمر (نعم أوله وسكون ثانيه ، بمعنى الدر الكبير) .
٢	٢٦٧	الزنانير . أوردتها النسخ بهذه الحروف في قول الشاعر :
		«وهار مثل الزنانير محمو * ف زهر الخبى والهودان»
		وأنت تعلم أن الهار لا يشبه بالزنانير بل بالبدانير . فقد روى المؤلف هذه (في صفحة ٢٠١ ص ١٨) قول الصلاح الصعدي :
		وبالارض من حبا صخرة * فاستت الأرض إلا بهارا كما روى قول الخالدي (ص ٢٩٥ س ٩)
		وقد نقت الزهر حد الرى * ندرمه وبديساره وضيف إلى ذلك قول أبى نواس :
		زهرة عند زهرة عند أخرى * كأقتران الديار بالديار

صفحة	سطر	تصويّسات وتصحيحات
		وعلى ذلك يحبّ تصحيح "الزناير" بـ "الدنانير" .
		اللهم إلا إذا قيل أن الشاعر أراد "الزناير" لوع من الدباب ، صغار ، تكون في الحشوش ، أى المواضع التى يذهب الناس إليها في الساتين ومن مجتمع الحيل ، لقضاء الحاجة . وذلك بعيد وغير مقول . ولقائل أن يذهب الى أنه أراد "الزناير" أى تلك الدبابات الساعة المعروفة باسم الدنانير . هي رقتها ما قد يسوع معه مثل ذلك الرأى . ولكنى أوتر "الدنانير"
١٢٢٦٧		ثَرَانَا ... تَنْغَصُّهُ .
١٧٢٧٠		أورد الناصح البيت هكذا
		وعيم يوصل من كنت أهوى . قد تبدلت له سؤس العتاب
		والذى أراه أنه أراد "الغيباب" فالعين المعجمة والياء آخر الحروف . لأن الشاعر يقابل به ما كان له من عيم الوصول . لقد كان يصح أن تقترح كلمة "العداب" ولكن الشاعر آسنعملها في البيت التالى لتأله . فصلا عن أن "العتاب" لا "نؤس" فيه . وقد يجوز أن يكون أراد "العقاب" لما وقع عليه من العلم .
٧٢٧١		يَرْمِ بِي الرَّجَوَانِ . (هذا هو الوسط الصحيح) .
٤٢٧٨		بُقْطَرٌ لِّلْ . (هذا هو الوسط الصحيح) .
١٧٢٨٠		قُفْصَةٌ نَصَمَ الْقَافُ ، سه لقرية بين بغداد وعكبرا . شهيرة بحاماتها وحورها الجيدة .
٣٢٨٢		أكثرت البحث والتسأل عن أصل لهظه "ماشوش" . فلم أظفر لآن بظائل . وقد أضافنى العلامة الاب أستاذ الكركلى انت ما رواه الشاشنى هو خرافة . ولا مانع عدى من الانضمام الى رأيه الرشيد ، ليس مما يتعلق بليلة الماشوش ، في دير الخوات حسب . بل فيما ينسبه عامة الناس أيضا مما يصارع هذه الأشمعة الى الدروز لبيان وحوران ، والى الانصارية والصيرية (أتباع

صفحة	عطر	تصويبات وتصحيحات
		الشيخ نصير) نولاية حلب وحاصه ساحية انطاكية ، والى الاسماعيلية المتوطنين ساحية القدموس قصاء قلعة المرقب من بلاد سورية .
٢٨٣	٣	الصَّبوح (متح الصاد) .
٢٨٥	٦	جناحا (بالون) .
٢٨٦	٨	صدى أن الأصوب رواية البيت هكذا :
		برية شتواتها . بحرية فيها المصايف
		فان الناس يتطلون الاصطيف ببحوار البحار . كما هو مألوف مد قديم الزمان .
٢٨٧	١٦	ورد في الأصل : "يجوز العيس أنواله ندى" مع وضع كسرة تحت العين المهملة . ولا معنى لذلك . بل لابد أن يكون الصواب "يجوز العيش أنواله ندى" . والرجل على ما عرفنا به صاحب الأعاني (ج ٢١) والورى (نهاية الأرب ج ٤ ص ٥٥ فتوغرافية) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس ابن شنت بن رعى الية نوعى . كان من المستترين شرب الخمر . مع بصري سيار فقال له نصر : يا لك هاء بيت الله الحرام ، ومحل حرمة ! فدع الشراب ! فما هو إلا أن رال عنه صاحبه ، حتى وصع الشراب وحمل سكى ، ويقول :
		رصيع مدام فارق الراح روحه فطلّ عليها مستهلّ المسامع أديرا على الكأس ، إلى مدهتها . كما فقد المعطوم درّ المراسع !
		ومرّ به نصر بن سيار ، وهو يميل سكرًا ، فقال له أفسدت شرفك ! فقال لو لم أفسد شرفي ، لم تكن أنت اليوم والى خراسان . (واظر ص ٣٩٦ من هذا الكتاب ، وص ٢٢ من "حلبة الكيت" طبع بولاق)
٢٨٨	١١	وقَذِر

صفحة	سطر	تعوييات وتصحيحات
٢٨٨	١٩	ودارتُ مُجَبُّ الأبطال : ل مَحَّتْ بِحُلَى الثَّرب
		هكذا في الأصل "الأبطال"، ولا شك أن ذلك باطل، ومن ههنا السامح، لأن المقام ليس الثرب، "الأبطال" التي دارت على الدماء دورا حثينا يشابه سير الساق السريعة الحية .
		ويحور أن يكون الشاعر راد الأبطال أي أقذاح النمر . وذلك أقرب لرسم المروف، ولكنني
		أتمسك بـ "الأبطال" لا سيما وأن المؤلف قد استعمل هذا اللفظ فقال "فشر بها بالأبطال" (ص ٢٧٨ س ٣) ؛ "فاسقني رطلا" (ص ٣٢١ س ١٨، ص ٣٢٢ س ٣ - ٦)
٢٨٩	١٢	على أوجه أعمار على قُصْبِ على كُتْبِ
		هكذا كتب السامح . ولا معنى للأعمار هنا . بل هي "أفكار" ياسيدي . ومن ذلك يجب رواية البيت على "الوجه" الآتي .
		على أوجهِ أفسار . على قُصْبِ على كُتْبِ
٢٩١	١٢	تُراكَ (بالراء المهملة بضم التاء، بمعنى هل ترى نفسك) .
٢٩١	١٣	أُنِّي (بضم أوله وكسر ثائه) .
٢٩٢	٣	فأجراها (بكون الجيم) .
٢٩٢	١٠	عوارب (بالضمة) . لا (عوارب بالعين المهملة) .
٢٩٥	١٨	نُسط السطح ... تبسط صحون آسن وخيرات تفاح
		سقطت كلمة من الشعر لم يكتبها السامح ولعلها "الفسرين" أو ما على هذا الوزان . فتكون رواية البيت على هذا المثال .
		نُسط السطح والفسرين تُسطُّ و صحون آسن وخيرات تفاح والله أعلم .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣٠١	١٦	<p>(*) الطيبوث . لفعة إرمية ، وهي بلسانهم ... (وتلفظ طيوثا بناء مثلثة في الآخر) . وهي عند نصارى اليعاقبة أصحاب دير القيادة : " مادة نسوى أو تؤخذ من زيت قد صُلِّي عليه مطرانهم وباركه ، وقد أصيف إليه شيء من الماء وقليل من تراب رفات أحد الأئمة في القداسة .</p> <p>وكان الحق في تعريبها الطيبوث بناء مشاء في الآخر . لكن العرب عرّبوا ما كان على هرون فعلّوت منهج الأول والثاني شاء مشاء . فقالوا . ملكوت وحمروت وعظموت وملكوت . وعرّبوا ما كان على فعلّوت ما سكاك الثاني شاء مثلثة في الآخر فقالوا : داعوت وراعوت وطيبوث . وقد حالموها ، لاسوت ولاهوت ، وحيت ، وياقوت .</p> <p>(للاب أنسناس الكرمل)</p>
٣٠٤	٣	<p>نيسرين (تكسر الون) .</p>
٣٠٨	١٥	<p>زُأَرِه (نصم الراي) .</p>
٣١٠	٩	<p>"عُمر عسكر" . هذه رواية ابن فضل الله . وقد قلت في الحاشية ان ياقوت سماه "عمر كسكر" باسم اللد . فبهرقة الحقيقة في عصره الحاضر ، استعملت من المحقق المدقق الأب أنسناس الكرمل ، فكتب لي : م يكن عُمر من الاعمار باسم عُمر عسكر واما هو عُمر كسكر (نكاهن مفتوحين يتوسطهم سبع مهلة وفي الآخر را مهلة) . والعمر كلمة إرمية معناها اللد الواسع ، يكون للرداء . اهـ</p>
٣١١	١	<p>النَّحَب (منح الون وانحاء المعجمه) ، بمعنى معاطاة الشراب بين اندامى .</p>
<p>(١٠) أهملت رسم الحروف الإرمية التي كتبها لي الأب الفاضل ، لعدم وجود شيء منها بدور الطباعة في مصر .</p>		

صفحة	سطر	تصويسات وتصحيحات
١٦٣١٨		كتب الناح : ورثة وعاء : ذى يردل بها ، سقم السقم ، وذأ يُجلى به البصر وأنا أظن أن المعنى يستقيم تماما ، إذا عيرنا العنازة وروينا الت على الوجه الآتى : ورثة وعاء . ذأ يردل به سم السقم ، وذى يُجلى بها البصر لأن العاء مريل للسقم ، ولأن الترة جعلها الشاعر كالإثم الذى يُجلى به البصر . أدبك (بكسر الاء) . الأسماء بعضها ببعض (لا بعضها) . روى المؤلف عن أنى المرح الأصمهانى أن النعمان بن المذركان بعد قضاء الصلاة فى دير البح ، يصرف الى مستشفاه على العجب . فيعلم من ذلك أنه كان يركب النوى السريعة أو الأفراس الكريمة الى ذلك المستشف . وهو كلام قد يكون وحيدا ، أولا ما فيه من الإيهام بما يتعلق بتعيين المكان ، ولولا أنه لا معنى لأن يكون مستشف الملك من العدد عن قصره حيث يحتاج الى الحب للوصول اليه . ومن الأسف . نرى أن أثر على كتاب الديارات لأنى المرح . لتتيف هذه الكلمة (العجب) . والحكاية غير واردة فى الأعلى . وإلى أنجيل انها محرفة عن (النَجَف) . وذلك لقرب النَجَف من الحيرة عاصمة النعمان ، ولأنه أرض عالية ، فيكون المستشف هوقها . « وما يليق بالملك كما أتى بيانه » .

صفحة	سطر	تصويّسات وتصحيحات
		ذلك أن الحيرة صغيرة القعة ، وكل دياراتها حول النجف وبعصبا رابكة عليه ، وكل آثار بحر المدر على طوره (ص ٣٢٧ س ١٠ ، ١١ و ص ٣١١ س ١٤ و ٣١٧ س ١١ من هذا الكتاب) .
		وفصلا عن ذلك ، فقد ذكر المؤلف أن ديارات الأساقف تشرف على النجف وعلى الطهر كله . وأن الصعود إليها يكون من أسفله في خمسين درجة الى سطح أبيض فيه الخورق والسدير (أنظر ص ٢٨٥ — ٢٨٦ من هذا الكتاب واطر ديارات الأساقف في معجم ياقوت) .
٣٣٨	٣	أعابيه (النون في وسطه) . هذا هو الصواب ، وليس : أعتابه . كما في نسخة الأم . كيف لا ، والمصنف قد عرفنا عن كثرة الكروم حول ذلك الدير ، أما حلوس الدمان بين الأعتاب ، فلا محل له من الاعراب ، فصلا عن أن هذا الجمع سقيم لا يستعمله إلا العامة . ومثل من فصل الله قد كان يقول "العتبات" .
٣٤٣	١٢	اتيات "السَّيَّيَّة" مسوية لمدة سعداد . وهي أرض سودّ للبناء . وهي حرير فيها أمثال الارح . ويجمع على "سباني" .
٣٤٦	١	شَدَّ (نصيحة المذكّر المني للجهول اشارة الى القيد) . وليس شَدَّتْ . كما في نسخة الأم
٣٤٦	١٢	يعثك منها رجه بعد رجه . صحاح أخبار الرياض كعقل
		على أن السحاب لا يتكامل إلا "إحياء" الرياض ، لا بأخبارها . والأخبار — إن صح التعريف — إما تكون من شأن السيم . لذلك يجب وضع "إحياء" بدلا من "أخبار" الواردة في نسخة الأم .
٣٥٨	٥	جنة الزبداني : وهي حديقة كبيرة حدّا بالقرب من دمشق ولا تزال باقية ، ومنها تصدر الفواكه الكبيرة الى مصر وغيرها . ونظمت البيت في الأم إذ جعلها "جبة" بالاء المعطولة بواحدة) . أما جبة عسال ، فالاء ثاني الحروف ، كما في الأصل .

صفحة	سطر	نصويحات وتصحيحات
٩٣٦٢		ممتع (بغير نون عند التاء) إشارة الى كثرة الصيد فيه .
١٣٦٣		قال أبو فصل الله إن دير القصير الكائن بين مصر القديمة وحلوان على "سطح قبة من بلاد الفتحج" . وقلت في الحاشية إني لا أدري ما يريد بقوله "بلاد الفتحج" . وأما الآن أظن أنه قد يكون مراده "الفتحج" . فقد استعملها المؤرخون في ذكر الطريق بين القسطنطينية وبين عين شمس . قال الكندي في كتاب الولاية والقصة (طبع لوندرة ، ص ٢٨٣) : " وابتلوا إلى القسطنطينية ، فسكر محمد بن تكين من بركة المعامر إلى الفتحج " . وهذه الـ كه هي التي عرفت بركة الحبش ، على ما ذكره المنري في الخطط ، في كلامه على البركة . ودلك الدير يعرف الآن باسم دير العريان .
١٦٣٦٣		هو أبو صلاح الارمني (لا أبو صالح كما كتبه أما عطا) .
١٦٣٦٥		عُجْمَر (بضم العين ، بمعنى الدير الكبير) .
١١٣٧٥		"ومرت الاطلاب مزينة الترك" . هكذا وردت هذه العبارة في نسخة الأم . وقد عقت عليها في ديل الصفحة : "بميد احتمال سقوط كلمة « مأبنا » لتكون الجملة هكذا "مزينة مأبنا الترك وحياد الخيل" . لـ د آ في بعد إتمام الطرء ، أتخيل أن النسخ غير كلمة « اليرك » (لأنه لم يهمها) بكلمة « الترك » . و اليرك كلمة تركية كانت قاتسيه الاستعمال بمصر ، على عهد المسالك . ومعناها السلاح . وكثيرا ما يستعملها المؤرخون لذلك العهد . ويكون المعنى أن " الاطلاب مرت مزينة أسلحتها وحيالها الجيدة " . و الطُّلُب (بضم الطاء) جماعة من الحدود يكونون في خدمة الأمير .
٩٣٨٠		الكُجَاج (بضم الكاف لا كسرهما) . نوع من الخبز كان معروفا بمصر ، ولا يزال مستعملا بصعيدا وفي بلاد فلسطين ، ولا سيما بلاد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

To: www.al-mostafa.com